# الطريق القرآني

# إلى تحرير فلسطين

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس
*
darjundi46@gmail.com
www.for-alquds.org

**الطريق القرآني إلى تحرير**

محمد السيد الشناوي

الطبعة الأولى (2021).
*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

# الطريق القرآني

## إلى تحرير فلسطين

تأليف: *محمد السيد الشناوي*

*من علماء الأزهر.. كاتب وباحث إسلامي*

الطبعة الأولى

2021 م

# الإهـــــداء

إلى سلطان التحرير صلاح الدين (في أي عصر).

إلى المؤمنين العاملين

لتحرير أرض الإسلام المحتلة.

## من الدستور الإلهي

يقول الله تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)(البقرة ــ 190: 193).

## من مشكاة النبوة

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ يقول: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» (أخرجه مسلم وغيره).

## تعريف بكتاب الطريق القرآني لتحرير الأقصى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المُرسلين سيدنا محمد ﷺ. . وبعد:

فقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا اعتدى على حُرمات المسلمين، أو احتل أرض الإسلام يجب على المسلمين ــ الأقرب فالأقرب ــ الجهاد في سبيل الله لرد العدوان، وتحرير أرض الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: 190). . ويقول سبحانه: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة: 191).

وإذا استكان المسلمون واثَّاقلوا إلى الأرض، ولم يُجاهدوا في سبيل الله لرد الاعتداء عن أنفسهم وقعت عليهم فتنة كبيرة، يصير فيها الحليم حيران؛ حيث يُسلِّط الله تعالى عليهم عدوهم، فيسفك دماءهم، ويغتصب أعراضهم وأرضهم وثرواتهم، ويطمع في ردهم عن إسلامهم، كما يقول سبحانه في الآية (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ).

وأرض فلسطين ليست ككل أرض الإسلام؛ ففيها بيت المقدس، وفيها المسجد الأقصى، وهو ثالث المسجديْن. . وجعله الله تعالى مُنتهى إسراء رسوله ﷺ، ومُبتدأ معراجه إلى السماء. . والقِبلة الأولى للمؤمنين. . وفي ذات الوقت جعله الله تعالى آية في كتابه العظيم، وحديثًا من أحاديث رسوله الكريم ﷺ.

ولهذا فإن تحرير القدس وفلسطين أشد وجوبًا، وأكثر أهمية.

ووسائل الجهاد لرد الاعتداء عن المؤمنين المنكوبين وتحرير القدس وفلسطين من الاحتلال اليهودي كثيرة ومتنوعة ومُتشابكة، منها التربوي، ومنها الصناعي.. الخ.

هذا، وقد وفقني الله تعالى وكتبت عدة كتب لأشارك بها في الجهاد في سبيل الله لتحرير القدس وفلسطين وغيرها من أرض الإسلام، وإعادتها إلى الإسلام كما كانت، منها كتابي: (القدس والوعد المفترى)، صدر سنة 2001م. وفيه بينت أن فلسطين

إسلامية، وأن اليهود ليس لهم حق فيها، وأن الوعد الإلهي الذي يزعمه اليهود بامتلاكها افتراه اليهود في كتبهم التي كتبوها، وقدسوها زورًا وبهتانًا.

ومنها كتابي: (المقاطعة فريضة وضرورة)، صدر عام 2004م. وبينت فيه شرعية مُقاطعة الأعداء بقدر الاستطاعة، وأنها سلاح في طريق التحرير المطلوب.

ومنها كتابي: (حتمية زوال إسرائيل في ضوء القرآن والسنة والتاريخ)، وقد صدر عام 2006م. وهو قراءة جديدة في إعجاز القرآن والسنة؛ لإحياء الأمل في نفوس المؤمنين؛ ليعملوا لتحرير أرضهم المحتلة، وفي يقينهم أمل بأن تحريرها آت بأيديهم ـــ إن شاء الله تعالى ـــ في موعده المقدور متى استجمعوا شروط النصر وأسبابه.

وحينما قرأ المسلمون كتابي الأخير فرحوا به جدًا، ومنهم من أرسل إلي يقول: لكنك لم تُبين لنا الطريق إلى تحرير فلسطين، فكنت أقول: هذا موضوع كتابنا الآتي.

والحمد لله، فقد وفقني إلى الوفاء بما وعدت، وكتبت كتابي الرابع: (الطريق القرآني إلى تحرير فلسطين) وهو هذا الكتاب، وقد بينت فيه أن تحرير فلسطين ليس ضربًا من المستحيل، ولا خيالاً بعيد المنال، إنما هو حقيقة يسهُل على المؤمنين تحقيقه متى استجمعوا له شروطه وأسبابه بصدق.. وقد بينت فيه خطوات الطريق القرآني المطلوبة في ضوء القرآن والسنة؛ ليكون وثيقة هامة، وخطة عمل بين يدي الأجيال المؤمنة العاملة للتحرير على مستوى الفرد والأسرة والدولة.

ولم يبق على الدولة المسلمة (الحكومة والمؤسسات والشعب) إلا العمل الدءوب لتحقيقها، ولا يجوز للمؤمنين العاملين أن يملوا أو ييأسوا مهما طال الطريق، وكثرت العقبات، أو توالت العثرات، وقد قالوا: بداية الألف ميل خطوة.. ومن جد وجد. . ومن زرع حصد. . وكلما صدق العزم وضح السبيل.. وكلما تمكنوا من تحقيق خطوة اقتربوا من يوم التحرير. . وكلما أخلصوا لله تعالى غايتهم في جهادهم، وجمعوا أسباب النصر وشروطه أمدهم الله بعونه، وأكمل لهم ما عجزوا عنه، ورزقهم النصر والتحرير

والتمكين، كما يقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ)(محمد: 7، 8).

وأنبه المؤمنين العاملين أن تحرير القدس وفلسطين لن يكون عطية بغير ثمن يُقدمه المؤمنون من أنفسهم وأموالهم، أو منحة بغير عمل، أو ضربة عشوائية بغير إعداد ولا جهاد، إنما يكون تحريرها بأيدي المؤمنين العاملين الذين يستخدمون سنن الله تعالى [1] في الإعداد، والجهاد في سبيل الله.

وأوصي الأجيال المؤمنة المُجاهدة في كل مكان من أرض الله أن تَذْكر دائمًا أرض الإسلام المحتلة ولا تنساها، وتذكر أن كل ظلم يُوقعه العدو على المؤمنين يبوء بإثمه كلُّ مسلم يعلمه، ويستطيع ردَّه، أو المُشاركة في رده ودفعه ولم يفعل.

إني ــ والله ــ لا أتمنى أن يأتي يومٌ أكون فيه حيًا وأرى اليهود قد هدموا المسجد الأقصى، وأقاموا علي أنقاضه معبدهم الوثني (هيكل سليمان). . ليتني أموت قبل هذا اليوم، وأكون نسيًا منسيًا. . إني لا أتحمل أن أقرأ كتاب ربي يقول: (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (الإسراء: 1) وأرى اليهود قد هدموه ودنسوه، وجعلوه معبدًا وثنيًا، ولم يعد لله مسجدًا كما يجب أن يبقى.

هذا، وقد جعلت كتابي هذا فصليْن اثنيْن:

الفصل الأول: بينت فيه ــ بإيجاز ــ مكانة فلسطين في الإسلام. . وأن تحريرها فريضة شرعية، وضرورة مصلحية للأمة الإسلامية كلها.

والفصل الثاني: بينت فيه الخطوات القرآنية اللازمة لتحرير فلسطين، وكل أرض الإسلام المُحتلة، وكلها أسباب وسنن ربانية يُوجب الإسلام على المؤمنين استخدامها للجهاد والعلو والتمكين، ويُمكننا ترتيبها في الآتي:

1 ــ إعداد الجيل المسلم المنشود لنصر الله الموعود.

---

1) السُّنَّة المقصودة هنا: قانون الله الثابت الذي لا يتخلف ولا يتبدل، كما يقول الله تعالى: (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر:43).

2 ــ طاعة الله تعالى، واجتناب معاصيه.
3 ــ الأمل في النصر مَقْرونًا بالعمل لنواله
4 ــ رعاية الحرية الإنسانية.
5 ــ الولاء للمؤمنين فريضة وضرورة.
6 ــ معرفة العدو معرفة صحيحة.
7 ــ مُجاهدة الإشاعات الخبيثة
8 ــ استنهاض الشعوب الإسلامية لتقوم بواجبها.
9 ــ دوام التذكير بالأرض المحتلة وبوجوب تحريرها.
10 ــ تنصيب القيادة الإسلامية الواعية.
11 ــ إعداد القوة المطلوبة للجهاد والتحرير.
12 ــ توحيد الأقطار الإسلامية.
13 ــ أسلمة المعركة فريضة وضرورة.
14 ــ النهوض بالمعركة المرتقبة للتحرير.

**ـ شرط لابد منه.**

هذه الخُطوات القرآنية هي ذاتها السنن الإلهية اللازمة لتحصيل القوة وإحراز التحرير، وهي سُننٌ مُحايدة، لا تُحابي مؤمنًا لإيمانه، ولا تُعادي كافرًا لكفره، إنما تنفع من استخدمها ــ مؤمنًا كان أو كافرًا ــ فمن استخدامها خدمته، ومن ضيَّعها ضيَّعته.

والإسلام يجعل هذه الخطوات القرآنية أو السنن الإلهية فرائض شرعية، ويُوجب على المؤمنين استخدامها، ويُحرِّم عليهم تضييعها ــ عمدًا أو إهمالاً أو كسلاً أو غفلة ــ ويُعاقبهم الله تعالى كلما تركوها أو ضيَّعوها.

والمؤمنون الأولون حينما اتبعوا إسلامهم، واستخدموا هذه الخطوات القرآنية، أو (السنن الإلهية) رزقهم الله تعالى النصر والتمكين في الأرض، وهدى الله بهم العباد، وفتح بهم البلاد.

وحينما تركها العلمانيون العرب وضيَّعوها ــ كسلاً أو إهمالاً أو غفلة أو انشغالًا عنها بلهْوهم ــ تركتهم وضيَّعتهم حتى وهنت قوتهم، وتخلفوا عن الناس؛ وهزمهم عدوهم، واحتل أرضهم، كما سبق في الأندلس، وكما لحق في فلسطين.

وفي ذات الوقت أجاد أعداؤنا استخدام هذه السنن الإلهية أو الخطوات القرآنية!؛ فخدمتهم، وحازوا بها القوة، وانتصروا علينا، واحتلوا أرضنا.

وقد بذل اليهود كلَّ وُسْعهم في استخدام هذه الأسباب أو السنن الإلهية المتاحة لهم؛ فنفعتهم واحتلوا بها فلسطين؛ مثل: استخدامهم القُوى الكبرى التي بادلتهم المصالح، ومكَّنتهم من احتلال فلسطين.

وإذا ظللنا ــ نحن المسلمين ــ قائمين على الغفلة عن هذه الخطوات القرآنية للتحرير أو إهمالها وتضييعها ــ كما يريد لنا أعداؤنا ويُخططون لنا ــ خذلتنا، وهزمنا عدونا، وبقيت أرضنا محتلة، وعاقبنا الله تعالى.

أمَّا إذا عُدنا إلى استخدام هذه الخطوات القرآنية أو السنن الإلهية للتحرير أعانتنا، وانتصرنا بها على أعدائنا، وحرَّرنا أرضنا المُحتلة (في فلسطين وغيرها).

وأنبه المؤمنين العاملين أن تطبيق الخُطوات القرآنية المذكورة يسير على الدولة المسلمة وليس عسيرًا، فإذا عملت مؤسساتها، كل منها في عملها وتخصصها استطعنا تطبيق هذه الخُطوات في وقت واحد، واستطعنا التحرير والتمكين.

وأوصي المؤمنين أن ينتفعوا بكتابي هذا، ويجعلوا هذه الخطوات القرآنية في التغيير والإعداد إلى عملًا دؤوبًا، إن لم يكن كلها فالُمسْتطاع منها حتى يجمعوا شروط النصر، ويتحقق لنا وعد الله تعالى في النصر والتحرير الذي ننشده.

أجل، إن هذه الخُطوات القرآنية أو السُّنن الربانية لا تُؤتي أُكلها في تحقيق وعد الله تعالى في النصر والتحرير إلا إذا قام بها المؤمنون (الحكومة والمؤسسات والشعب) عملاً في حياتهم.

على كل حال هذا كتابي، وضعت فيه ما رأيته من خطوات قرآنية للتحرير، فإن أصبت فلله الحمد والمِنَّة، وإن كانت الأخرى فأسأل الله تعالى أن يغفر لي.

من الخطأ. . وحسبي أني قد بذلْت جهْدي ــ وهو جهْد المقل ــ وأدَّيت شـيئًا مما يجب علي للمشاركة في الجهاد المطلوب للتحرير. . وأقول كما قال العبد الصالح، والنبي الناصح: (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود: 88). . (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (غافر: 44).

وأسأل الله تعالى أن يقبل كتابي هذا ويجعله وباقي كتبي في ميزاني وميـزان والـديَّ يوم القيامة حسنات ودرجات.. اللهم آمين.. ويرحم الله عبدًا قال: آمينا.ـ

محمد السيد الشناوي.

# خطبة الكتاب

(الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (سبأ: 1). . . والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمُرسلين سيدنا محمد ﷺ. . وبعد:

فقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا اعتدى على حُرمات المسلمين، أو احتل أرض الإسلام يجب على المسلمين ــ الأقرب فالأقرب ــ الجهاد في سبيل الله لرد العدوان، وتحرير أرض الإسلام، يقول الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة: 190). . ويقول سبحانه: (وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: 191).

وإذا استكان المسلمون واثَّاقلوا إلى الأرض، ولم يُجاهدوا في سبيل الله لرد الاعتداء عن أنفسهم وقعت عليهم فتنة كبيرة، يصير فيها الحليم حيران؛ حيث يُسلِّط الله تعالى عليهم عدوهم، فيسفك دماءهم، ويغتصب أعراضهم وأرضهم وثرواتهم، ويطمع في ردهم عن إسلامهم.

وأرض فلسطين ليست ككل أرض الإسلام؛ ففيها بيت المقدس، وفيها المسجد الأقصى، وهو ثالث المسجديْن. . وجعله الله تعالى مُنتهى إسراء رسوله ﷺ، ومُبتدأ معراجه إلى السماء. . والقِبلة الأولى للمؤمنين. . وفي ذات الوقت جعله الله تعالى آية في كتابه العظيم، وحديثًا من أحاديث رسوله الكريم ﷺ.

ولهذا فإن تحرير القدس وفلسطين، ورد الاعتداء عن أهلها الشرعيين أشد وجوبًا، وأكثر أهمية.

ووسائل الجهاد لرد الاعتداء عن المؤمنين المنكوبين وتحرير القدس وفلسطين من الاحتلال اليهودي كثيرة ومتنوعة ومُتشابكة، منها التربوي، ومنها المالي، ومنها الصناعي، ومنها الزراعي، ومنها الإعلامي، ومنها القتالي. . . الخ.

هذا، وقد وفقني الله تعالى وكتبت عدة كتب لأشارك بها في الجهاد في سبيل الله لتحرير القدس وفلسطين وغيرها من أرض الإسلام، وإعادتها إلى الإسلام كما كانت، منها كتابي: (القدس والوعد المفترى)، صدر سنة 2001م. وفيه بينت أن فلسطين إسلامية، وأن اليهود ليس لهم حق فيها.

ومنها كتابي: (المقاطعة فريضة وضرورة)، صدر عام 2004م. وبينت فيه شرعية مُقاطعة الأعداء بقدر الاستطاعة، وأنها سلاح في الجهاد الاقتصادي المطلوب.

ومنها كتابي: (حتمية زوال إسرائيل في ضوء القرآن والسنة والتاريخ)، وقد صدر عام 2006م. وهو قراءة جديدة في إعجاز القرآن والسنة والتاريخ؛ لإحياء الأمل في نفوس المؤمنين؛ ليُجاهدوا في سبيل الله، وفي يقينهم أمل بأن تحرير فلسطين آت بأيديهم ــ إن شاء الله تعالى ــ في موعده المقدور متى استجمعوا شروطه وأسبابه.

وحينما قرأ المسلمون كتابي الأخير فرحوا به جدًا، ومنهم من أرسل إلي يقول: لكنك لم تُبين لنا الطريق إلى تحرير فلسطين، فكنت أقول: هذا موضوع كتابنا الآتي.

والحمد لله، فقد وفقني إلى الوفاء بما وعدت، وكتبت كتابي الرابع: (الطريق القرآني إلى تحرير فلسطين) وهو هذا الكتاب، وقد بينت فيه أن تحرير فلسطين ليس ضربًا من المستحيل، ولا خيالاً بعيد المنال، إنما هو حقيقة يسهُل على المؤمنين تحقيقه متى استجمعوا له شروطه وأسبابه بصدق.. وقد بينت فيه خطوات الطريق القرآني المطلوبة في ضوء القرآن والسنة؛ ليكون وثيقة هامة، وخطة عمل بين يدي الأجيال المؤمنة العاملة للتحرير على مستوى الفرد والأسرة والدولة.

ولم يبق على الدولة المسلمة إلا العمل الدءوب لتحقيقها، ولا يجوز للمؤمنين العاملين أن يملوا أو ييأسوا مهما طال الطريق، وكثرت العقبات، أو توالت العثرات، وقد قالوا: بداية الألف ميل خطوة.. ومن جد وجد. . ومن زرع حصد. . وكلما صدق العزم وضح السبيل.. وكلما تمكنوا من تحقيق خطوة اقتربوا من يوم التحرير. . وكلما أخلصوا لله تعالى غايتهم في جهادهم، وجمعوا أسباب النصر وشروطه أمدهم الله بعونه،

وأكمل لهم ما عجزوا عنه، ورزقهم النصر والتحرير والتمكين، كما يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: 7، 8).

وأنبه المؤمنين العاملين أن تطبيق هذه الخُطوات القرآنية يسير على الدولة المسلمة وليس عسيرًا، فإذا عملت مؤسساتها، كل منها في عملها وتخصصها استطعنا تطبيق هذه الخُطوات في وقت واحد، واستطعنا التحرير والتمكين.

وأوصي الأجيال المؤمنة المُجاهدة في كل مكان من أرض الله أن تَذكر دائمًا أرض الإسلام المحتلة ولا تنساها، وتذكر أن كل ظلم يُوقعه العدو على المؤمنين يبوء بإثمه كلُّ مسلم يعلمه، ويستطيع ردَّه، أو المُشاركة في رده ودفعه ولم يفعل.

إني ــ والله ــ لا أتمنى أن يأتي يومٌ أكون فيه حيًا وأرى اليهود قد هدموا المسجد الأقصى، وأقاموا علي أنقاضه معبدهم الوثني (هيكل سليمان). . ليتني أموت قبل هذا اليوم، وأكون نسيًا منسيًا. . إني لا أتحمل أن أقرأ كتاب ربي يقول: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الإسراء: 1) وأرى اليهود قد هدموه ودنسوه، وجعلوه معبدًا وثنيًا، ولم يعد لله مسجدًا كما يجب أن يبقى.

وأوصي المؤمنين أيضًا أن ينتفعوا بكتابي هذا، ويجعلوا هذه الخطوات القرآنية في التغيير والإعداد إلى عملًا دؤوبًا، إن لم يكن كلها فالمُستطاع منها حتى يجمعوا شروط النصر، ويتحقق لنا وعد الله تعالى في النصر والتحرير الذي ننشده.

هذا، وقد جعلت كتابي هذا فصليْن اثنيْن:

الفصل الأول: بينت فيه ــ بإيجاز ــ مكانة فلسطين في الإسلام. . وأن تحريرها فريضة شرعية، وضرورة مصلحية للأمة الإسلامية كلها.

والفصل الثاني: بينت فيه الخطوات القرآنية اللازمة لتحرير فلسطين، وكل

أرض الإسلام المُحتلة، وكلها أسباب وسنن ربانية يُوجب الإسلام على المؤمنين استخدامها للجهاد والعلو والتمكين، مثل: إعداد الجندي المنشود للنصر الموعود.. تنصيب القيادة الإسلامية الواعية.. وحدة الأقطار الإسلامية، (ولاسيما بلاد المُوَاجَهَة).. الولاء والتناصر بين المؤمنين.. الجهاد في سبيل الله.. إلى آخره.

هذه الخُطوات القرآنية أو السُّنن الربانية تُؤتي أُكلها في تحقيق وعد الله تعالى في النصر والتحرير إذا قام بها المؤمنون عملاً في حياتهم على مستوى الفرد والدولة.

أمَّا التخطيط لبدء وسير المعركة المُرتقبة فهو شأن آخر يقوم به خبراء وقادة العسكرية في وقتها، فلكل وقت سلاحه، ولكل حادثة حديث.

على كل حال هذا كتابي، وضعت فيه ما رأيته من خطوات قرآنية للتحرير، فإن أصبت فلله الحمد والمِنَّة، وإن كانت الأخرى فأسأل الله تعالى أن يغفر لي، فجَلَّ من لا عيب فيه، وخلا من الخطأ. . وحسبي أني قد بذلْت جهْدي ــ وهو جهْد المقل ــ وأدَّيت شيئًا مما يجب علي للمشاركة في الجهاد المطلوب للتحرير. . وأقول كما قال العبد الصالح، والنبي الناصح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: 88). . ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: 44).

وأسأل الله تعالى أن يقبل كتابي هذا ويجعله وباقي كتبي في ميزاني وميزان والديَّ يوم القيامة حسنات ودرجات.. اللهم آمين.. ويرحم الله عبدًا قال: آمينا.. وأقول:

الخط يبقى زمانًا بعد كاتبه * وكاتب الخط تحت التُرب مدفون

يا رب فاغفر لعبد كان كاتبه * يا قارئ الخط قل: يا ربي آمين.

**محمد السيد الشناوي.**

**من علماء الأزهر.. كاتب وباحث إسلامي.**

**في 1442هـ = 2020م.. صفط تراب.. م. المحلة الكبرى.. مصر.**

# الفصل الأول

# تحرير فلسطين

## فريضة وضرورة

# تمهيد

## فلسطين عربية إسلامية

من الحقائق التي يتفق عليها المؤرخون: أن فلسطين عربية، وأن لها تاريخًا متجذِّرًا في عمق العروبة؛ فقد نزح إليها الكنعانيون العرب، وهم قبائل عربية من شبه الجزيرة العربية، مثل: اليبوسيون والعمالقة والعناقيون، وسكنوها قبل ميلاد إبراهيم عليه السلام بآلاف السنين حتى عُرفتْ بهم، فكانوا أهلها الأصليين والشرعيين، أي قبل أن يدخلها الإسرائيليون القدماء وغيرهم بآلاف السنين.. ومن أبرز مدنهم الساحلية: (يبوس) وهي القدس الحالية، و(بيروتويوس) وهى (بيروت) الحالية، وصيدون وهى (صيدا)الحالية، وطرابلس وغزة، وشكيم، وهى نابلس الحالية [1].

وذكر المؤرخون الثقات: أن الدلائل تؤكد أن الفلسطينيين الحاليين ينحدرون من هذه القبائل العربية الكنعانية.

وهاجر الخليل إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى القدس، كما يقول الله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الانبياء: 71).

وفي القدس تزوج إبراهيم عليه السلام هاجر المصرية وأنجب إسماعيل عليه السلام [2]..ثم أنجب فيها بعد ذلك ابنه إسحاق عليه السلام من زوجته سارة عليها السلام.

وعاش إبراهيم عليه السلام في ربوع القدس يدعو إلى توحيد الله، وفي القدس شبَّ إسحاق وتزوج وأنجب يعقوب، وتزوج يعقوب وأنجب أولاده.. وظلت العلاقة قائمة بين إبراهيم عليه السلام وأولاده والكنعانيين العرب على السلام المتبادل، ولم تنشب بينهما أيَّة منازعات قط، إلى أن ترك يعقوب عليه السلام وأولاده الأحد عشر القدس، وهاجروا إلى مصر،

---

(1) راجع: قبل أن تضيع القدس ص 9 .. الغرب والإسلام وفلسطين 55، 56، لمحمود طلب النمورة.

(2) ثم حمله وأمه هاجر عليها السلام ــ بأمر الله تعالى ــ إلى مكة، وتركهما بجوار البيت الحرام، ورجع إلى فلسطين.

واستقبلهم فيها أخوهم يوسف عليه السلام، (وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ الله آمِنِينَ) (يوسف: 99)، كما هو معروف في قصتهم [1].

وتوالت السنون، وتكاثر الإسرائيليون في مصر، ثم خرجوا منها مع موسى عليه السلام، وأمرهم أن يدخلوا فلسطين ساكنين، كما كلَّفهم الله تعالى، فجبنوا وعصوه، وصرحوا بأن أهلها جبارون يقول الله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) (المائدة: 22).

ويقصدون بالجبارين: القبائل الكنعانية، أصحاب الأرض الذين يعمرونها.

فعاقبهم الله تعالى بالحرمان منها أبدًا، ثم التيه في أرض سيناء أربعين سنة، ودمغهم بالفسق، يقول الله تعالى: (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (المائدة26) [2].

وفي فترة التيه مات موسى عليه السلام ولم يدخل بنو إسرائيل فلسطين.

وبعد موت موسى عليه السلام عبر بنو إسرائيل إلى القدس بقيادة يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام ــ ولأجل هذا سُموا بالعبرانيين ــ فوجدوها مأهولة بأهلها الشرعيين (العرب الكنعانيين)، ففي توراتهم قالوا:

1 ــ (وَذَهَبَ دَاوُدُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، أَيْ يَبُوسَ. وَهُنَاكَ الْيَبُوسِيُّونَ سُكَّانُ الأَرْضِ. 5 وَقَالَ سُكَّانُ يَبُوسَ لِدَاوُدَ: «لاَ تَدْخُلْ إِلَى هُنَا». فَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ) (سفر أخبار الأيام الأول 11 ــ 4، 5 ).

---

(1) راجع: قبل أن تضيع القدس ص 9، 10 ... والقدس عربية إسلامية ص 54، 55 .

(2) ولو كان أمر الوقف والابتداء في الآية الكريمة بيدي لوضعت الوقف اللازم عند قول الله تعالى: قَالَ (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) (مـ)، وهذه هي العقوبة الأولى، ثم تلتها العقوبة الثانية: (أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ)، ثم تلتها العقوبة الثالثة: (فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ).

2 ــ وفي سفر القضاة 19: 11، 12، من توراتهم قالوا: (وَفِيمَا هُمْ عِنْدَ يَبُوسَ وَالنَّهَارُ قَدِ انْحَدَرَ جِدًّا، قَالَ الْغُلاَمُ لِسَيِّدِهِ: «تَعَالَ نَمِيلُ إِلَى مَدِينَةِ الْيَبُوسِيِّينَ هذِهِ وَنَبِيتُ فِيهَا». فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: «لاَ نَمِيلُ إِلَى مَدِينَةٍ غَرِيبَةٍ حَيْثُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ هُنَا» [1].

ومع هذا أقام بنو إسرائيل دولة صغيرة لهم على جزء من أرض القدس، بقيادة داود عليه السلام، ثم ابنه سليمان عليه السلام.

وبعد موت سليمان عليه السلام انقسمت الدولة الإسرائيلية الصغيرة سنة 923 ق. م إلى دولتين مُتعاديتيْن:

الأولى: في الشمال، وهي: مملكة (إسرائيل)، وعاصمتها: (شكيم أو السامرة، وهي نابلس الحالية).

والثانية: في الجنوب، وهي: مملكة يهوذا، وعاصمتها: (القدس أو أورشليم).

هذا الانقسام أدى إلى ضعفهما، ثم سقوطهما.. فقد قضى على الدولة الأولى (مملكة إسرائيل) ملك آشور (سرجون الثاني) عام 721 أو 722 ق. م تقريبًا، واستولى على عاصمتها (السامرة)، ونقل أسباطها الإسرائيليين سبايا إلى شرقي الفرات، وأحل محلهم من أبناء الرافدين، ولم تقم لتلك الدولة قائمة بعد ذلك، وكان آخر ملوكها: يوشع بن أيْلة.

والجدير بالذكر أن هذه الدولة كانت أكثر اليهود عددًا، ومع هذا أطلقت عليها دائرة المعارف البريطانية: (المملكة الدَّيْلية).

وعاشت الدولة الثانية (مملكة يهوذا) أكثر من أختها، ولم يدعها أعداؤها تهنأ بالاستقرار، فقد هاجموها من الشرق ومن الجنوب مرات عديدة، وغزاها البابليون عام

(1) راجع القدس لسامي حكيم ص 13، 14 .. القدس والوعد المفترى للمؤلف .

677 ق. م وتغلبوا عليها، وهدموا أسوارها، وأحرقوا هيكلها، وسبوا كثيرًا من أهلها وأسروا رئيسها (منسّي)، ونفوهم إلى (بابل) [1].

وحينما كان رسول الله ﷺ في مكة يدعو الناس إلى التوحيد، وكان اليهود في شتاتهم سبايا في بابل بالعراق دارت المعركة حامية بين الفرس والرومان، وفيها انتصر الفرس، واحتل ملكُ الفرس المجوسي (قورش) بلاد بابل في سنة (538 حتى سنة 330 ق.م)؛ وفي هذه الفترة أصبح للفرس السلطان على أرض فلسطين.

ولأن (قورش) ملك الفرس تربى في طفولته في حجر مربيته اليهودية (أسفيلد) التي كانت في حوْزة أبيه كان وفيًّا لها؛ حيث أصدر نداءً سمح فيه لليهود بالعودة من المنفى إلى فلسطين [2]، واستئناف عهد الحرية، ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفُوا الحياة البابلية؛ فلم يقبلوا العودة من المنفى إلى فلسطين إلا عدد قليل منهم، وابتدأت رحلة هذا العدد القليل إلى فلسطين بعد سنتيْن من مجيء (قورش)، وأعادوا بناء المدينة المقدسة، كما بنوا معبداً صغيراً مكان الهيكل بتصريح من (قورش). لكن عودة هذا العدد القليل إلى فلسطين كانت عودة أفراد مقهورين، وليست عودة شعب ودولة وسلطان؛ ولهذا لم تعد بهم دولتهم اليهودية مرة أخرى، وقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له [3].

وظلوا على هذا الحال حتى زوال الاحتلال الفارسي عن فلسطين.

الجدير بالذكر أن هذا الانتصار الفارسي على الرومان أحزن المؤمنين في ذلك الوقت (أي في عهد النبي ﷺ في مكة)؛ فقد ترتب عليه سقوط أرض القدس في أيدي الفرس الوثنيين (المجوس)، وعودة عدد من اليهود إليها مرة ثانية، بينما فرح المشركون وشمتوا بالمؤمنين، وقالوا لهم: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس وثنيون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرن عليكم، فأخبر الله تعالى رسوله ^ والمؤمنين أن

---

(1) راجع: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية 23، 24، ط. دار القلم .. مصر.. وما ذكرناه حسب الرواية الإسرائيلية؛ ولهذا يجب أن يُؤخذ بحذر وتدقيق.

(2) راجع: قصة الديانات 358، واليهودية فتنة التاريخ لماهر أحمد الأغا 81، ط. دار الفكر .. بيروت.

(3) راجع: اليهودية ص 93، 94 .

معركة الرومان ضد الفرس لم تنته بعد، وستنشب مرة أخرى في بضع سنين، أي في خلال تسع سنوات، وينتصر فيها الرومان، ويطردوا الفرس واليهود من القدس وفلسطين، ونزل قول الله تعالى: ( الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ الله يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ الله لَا يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ) (الروم ــ 2: 6).

و(أَدْنَى الْأَرْضِ) أي القريبة إلى الجزيرة العربية، وأراها أرض الشام.. وقال السُّدِّي ومقاتل: هي الأردن وفلسطين.. (فِي بِضْعِ سِنِينَ) أي إلى تسع سنين.

وقد صدق الله وعده، ففي بضع سنين دارت المعركة حامية بين الفرس والروم مرة أخرى، وانتصر فيها الروم، وفرح المسلمون في مكة، واعتبره القرآن الكريم (نصر الله) وخضعت فلسطين لسلطان الرومان، وأذاقوا اليهود سوء العذاب والدمار عدة مرات متوالية على يد أباطرتهم الرومان: (بومبى، وتيتوس، وهدريانوس... الخ)، (وَعْدَ الله لَا يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ).

وبذلك قضى الرومان على دولة اليهود الهزيلة، ولم يقم لها بعد ذلك قائمة [1].

لكن يبقى السؤال قائمًا: ماذا يُفيد المؤمنين أو يضرهم من معركة قامت أو تقوم بين غير المسلمين (الفرس والروم).. فما أكثر المعارك التي قامت بين غير المسلمين بعضهم وبعض!. والكفر كله ملة واحدة؟.

وجوابنا: أن احتفاء المسلمين بهذه المعركة بين الرومان والفرس هذه المرة ــ بقصد أو بغير قصد ــ لأن رحاها دارت على أرض القدس وفلسطين، وأن احتلال القدس وفلسطين أكبر أهدافها، وقد سبق في علم الله أن المسلمين سيفتحونها، وتكون أرضًا إسلامية مقدسة، وأن فيها أولى القبلتيْن، وثالث المسجديْن، ومنتهى إسراء رسول الله ^ ومُبتدأ معراجه ﷺ إلى السماء.

(1) راجع: القدس لسامى حكيم، والمسلمون واسترداد القدس د / محمد الفحام شيخ الأزهر .

وحتى ينسى اليهود أورشليم (القدس) دمرها الملك الروماني (هدريانوس)، وأنشأ مكانها مدينة جديدة أطلق عليها اسم (إيليا كابتولينا)، وبني مكان هيكلها المزعوم معبداً للإله الوثني (جوبيتر) كبير آلهة الرومان، ووضع فيه تمثالاً لهذا الإله، كالتمثال القائم في معبد (الكابيتول)، وأقام تمثالاً لنفسه أمام المعبد، وقرر أن يغير في المدينة كل شيء، حتى اسمها جعله مركباً من اسمه (إيليا) واسم (الكابيتول) (معبد جوبيتر) الكبير فسماها: (إيليا كابيتولينا) [1].

وإمعانًا في إزالة الوجود اليهودي من القدس لم يسمح الرومان لأي يهودي بدخول القدس، وظل هذا المنع قائمًا لمدة قرنين من الزمان، وتشدد الرومان في هذا المنع أيام ملكهم (هدريان)، حتى اليهود الذين تحولوا إلى المسيحية لم يسمح لهم بدخول القدس، أما غير اليهود فكانوا أحراراً في دخولها.

ولم يُرفع هذا التحريم عن اليهود إلا في القرن الرابع الميلادي، ثم سُمح لهم بزيارة موقع المعبد في يوم واحد من كل عام، هو يوم (9) أغسطس، ثم أُلغى هذا التحريم في القرن التالي لذلك التاريخ، حيث تدخلت الإمبراطورة (أيد وكسيا) أرملة الإمبراطور الروماني (ثيودو سيوس الثاني)، واستطاع اليهود الإقامة في مدينة (القدس) [2].

هذا هو التدمير الثاني والأخير لأورشليم.

وبعد قرون من هذا الاحتلال الروماني لفلسطين واستقرار الرومان فيها استلمها رسول الله ﷺ، على مشهد أطهر وأشرف مجموعة عرفتها الأرض من البشر والملائكة عليهم السلام في رحلة الإسراء والمعراج، التي وقعت قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة بعام تقريبًا؛ فوضعوا بذلك حجر الأساس لإسلامية القدس.

وكانت هذه الرحلة أيضًا توجيهًا للمؤمنين وأمرًا لهم بوجوب فتح القدس لتظل إسلامية؛ ولهذا سعى المؤمنون لفتحها، فبعد أن فارق النبي ﷺ الحياة الدنيا بأربع سنوات

(1) راجع: خطر اليهودية ص 26.. القدس مدينة الله أم مدينة داود ص 88.. القدس الخالدة 154، 155.

(2) راجع: القدس الخالدة، ص 155 د/ عبد الحميد زايد .. قبل أن تضيع القدس ص15.

تقريبًا، وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ زحف الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة بن الجراح إلى القدس وفلسطين، وحاصر (القدس)، وشدَّد في حصارها حتى أيقن الرومان بالهزيمة، وفروا هاربين إلى غير رجعة، وعلي رأسهم قائدهم (أرطبون).

وعندئذ أطلَّ المسئول الديني المسيحي عن القدس: (صفرونيوس) علي الجيش الإسلامي من فوق أسوار المدينة، وقال لهم: إنَّا نريد أن نُسلِّم، ولكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم، فقدموا له أمير الجيش، فقال: لا، إنما نريد الأمير الأكبر (عمر بن الخطاب ﷺ).

فكتب أبو عبيدة إلي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: إن القوم يريدون تسليم المدينة، لكنهم يشترطون أن يكون ذلك ليدك شخصيًا.

وقدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى فلسطين، واستلم مدينة القدس من المسيحيين وقائدهم البطريرك (صفرونيوس)، وفتح المسلمون القدس صلحًا عام (15هـ= 636م)، وكتب لهم عهدًا بالأمان والتعايش السلمي مع المسلمين [1].

---

(1) وقد حفظ لنا التاريخ هذا العهد العمري بألفاظه وحروفه، وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم..

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل (إيلياء) من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحدٌ منهم، ولا يسكن بـ (إيلياء) معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل (إيلياء) أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل (إيلياء) من الجزية، ومن أحب من أهل (إيلياء) أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيَعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل (إيلياء) من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم

وبذلك انتهى الوجود الروماني من القدس وفلسطين، واستلمها المسلمون، ولم يكن لليهود فيها دولة ولا سلطان، ولا قوة ولا وجود سياسي يُذْكر؛ فقد هدم الرومان سلطانهم ودولتهم، وأخرجوهم منها منذ قرون عديدة كما ذكرنا.

وقد شهد بهذه الحقيقة الثابتة الكاتب الأعجمي (كلير مونت كانو)، فقال: لما دخل المسلمون أرض اليهودية (مملكة يهوذا سابقًا) (أي القدس وفلسطين) لم يجدوا يهودًا، لأن حروب (الرومان) واضطهادات ملوك النصرانية لم تترك حجرًا على حجر من اليهودية السياسية والوثنية، بل أمعنوا في القضاء عليها، وذرُّوا رمادها في الرياح الأربع، ففقدت فلسطين جميع التقاليد اليهودية، وجميع اليهود الذين تراهم بلا استثناء هم من الطُّرَّاء على فلسطين مؤخرًا، نزلوها بعد أن بادوا منها مدة خمسة عشر قرنًا [1].

والجدير بالذكر والتسجيل أن الصحابة الفاتحين حينما فتحوا فلسطين لم يجدوا فيها ولا في القدس أثرًا يُذكر لسلطان اليهود، ولا لهيكلهم السليماني المزعوم، ولو وجدوا له أثراً لذكروه وحافظوا عليه باعتباره أثرًا من آثار نبي من الأنبياء، ولورد ذلك عنهم بأسانيد صحيحة، وتوارثته الأجيال عنهم، وهم ــ أي الصحابة ــ أعلى جيل إسلامي في العدل والصدق والأمانة والالتزام بهدي الإسلام.

وقد تركوا آثارًا أخرى تُنسب للبابليين والفراعنة، وغيرهم، ولم يمسوها بسوء!.

---

شيء حتى يحصد حصادهم.. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بْن الوليد، وعمرو بْن العاص، وعبد الرحمن بْن عوف، ومعاوية بْن أبي سفيان.. وكتب وحضر سنة خمس عشرة. هـ (636م) (راجع: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري 3/ 609، لأبي جعفر الطبري ( محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي.. ت: 310هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار المعارف.. مصر).

(1) راجع: الغرب والإسلام وفلسطين 65، لمحمود طلب خليل النمورة، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

ومن يومئذ (15هـ = 636م) ظلت أرض الشام والقدس وفلسطين إسلامية في حوزة المسلمين ودولتهم الإسلامية الكبرى أكثر من أربعة عشر قرناً إلى اليوم.

وشرع أهل فلسطين في اعتناق الإسلام حتى أسلم أكثرهم باختيارهم، وبغير إكراه من أحد، ولم يبق فيهم إلا أقلية مسيحية، باقية إلى اليوم شاهدة على سماحة الإسلام، وإقراره لحرية الإنسان في اختيار الدين الذي يُريد.

ولا يُعكِّر على هذه الحقيقة التاريخية والدينية فترة الاحتلال الصليبي التي دامت قريبًا من قرن منذ عام (492هـ حتى عام 583هـ)، ثم طرأ عليها الاحتلال الصليبي في ديسمبر عام 1917م لحساب اليهود حتى عام 1948م، ثم جثم عليها الاحتلال اليهودي منذ عام (1948م) حتى يوم الناس هذا.. ولن يدوم هذا الاحتلال طويلاً.. سيزول ـــ إن شاء الله ـــ وتتحرر فلسطين منه.

وشهد شاهد من الصليبيين واليهود.

وشهد بهذه الحقيقة شاهد من الصليبيين، وشاهد من اليهود.

ا ـــ فالشاهد من الصليبيين هو: الحاكم العسكري البريطاني لفلسطين، الجنرال (ستورز)، قال: وإذ أتكلم شخصيًّا باعتباري صهيونيًّا مقتنعًا: ففلسطين التي كانت حتى الآن بلدًا إسلاميًّا قد سقطت في يد دولة مسيحية (بريطانيا منذ عام 1918م)، فأعلنت عشية انتصارها أن جزءًا كبيرًا من أرضها سيُسلَّم لأغراض استعمارية، لقوم لا يتمتعون بأية شعبية في أي مكان [1].

وبهذا تعترف بريطانيا أن فلسطين حتى القرن العشرين الميلادي إسلامية.

وقال (هـ. ج ويلز): إذا كان سليماً إعادة بناء الدولة اليهودية التي لم توجد منذ ألفي سنة، ألا يكون من الأسلم العودة ألف سنة أخرى وإعادة بناء الدولة الكنعانية؟. . فالكنعانيون ـــ على عكس اليهود ـــ لا زالوا في فلسطين (!!) [2].

---

(1) راجع: الغرب والإسلام وفلسطين 29، لمحمود طلب خليل النمورة، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

( 2 ) راجع: دليل القضية الفلسطينية .. أسئلة وأجوبة ..لإبراهيم العابد 204 .

ب ــ والشاهد من اليهود هو: جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل اعترفت بأن فلسطين كانت ــ ولا زالت إلى اليوم ــ مأهولة ومسكونة بأهلها الشرعيين. . فحينما عرض كاتب بولندي أمامها انطباعه عام1970م بعد زيارته لفلسطين، وقال: العروس جميلة، ولكن لديها عريس.

فأجابته (جولدا مائير) بغطرسه: وأنا أشكر الله كل ليلة لأن العريس كان ضعيفًا، وكان من الممكن أخذ العروسة منه [1].

وقد سُئل المستشرق اليهودي الدكتور إسحاق ليبل مارتيون: لمن يكون حق السيادة على القدس؟.

فقال: التاريخ يقول: القدس عربية، وأكدت ذلك جميع المواثيق الدولية، والحقوق الإنسانية والقانونية، وإن منطق القوة حتى لو انتصر مؤقتاً فإنه لا يستطيع أن يجعل الحق يتوارى دائماً، كما أن سيطرة العدوان وشريعة الغاب لن تجعل الشرعية القانونية والضمير الإنساني العادل ينهزمان إلى الأبد.

وإذا كان تفرق العرب وتناحرهم الداخلي وراء صوْلة المتطرفين الصهاينة، وجولتهم الاستفزازية وتفوقهم العسكري والحربي، معتقدين أنهم قادرون على طرد العرب، وطمس معالم العروبة بآلة الحرب والسلاح النووي فإنهم واهمون، أو مخدوعون؛ لأن هزيمة العرب وانكساراتهم كفيلة بأن تفتح عيونهم على عيوبهم، فيعرفوا أن سر قوتهم في وحدتهم وصمودهم، والتاريخ يحكي لنا أن الصليبيين من قبل ظنوا كما ظن تلامذتهم الصهاينة الآن، وفجأة ظهر صلاح الدين، فسار العرب وراءه، وحققوا نصراً تاريخياً [2].

وبعد هذا البيان المُختصر تظهر لنا حقائق أربعة:

---

(1) راجع: حياتي.. جولدا مائير. قصة حياة رئيسة وزراء إسرائيل. ص 7.

( 2 ) راجع: مجلة الوعي الإسلامي في صفر 1422 ــ مايو 2001 م .. وكتابنا: القدس والوعد المفترى.

الحقيقة الأولى: أن فلسطين إسلامية منذ نشأتها، وقد تتابعت الدول الكبرى على احتلالها، مرة بعد أخرى؛ فكانت مقبرة لكل من اعتدى عليها واحتلها.

الحقيقة الثانية: دخل بنو إسرائيل (القدس) بقوة السلاح، وأقاموا دولتهم الأولى على جزء يسير منها (القدس) في فترة متأخرة جدًا، ولم تبق غير قرون لا تتعدى عدد أصابع اليد الواحدة، ثم دمرها واحتلها البابليون بقياد بختنصر، ثم الآشوريون بقيادة سرجون الثاني، ثم الروماني، وكان أبرز ملوكهم (هدريان).

قال الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر الأسبق: وبهذا يتبين أن كيان اليهود السياسي لم يقم بفلسطين إلا في فترة متأخرة جداً، ولبضع قرون لا تتعدى في عددها أصابع اليد الواحدة (أربعة قرون ونصف تقريبًا) من بين عشرات القرون (خمسين قرناً أو تزيد مرت على هذه الأرض، وهى مأهولة متحضرة بأهلها الشرعيين (العرب والمسلمين) [1].

الحقيقة الثالثة: أن المسلمين حينما فتحوا فلسطين عام (15هـ = 636م) لم يكن لليهود فيها دولة ولا سُلطان يُذكر، فقد كانت تحت الاحتلال الروماني، وطرد المسلمون الرومان منها، واستلموا القدس من المسيحيين بيد قائدها الديني البطريرك (صفرنيوس)، الذي اشترط على المسلمين ألا يسكن القدس أحد من اليهود أو اللصوص [2].

الحقيقة الرابعة: ومنذ فتح المسلمون فلسطين (15هـ = 636م) أضحت إسلامية، وبقيت إلى يوم الناس هذا عربية إسلامية خالصة، وقد أدرك الرؤساء العرب هذه الحقيقة، حتى قال الرئيس المصري محمد أنور

---

( 1 ) راجع: المسلمون واسترداد بيت المقدس ص 13

( 2 ) راجع: في فقه الصراع على القدس وفلسطين 83.د. محمد عمارة. ط. دار الشروق.. مصر.

السادات: الأكاذيب التي يُتقنها اليهود، ويعيشون عليها ويُصدقونها، مثل: أكذوبة أن فلسطين وطنهم الذي ذكرته كتبهم المقدسة. . وغيرها من الأكاذيب التي تحتاج إلى دراسة ومتابعة[1].

وإن هذا الاحتلال اليهودي الذي طرأ عليها منذ سنة 1336هـ = 1918م بسبب ضعف المسلمين وتفرقهم سيزول ــ إن شاء الله تعالى ــ فلن يبقى المؤمنون ضعفاء، ولن يستمروا متفرقين، وإن غدًا لناظره قريب.

القدس آية من آيات القرآن الكريم.

وحديث من أحاديث رسول الله ﷺ.

وحينما كانت فلسطين تحت الاحتلال الروماني دخل رسول الله ﷺ القدس، واستلمها في رحلة الإسراء والمعراج، حيث أسرى الله تعالى به ﷺ إلى المسجد الأقصى، وفيها يقول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) (الإسراء: 1).

وفي الآية الكريمة يجمع الله بين المسجديْن (المسجد الحرام والمسجد الأقصى)، ويربط بينهما في القدسية والبركة، وكما يصف الله تعالى مسجد مكة بـ (الحرام) يصف مسجد القدس بـ ( البركة فيه وفيما حوله).

وفي المسجد الأقصى جمع الله تعالى لرسولهﷺ الأنبياء عليهم السلام، وصلى ﷺ بهم إمامًا، كما جاء عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ أن رسول الله ﷺ قال: (ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ بِالنَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ إِمَامًا) [2].

فكان هذا إيذانًا باستلام الإسلام للقدس وما حولها على مشهد أرفع وأكرم مجموعة عرفتها الأرض من البشر والملائكة ، ووضعوا بذلك حجر الأساس للفتح والوجود الإسلامي للقدس وفلسطين.

---

( 1 ) راجع: من أوراق السادات 89، لأنيس منصور، ط. دار المعارف.. مصر.

(2) صحيح.. أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره، وصححه الألباني في أحاديث الإسراء والمعراج رقم 2.

وللتنبيه والتأكيد على هذا الترابط والتوأمة والقدسية جعل الله تعالى بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى لأكثر من سنتيْن، ثم حولها سبحانه إلى الكعبة، كما قَالَ البَرَاء بْن عَازِبٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ الله قوله سبحانه: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)(البقرة: 144)، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الكَعْبَةِ [1].

وحينما كان المسلمون في مكة يُجاهدون قُوى الشرك بالصبر والثبات كان الله تعالى يُنزِّل القرآن على رسوله ﷺ يُذكِّرهم بالقدس، ويغرس في ذاكرتهم إسلاميتها وقدسيتها، وأنها أرض البركات والنبوات، يقول الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (الإسراء: 1).

والأرض المباركة في الآية الكريمة هي بيت المقدس وما حوله من بلاد الشام.

ويقول سبحانه: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) (سبأ: 18)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا : بَيْتُ الْمَقْدِسِ

وقال مجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير، ومالك عن زيد بن أسلم، وقتادة، والضحاك، والسدي، وابن زيد وغيرهم: يعني: قرى الشام. يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة [2].

ويُقْسم الله تعالى ببلاد الشام، ومنها فلسطين، يقول سبحانه: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) (التين ــ 1: 3).

والمعروف في قواعد المُفسرين، وفي حس المسلمين أن الله تعالى يُقسم بما يُريد من خلْقه؛ ليُنبهنا إلى كبير أهميته، وعظيم شأنه؛ لأجل العناية به، والانتفاع به.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب الصَّلاَةِ، بَابُ التَّوَجُّهِ نَحْوَ القِبْلَةِ حَيْثُ كَانَ، رقم 399، ومسلم في كتاب الْمَسَاجِدِ، وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْقُدْسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، رقم 525، وغيرهما.

(2) راجع: تفسير ابن كثير 6 / 496.

المراد بالتين والزيتون: الأرض التي تُنبت التين والزيتون، أي يشيع فيها، وهي أرض الشام، وفيها القدس وفلسطين.. قَالَ عِكْرِمَةُ وَابْنُ زَيْدٍ من التابعين: التِّينُ: دِمَشْقُ، وَالزَّيْتُونُ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ.

وقال قَتَادَةُ: التِّينُ: الْجَبَلُ الَّذِي عَلَيْهِ دِمَشْقُ (إشارة إلى دمشق وما حولها).. وَالزَّيْتُونُ: الْجَبَلُ الَّذِي عَلَيْهِ بَيْتُ الْمَقْدِسِ (إشارة إلى القدس وما حولها) [1].

قال أبو جعفر الطَّبَرِيِّ: والمراد من الكلام: القسم بمنابت التين، ومنابت الزيتون، لأن دمشق بها منابت التين، وبيت المقدس منابت الزيتون [2].

وقد أقسم الله تعالى بالأماكن الثلاثة ــ وكلها شهدت نزول الوحي الإلهي من السماء ــ؛ تأكيدًا على الجمع والربط بينها، وأنها تشترك في القدسية، وعظيم المنزلة.

والنبي ﷺ يُؤكد هذا الربط، وهذه التوأمة والقدسية للمسجديْن (المسجد الحرام والمسجد الأقصى)، فيما جاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟.

قَالَ «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ». . قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟.. قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى».

قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟.. قَالَ: «أَرْبَعُونَ عَامًا، ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ، فَحَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ» [3].

وقال عبد اللَّه بن عمر: بيت المقدس بنته الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وعمرته، وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك أو نبي، فلعل جبهتك أن توافي جبهة ملك أو نبي.

وقال مقاتل بن سليمان: ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى عليه نبي مرسل، أو قام عليه ملك مقرب [4].

ومرة أخرى يُؤكد النبي ﷺ هذا الترابط والتوأمة والقدسية بين المساجد الثلاثة:

---

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 22/ 364/ ، تحقيق: د. عبد الله التركي، ط. عالم الكتاب .. الرياض.

(2) راجع: جامع البيان لأبي جعفر الطبري 24 / 504، تحقيق د. التركي.

(3) أخرجه البخاري 3366، ومسلم 520، وابن ماجة 753 وغيرهم.

(4) راجع: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى 1/ 103، للسيوطي، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بشرعية شد الرحال إلى كل منها دون غيرها من مساجد الإسلام، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى [1].

وللتأكيد على الترابط وهذه التوأمة والقدسية بين المساجد الثلاثة ومدنها أخبر رسول الله ﷺ أن الله تعالى حرَّم المساجد الثلاثة على الدجال فلا يدخلها، كما جاء عَنْ جُنَادَةَ بْن أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، وَهُوَ رَجُلٌ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ... لَا يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ: فَذَكَرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَالطُّورَ، وَالْمَدِينَةَ [2].

وبهذا نرى أن القدس آية من آيات القرآن الكريم، وحديث من أحاديث الرسول العظيمﷺ ، وأنها أرض مقدسة في الإسلام كمكة والمدينة.

(1) أخرجه البخاري 1189، ومسلم 1397، وغيرهما.

(2) صحح.. أخرجه أحمد 23683، 23090، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، رقم 5692، والحارث كما في بغية الباحث 784، وغيرهم.

## الأسباب الحقيقية لاحتلال فلسطين.

بعدما تبين لنا أن القدس وفلسطين عربية إسلامية، وأن المسلمين منذ فتحوها ودخل أهلها في الإسلام ظلت في حَوْزتهم وملكيتهم وتحت أيديهم إلى اليوم. . فكيف تركها مسلمو اليوم للاحتلال الصليبي واليهودي؟!.

هذا سؤال لابد من الإجابة عنه قبل بيان الخطوات القرآنية للجهاد والتحرير؛ فإذا عرفنا أسباب الاحتلال تيسر لنا معرفة خطوات النصر والتحرير، وقد قيل: إذا عُرف السبب عُرف العلاج، وبطل العجب.

وجوابنا: إن الذي يقرأ التاريخ الفلسطيني يُوقن أن اليهود احتلوا فلسطين وأقاموا عليها دولتهم المعاصرة (إسرائيل) بأسباب متعددة ومتشابكة، منها ما هو خاص بتخطيط اليهود ومكائدهم، (وليست هذه الأسباب محل بحثنا)، ومنها ما هو داخلي في المسلمين أنفسهم، (وهي محل بحثنا في هذا الكتاب)، ونوجزها في الأسباب الكبرى الآتية:

1 ــ تفكيك دولة الخلافة الإسلامية وإزالتها.

2 ــ الاحتلال الصليبي للأقطار الإسلامية.

3 ــ القيادات الهزيلة في الأقطار الإسلامية.

4 ـ المترفون من أصحاب المال في الأقطار الإسلامية.

وهاكم بيان هذه الأسباب بإيجاز:

### السبب الأول: تفكيك دولة الخلافة الإسلامية وإزالتها.

فالثابت تاريخيًا أن الدولة الإسلامية حينما كانت واحدة (دولة الخلافة الإسلامية الراشدة والأموية والعباسية والعثمانية) بقيت فلسطين إسلامية تتمتع برعايتها وحمايتها، حتى أن دولة الخلافة الإسلامية في عقودها الأخيرة مع ضعفها وكثرة أمراضها، وكثرة الإغراءات والضغوط اليهودية والصليبية عليها ظلت لها حصنًا أمينًا، وكهفًا حنونًا، يقيها اعتداء ومكائد أعدائها، وردتهم خائبين، وأبت بإصرار لم يلن ولم يَفْتُر أن تُفَرِّط في شبرٍ واحدٍ منها.

وكان مما قال السلطان عبد الحميد الثاني: لماذا نترك القدس؟!.. إنها أرضنا في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك، فهي من مدننا المقدسة، وتقع في أرض إسلامية، لابد أن تظل القدس لنا [1].

فقد أرسل الزعيم اليهودي (ثيودور هرتزل) عام 1896م صديقه (نيولنسكي) إلى السلطان عبد الحميد الثاني؛ ليطلب منه فتح أبواب فلسطين للهجرات اليهودية، عارضًا عليه إغراءات مالية، وتسخير النفوذ اليهودي في الدوائر الغربية لحساب الدولة العثمانية، لكن السلطان عبد الحميد رفض هذا العرض بإصرار وقوة، وقال لـ (نيولنسكي): إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه ألا يسير أبدًا في هذا الأمر، أنا لن أبيع شبرًا واحدًا من أراضي فلسطين، فهي ليست ملكي بل هي ملك أمتي، فقد حصلت أمتي على هذه الأراضي بجهادها، وروتها وحافظت عليها بدمائها، ولو انتُزعت منَّا لبذلنا أرواحنا فداءً لها مرة أخرى، ولاستعدناها كما فعلنا أول مرة.. إن أفراد كتائبي الفلسطينية والسورية قد سقطوا شهداء الواحد تلو الآخر في (بلوانه)، لأن أحدًا لم يرض بالتسليم، وفضَّلوا أن يموتوا في القتال.

وأنا لن أبيع أي جزء من أراضي فلسطين. ودعنا من اليهود، وليذهبوا بملياراتهم. إنهم يُمكنهم فقط الاستيلاء على فلسطين ـــ مع الأسف ـــ إذا انهارت دولتي، وعندئذ ستكون بدون مقابل، أمَّا وأنا حي وهذه الدولة قائمة؟. فلا، إلا أن يُمزقوا أجسادنا، فأنا لا أسمح بإجراء عملية استئصال في بدن حي [2].

ومرة أخرى ذهب ثلاثة من اليهود على رأسهم اليهودي الأسباني (إيمانويل قراصو) إلى السلطان عبد الحميد؛ ليطلبوا منه الإذن لليهود بدخول فلسطين للزيارة، ثم السماح لهم بإنشاء مستعمرة، ينزلون بها قرب القدس أثناء الزيارة في مقابل سداد ديون

---

(1) راجع: الدولة العثمانية.. عوامل النهوض وأسباب السقوط 475.

(2) راجع: السلطان عبد الحميد الثاني المفترى عليه.. دراسة من خلال الوثائق133، لعمر فاروق يلماز، ترجمة: طارق عبد الجليل، ط. دار النيل.. مصر .. وسياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين 1 / 102.

الدولة، وتيسير القروض لها، وتقوية جيشها. . إلى آخره.. وحينما سمع السلطان هذه المطالب من رئيس كُتَّابه قال له: قل لهؤلاء الثلاثة الوقحين:

* ــ إن ديون الدولة ليست عاراً عليها، لأن غيرها من الدول كفرنسا مدينة، ولا يضيرها ذلك.

* ــ إن بيت المقدس الشريف افتتحه للإسلام أول مرة عمر بن الخطاب ﷺ، ولست مستعداً أن أتحمل وصمة بيع الأراضي المقدسة لليهود، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها.

ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام، وأخْبرهم أن يخرجوا، وألا يحاولوا مقابلتي [1].

ووقتئذ أعلن السلطان عبد الحميد أن فلسطين بتمامها أراضي شاهانية (أي حكومية تابعة للسلطان)، وعيَّن فيها جيشًا مرتبطًا بشخصه، وأسس فيها خط سكك حديدية جديدة، ومؤسسات زراعية، وحظر على اليهود شراء أراضي فيها، وقام بتوطين بعض مسلمي القوقاز والبلقان فيها للمشاركة في حمايتها.

ووضع جواز سفر تركي (أحمر) اللون لكل الأجانب حتى إذا دخل اليهودي فلسطين تسهل متابعته، وإخراجه منها بعد المدة الممنوحة له؛ وذلك للحد من هجرة اليهود إلى فلسطين [2].

ومما قال السلطان عبد الحميد الثاني: عندما كنت على العرش جاءني رئيس الحاخامات مع (هرتزل) مؤسس التشكيلات اليهودية العالمية من أجل الدعوة الصهيونية، وقابلتهم في قصر (يلديز)، واستمعت إلى مقاصدهم، فقد كان كلاهما يطلب وطنًا لليهود، ولهذا أشاروا بالقدس أيضًا، لدرجة أن (هرتزل)، قال ــ بدون خجل ــ: إنكم

---

(1) راجع: صحوة الرجل المريض ص 216 لموفق المرجة .

(2) ولأجل هذا أشاع اليهود ضد السلطان عبد الحميد: إشاعة السلطان الأحمر، وبعدما استطاع اليهود خلع هذا السلطان بادروا للقضاء على الجواز الأحمر (راجع: خطر اليهودية العالمية 232، لعبد الله التل).

مهما طلبتم من ملايين الذهب من أجل (القدس) دفعناها لكم على الفور، ولكم أن تتخيلوا كيف وجد هذان اليهوديان من الشجاعة ما جعلهما يُقْدمان على اقتراح الرشوة على مقام السلطنة، وصِحتُ فيهما: اخرجا من هنا، فالوطن لا يُباع بالمال، وأمرت رجال السراي أن يأخذاهما إلى خارج القصر.

وهكذا أصبح اليهود من بعد أعداءً لي، وما أُعانيه الآن في (سلانيك)، بسبب عدم سماحي لليهود بإقامة وطن لهم ــ في فلسطين ــ [1].

وبهذا تأكد لليهود أن دولة الخلافة الإسلامية ستبقى راعية لفلسطين، ولن تُفرِّط في شبر واحدٍ منها، وأنها ستبقى عقبة كئودًا أمام تحقيق أطماعهم ومآربهم [2].

فغيَّر أنشطتهم ضد دولة الخلافة، وحرَّضوا ضدها أعداءها، وعملوا مع الصليبيين لتفكيكها، على أن تكون فلسطين لهم، كما قال (ثيودور هرتزل): أُقرِّر على ضوء حديثي مع السلطان عبد الحميد الثاني أنه لا يُمكن الاستفادة من تركيا إلا إذا تغيرت حالتها السياسية أو في طريق الزج بها في حروب تُهزم فيها ، أو عن طريق الزج بها في مشكلات دولية ، أو بالطريقتيْن معًا في آن واحد [3].

وقال (هرتزل) في تقريره النهائي: إن فتح أبواب الشرق لليهود في فلسطين ليتوقف بالدرجة الأولى على تدمير الخلافة العثمانية [4].

وقال القائد اليهودي (هرتزل): إن الأمور تتأزم في تركيا، وإذا ازداد هذا التأزم بخصوص المسألة الشرقية، وانتهى إلى حد يقضي بتقسيم تركيا في المؤتمر الأوربي فقد نتمكن من أخذ قطعة أرض محايدة لأنفسنا، وكانت فلسطين هي اختيارهم [5].

---

(1) راجع: السلطان عبد الحميد الثاني المفترى عليه.. دراسة من خلال الوثائق 134، 135.

(2) راجع: القدس قضية أمة 16، لجاسم الياسين، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

(3) راجع: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك 47، زياد أبو غنيمة، ط. دار الفرقان.. الأردن.

(4) راجع: جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك 47، زياد أبو غنيمة، ط. دار الفرقان.. الأردن.

(5) راجع: لورنس العرب على خطى هرتزل 48، 49، لزهدي الفاتح، ط. دار النفائس.. بيروت.

ونقلوا أن اليهودي (قراصو)، قال لتحسين باشا كبير أمناء القصر السلطاني: سآتي هنا مرة أخرى، لكن سيكون دوري في هذه المرة غير دوري الآن.

وقد حدث هذا بالفعل، فقد قادت جمعية (جون ترك) [1] في تركيا انقلاباً بقيادة اليهودي المتخفي (مصطفي كمال أتاتورك)، ضد السلطان عبد الحميد الثاني، وخلعوه في (9 مارس عام 1909م)، وأوفدوا له ثلاثة من أعضاء مجلس النواب العثماني، الذين لهم نشاط في الجمعية المذكورة، على رأسهم هذا اليهودي الأسباني (قراصو) ليسلموه صك خلعه من الخلافة، وكان الذي سلمه الصك هو هذا اليهودي (قراصو) الذي طرده السلطان قبل ذلك من قصره في (يلدز) [2].

ولهذا تألَّم السلطان كثيرًا؛ فقال في مذكراته: إن أكثر ما آلمني هو تبليغ ذلك اليهودي الماسوني لي (قرار الخلع). كنت لا أستطيع أن أنسى (إيمانويل قراصو) الذي كان ضمن المبعوثين الذين جاءوا إلى قصر (يلديز) [3].

هذا الحدث الخطير ــ الذي اهتزت له الأمة الإسلامية ـــ قد عمل له اليهود والصليبيون منذ قرون، كما قال الجاسوس البريطاني وصديق العرب (توماس إدوارد

---

(1) جمعية تركية ماسونية، يهودية الهدف والتمويل، ومعناها بالعربية: (الاتحاد والترقي، أو تركيا الفتاة).

(2) راجع: مذكرات السلطان عبد الحميد 142، 143.

وقد بعث السلطان عبد الحميد رسالة إلى شيخه، قال فيها: إن رؤساء جمعية الاتحاد والترقي (جون ترك) أصروا علىَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.. وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي: إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً، فضلاً عن 150 (مائة وخمسين) مليون ليرة إنكليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين؛ لهذا لن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيُبْعدونني إلى سلانيك (مدينة يسكنها يهود الدونمة ليكون السلطان تحت أعينهم، وفي حراستهم) اهـ . (راجع: مذكرات السلطان عبد الحميد 10، 11).

(3) راجع: السلطان عبد الحميد الثاني المفترى عليه.. دراسة من خلال الوثائق 134، 135.

لورانس): مهما تمخضت عنه هـذه الحـرب (العالميـة الثانيـة) فيجـب أن تكـون نتيجتهـا القضاء نهائيًا وإلى الأبد على السيادة الدينية للسلطان التركي [1].

وبـذهاب دولـة الخلافـة الإسـلامية في تركيـا فقـدت فلسـطين دِرعًـا حاميًـا لهـا، وأضحت ضعيفة مكشوفة بغير رعايـة ولا حمايـة، وأضـحت مُهيَّـأة للاحـتلال الصـليبي واليهودي، وعندئذ نشط اليهود في اغتصاب فلسطين بمعاونة الصليبيين، وعلت أصـوات الصهاينة في تركيا بالمناداة بأطماع اليهود في فلسطين! [2].

ففي أول حكومة تركية بعد الانقلاب التركي أعلن نواب في البرلمان التركي (مثل: شكري العسلي) أن للصهاينة في فلسطين أندية، ومحاكم تحكم بغير القضايا الجنائية، ولهم أعلام يرفعونها في أعيادهم، وأناشيد يُنشدونها، وهم يـودون شـراء المشـرفة علـى سـكة حديد الحجاز، ويرجون التوسع في سوريا والعراق.

وأورد (روحي الخالدي) أقوال التوراة ــ المعاصرة ــ عن أماني اليهود في استعادة ملك فلسطين، ثم أخرج من جيبه ورقة وتلا منها نص رسالة كُتبت بقلـم (أوزبيتشـكي) الملقب بالأمير اليهودي، وهو أحد أركان الجمعية الصهيونية، يُبيِّن فيها الوسائل الواجب أن يأخذ بها الصهاينة كي يبلغوا أمانيهم، وهي: نيل الميزة والأفضلية في فلسطين بواسطة

---

(1) راجع: لورنس العرب على خطى هرتزل 71، لزهدي الفاتح، ط. دار النفائس.. بيروت.

(2) بل فقدت الأقطار الإسلامية في آسيا وإفريقيا درعهـا الإداري والسياسـي والعسـكري الـذي كـان يحوطها ويرعاها، ويحميها من مكائد الصليبيين وأطماعهم فيها، فإن دولة الخلافة العثمانية بإجمـاع المؤرخين كانت آخر حاجز إسلامي في وجه صليبية أوربا، إنهـا هـي الـتي منعـت الغـزو الصـليبي للعالم الإسلامي على الأقل من بوابته الأمامية طوال ثلاثة قرون، وهي التي حالـت دون احـتلال الوطن العربي أربعة قرون كاملة، فمنعت فناءه القومي (راجـع: القوميـة والغـزو الفكـري 109، لمحمد جلال كشك).

وكتب الإمام محمد عبده لتلميذه محمد رشيد رضا، قال: كثير من وجهاء المصريين يكرهون الدولـة العثمانية ويذمونها، وأنا أيضًا أكره السـلطان (!!)، ولكـن لا يُوجـد مسـلم واحـد يُريـد بالدولـة سوءًا؛ فإنها سياج في الجملة، وإذا سقط نبقى نحن المسلمين كاليهود، بل وأقل من اليهود (راجـع: القومية والغزو الفكري 205).

الأموال، وتوحيد آمال الإسرائيليين، وجمع شتاتهم، وإنماء روح الوطنية في قلوبهم، واستخدام السياسة لبلوغ الأمنية السامية. . واستتبع النائب من ذلك أن الصهاينة لا يُريدون أقل من تأليف أمة لهم في فلسطين، واستيطان أرض الموعد [1].

**السبب الثاني: الاحتلال الصليبي للأقطار الإسلامية.**

وبعدما تفكَّكت دولة الخلافة الإسلامية، وتفرقت أقطارها لأول مرة في التاريخ الإسلامي أضحت الأقطار الإسلامية ضعيفة مكشوفة بغير حماية؛ فاعتدت عليها الدول الصليبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا) واحتلتها، واتفقوا على تقسيمها بينهم في اتفاقية (سايكس. بيكو) المشهورة.

وحينما تولى السير (هنري كامبل) رئاسة وزراء بريطانيا، وفي عهده اتفقت الدول الأوربية الصليبية الكبرى عام 1905م على تكوين لجنة من كبار أساتذة الجامعات لديها في مختلف التخصصات، ويكون عملها في الآتي:

1 ــ اقتراح أسباب ووسائل تمنع سقوط الدول الأوربية الاستعمارية المذكورة.

2 ــ العمل على إعاقة تقدم العالم غير الأوربي (الإسلامي) وتطوره، حتى تطمئن هذه الدول الأوربية الاستعمارية الكبرى على وجودها فيه أكبر فترة ممكنة.

وظلت اللجنة تعمل سبعة أشهر في دراسات وبحوث ومناقشات، ووجدت أن فلسطين على صغر حجمها تصل بالطريق البري والبحري بين دول العالم الإسلامي في قارة آسيا، ودول العالم الإسلامي في قارة إفريقيا، وتطل في ذات الوقت على البحريْن الأحمر والأبيض المتوسط، وهذا لا يتوافق لسواها من أقطار المنطقة، فانتهت إلى تقرير مشترك قدمته إلى وزارة المستعمرات البريطانية، وانتهت فيه إلى أن الخطر الأكبر على الدول الأوربية الاستعمارية يكمن في دول حوض البحر الأبيض المتوسط (وأكثرها دول إسلامية، وكلها تحتوي على أسباب تقدمها).. وقدموا اقتراحهم لبقائهم بين فكي الدول الأوربية الاستعمارية الكبرى، ونوجزه في أمريْن:

---

(1) راجع: القومية والغزو الفكري 238، لمحمد جلال كشك.

الأول: إبقاء شعوب هذه المنطقة المُجزَّأة المتأخرة على ما هم عليه من تفكك وجهل وتناحر.. ومحاربة تقدمهم وترابطهم بأي نوع من أنواع الترابط والاتحاد.

الثاني: العمل على فصل الجزء الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الأفريقي.

واقترحت اللجنة لذلك: إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا، ويربطهما معًا بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يفصل هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، ويكون قوة صديقة للاستعمار، وعدو لسكان المنطقة [1].

وفي ذات الوقت أدرك اليهود أنهم بمفردهم لن يستطيعوا احتلال فلسطين أو جزء منها إلا بقوة كبرى تحتل لهم فلسطين وتُمكنهم من إقامة دولتهم على أنقاض أهلها، كما صرح بهذا الزعيم اليهودي (حاييم وايزمان في مؤتمر صهيوني بلندن في 16 مايو 1917 م قال: إن الدول يجب بناؤها ببطء، وبالتدريج، وبانتظام وبصبر، ومن ثم نحن نقول: إنه بينما هدفنا النهائي هو خلق دولة يهودية، فإن الطريق لتحقيق ذلك يكون على عدة مراحل متداخلة، وإحدى هذه المراحل التي أرجو أن تكون نتيجة لهذه الحرب (العالمية الأولى) هي أن فلسطين اليهودية سوف تتمتع بحماية قوة ضخمة وكبيرة مثل بريطانيا، وتحت جناح هذه القوة يصبح اليهود قادرين على إقامة جهاز إداري وتنفيذي ينجز أهدافنا الصهيونية، بينما لا نزعج أنفسنا بالمصالح المشروعة للأهالي من غير اليهود، وإنني فخور بأن أعلن في هذا الاجتماع موافقة الحكومة البريطانية على هذه الخطة أ هـ [2].

على أن هذا الاقتراح لم يكن جديدًا فقد سبق في عام 1845م أن اقترح (إدوارد بتفورد) من مكتب المستعمرات البريطاني في لندن: إقامة دولة يهودية في فلسطين

---

(1) راجع: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين (الميلادي) 1/ 613: 616، د. حسن صبري الخولي.. بنو إسرائيل في القرآن والسنة 685، د. محمد سيد طنطاوي.

( 2 ) ممنوع من التداول 1/ 40 0

تكون تحت حماية بريطانيا العظمى، على أن ترفع الوصاية عنها بمجرد أن يُصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم.

وقال: إن دولة يهودية ستضعنا في مركز القيادة في الشرق، بحيث نتمكن من مراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا، والتصدي لهم عند الحاجة [1].

ويقينًا علم كبار اليهود باقتراح لجنة السير (هنري كامبل) الصليبية، فاغتنموها فرصة، ليُقيموا لهم وطنًا ودولة بعمل وجهد ومال الدول الصليبية الكبرى.

وهنا التقت المصلحة اليهودية مع المصلحة الصليبية.. فتقدم اليهود ليكونوا هم الجسر البشري الغريب الذي يُحقق للدول الصليبية تجزئة العالم الإسلامي، بالفصل أولًا بين قارتي: (آسيا وإفريقيا)، وحراسة قناة السويس ثانيًا؛ فمكَّنت الدول الصليبية ــ على رأسها بريطانيا ــ اليهود من احتلال فلسطين، وإقامة وطن لهم فيها.

قال الرئيس اليهودي (حاييم وايزمان) في كتابه (التجربة والخطأ): لا أشك في أن فلسطين سوف تقع في منطقة نفوذ بريطانيا، وإن فلسطين هي امتداد طبيعي لمصر، وهي الحاجز الذي يفصل قناة السويس عن البحر الأسود.. وإننا ــ نحن الصهيونيين ــ نستطيع بسهولة أن نأتي بمليون يهودي إلى فلسطين في خلال الخمسين أو الستين سنة القادمة.

وبهذا تحصل بريطانيا على حاجز فعَّال، ونحن نحصل على وطن [2].

وفي عام 1914م كتب (وايزمن) إلى صديقة رئيس تحرير (المانشستر جارديان) شارحًا الخط الصهيوني، فقال بالحرف الواحد: من الممكن الآن أن نقول: أنه إذا وقعت فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني، وإذا شجَّعت انجلترا بعد ذلك تُوطُّن اليهود هناك، كمستعمرة بريطانية، فإننا نستطيع أن نُوجد خلال الثلاثين سنة القادمة حوالي مليون

---

(1) راجع: النبوءة والسياسة 106، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، ط. دار الشروق.. مصر.

(2) راجع: ممنوع من التداول.. أفكار إسرائيلية 2 / 19، لمحمد عوض، ط. مجلة الإذاعة والتلفزيون.. مصر.

يهودي في تلك البلاد فيُطوِّرونها، وينقلون الحضارة إليها، ويكونوا بمثابة حرس فعال لقناة السويس [1].

وحينما احتل الصليبيون عددًا من الأقطار الإسلامية، ولاسيما (بلاد الطوق) المُحيطة بفلسطين (سوريا ولبنان والأردن والعراق ومصر)، وتمكنوا ــ بطبيعة الحال ــ من احتلال فلسطين في ديسمبر عام 1917م اتفقوا في أممهم المتحدة على وضْعها تحت الوصاية أو الانتداب البريطاني منذ (عام 1341هـ = 1922م) [2]؛ لتأهيلها لقيام الدولة اليهودية المعاصرة على أنقاض المسلمين ــ أهلها الأصليون والشرعيون ــ ووضعوا لهذا قانونًا يُمكِّن اليهود من تحقيق هدفهم هذا.. وكان من مواده الآتي:

* ــ تكون الدولة المنتدبة ــ بريطانيا ــ مسئولة عن جعل البلاد (فلسطين) في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي.
* ــ تجريد الفلسطينيين من السلاح، ومنعهم من إحرازه، والتدريب عليه، وإنزال العقاب الأليم على كل من يجدون لديه سلاحًا أو ذخيرة.
* ــ تمكين اليهود من إحكام قبضتهم على الاقتصاد الفلسطيني، والتضييق عليه حتى يختنق ويضعف؛ وبذلك خنقوا الشعب الفلسطيني وأضْعفُوه اقتصادياً؛ حتى عجز عن سداد الضرائب الباهظة التي فرضوها عليه؛ فاغتصبوا بذلك أرضه سدادً لديونه!، وأعطوها لليهود !! [3].

---

(1) راجع: إسرائيليات 17، لأحمد بهاء الدين، الطبعة الرابعة. دار الهلال.. مصر.

(2) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 211، 214 ط ثانية .. جهاد شعب فلسطين ص 141، 465، 131 ).

وننبِّه هنا: أن الذي وضع صك الانتداب البريطاني على فلسطين هو اليهودي (بنيامين كوهين) مع سكرتير اللورد (كريزون) وزير الخارجية البريطاني، واتفقا على نصوصه (راجع: جهاد شعب فلسطين 113).

(3) راجع: خطر اليهودية ص 254 .. الطريق إلى بيت المقدس 2/ 68 .

* ــ تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، وأعطتهم بريطانيا ــ في هدوء وسرية ــ الأراضي الأميرية، وكلها أراضي وقْفية، كانت تُديرها الحكومة العثمانية، وهي أكثر قرى فلسطين.. وقد اعترف قادة اليهود بذلك [1].

* ــ وفي ذات الوقت أطلقت بريطانيا يد اليهود في كل الميادين والأعمال اللازمة لبناء دولتهم المُعاصرة (إسرائيل).

* ــ وحتى يضمن اليهود سيْر هذا التخطيط جعلوا المندوب السامي البريطاني (أي الحاكم البريطاني العام) على فلسطين يهوديًا هو: (هربرت صموئيل)، فجمع معه عتاة اليهود في إدارته، ليُنفِّذوا معه هذا التخطيط اليهودي الشيطاني [2]:

وقال تقرير اللجنة البريطانية (1937م): إننا نرى أن الدولة المُنتدبة (البريطانية الصليبية) قد قامت حتى الآن خير قيام بإنشاء الوطن القومي لليهود بفلسطين [3].

وعندما وجدت بريطانيا أن المؤسسات اليهودية اللازمة لإقامة الدولة الإسرائيلية اكتملت تظاهرت بالعجز عن إدارة فلسطين، وإنهاء انتدابها عليها، وقررت أممهم المتحدة تقسيم فلسطين في 29/ 1/ 1947م؛ ليغتصبوا لليهود قسمًا آخر كبيرًا يُقيمون عليه دولتهم اليهودية.

وانسحبت بريطانيا من فلسطين في 15/ 5/ 1948م، ليُعلن اليهود قيام دولتهم الثانية في ذات التاريخ.

---

(1) راجع: فلسطين. د محسن صالح 80 .

(2) كتب (وايزمان) في مذكراته (25) أنه هو الذي اختار اليهودي (هربرت صموئيل) ليكون المندوب السامي البريطاني على فلسطين؛ ليُباشر تحقيق بريطانيا لأطماع اليهود في فلسطين (راجع: اليهودية 111).

(3) راجع: اليهودية 114، د. أحمد شلبي، نقلًا عن التقرير المذكور.

**السبب الثالث: القيادات الهزيلة في الأقطار الإسلامية.**

وبتفكيك دولة الخلافة، وبالاحتلال الصليبي لأقطارها: نُكبت الأقطار الإسلامية بقيادات هزيلة، صنع الصليبيون واليهود أكثرهم ــ إمَّا بطريق مباشر بقرارات سياسية، أو بانقلابات عسكرية، وإمَّا بطريق غير مباشر في انتخابات كاذبة خاطئة ـــ حتى يُفاوضونهم، ويمتلكوا بهم أرض الإسلام، ويسجنوا بهم إرادة الشعوب المسلمة؛ ولهذا وجدنا هؤلاء القادة صغارًا.. مهازيل، ولاؤهم للأعداء الذين مكَّنوهم من زمام السلطة، يبتغون عندهم العزة في دوام السلطان والمال !!.

ــ وأبْرَز هؤلاء المدعو الشريف: حسين بن علي وأولاده (فيصل وعبد الله... الخ) الذي انتصر لبريطانيا، وخدع السُّذج من قبائل العرب المرتزقة، واشترى أكثرهم بالمال[1]، وأشعل بهم الثورة على دولة الخلافة العثمانية في التاسع من شعبان 1334هـ = 26 حزيران 1916م، وأنشأ منهم جيشًا كبيرًا، حارب به مع بريطانيا ضد جيش دولة الخلافة الذي يُحارب لأجل حماية القدس من كيد الصليبيين واليهود!، وسيطرت بريطانيا

---

(1) وشهد بهذا الجاسوس البريطاني (توماس أرنولد لورانس)، قال: الجدير بالذكر أن أبناء العشائر كانوا المحاربين الوحيدين في جيش الشريف، وعليهم كان يتوقف مصير الثورة، وكان الشريف يُزودهم بالأسلحة، ويدفع لهم المرتبات السخية، ويُطعم عائلاتهم عندما يكونوا متغيبين عن مضاربهم، ويستأجر منهم الجمال ووسائل المواصلات والنقل لإمداد جيشه المرابط في مختلف الجبهات بالمواد والأعتدة الحربية، ونتيجة لذلك كانت تسود البادية في الحجاز حالة من الرخاء، بينما كانت حالة المدن على العكس من ذلك تمامًا .

وقال لورانس: وكانت السياسة تقضي بأن يُقدم فيصل بين حين وآخر بعض المال كمرتبات إلى رؤساء العشائر، وكان هذا المال بمثابة رشوة تُعطى بصورة مهذَّبة كدليل على الود والصداقة.

ولكن من أين كان فيصل يأتي بهذا المال الوفير؟.

والجواب واضح، فقد ذكر لورانس أن كلايتون رئيس قلم الاستخبارات المدنية والعسكرية البريطانية في مصر طلب إليه العودة إلى الجزيرة العربية إلى جانب فيصل.. قال: وعلينا نحن ـــ البريطانيين ـــ أن نربط فيصلًا سريعًا بنا، وأن نُؤمن له سريعًا الإمدادات التي يطلبها. (راجع: أعمدة الحكمة السبعة لتوماس أرنولد لورانس 34، 61، 70، ط. المكتب التجاري.. بيروت).

على هذا الجيش العربي عن طريق رجالها الذين يعملون في المخابرات، وعن طريق بعض الضباط العرب الذين فروا من الجيش التركي؛ ليلتحقوا بهذا الجيش العربي بعدما انخدعوا بوعود بريطانيا المعسولة [1], وكان آخر ما قدمه هذا الجيش العربي لبريطانيا: أنه كفل لجيوشهم الصليبية الأمن في بلاد العرب، حيث نظر لهم العرب نظرة الحلفاء والأصدقاء، ولم يُعاملهم معاملة الأعداء، بل كانوا يُقابَلون بالترحاب حيثما حلوا [2]، وفُتحت لهم أبواب دمشق تستقبلهم استقبال الأبطال حين دخلوها تحت راية الجيش العربي[3].

وبهذا سقطت القدس وفلسطين في أيدي الصليبيين (في يوم الأحد 9/ 12/ 1917م)، ويومها رفعوا الصليب على مئذنة المسجد الأقصى لأول مرة بعد مئات السنين من الاحتلال الصليبي البائد [4].

ودقت أجراس الكنائس في برلين (عاصمة ألمانيا)، بل إن بابا روما نفسه قد دعا أتباعه في العالم بأسره أن يُقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال بيت المقدس[5].

---

(1) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 191.

(2) بدأ الشريف حسين هذه الثورة برصاصة أطلقها من بيته ضد الحامية العسكرية التابعة لدولة الخلافة العثمانية، أتبعها برسالة إلى المسئول البريطاني يُطمئنه فيها على سير الأمور؛ بناءً على الخطة المتفق عليها بينهما (راجع: القدس قضية أمة 23، جاسم الياسين، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر).
ولهذا قال الجاسوس البريطاني (توماس إدوارد لورانس): إن قصة الثورة العربية من أولها إلى آخرها ليست سوى حياة أو موت بالنسبة للعرب (الفاسدين الخائنين) أمَّا نحن ـــ البريطانيين ـــ فقد تبنيناها حبًا بأنفسنا، أو على الأقل طمعًا بكسب مستقبل (راجع: أعمدة الحكمة السبعة 389).

(3) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 192.

(4) راجع: جهاد شعب فلسطين 65، 66 .. السعوديون والحل الإسلامي 476.
وقد قال الأستاذ محمد أسد: إن الرأي العام الإسلام غير راض عن الدور الذي لعبه الأشراف في الثورة التي قام بها الملك حسين بوحي من الإنجليز ضد الأتراك، واعتبروها خيانة من قِبَل مسلمين لإخوانهم في الدين (السعوديون والحل الإسلامي 475).

(5) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 200.. وجهاد شعب فلسطين 65، 66 .

وذهب الضابط الفرنسي (غورو) تحت حماية الجيش العربي إلى قبر صلاح الدين في المسجد الأموي، وبحقد صليبي ركله، وقال: (ها قد عدنا يا صلاح الدين).

وقد اعترف قائد الجيش البريطاني اللورد (اللنبي) بهذا الدَّوْر الخياني الكبير لحسين، فقال عن ثورته على دولة الخلافة العثمانية: إنها ساعدت الحلفاء مساعدة كبيرة في الحصول على نتائج فاصلة في الحرب [1].

وقال اللنبي في تصريح واضح: لولا معاونة الجيش العربي ما استطعنا أن نتغلب على دولة الخلافة! [2].. وقال: الآن انتهت الحروب الصليبية !!.

وقالت الكاتبة الإسرائيلية ( بربارة توخمان ) في كتابها (التوراة والسيف): وهكذا دخل الجنرال (اللنبي) القدس (1917م) فنجح حيث أخفق (ريتشارد قلب الأسد) (في حطين)، ولولا ذلك الانتصار ما كانت إسرائيل حقيقة واقعة! [3].

وذكر أحد الباحثين: أن اليهود بعد ذلك كانوا يزورون الملك عبد الله بن الحسين زيارات ودِّية وتشاورية متكررة كما يتزاور الأقارب والأصدقاء وشركاء العمل.

وذكر القائد الأردني عبد الله التل عددً كبيرًا من المفاوضات بين الملك عبد الله بن الحسين وقادة اليهود، وفي كل مرة يتنازل لهم عما يشتهون من أرض فلسطين، وهو ممن يُقال فيهم: (من لا يملك أعطى من لا يستحق)، والظاهر أن الصليبيين واليهود صنعوه لأجل هذا، حتى سماه القائد عبد الله التل: (رأس الخيانة) [4].

وفي زيارة (جولدا مائير) له في 1/ 5/ 1948م قالت له: إن اليهود هم أصدقاؤه الوحيدون، فأومأ برأسه بالإيجاب!، وقال: إنني أعلم ذلك جيدًا، وليس لدي شك في معرفتي بكم، وفي إيماني بنواياكم الطيبة، وأعتقد بكل جوارحي، أن الله أعادكم. أنا أعلم كل هذا وأومن به بإخلاص، ولكن الظروف صعبة، ولا يجرؤ المرء على اتخاذ خطوات

---

(1) راجع: تاريخ القدس 141، لعارف باشا العارف، د. دار المعارف.. مصر.

(2)راجع: واقعنا المعاصر للأستاذ / محمد قطب 316 .

(3) راجع: الثقافة الإسلامية بين الغزو والاستغزاء ص 282 0 د 0 عبد المنعم النمر .

(4) راجع: كارثة فلسطين 566.. للقائد العسكري عبد الله التل

متهورة، ولذلك أناشدكم مرة أخرى: التزام الصبر(؟! م).. ووعدها بأن يُعامل اليهود معاملة طيبة، تتمشى مع آرائه الليبرالية (!!)، وأعرب عن فهمه للسبب الذي يحدوهم للعجلة في إنشاء دولتهم[1].

وجاء في كتاب: (حياتي) لجولدا مائير: إن (عوفاديا ناتان) ــ الحارس الشخصي لجولدا مائير ــ قال لصحيفة معاريف الإسرائيلية: إن العاهل الأردني الملك حسين ابن عبد الله سافر إلى إسرائيل في 25 سبتمبر عام 1973م؛ لتحذير (جولدا مائير) من اندلاع حرب مصرية سورية في مطلع شهر أكتوبر (!)، وأضاف: اعتاد الملك حسين أن يأتي بمفرده على متن مروحيته الخاصة، فقد كان رجلًا جريئًا وشُجاعًا، واعتاد أن يُقابل (جولدا) كثيرًا منذ عام 1970، وكانت علاقته بها غير طبيعية (!)، فقد كان يُحبها كثيرًا، وكانت كل زيارة له تستغرق ليلة كاملة (!)، وكانت تمنحه هدايا لأبنائه، وكانت اللقاءات تتم على شاطئ البحر الأحمر أو الميت، وكنا ننقل أكواخًا خشبية إلى هذه الأماكن كي يلتقي بها (!) [2].

ولم تكن الحكومات العربية أحسن حالاً من حسين وولده، فلم تفعل أي واحدة منها عملًا ذا بال لأجل تحرير فلسطين، بل كان تخطيطهم وتدبيرهم يتماشى ـــ بقصد وبغير قصد ــ مع هدف العدو وأطماعه في العالم العربي وفي فلسطين بوجه خاص، فمثلًا: في فلسطين: ساقت الدول العربية السبعة جيوشهم إلى فلسطين عام 1948م بغير تدريب كاف، ولا سلاح مطلوب، وجعلوا قائد جيشهم الأردني صليبي إنجليزي، هو: (جلوب باشا)، وقبلوا الهدنة التي طلبها الصليبيون؛ لإعادة ترتيب صفوف اليهود، وتزويدهم بالسلاح؛ حتى رجحت نتيجة الحرب لهم، بعدما كانت قبل قبول الهدنة في كفة المجاهدين المتطوعين، وزادوا الطين بِلَّة، والداء علة؛ فنزعوا السلاح من أيدي الفلسطينيين، وهم أهل الدار، وأدرى بشعابها، وأحرص على تحريرها؛ فأضعفوا

(1) راجع: ممنوع من التداول لمحمود عوض 272، 276، 277 (بتصرف) .

(2) راجع: حياتي 86، 87ـ جولدا مائير، رئيسة وزراء إسرائيل، تعريب خليل حنا تدرس.

مقاومتهم، حتى قال الزعيم الفلسطيني أحمد ياسين رحمه الله: لقد نزعت الجيوش العربية التي جاءت تُحارب إسرائيل السلاح من أيدينا بحجة أنه لا ينبغي وجود قوات أخرى غير قوة الجيوش؛ فارتبط مصيرنا بها، ولما هُزموا هُزمنا، وراحت العصابات الصهيونية ترتكب المجازر والمذابح لترويع الآمنين، ولو

كانت أسلحتنا بأيدينا لتغيرت مجرى الأحداث [1].

وتزداد المأساة فداحةً حينما يُخبرنا رئيس الوزراء المصري أن الجيش المصري خرج عام 1948م للاشتراك في تظاهرة عسكرية، ولم يكن مستعدًا لقتال حقيقي، قال في الجامعة العربية عام 1947م: أريد أن يعلم الجميع أن مصر إذا كانت توافق على على الاشتراك في هذه المظاهرة العسكرية ــ أي الحشد على الحدود ــ فإنها غير مستعدة قط للمضي أكثر من ذلك [2].

ونقل القائد العسكري عبد الله التل أن قائد حامية (صفد) استنجد بالقيادة العامة لجيش الإنقاذ العربي الذي أنشأته الجامعة العربية فأرسلوا له ستين مناضلًا، أغلبهم لم يستعمل السلاح في حياته، وبعضهم لم ير البندقية قط، وكان كل ما لديهم الإيمان والإرادة والحماس للجهاد والشهادة في سبيل الله (!!) [3].

ولهذا يُؤكد مفتي فلسطين الأسبق الشيخ أمين الحسيني: أن سبب انتصار اليهود عام (1948م) هم القادة العرب، فقد ذكر: أن تخاذل بعض الدول العربية واختلاف سياساتها أثناء معركة فلسطين، فلم يُقاتل العرب صفًا كأنهم بنيان مرصوص، وأضاعوا الفرصة بعدم تعاونهم على العدو الذي لم يكن قويًّا يومئذ، بل كانت القوى العربية أكثر منه عددًا وعدة، ولا صحة البتة لما يُقال: من أن القوى اليهودية كانت أكثر عددًا وعدة، فقد أعلن (ابن جوريون) رئيس الوزارة اليهودية ووزير الحربية حينئذ: أن القوى اليهودية

---

(1) راجع: في فقه الصراع على القدس وفلسطين 134، د. محمد عمارة، ط. دار الشروق.. مصر.

(2) راجع: أسباب كارثة فلسطين 184، 185، لمفتي فلسطين محمد أمين الحسيني، طـ دار الفضيلة.. مصر.

(3) راجع: كارثة فلسطين 26، للقائد العسكري عبد الله التل.

الضاربة لم تكن في هذه المعركة (النكبة) أكثر من عشرة آلاف (والقوة الضاربة في كل جيش هي المؤلفة من الجنود الذين يستعملون السلاح في الميدان) بينما كانت القوات الضاربة في الجيوش العربية أكثر جدًا من هذا العدد.. هذا بالإضافة إلى أن اليهود لم يكن لديهم عندئذ طائرات حربية، وإنما كان عندهم قليل من طائرات التدريب التي لا تصلح للحرب، كما لم يكن لديهم مدافع ميدان، بل كانت مدافعهم من طراز (مورتر)، وهي مدافع خفيفة، أمَّا الجيوش العربية فقد كان لديها وقتئذ المدافع الثقيلة والطائرات والقاذفات للقنابل، وغيرها من المعدات والأسلحة.

ويُؤيد هذا ما جاء في خطاب لرئيس الوزارة اليهودية (ابن جوريون) نفسه في مجلس النواب اليهودي قال فيه: نحن مدينون بنجاحنا في إقامة دولة إسرائيل بـ (5 و 97٪) للسياسة، و (5 و2٪) فقط للحرب والجيش [1].

حتى ما كسبته الجيوش العربية ـ مع أمراضها ـ أضاعه الحكام المهازيل بقبولهم الهدنة.. وقد ذكر شيخنا الكبير محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق أن الجيوش العربية عام (1948م) أو شكت على تحرير كثير من المدن الفلسطينية، وإحراز النصر، حتى أن اليهود في القدس رفعوا رايات الاستسلام.. ووسَّط يهود حيفا بعض العرب لمفاوضة الجيش العراقي على التسليم.. وفي تل أبيب (تل الربيع) كان اليهود في زُعر وفزع، وطالبوا زعماءهم على التسليم، فاضطر رئيس وزرائهم اليهودي (ابن جوريون) أن يُعلن في خطابه لهم: إن لديَّ وعدًا قاطعًا من انجلترا وأمريكا بأن الهدنة ستُعقد خلال ثلاثة أيام، فإذا لم يتم ذلك فتعالوا فاشنقوني هنا.

وقبل القادة السياسيون العرب ـ بجهلهم أو بخيانتهم ـ الهدنة، ودون معرفة بالعواقب أو بمعرفتها؛ فكتبوا على أنفسهم الهزيمة، وخسارة النصر الذي أوشك أن

(1) راجع: أسباب كارثة فلسطين 183، 184، لمفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني، ط. دار الفضيلة.. مصر.

يكون، ووهبوا لليهود سفينة البقاء والنجاة من الهزيمة التي أوْشكت أن تحل بهم، وأعطوهم الوقت الكافي لإعادة تزويد وتجديد وترتيب قوتهم وبقائهم![1].

حتى الضُبَّاط المصريين الذين قاموا بثورتهم العسكرية في 23 / 7/ 1952م على الملك فاروق ونظامه الملكي لم يكن في ذاكرتهم تحرير فلسطين، وحماية القدس والمسجد الأقصى؛ فخلت مبادؤهم الستة التي وعدوا بها من هذا كله [2]، والسيد خالد محيي الدين ــ أحد الضباط الأحرار في ثورة يوليو 1952م ــ قال: إن إسرائيل في هذه الفترة لم تكن مُدرجة في الأسطر الأولى في جدول الأعداء[3]، بل كانوا سيقبلون ـــ في سريَّة وتكتُّم شديد ــ السلام مع إسرائيل لو عرضه اليهود عليهم!.

قال اللواء محمد نجيب ــ رئيس الضباط الأحرار ــ: وفي الحقيقة كنت أتوقع في ذلك الوقت أن يتقدم الإسرائيليون بمعاهدة سلام، وربما قبلنا هذه المعاهدة في ذلك الوقت (!)، على شرط ألا يكون السلام على حساب سلامة العرب الموجودين هناك، أو على حساب الفلسطينيين. . وعلى شرط أن تُقنع إسرائيل جيرانها العرب أنها مستعدة للحياة ومستعدة أن تترك الآخرين يعيشون أيضًا! [4].

---

(1) راجع: بنو إسرائيل في القرآن والسنة 683، 684، د. محمد سيد طنطاوي.. بتصرف يسير.

(2) المبادئ الستة التي عالن بها ضباط هذه الثورة المصرية ووعدوا بها، هي: القضاء على الاستعمار وأعوانه.. إنشاء جيش وطني قوي.. القضاء على الإقطاع وأعوانه.. القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.. إقامة حياة ديمقراطية سليمة.. إقامة عدالة اجتماعية... أين الإشارة إلى تحرير فلسطين والقدس والمسجد الأقصى؟.

(3) راجع: والآن أتكلم 192، لخالد محيي الدين، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(4) ومما قاله الرئيس نجيب أول رئيس لمصر بعد ثورة 23 يوليو 1952م: إنه لكي تكون إسرائيل دولة مُعترَفًا بها، ولكي تكون دولة معتمدة على نفسها يجب أن تشترك في تجارتها السلمية مع الدول العربية لصالح الجميع.. وبدلًا من الشكوى فإن الإسرائيليين يفعلون خيرًا إذا تقدموا ببنود اتفاق سلام إلى الجامعة العربية، وإذا ما تم الصلح فإنني أعتقد أن المقاطعة العربية سوف تُرفع، وتعود الحياة التجارية بطريقة حرة بين دول الشرق الأوسط (راجع: كنت رئيسًا لمصر، مذكرات محمد نجيب 338).

وإن ديفيد بن جوريون (أول رئيس للكيان الصهيوني) أدلى بتصريحات يتمنى فيها النجاح لثورتنا.. وإن بعض الكُتَّاب الإسرائيليين تفاءلوا عندما عرفوا أن جمال عبد الناصر الذي كان على اتصال ببعض ضباط المخابرات الإسرائيلية في حرب فلسطين هو أحد رجال الثورة (!!) [1].

وكتبت وزارة الخارجية الأمريكية في ذلك الوقت: إن السلام مع إسرائيل هو هدف نظام الجنرال نجيب، ولكن خطوة متسرعة في هذا الاتجاه يُمكن أن تُدمر ما نحاول القيام به [2].

وقال الأستاذ محمد جلال كشك الصحافي المصري: إن وزير الخارجية المصري في ذلك الوقت الفريق (محمود فوزي) أبلغ وزير خارجية اليهود في ذلك الوقت (شاريت) (10/ 2/ 1953م) أن مصر راغبة في تحرير تسوية مع إسرائيل على أساس إعادة التوطين والتعويض للاجئين، وبعض تعديلات على الحدود. . . وبعد مشاورات رد وزير خارجية إسرائيل بأن حكومته يُرحبون بحرارة بهذه المبادرة [3].

والرئيس المصري جمال عبد الناصر نفسه قرر ــ هو الآخر ــ الاتصال مع المسئول اليهودي ابن جوريون وجماعة الصقور في إسرائيل اتصالًا سريًّا مكتومًا، وكان هذا بتوجيه من حكومة واشنطن (أمريكا)، وقد اعترف بذلك (أمين شاكر) وزير السياحة السابق عام 1977م، وكان وقتها مديرًا لمكتب جمال عبد الناصر.

ولم تكن هذه الاتصالات إلا للاتفاق على تقديم تنازلات لقاء الوفاق بينهما، حتى قال الأستاذ بشير العوف في بحثه عن (السياسة المرحلية): جمال عبد الناصر هو أول حاكم عربي تجرَّأ على القبول بقرار (مجلس الأمن) الذي أعطى إسرائيل اعترافًا بحدود

---

(1) راجع: كنت رئيسًا لمصر، مذكرات محمد نجيب 337، ط. المكتب المصري الحديث.. مضر.

(2) راجع: ثورة يوليو الأمريكية 621، لمحمد جلال كشك، ط. الزهراء للإعلام العربي.. مصر.

(3) راجع: ثورة يوليو الأمريكية 624، 625، لمحمد جلال كشك، ط. الزهراء للإعلام العربي.. مصر.

آمنة مضمونة، وأول حاكم عربي تجرَّأ على تقديم تنازلات لإسرائيل تُؤدي إلى الاعتراف الشرعي بها [1].

ومن تنازلاته قبل موته قبوله مشروع (روجرز)، وهو قريب من معاهدة السلام التي عقدها خلفه في (كامب ديفيد).. وقال في المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي في (1390هـ = 1970م): في الحقيقة نحن باستمرار من الأول، من أول النكسة (1967م) رفعنا شعار: إزالة آثار العدوان، وتحرير الأرض العربية المحتلة، والله إذا

كان يُمكن أن نصل إلى هذا بدون حرب فنصل إلى هذا بدون حرب [2].

ولهذا لم أعجب من تأكيد المشير الجمسي ــ أحد أبطال معركة رمضان 1393هـ : على أنه لم يسمع قط بوجود خطة حرب لدى عبد الناصر قبل سنة 1967م [3].

ومؤخرًا نقلت الأخبار أن رئيس أكبر دولة عربية اتصل برئيس الكيان اليهودي (إسرائيل) مهنئًا له بذكرى تأسيس الدولة اليهودي (إسرائيل) (؟!!) [4].

وفي محادثات معاهدة السلام بعد معركة رمضان عام 1973م كشف الرئيس الأمريكي (جيمي كارتر) مستورًا خطيرًا، قال: ليس بين الرؤساء العرب واحد يُؤيد قيام دولة فلسطينية، لا السعودية ولا سوريا ولا والأردن.. ومضى إعلان الرئيس كارتر هذا دون أن يُنكره (أو يعترض عليه) أحد[5]... أو يستفهم (!!)

## السبب الرابع: المترفون من أصحاب المال في الأقطار الإسلامية.

وهذا سبب آخر لا يجوز الاستهانة به، فمن المقطوع به أن حاجة الجهاد إلى المال لا تقل عن حاجته إلى اليد واللسان. . فالمال ثلث قوة الجهاد أو ثلثيْها. . فبه توفر الأمة ما يُؤمِّنها ويَقُوتها في السلم ، و تُعِدُّ به عُدَّتَها من الجنود والعتاد في الحرب.

---

(1) راجع: الإسلام في عين الخطر 303، لأنور الجندي، ط. مركز الإعلام العربي .. مصر.

(2) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 418.

(3) راجع: ثورة يوليو الأمريكية 617، لمحمد جلال كشك، ط. الزهراء للإعلام العربي.. مصر.

(4) راجع: الانتفاضة المباركة.. بشائر وانتصارات 283.

(5) راجع: في السياسة. مقالات 2 / 81، 94، لأنيس منصور، ط. دار المعارف.. مصر.

ففي الوقت الذي كان اليهود (أثرياء وفقراء) في كل دول العالم ــ حتى في الدول العربية ــ يُرسلون الأموال بوفْرة لا نظير لها إلى إخوانهم اليهود في فلسطين [1] لاحتلالها كان المُتْرفون في فلسطين وفي بلاد الإسلام أشحاء عن الإنفاق في الجهاد لتحرير فلسطين.. يقبضون أيديهم عن نُصرة إخوانهم المجاهدين، ولم يُرسلوا لهم في فلسطين إلا الفتات الذي لا يكفي قوتًا ولا عتادًا، فازداد المجاهدون في فلسطين ضعفًا على ضعف؛ حتى تمكن اليهود من اغتصاب فلسطين، وضاع القليل والكثير .. وأذكر هنا ثلاثة أخبار للبيان والعبرة:

- الخبر الأول: في أعقاب أحداث سنة 1929م ذهب عدد من الفلسطينيين إلى العالم الإسلامي؛ ليجمعوا التبرعات لدعم العائلات الثكلى، وتعويض الخسائر، فجمعوا مبلغ أربعة عشر ألف جنيه مصري، واشترط بعض الحكام العرب حين تبرع بمبلغ مائتي جنيه مصري: أن يكتب له شكر في الجريدة مقابل ذلك [2].
- الخبر الثاني: قال مفتي فلسطين الأسبق الشيخ أمين الحسيني: كتب المرحوم الأمير شكيب أرسلان عام 1930م حينما أرسلنا إليه نشرة لجنة إعانة المنكوبين في ثورة 1929م التي وقعت بين العرب واليهود بسبب عدوان اليهود على مكان البراق الشريف، وقد وقع في معارك هذه الثورة من العرب قتلى وجرحى كثيرون، فاستنجدت لجنة الإعانة المذكورة بالعالمَيْن العربي والإسلامي بالبرق والبريد طالبة العون لليتامى وعائلات الشهداء، وبعد مضي عام كامل أصدرت اللجنة نشرة بوارداتها ونفقاتها، فكانت نحو ثلاثة عشر ألفًا من الجنيهات (؟!م)، وصادف أن وقعت في يد الأمير شكيب نشرة

---

(1) نشرت المجلة الصهيونية التي كانت تصدر في مصر: أن يهود القاهرة وحدها أرسلوا إبان الاحتلال الإنجليزي ثلاثة آلاف جنيه تبرعًا ليهود يافا.. وهذا مبلغ كبير في وقته.. ومن حصيلة نشاط اليهود في العالم العربي كانت تُجمع الإعانات لليهود... (راجع: الطريق إلى بيت المقدس 236).

(2) راجع: معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين 120، د. إبراهيم المقادمة، ط. خاصة.

أخرى مماثلة صادرة عن لجنة يهودية في جنيف (وحدها) لمساعدة اليهود المصابين في الثورة نفسها، فإذا بمقدار ما ورد لمساعدتهم أكثر من مليون جنيه، فكتب مقالًا قارن فيه بين شح العرب والمسلمين (عن إخوانهم) من ناحية، وبذل اليهود وسخائهم (لإخوانهم) من ناحية أخرى [1].

- الخبر الثالث: قال الأستاذ الأديب علي الطنطاوي في ذكرياته: ذهبتُ سنة ستّ وأربعين (1946م) إلى مصر، وكان الطريق على فلسطين فأقمت فيها عشرة أيام، وكان لي فيها أصدقاء من الوطنيين العاملين، فلُمتُهم على قعودهم وإهمالهم جمعَ المال وشراء السلاح، فقالوا إن الأيدي منقبضة والنفوس شحيحة، قلت: لا، بل أنتم المقصّرون.. قالوا: هذا تاجر من أغنى التجار، فهلمّ بنا إليه تنظر ماذا نأخذ منه.

وذهبت معهم إليه في مخزن كبير حافل بالشارين، وحوله ولدان له شابّان يتفجّران صحّة ورجولة وجمالاً.. وكلّمناه، وحشدتُ له كل ما أقدر عليه من شواهد الدين وأدلّة المنطق ومثيرات الشعور، فإذا كل ما قلته كنفخة وانية على صخرة راسية، ما أحسّت بها، فضلاً عن أن ترتجّ منها. . وقال: أنا لا أقصّر، أعرف واجبي، وأدفع كل مرة الذي أقدر عليه. . قلت: وهل أعطيت مثل الذي يعطي تجار اليهود؟. . قال: وهل تمثّلني بتجار اليهود؟. . قلت: وهل أعطيت مرة مالك كله؟.

فشُدِه وفتح عينيه، وظنّ أن الذي يخاطبه مجنون. وقال: مالي كله؟! ، ولماذا أعطي مالي كله؟!. . قلت: إن أبا بكر لمّا سُئل التبرّع للتسلّح أعطى ماله كله. . قال: ذاك أبو بكر، وهل أنا مثل أبي بكر؟. . قلت: عمر أعطى نصف ماله، وعثمان جهّز ألفاً. . فلم يدَعْني أكمل، وقال: يا أخي، أولئك صحابة رسول الله ^، الله يرضى عنهم. أين نحن منهم؟. . قلت: ألا ترى أن البلاد في خطر، وأننا إذا لم نُعطِ القليل ذهب القليل والكثير؟. . قال: يا أخي، الله يرضى عليك، اتركني بحالي. أنا رجل بيّاع شرّاء، لا أفهم

1() راجع: أسباب كارثة فلسطين 183، لمفتي فلسطين الأسبق الشيخ أمين الحسيني، ط. دار الفضيلة.

في السياسة، وليس لي بها صلة، وهذا مالي حصّلته بعرق جبيني، وكدّ يميني، ما سرقته سرقة، فهل تريد أن أدفعه، وأبقى أنا وأولادي وأحفادي بلا شيء ؟. . قلت: ما نطلب مالك كله ولكن نطلب عُشْره.. قال: دفعت ما عليّ، وما قصّرت. وأعرضَ عنا وأقبل على عمله.

يا سادة، هذه حادثة أرويها لكم كما وقعَت، ولو كان يجوز لي لعيّنتُ البلد والتاجر، ولولا أني قرأت في جريدة من الجرائد إشارة إلى قصة مثلها ما عرضت لها.

ومرّت سبع سنوات، وذهبت من سنتين (أي سنة 1953) إلى المؤتمر الإسلامي في القدس، ومررنا في الطريق بمخيَّم اللاجئين، وأقبل الناس يسلّمون علينا، وإذا أنا بشيخ أبيض اللحية، محنيّ الظهر غائر الصدغيْن، رثّ الثياب، أحسستُ لمّا التقت العيْنان كأن قد برقَت عيْناه برقة خاطفة، وكاد يفتح فمه بالتحية، ثم تماسك وأغضى، وارتبك كأنه يريد الفرار. فلما انتهى السلام راغ مني، ودخل في غمار الناس. ولبثت أفكّر فيه من هو؟. . وأين قابلته؟. . فما لبثت أن ذكرته، وتكشّف لي المنسيّ فجأة كأني كنت في غرفة مظلمة سطع فيها النور.

إنه هو، هو يا سادة. وكلّمته فتجاهلني، فلما ألححتُ عليه اعترف. ولم أشمت به، ومعاذ الله أن يراني أنحدر إلى هذه الدرك. ولم أُزعِجه بلوم أو عتاب، ولكن كان في نظرتي ما يوحي بالكلام، لذلك استبقني فقال: لا تقُل شيئاً، هذا هو القدَر، ولو كان لله إرادة لألهمني وألهم إخواني التجار النزول عن نصف ما كنا نملك.

قلت: أوَلم يبقَ لك شيء؟، فابتسم ابتسامة حزينة يقطر من حواشيها الدمع وقال: بلى، بقي الكثير؛ بقيَت الصحّة والثقة في الله، وبقي هؤلاء. وأشار إلى امرأة عجوز وطفل صغير (!).

قلت: لا تيأس من رحمة الله.. قال: الحمد لله أن جعلنا عبرة، ولكن أرجو أن يكون إخواننا في الشام ومصر والأردن قد اعتبروا بنا. ونظرت إلى الطفل فسمعت العجوز تقول له: قبّل يد عمّك. فجاء وجسده المحمارّ من البرد يبدو من ثقوب الثوب

كزرّ من الورد أخذَت تتفتّح عنه الأكمام. كان بثوب رقيق ممزَّق، وأنا في المعطف الثقيل والعباءة من فوقي وأُحِسّ البرد يقرص عظامي!

وأحسست بقلبي يتمزّق كتمزّق هذه الأسمال، ولم يكن معي ما أساعده به إلاّ أن نزعت العباءة فلففته بها، وقلت لنفسي: فليُسعَدِ النطقُ إن لم يسعَدِ الحالُ. ورحت أكلّمه فلم أجد إلاّ أن قلت له: أتحبّ بابا؟ ، أحسب أن الشيخ أبوه، فقالت العجوز للولد: قول له: بابا في الجنة. قال: بابا في الجنة. أعادها بلهجته كأنه ببغاء ليس يدري ما يقول، فسكتُّ حائراً ملتاعاً. ثم أردتُ أن أقطع حبل الصمت بأيّ كلام.

فقلت: فماذا تصنع الآن؟.. قال: إنني أوفّر لأشتري السكّين لأذبح اليهود كما ذبحوا بابا.. سكتت الألسنة، ونطقَت العيون؛ لقد بكيت، وبكى الحاضرون جميعاً، ومشيت وأنا لا أبصر من الدموع طريقي[1].

هذا أثر الشح، وعمل المُترفين الأشحاء، فإنهم بلاء أنفسهم، ونكبة وطنهم، وداء الإنسانية من حولهم، يقول تعالى: (وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ) (محمد: 38).

ولهذا وصف رسول الله ﷺ الشح بأنه أشد الأمراض ضررًا، وأخطرها أثرًا، كما قَالَ جَابِر: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟».

قُلْنَا: جُدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبَخِّلُهُ. . قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ [2].

ولهذا يتوعَّد الله تعالى المُترفين وأصحاب الأموال الذين شحت قلوبهم وأيديهم بمال الله لديهم، ولم يدعموا الإصلاح والجهاد في سبيل الله، أن يُنزل عليهم عقابه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، يقول الله تعالى: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَالله الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد: 38).

أي أن الذي يبخل بماله عن الجهاد في سبيل الله لا يضر إلا نفسه ووطنه وأمته.

---

(1) راجع: ذكريات علي الطنطاوي 7 / 48: 50، ط. دار المنارة.. السعودية.. جدة.

(2) صحيح.. أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم 296، وغيره.

ويشتد خطر المترفين حينما يُصبحون أمراء الدولة، فعندئذ يكون إفسادهم أمْكن، وتعويقهم للجهاد أكثر؛ مما يكون إيذائًا بهلاك الدولة، يقول الله تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) (الإسراء: 16)[1].

إسقاط حكومة روسيا القيصرية [2].

وهناك من الدارسين مَن يرى أن إسقاط حكومة روسيا القيصرية من الأسباب التي يسَّرت لليهود احتلال فلسطين؛ حيث كان الروس يرنون إلى الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين بعيني الإيمان العميق، ولهذا كانت حكومة روسيا القيصرية ترى أن احتلال اليهود لفلسطين تدنيس للأماكن المسيحية المُقدسة، وعدوان عليها، وسيمنعون المسيحيين من الحج إليها فيما بعد؛ ولهذا وقفت روسيا القيصرية ضد أي مشروع يرمي إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين.

قال الجنرال التركي جواد رفعت أتلخان: إن المحفل الأمريكاني الماسوني الذي يُدير الماسونية الكونية، وكل أعضائها من أعاظم زعماء اليهود عقد مؤتمرًا قرر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية، والذين تبرعوا بالمال هم: (إسحاق موتيمر، ومشيستر، وليفي، وروق، وشيف)، وكان المال مرصودًا للدعاية، وإثارة الصحافة العالمية على أثر المذابح الدائرة ضد اليهود حوالي نهاية القرن التاسع عشر[3].

---

(1) قوله سبحانه: (أَمَرْنَا) بتخفيف الميم المفتوحة، ومعناه: أمَرنا أصحاب النفوذ والأموال فيها بالإصلاح فعصوا أمر ربهم وأفسدوا في الأرض.. وقرأ آخرون (أَمَّرْنَا) بتشديد الميم المفتوحة، ومعناه: جعلنا مترفيها أمراء الدولة ووزراءها؛ فعندئذ يكون قيامهم بالفساد أشد وأمكن.

(2) نحن مع تقديرنا لهذا السبب لا نُعوِّل إلا على الدولة الإسلامية ذاتها في رعاية فلسطين ونصرتها، فهي وحدها المنوطة برعاية فلسطين وتحريرها؛ فلا نُعوِّل على غيرها ولهذا لم نر أسباب احتلالها إلا ما ذكرناه.

(3) راجع: أسرار الماسونية 81، للجنرال جواد رفعت أتلخان، ط. مجلة الأزهر في ذي القعدة عام 1405هـ.

وقال المؤرخ البريطاني (أرنولد توينبي): إن انهيار حكم (رومانوف) الإمبراطوري الروسي قد أزال بالفعل حماية أخرى عن العرب الفلسطينيين[1].. ولهذا تأخر صدور وعد بلفور البريطاني حتى أشهر قليلة بعد إسقاط الحكومة القيصرية، وقيام الحكومة الشيوعية مكانها عام 1917م.

ويُعزِّز أصحاب هذا القول رأيهم بأن اليهود هم الذين صنعوا الثورة الشيوعية في روسيا، وأزالوا حكومة روسيا القيصرية، وأقاموا مكانها الاتحاد السوفيتي، وآية هذا أن قادة الثورة الشيوعية كلهم من اليهود، مثل (لينين) وغيره، ويُموِّلهم المال اليهودي. . وأن أول قراريْن للينين بعد نجاح ثورته الشيوعية هما:

1 ــ اعتبار العداء للسامية ( عداء لليهود ) جريمة قانونية.

2 ــ تأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وقال هذا اليهودي: إن الدين أفيون الشعوب، ولكن المحافظة على الدين اليهودي أمر ضروري لحياة الشعب اليهودي المختار! حتى ينال حقوقه، لأنه لا يجمع أبناء إسرائيل إلا الدين [2].

ومن يومها أضحى الاتحاد السوفياتي (أو روسيا) داعمًا لليهود في احتلالهم فلسطين، واعتدائهم على المسلمين، حتى أعلن القائد اليهودي (ابن جوريون): إن الاتحاد السوفياتي هو الذي ساند إسرائيل في إلحاق الهزيمة بالعرب في معركة عام 1948م، وما بعدها، وقال: كان الروس يُرسلون الأسلحة إلى (تشيكو سلو فاكيا) لتصل إلى اليهود الذين قاتلوا العرب، وطردوا الفلسطينيين من وطنهم [3].

وقُبيل نكبة عام 1967م أيقظ السفير الروسي الرئيس المصري جمال عبد الناصر وطلب منه منع بدء الهجوم على إسرائيل في عدوانها يوم 5 يونيو، بعدما وصلت أخباره

---

(1) راجع: كيف ضاعت فلسطين 131، د. عيسى الماضي.

(2) راجع: الإسلام في عين الخطر 246، لأنور الجندي، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

(3) راجع: الإسلام في عين الخطر 211.

إلى القيادة المصرية [1].. وهكذا، حتى تمت هزيمة مصر وسوريا في ذلك العدوان!.. وقيل: إن الرئيس المصري جمال عبد الناصر مات كمدًا لهذا السبب.

ﻣﺖ ﻣﺖ ﻣﺖ

(1) راجع: الإسلام في عين الخطر 266.

## الهدف اليهودي

احتلال فلسطين كلها وما حولها من الأقطار الإسلامية.

والذي يجب أن يكون واضحًا ومستقرًا في ذاكرة المسلمين: أن الهدف اليهودي واضح ومُعلن، فقد بيَّنه اليهود وأعلنوه آلاف المرات، وهو: اغتصاب فلسطين كلها وما حولها من أقطار الإسلام.. من مصر ونيلها إلى العراق وفراتها، ومن لبنان ونهرها (الليطاني) إلى المدينة المنورة ونخيلها.

وقال الباحثون: إن اليهود جعلوا علم دولتهم: أبيض اللون بين خطيْن أزرقيْن، أي بلون الماء، إشارة إلى أن دولتهم ستكون من النهر إلى النهر.. أي من نهر النيل إلى نهر الفرات!، فهي تشمل: فلسطين ومصر والعراق وسوريا والأردن ولبنان والجزيرة العربية.. كأن هذه الأقطار ليس لها أصحاب يذودون عنها!!.

ولليهود في هذا الهدف ذرائعهم الدينية التي يُعلنونها.. ففي توراتهم زعموا أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: (وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ [1] مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا)(التكوين ــ 7: 17).

وقالوا في توراتهم: «فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا، قَائِلاً: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ» (التكوين ـــ 15: 18).

وقالوا في سفر يشوع (1-4): (فَالآنَ قُمُ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. 3كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ

(1) يُقصر بنو إسرائيل نسل إبراهيم عليه السلام في جدهم إسحاق وأبيهم يعقوب عليهما السلام، وهذا تدليس عن عمد وسبق إصرار، فإن نسل إبراهيم عليه السلام هما: إسماعيل عليه السلام (أبو العرب) وإسحاق عليه السلام (جد الإسرائيليين).

لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. 4مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ هذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعِ أَرْضِ الْحِثِّيِّينَ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخْمُكُمْ ).

وقد أعلن قادة اليهود في وجوب تحقيق هذا الوعد المُفترى، ونذكر منها الآتي[1]:

قال القائد اليهودي موشى ديان: إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأرض التوراتية [2].

وقال الرئيس الإسرائيلي (ديفيد بن جوريون) في اجتماع حربي 1952م: ألا فليفهم الجميع أن إسرائيل قد قامت بالحرب، وأنها لن تقنع بما بلغته حدودها حتى الآن، إن الإمبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات [3].

---

(1) ومع هذا ففي الآونة الأخيرة خرج الدكتور كمال سليمان الصليبي أستاذ تاريخ الشرق الأوسط الحديث في الجامعة الأمريكية ببيروت لبنان بكتاب عنوانه: (التوراة جاءت من جزيرة العرب)، يزعم فيه أن الأسماء الواردة في التوراة، والبيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديداً في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن .

هذا الكاتب يريد أن يقول: إن اليهود لهم الحق في المطالبة بهذه الأماكن باعتبارها أرض أجدادهم.. وهذا افتراء بطبيعة الحال بناه قائله على خيالات وأكاذيب يرفضها الميزان العلمي، وقد رد العلماء عليه ردوداً مقنعة، نشرها الأستاذ محمد عبد الله عبد الحميد في كتابه ( افتراءات الصليبي.. متابعات أولى)، نشره نادي (أبها) الأدبي ــ في المملكة العربية السعودية ـــ عام 1408 هـ الموافق 1488 هـ .

وقبله كتب الإنجليزي (دافيد صمويل مرجليوث) (ت: 1904م) كتاباً بعنوان: (العلاقة بين العرب والإسرائيليين قبل ظهور الإسلام)، وذهب فيه إلى أن الوطن الأصلي لبنى إسرائيل كان ببلاد اليمن، واستدل على رأيه بأدلة، منها وجود ألفاظ كثيرة مشتركة بين اللغتين السبئية والعبرية، ومنها الشبه العظيم بين بعض العادات الاجتماعية، والأخلاق الدينية عند أهل سبأ وبني إسرائيل (راجع: افتراءات الصليبي ص 30 ) .

(2) راجع: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص 35 عن جيروزاليم بوست في 10/ 8/ 1967 م .

(3) راجع: اليهود المعتدون ص146 للشيخ محمد الغزالي ط . دار القلم .. دمشق .

وفي بعض مفاوضات اليهود للملك عبد الله بن الحسين ــ ملك الأردن ــ وبعدما أعطاهم من أرض الإسلام ما يشتهون أعطاه اليهودي (إيتان) هدية الرئيس اليهودي (ديفيد بن جوريون)، قال: إن ابن جوريون يتشرف بتقديم هذه الهدية البسيطة في قيمتها المادية، الثمينة في معناها إلى جلالتكم عربونًا جديدًا للصداقة بين بلدَيْنا، ودليلًا على حسن نوايا حكومة إسرائيل، راجيًا أن تتنازلوا بقبولها.

فتناولها جلالته، وكانت عبارة عن كتاب التوراة بحجم الكف، جلده من الفضة المزركشة، وأول ورقة بها خارطة إسرائيل قبل ألفي سنة (في زعمهم) وتضم: الأردن وسوريا وفلسطين والعراق وقسمًا من الحجاز [1].

وذكر اللواء الركن محمود شيت خطاب: أن اليهود يمتد طمعهم ونفوذهم إلى الجنوب في المملكة العربية السعودية ليشمل (تبوك) حتى المدينة المنورة وجنوبها (112 كيلو)، على اعتبار أن قسمًا من هذه المناطق كانت من أملاك اليهود قديمًا، وأجلاهم عنها النبي ^ [2].

وخطب الوزير (ديان) في جنوده عام 1967م، فقال: لقد استولينا على القدس، ونحن في طريقنا إلى يثرب (المدينة المنورة) وإلى بابل (العراق) اهـ [3].. وقال مرة أخرى بعد هذا العدوان: الآن أصبح الطريق مفتوحًا أمامنا إلى المدينة ومكة [4].

---

(1) وكان الملك سريع البديهة فأدرك معنى الهدية، وأسرع إلى خزانة صغيرة، وتناول منها خنجرًا جميلًا قدمه لـ (إيتان) بدلًا من هدية إسرائيل، فقبله (إيتان) شاكرًا، وعندما غادر اليهود قصر الملك، قال الملك لمن حوله: هم قصدوا شيئًا، وأنا ناولتهم خنجرًا، وإذا فهموا يفهموا (راجع: كارثة فلسطين.. مذكرات القائد الأردني: عبد الله التل 517، د. دار الهدى).. ومع هذا كان الملك كما قال المؤلف نفسه: رأس الخيانة (نفسه 566).

(2) راجع: الموجز في العسكرية الإسرائيلية 35، 36.

(3) راجع: المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح ص 97 .

(4) راجع: المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح ص 97 .

ونقلت الأخبار أن (جولدا مائير) رئيسة وزراء إسرائيل وقفت على خليج العقبة، ونظرت ناحية الحجاز، وقالت: إني أشم رائحة أجدادي في المدينة والحجاز، بلادنا وسوف نسترجعها [1].

## طمع اليهود في سيناء المصرية.

ففي يوم 4 يوليو عام 1903م التقى الزعيم اليهودي (تيودور هرتزل) والثري اليهودي اللورد (روتشيلد)، وعرض (هرتزل) أمام (روتشيلد) خريطة إسرائيل الذي يُخطط لها، وكانت مكوَّنة من سيناء المصرية وفلسطين.

وقال مُشيرًا بأصبعه إلى العريش: من هنا يكون التحرك، ووافق (روتشيلد) على هذه الخطة، وقدَّم شيكًا على بياض لتمويل جميع المشروعات اللازمة لذلك [2].

ولأجل هذا الطمع اليهودي في سيناء المصرية أصدر السلطان العثماني (سليم الأول) في عام 924هـ = 1518م فرمانًا بمنع اليهود من التسلل إلى سيناء، وواضح من هذا الفرمان العثماني أن اليهود كانوا يُريدون احتلال هذا الإقليم المصري (سيناء)؛ لينطلقوا منه إلى احتلال فلسطين (أرض الميعاد)، كما تزعم توراتهم المحرفة، وقد سد هذا الفرمان الطريق في وجه أطماع اليهود.

وسار السلطان سليمان الابن (ت:973هـ = 1565م) على نفس طريق والده، (سليم الأول)، فأصدر فرمان أكد فرمان والده.

ومع هذا نجح بعض اليهود في التسلل إلى سيناء بداية بالطور، بقيادة اليهودي إبراهام، فشكا دير (سانت كاترين) للدولة العثمانية من الأذى الذي يتعرضون له.

ولهذا السبب أصدر الوالي العثماني في مصر ثلاثة فرمانات متتالية: عام (989هـ = 1581م)، في عام (991هـ = 1583م)، وفي عام (993هـ = 1585م) وكلها تأمر

---

(1) راجع: أمة المقاومة 17، د. علاء الدين محرم، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

(2) راجع: أضواء على سيناء 51، لممدوح أبو بكر، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مصر.

المسئول العثماني بإخراج إبراهام اليهودي وأولاده وسائر اليهود من سيناء، ومنعهم في مستقبل الأيام منعًا باتًا من العودة إليها، أو الإقامة أو السكن فيها [1].

وحينما وقع العدوان الثلاثي على مصر في 29/ 10/ 1956م، ووصلت القوات اليهودية إلى حدود سيناء ــ المصرية ــ كان في طليعة القوات الزاحفة سيارة (جيب)، تحمل كتابًا ضخمًا، هو: (التوراة)، ومن خلفه وقف حاخام يخطب في الجنود، ويقول: يا أبناء إسرائيل، إنكم تدخلون الآن الأرض المقدسة، حيث تسلم موسى (عليه السلام) الشريعة، فهيَّا لتطهيرها من الأعداء [2].

وقال (ابن جوريون) في برلمان إسرائيل بعد حرب 1956م: إن التقدم البطولي الذي أحرزته قوات الدفاع الإسرائيلية قد جدَّد صلة الوطن بجبل سيناء [3].

ومعروف للكافة أن الإسرائيليين عندما وصلوا إلى حدود فلسطين سنة 1967م تقدموا واحتلوا سيناء المصرية، وكان أول عمل لرجاله أن ترجَّلوا جميعًا، وقبَّلوا تراب الأرض، وأقاموا صلاتهم، ثم تابعوا خطواتهم في الأرض المقدسة [4].

وفي 5/ 6/ 1990م قال مساعد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي (موشيه باركوخيا) لإذاعة الجيش الإسرائيلي: إن إسرائيل يجب أن تحشد قواتها على الحدود الجنوبية (مع مصر)، والعودة لاحتلال سيناء (المصرية) في حالة تجدد المعارك في الجبهة الجنوبية، وفي هذه المرة لا أعتقد بأننا سنقف عند قناة السويس [5].

---

(1) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 169، 170.

(2) راجع: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية 369، لعبد الله التل، دار القلم.. مصر.

(3) راجع: الموجز في العسكرية الإسرائيلية 37، وأضواء على سيناء 60، لممدوح أبو بكر.

(4) راجع: سيناء.. بين اطماع الاستعماريين 11، 12، 18، لعدد من الكاتبين، ط. دار المختار الإسلامي.. مصر

(5) راجع: صراع الوجود والبقاء.. فلسطين 114، 115، د. أبو بكر عبد الستار خليل، ط. دار القبس.. الإسكندرية.. الطريق إلى بيت المقدس 641، 264، د. جمال حمدان، نقلًا عن: مصر والحرب القادمة.. نقلًا عن جريدة الأهرام المصرية والجمهورية، في 13 / 6 / 1990م.

فلينتبه المسلمون عامة.. وليحذر قادة وشعب مصر خاصة.

وبعد.. فتلك التصريحات اليهودية مُعلنة ومشهورة، ولم يُصرِّح بها اليهود في السِّرِّ أو في الخفاء.. وقد أكثرنا منها لتأكيد ما جاء فيها، فربما يعتبرها الغافلون من المسلمين أحلامًا أو خيالات، وينسون أن أجدادهم العرب كانوا يعتبرون قيام الدولة اليهودية المعاصرة (إسرائيل) من قبيل الأحلام والخيالات، لكنهم بغفلتهم وإهمالهم، ودأب اليهود ونشاطهم أضحت حقيقة واقعة، نعيشها ونكتوي بنارها.

وقد تعلمنا من سنن الله في خلْقه أن أحلام الأمس تصبح بالعمل الدؤوب والصبور حقائق اليوم. . وكذلك أحلام اليوم تُصبح بالعمل الدؤوب حقائق الغد.

## استراتيجية ( تخطيط ) اليهود لتحقيق هدفهم.

هذا، وقد وضع قادة اليهود استراتيجيةً ثابتةً؛ لتحقيق هدفهم السالف، هذه الاستراتيجية بإيجاز هي: التوسع التدريجي في أرض الإسلام وعلى حساب السكان العرب، بطريق الحرب العدوانية مرة بعد مرة؛ حتى يُحققوا هدفهم.

وقد صرح بهذا الزعيم اليهودي (ثيودور هيرتزل)، قال: المساحة من نهر مصر (النيل) إلى الفرات (العراق). لابد من فترة انتقالية لتثبيت مؤسساتنا يكون فيها الحاكم يهوديًّا.... وما أن تصل نسبة السكان من يهود إلى الثلثين حتى تفرض الإدارة اليهودية نفسها سياسيًّا [1].

وقال (حاييم وايزمان) في مؤتمر بلندن عام 1917م: إن الدول يجب بناؤها ببطء، وبالتدريج، وبانتظام وبصبر، ومن ثم نحن نقول: إنه بينما هدفنا النهائي هو خلق دولة يهودية، فإن الطريق لتحقيق ذلك يكون على عدة مراحل متداخلة [2].

وقال وايزمان ذاته: إن رأيي هو: أن الوطن القومي له سبيل واحد لتحقيقه، وذلك السبيل هو: ضم دونم إلى دونم، وبقرة إلى بقرة، ومزرعة إلى مزرعة [3].

وقال الفريق محمد عبد الغني الجمسي: ولتنفيذ هذا الهدف أرست الصهيونية الخطوط الرئيسة الثابتة لسياسة إسرائيل، وهي:

ا ــ التوسع الجغرافي التدريجي على حساب الأرض العربية.

ب ــ الاحتفاظ بقوة مسلحة متفوقة تكون هدفًا ووسيلة.

جـ ــ الارتباط بقوة دولية كحليف مضمون يُعاونها في تحقيق أهدافها المرحلية.

---

(1) راجع: الموجز في العسكرية الإسرائيلية 30، للواء الركن محمود شيت خطاب، ط. دار الاعتصام.. مصر.. نقلًا عن مذكرات هيرتزل 2 / 711.. وذكر المؤلف في كتابه هذا (30: 36) مطامع اليهود في شرق الأردن، وفي سورية، وفي لبنان، وفي مصر، وفي العراق، وفي المملكة العربية السعودية والخليج العربي.

( 2 ) راجع: ممنوع من التداول 1/ 40 .

(3) راجع: اليهودية 129، د' أحمد شلبي، نقلًا عن مذكرات وايزمان 73.

د ــ إضعاف وتبديد الطاقات العربية.

هـ ــ وضع أهداف مرحلية، طبقًا لما يُمكن أن يتحقق في كل مرحلة، بموازنة الاعتبارات الداخلية فيها، والموقف في المنطقة العربية، والموقف الدولي[1].

وقال وزير الحرب اليهودي موشى ديان: إن حدود إسرائيل تتغير تلقائيًّا حسب طبيعة نمو وتوسع إسرائيل [2].

والحرب العدوانية التوسعية في تخطيط اليهود نوعان: ساخنة أو (قتالية).. وباردة أو (صامتة أو ساكنة).

ففي إحدى إصدارات معهد بحوث القوات الجوية الأمريكية تحت عنوان: (respodinj to low tutensity conflict chllenjes) تناول الدكتور (levis ware) موضوع الصراع منخفض المستوى في الشرق الأوسط، ثم قال في نهاية بحثه: هناك حكمة يهودية تقول: إذا أمسكت بالأسد فلا تدعه يفلت منك وإلا التهمك [3].. ولهذا يعتدون على المسلمين مرة بالحرب الساخنة ومرة أخرى بالحرب الباردة ، ولا يدعونهم يفلتون من قبضتهم بعد.

وقال الدكتور عبد العزيز كامل: الاستراتيجية اليهودية تقوم على التوسع والسيطرة، بالسلم أو بالحرب، ولما كانت الحرب غير قابلة للاستمرار على الدوام (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله) (المائدة: 64)، فكان لا بد من صور أخرى لحرب صامتة وساكنة (باردة) إلى جانب نمط الحرب الصارخة والساخنة، بحيث يظلون في حالة استنفار دائم، يمكِّنهم من إرباك وإنهاك الخصوم، مرة بالقتال في الساحات، ومرات بالمراوغة وإضاعة الأوقات في المباحثات والمفاوضات.

---

(1) راجع: مجلة الهلال المصرية 124، عدد تذكاري، في أكتوبر عام 1976م.

(2) راجع: مذكرات المشير محمد عبد الغني الجمسي، حرب أكتوبر 1973م ص 283، ط. مكتبة الأسرة.. مصر.

(3) راجع: الجولة الإسرائيلية العربية السادسة 26، 27.. ومن قول هذا الباحث: إن خطورة الإسلام هي خطورة دائمة وممتدة، تُهدد إسرائيل والحضارة الغربية.

إن الأفعى اليهودية التي تقضم في غضون كل عقد زمني (منذ حرب 1918م) قضمة من أراضي المسلمين، تحتاج إلى هضمها بعد قضمها، في فترة من الهدنة أو (الاستراحة) التي تكفي لارتخاء القبضة، وترهل القوة عند (الأغيار) وما يسمح بوقت كافٍ للتجهيز لمرحلة جديدة، يفاجئون بها العرب من جديد، ويقلبون في وجوههم طاولات المفاوضات ــ كما حدث عام 2000م ــ وينكثون ما سبق أن أبرموا من عهود وعقود: (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) (البقرة: 100)[1].

جماعتي الحمائم والصقور.

ولتنفيذ هذه الاستراتيجية وهذيْن النوعيْن من الحروب قسَّم اليهود أنفسهم جماعتيْن اثنتيْن: الأول: جماعة "الحمائم".. والثانية: جماعة "الصقور".

فجماعة "الحمائم" يحملون وجهاً ماكراً خادعًا، ويتظاهرون باللين والحوار وطلب السلام، ويعقدون مع المسلمين المنكوبين تعاهدات السلام الخادعة.

ثم تأتي جماعة "الصقور" يحملون وجهاً كالحا متشدداً، ويغدرون وينقضون تعاهدات السلام المعقودة سلفًا، ويبدؤون المسلمين بالحرب الساخنة مرة بعد مرة.

فهؤلاء يعقدون التعاهدات السلمية الخادعة ثم يذهبون، وأولئك يأتون وينقضون هذه التعاهدات السلمية، ويعتدون على المسلمين، وفي كل مرة يحتلون مزيدًا من أرض الإسلام؛ ليُوسعوا بها دولتهم، ويدفعون بحدودها إلى الأمام [2].

وكل منهما يستخدم الحيل الماكرة، والشعارات الخادعة، فهذه الأرض لإيجاد (الحدود الآمنة)، وهذه الأرض لتحقيق (حدود يُمكن الدفاع عنها)، أو لإيجاد (النطاق الآمن)، وهنا أرض مشى فيها الأسباط الاثني عشر، وهناك أرض تقع في قلب التاريخ العبري، (إن القدس ليست لمجرد الإقامة، بل القدس هي الوجود)، (وإن ضم القدس

---

1() راجع: مجلة البيان عدد 211، ص 24، مقال: د. عبد العزيز كامل، صادرة عن المنتدى الإسلامي.

(2) هيئة الأمم المتحدة شيء من هذا الخداع، فإذا أصدرت هيئة الأمم قرارها ضد اليهود نقضه اليهود، وسكتت عنهم هيئة الأمم، أو يُوقفه حلفاؤهم بـ"الفيتو"، أما إذا أصدرت قرارها ضد المسلمين سارعوا إلى تنفيذه.

تحت الحكم اليهودي هو عمل من صنع الله، وإجراء تحُفُّه العناية الإلهية، فهو بذلك نهائي ولا يُمكن إلغاؤه)، و(القدس هي العاصمة اليهودية إلى الأبد)، إلى آخر هذه الأكاذيب والخرافات اليهودية الخادعة [1].

**الحرب الأولى: الحرب العدوانية الساخنة:** هي الحرب القتالية، وهي وسيلتهم الأساسية في التوسع، فإذا حققوا بها جزءًا من هدفهم، وأرهقوا العرب العلمانيين بتكاليفها هدأوا وشرعوا في الحرب الباردة.

ذكر المشير محمد عبد الغني الجمسي: أن (استخدام القوة العسكرية) هو حجر الزاوية، ووضعت إسرائيل استراتيجية استخدامها على أساس ثلاثة مبادئ رئيسية، هي: العمل الهجومي (أي البدء بالعدوان).. والحرب الخاطفة.. ونقل القتال إلى أرض العدو، تحت ستار ما أسمته بالحرب الوقائية، الأمر الذي يُحقق لها مطامعها التوسعية؛ ولذلك نظَّم الجيش الإسرائيلي على أساس قوة ضاربة تعتمد أساسًا على القوات البرية والقوات المدرعة [2].. والقوات الجوية أيضًا.

وقال ابن جوريون عام 1937م في الهستدروت: إن العرب لن يفهموا إلا لغة القوة، وأن التباحث معهم لا يُجدي، إنهم لابد أن يشعروا أن الصهيونية قوة يُحسب لها حساب، وأنها عامل حاسم في الموقف، وليست مجرد عنصر ثانوي [3].

وقال رئيس الوزراء اليهودي (مناحيم بيجن) في مطلع الثمانينات من القرن العشرين الميلادي: لن تكون لدينا القدرة الكافية على النمو إن لم نسوّ قضايا الأرض من موقع القوة، وعلينا أن نجبر العرب على الطاعة التامة [4].

---

(1) راجع: المؤامرة الإسرائيلية على العقل المصري. أسرار ووثائق 15، لحازم هاشم.. بتصرف يسير.

(2) راجع: مجلة الهلال المصرية 123، 124، عدد تذكاري، في أكتوبر عام 1976م.

(3) راجع: إسرائيليات 109، لأحمد بهاء الدين، دار الهلال.. مصر.. الهستدروت هو: اتحاد نقابات العمال.

(4) راجع: احذروا الصهيونية ص 114 .. وفلسطين في الميزان ص 85 .

ويذكر الخبراء أن لليهود دوافع لشن الحروب العدوانية المتلاحقة ضد المسلمين هو إيمانهم بقاعدة: (دفع الحدود إلى الأمام) حتى نهاية هدفهم السالف؛ استنادًا إلى معيار: القوة المتقدمة (the advanced power)، ومفاده: (أن القوة التي لا تتقدم فلابد أن تتقهقر)، و(أن الدولة التي لا تنمو من كل النواحي ــ بشريًّا وجغرافيًا وعسكريًّا ــ تنهار تدريجيًّا)؛ ولهذا فاليهود سيخوضون حربًا يبدؤونها ضد المؤمنين في كل عقد من الزمان، وتُصاحب هذه الحرب عملية طرد تدريجي للسكان أصحاب الأرض الأصليين، واستيلاء على أرضهم وديارهم[1].

واليهود منذ احتلوا فلسطين، وهم قائمون بالاعتداء على المؤمنين مرة بعد مرة في فترات متقاربة، فمنذ عام 1918م وهم يبدءون المسلمين بالحرب العدوانية، واحتلال القرى والمدن الفلسطينية بقتل وتشريد أهلها مرة بعد مرة، في قرى (دير ياسين، وقلقليا، وعكا، وحيفا، وتل الربيع... وغيرها)، ثم بدءوا المسلمين بالحرب في عام 1956م، وفي عام 1967م، وفي عام 1982م، وفي عام 1991م، وفي عام 1993م، وفي عام 2003هـ... الخ. وفي كل مرة يحتلون مزيدًا من أرض الإسلام.

قال الدكتور جمال عبد الهادي: إن ما جرى من أحداث في الخليج العربي عام 1411هـ = 2/ 8/ 1990م، وما وراءها هو توطئة وتمهيد لتحقيق هذه الآمال والأطماع اليهودية غير المشروعة [2].

وذكر الكاتب المصري فهمي هويدي: أن الوزير الأمريكي (كولن باول) أعلن على الملأ أن الحرب على العراق لها ثلاثة أهداف، هي: إسقاط النظام العراقي.. وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط.. وإغلاق ملف القضية الفلسطينية.

ومن قبل قال وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (هنري كيسنجر): إن الطريق إلى القدس يمر ببغداد، التي عبَّرت عن تصور أن إسرائيل لن يهدأ لها بال، ولن تستقر في

(1) راجع: الجولة الإسرائيلية العربية السادسة 19، سلسلة قراءة في فكر علماء الاستراتيجية، الكتاب الأول.

(2) راجع: إدارة الصراع العربي الإسرائيلي 22، د. جمال عبد الهادي وزميله، بتصرف.

مدينة القدس التي يعتبرها الحلم الصهيوني عاصمة لأرض الميعاد إلا إذا كسرت بغداد بما تُمثله من رمز وقوة للعرب، وربما كان الدافع إلى ذلك هو اقتناع (كيسنجر) بأن القوة العراقية تُؤرق إسرائيل.

وأكد الباحثان (ستيفان وولت) من جامعة (هارفارد)، و(جون مارشهايمر) من جامعة (شيكاغوا): أن الضغط الإسرائيلي كان عاملًا حرجًا أدى إلى شن الحرب على العراق [1].

هذا، وقد عرَّفنا الله تعالى في كتابه الكريم بهذا الخُلُق والسبيل اليهودي في قوله سبحانه: (كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا الله) (المائدة: 64).

ومعناه: أن العدوان خُلُق مركُوز في الشخصية اليهودية، يتكرر معها ولا يتغير، ويُلازمها ولا ينفصل عنها، وقد توعَّدهم الله تعالى بأن يُطفئ حربهم بهزيمتهم، حتى يخرَّ عليهم السقف من فوقهم.

**الحرب الثانية: الحرب العدوانية الباردة (أو الصامتة أو الهادئة أو النائمة).**

وإذا وجد اليهود أن حربهم الساخنة قد أرهقت العرب، ووجدوا أن العرب قد تهيئوا لقبول الخداع، وغيَّروا أو عدَّلوا مسار تصرفاتهم المُستقبلية بما يتوافق مع الهدف اليهودي اشتغلوا بحرب أخرى أشد فتكًا، وهو: الحرب الباردة، وفيها يأخذون قسطًا من الراحة، ليهضموا ما اغتصبوه، ويُعيدون ترتيب قوتهم؛ للنهوض بحرب ساخنة أخرى.. ولهذه الحرب الباردة طريقتان: خدعة تعاهدات السلام.. وتفريغ المجتمع الإسلامي من قوته الذاتية.. وهاكم بيانهما بإيجاز:

**أولًا: خدعة تعاهدات السلام.**

والتاريخ العلماني العربي شاهد صدق بأن تعاهدات السلام بين العرب واليهود

(1) راجع: الغرب والإسلام وفلسطين356، 357، لمحمود طالب النمورة، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

حرب يهودية خادعة، وفيها يُعدِّل العرب مسار صراعهم ضد اليهود، ويُقدِّمون لهم التنازلات عن مزيد من الأرض.. فما رفضوه بالأمس يقبلونه اليوم أو غدًا، فبينما رفض العرب قبل نكبة عام 1967م قرار الصليبيين بتقسيم فلسطين عادوا بعد النكبة عام1967م وقبلوه بالتدريج، وقدموا لليهود التنازلات بالسكوت عن هذا القرار، وقالوا: بالعودة إلى حدود ما قبل نكبة عام 1967م، ثم عادوا وتنازلوا عن مقولتهم هذه، وسعوا بإلحاح لقبول اليهود السلام معهم على الحال الذي هم عليه (الأرض مقابل السلام!)، ثم تكررت وتوالت تنازلاتهم إلى اليوم في ظل: (الأرض مقابل السلام)، تحت زعم: ضغط الأمر الواقع الذي لا يُستطاع تغييره.

فليس بغريب أن يعرف اليهود هذه الانهزامية والانسحابية في العلمانيين العرب، قال الفلسطيني ناصر الدين النشاشيبي: في عام 1979م سمعت أبا إيبان (المسئول اليهودي) يخطب في الجمعية العمومية للأمم المتحدة بنيويورك، ويقول: نحن نعرف حقيقة العرب، وأوضاع المنطقة، وأسرار شعوبها أكثر من غيرنا، إنهم سيرفضون شروط الصلح غدًا كي يعودوا ليقبلوها بعد غد.. إنهم يُرددون اليوم بكلمة: لا، ليتنازلوا عنها غدًا.. ولكنهم في النهاية سيرضخون ويقبلون ويستسلمون [1].

وهذا ما حدث.. قال أحد الباحثين: بعض أطراف الصراع العربي الإسرائيلي قد آثر السلامة والسلام الواقعي (DEFAVTO) مع إسرائيل منذ عام 1967، واتبعوا "استراتيجية السلام" وأن حرب أكتوبر 1973م هي آخر الحروب، وتم تسجيل هذه الاستراتيجية في صورة معاهدة سلام، وبدأ تطبيقها منذ عام 1979 [2].

ولهذا يذكر الباحثون: أن قادة إسرائيل لا يرون تعارضًا منطقيًّا بعرض السلام في الوقت الذي يلجؤون فيه لاستخدام القوة المسلحة، ويعتبر القادة الإسرائيليون أن

---

(1) راجع: مجلة المجتمع الكويتية في 6 / 6/ 1979م.

(2) راجع: الجولة الإسرائيلية العربية السادسة 13.

الضربات العسكرية هي بمثابة إشارات تحذيرية كي يُعدِّل العدو (المسلمون) مسار تصرفاته المُستقبلية بما يتواءم مع أهداف اليهود تجنبًا لما ينزل به من عقاب.

ويذكرون: أن أحد المسئولين الإسرائيليين قال لجريدة (ها. آرتس) الإسرائيلية في يناير سنة 1987م: لا سلام يدوم إلى الأبد، إن الاستقرار الدولي والإقليمي يقوم على قواعد اللعبة قوامها الردع المستمر[1].

وفي هذه الحرب الباردة أو الصامتة يتحول العداء والعمل لأجل التحرير إلى الرضا بالاحتلال، وجعله طبيعيًّا مُعتادً على مستوى القادة، ثم على مستوى القاعدة الشعبية، وهو ما يُسمى بـ (التطبيع)، ويكون "المقصود به في الأساس هو الإحاطة بالمحيط الشعبي ليدخل التطبيع بكل سوءاته في جملة مسلَّماته.

وفي ظل هذا التطبيع سيُطلب من العرب ألا يتحرجوا من وضع كلمة (إسرائيل) بدلاً من (فلسطين وغيرها) على الخرائط في الكتب والصحف والمجلات وشاشات الفضائيات وغيرها، وسيكون مطلوباً منهم تبادل الكلمات الودية تحت قبة الكنيست الإسرائيلية (التي تحمل في واجهتها الحدود التوراتية لإسرائيل)....

ليس المطروح في مشاريع الحرب الصامتة: أن يكون التطبيع مجرد (مرحلة) من هدنة يقبل بها العرب اضطراراً، بسبب ضعفهم (المؤقت) كما يفهم بعض من يُفتون بجواز التطبيع بعد السلام، ولكن المطروح أن يكون هذا التطبيع ذا أثر جذري في تغيير العقليات والنفسيات، حتى تقتنع بعد عجزها وكسرها؛ بتفوق العدو، واستحالة قهره، مع حسن الظن في «تحسن» خُلُقه واستمالة قلبه من أجل سلام (دائم وشامل)"[2].

وأقول: مهما خطب العلمانيون العرب وُدّ اليهود، وعقدوا معهم تعاهدات السلام الخادعة، والتنازلات لهم بما يشتهون فلن يسكت عنهم اليهود، وسيبدؤونهم بالحرب العدوانية الساخنة والباردة؛ ليصلوا إلى الحدود التوراتية التي يسعون لها.

---

(1) راجع: الجولة الإسرائيلية العربية السادسة 12.

2() راجع: مجلة البيان عدد 211، ص 24، د. عبد العزيز كامل.. بتصرف يسير.

**ثانيًا: تفريغ العالم الإسلامي من قوته الذاتية.**

وفي الحرب الباردة يشتغل اليهود بتفريغ المجتمع الإسلامي من قوته الذاتية.

ويكون هذا بتفريغ المجتمع المسلم من ثقافته التي تُكوِّن شخصيَّته وقوته الذاتية، بفتح أبواب الفتن، مثل: إفساد رجاله ونسائه بالفساد الأخلاقي والمخدرات، وبالاستبداد وبالنظريات الفكرية الفاسدة، كالعلمانية، ونظرية (سيجموند فرويد) في علم النفس، ونظرية (كارل ماركس) في العقيدة.. الخ.

قال اليهود: لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلي للقوانين السارية من قبل، بل بتحريفها في بساطة، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشترعوها [1].

* ــ ذكرت دراسة بمركز (جافي) للدراسات الاستراتيجية 15/ 12/ 1989م: أن ثقافة السلام لتستهدف عقيدة المسلمين بالدرجة الأولى.. فهي صد عن سبيل الله، ومحاولة لنزع شوكة المسلمين وإبعادهم عن أداء فريضة الجهاد، والتي لا تسقط عن الأمة في حال ضعفها ولا في حال قوتها، فالجهاد ماض إلى يوم القيامة [2].

وعقب الحرب الإسرائيلية على لبنان عام 1427هـ = 2006م فاجأ الحاخام اليهودي (مردخاي فرومان) مستمعيه في المعبد بأنه يملك حلاً قوياً؛ لإنهاء الصراع اليهودي مع الإسلام إلى غير رجعة، وذكر في خطبة له: أن تبذل الدوائر الصهيونية في إسرائيل والعالم كله جهدها؛ لعلْمَنة المجتمع الإسلامي، بحيث يتم القضاء على تعاليم وتاريخ الإسلام في شخصية وحياة المسلم، عن طريق نشر الإباحية وثقافة الجنس والدعارة والمخدرات ونحو ذلك بشتى الوسائل [3].

---

(1) راجع: الخطر اليهودي بروتوكولات رؤساء صهيون، البروتوكول رقم 9، ص: 178.

(2) راجع: الجولة الإسرائيلية العربية السادسة 25.

(3) راجع: جريدة عقيدتي 5/ 8/ 1427هـ- 29/ 8/ 2006م.

هذا النوع من الحرب الباردة هي أخطر أنواع الحروب على الأمة، كما قال الكاتب التشيكي (ميال كندورا): إن الثقافة هي ذاكرة الشعب، وتفريغ أمة من ثقافتها، أي من ذاكرتها وأصالتها يعني الحكم عليها بالموت [1].

وإذا كانت الحروب الساخنة هي أقصر الطرق للسيطرة على الأرض؛ فإن الحروب الساكنة (الباردة) هي أضمن الطرق للهيمنة والاستحواذ على ما فوق هذه الأرض .. وإن تعاهدات السلام والتطبيع ــ على النمط الإسرائيلي ــ هو الوسيلة المثلى في ذلك؛ لأنه يقرِّب من القدرة على الاختراق في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية والإعلامية والأمنية [2].

هذه الحرب الباردة يُشير إليها قول الله تعالى: (وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً والله لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) (المائدة: 64).

وقول الله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاء وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (آل عمران: 99).

وقد ذكر الله تعالى سعي اليهود بالفساد بالفعل: (وَيَسْعَوْنَ) (تَصُدُّونَ) (تَبْغُونَهَا) الذي يُفيد التجدد والاستمرار؛ ليُبيِّن أن سعيهم في الأرض بالفساد طبيعة مركوزة في شخصيتهم، تُلازمهم ولا تُفارقهم متى كانوا في أي عصر وفي أي مكان.

ويذكر الله تعالى إفساد اليهود بصيغة التنكير (فَسَاداً).. (عِوَجاً) للبيان بأن إفسادهم يشمل كل أنواع الإفساد والعوج، وهو عمل يُحرمه الله تعالى، ولا يُحب القائمين به، كما يقول سبحانه: (والله لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ).

استخدام الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

هذا، والذي لاحظته أن اليهود لا يتورعون عن استخدام أقبح الوسائل لتحقيق

---

(1) راجع: المؤامرة الإسرائيلية على العقل المصري. أسرار ووثائق 15، لحازم هاشم. ط. مكتبة الأسرة.. مصر.

2() راجع: مجلة البيان عدد 211، ص 24، د. عبد العزيز كامل، صادرة عن المنتدى الإسلامي.

هدفهم، ولا يُبالون برضي الناس أو غضبهم، شعارهم: (الغاية تُبرر الوسيلة)، كما قال رؤساؤهم في تخطيطهم: إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ــ ونحن نضع خططنا ــ ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد[1].

وقالت جولدا مائير: كان ابن جوريون (رئيس إسرائيل) يُؤمن بالحركة، وكان يرى أن المهم في النهاية هو ما يفعله الإسرائيليون، وكيف يفعلونه، وليس مهما ما يظنه العالم في الخارج أو يقوله عنهم، وكان سؤاله لنا دائمًا عند عرض أي موضوع عليه: هل سيخدم في المدى الطويل دولة إسرائيل؟.. وكان يرى أن التاريخ سيحكم على إسرائيل بأعمالها لا بعدد المقالات المؤيدة لها في الصحافة العالمية، وكان ينظر إلى الرأي العام العالمي، بل وحتى الرأي العام اليهودي على أنها أمور غير مهمة [2].

(1) راجع: الخطر اليهودي = بروتوكولات حكماء صهيون، في البروتوكول 1 (ص: 116)، ترجمة خليفة التونسي، ط. دار الكتاب العربي.. بيروت.. ولو قال: بروتوكولات رؤساء صهيون لكان أوفق.

(2) راجع: حياتي.. قصة حياة جولدا مائير. رئيسة وزراء إسرائيل115، 209، 210.

## هدف المعركة المُرتقبة: تحرير فلسطين كل فلسطين.

ويجب أن يتركز هدف المؤمنين في معركتهم المُرتقبة: وهو تحرير القدس وفلسطين، فإن تحريرها في الإسلام فريضة وضرورة.

### ١ ـ تحرير فلسطين فرض عيْن على كل مسلم.

أما إن تحرير القدس وفلسطين فرض عيْن على كل مسلم، بداية من أهلها ـــ القائمين فيها والبعيدين عنها ـ ثم الأقرب منهم فالأقرب حتى يشمل العالم الإسلامي كله؛ يقول الله تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) (البقرة ـ 190: 193).

قوله تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ).. (وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ)، كل منهما أمْر يُفيد وجوب القتال وجوبًا عيْنيًّا؛ لإخراج المعتدين من أرض الإسلام التي أخرجونا منها، (إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» [1].

يقول الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة: 216).. قوله سبحانه: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ) أي فرض عليكم.

قال القرطبي: قال أبو عبيدة: (وَعَسَى) من الله إيجاب، والمعنى: عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة، وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون،

---

1 () أخرجه البخاري 2783، ومسلم 1353، وغيرهما.

ومن مات مات شهيدًا، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم.

قلت: وهذا صحيح لا غبار عليه، كما اتفق في بلاد الأندلس: تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟، وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته [1].

وقال ابن القطان في مسائل الإجماع: واتفقوا على أن دفع الكفار وأهل الشرك عن بيْضة (أرض) المسلمين وحريمهم إذا نزلوا على المسلمين فرضٌ [2].

ويتوعَّد الله تعالى المؤمنين الذين يقعدون عن الجهاد في سبيل الله تعالى مع وجوبه وضرورته بعقابه الأليم، فيقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ الله اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التوبة: 38، 39).

وعذاب الله تعالى المذكور هو عذاب الهزيمة والذل، واحتلال الأرض، وقتل الكرامة، وعذاب الاستبدال في الدنيا والآخرة.

وذات العقاب الإلهي يُنزله الله تعالى على المؤمنين الأشحاء عن الإنفاق على الجهاد في سبيل الله، يقول الله تعالى: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَالله الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد: 38).

أي أن الذي يبخل بماله كالذي يبخل بنفسه، لا يضر إلا نفسه ووطنه، ففضلاً عن حرمان نفسه من مثوبة البذل يحرم دولته من أهم أسباب قوتها؛ مما يُؤدي إلى ضعفها وهزيمتها.

---

1 () راجع: تفسير القرطبي 3/ 417، 418، تحت الآية الكريمة.

2() راجع: الإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان 2 / 4 ط دار الكتب العلمية .. بيروت .

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ ﷺ: إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ (بيع فاسد مُحرم) وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » [1].

والحديث يُنبِّه ويُحذِّر من عدد من الموبقات، إذا اجتمعت في المسلمين وصارت همُّهم وهِمَّتُهم أوْهنتهم وأهْلكتهم، وهي: ركونهم إلى أعراض الدنيا، واهتمام كل واحد منهم بشئونه الدنيوية الخاصة، التي تتمثل في أخذ كل واحد منهم بـذَنَب بقرته، واكتفوا بهذا وتركوا الجهاد في سبيل الله؛ لتحرير أرضهم المحتلة.

وقد قال بعض السلف: مَا أَهْوَنَ الْعِبَادَ عَلَى الله إِذَا أَضَاعُوا أَمْرَهُ! ، وَقَالَ تَعَالَى: (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ) [إِبْرَاهِيمَ: 19، 20] [2].

وجعل رسول الله ﷺ هذا بمنزلة الخروج عن تعاليم الدين، بما يُضعف الإيمان في القلوب؛ لمزيد من التقريع والزجر والتحذير، كما قال المناوي في الفيض: «حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» أي ترجعوا إلى الاشتغال بأمور دينكم، وأظهر هذا في تعبير بديع لمزيد الزجر والتقريع حيث جعل ذلك بمنزلة الردة والخروج عن الدين [3].

والحديث بهذا المعنى يُوجب أو يقتضي وجوب القيام بالجهاد في سبيل الله؛ لرد الاعتداء، وتحرير الأرض المحتلة (في فلسطين وغيرها)، وتسخير كل ما يملكه المؤمنون في دنياهم من زرع وضرع وصناعة.. الخ؛ لإقامته والانتصار فيه .

## تحرير فلسطين تُوجبه الضرورة والمصلحة.

ومن ناحية أخرى فإن الجهاد لنُصرة أهل فلسطين وتحرير أرضهم الإسلامية تُوجبه الضرورة، وتُحتمه المصلحة؛ لرعاية الأمن والوجود الإسلامي في بلاد الإسلام؛ حيث أن

---

1 () صحيح .. أخرجه أبوا داود 3462، وأحمد 5007، والبيهقي في الكبرى 10703، وغيرهم.

(2) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 2/ 383، تحقيق د. محمود البنا وزميليْه، ط. دار الشعب .. مصر .

3 () راجع: فيض القدي بشرح الجامع الصغير 1 / 314، رقم 424، للإمام المناوي، ط. دار الفكر.. بيروت.

احتلال فلسطين ــ وخاصة بهذا الجسد اليهودي ـــ يُهدد الأمن القومي للأقطار الإسلامية المحيطة بها (ولا سيما مصر الحبيبة)؛ فهو يُصيبها حتمًا بالتفرق والقلق والاضطراب والتخلف، ويمنْع وحدتها واستقرارها وتقدمها، ويُمكِّن الأعداء من احتلال الأقطار المجاورة لفلسطين ـــ مصر والعراق وسوريا ولبنان والأردن ـــ، واغتصاب ثرواتها، وقتل أهلها وتشريدهم في الأرض.

ومما نُؤكده مرة أخرى: إن فلسطين هي البوابة الشمالية لمصر، وهي البوابة الرئيسة الواصلة بين قارتي إفريقيا وآسيا، ونُصرة أهل فلسطين حماية للأمن القومي المصري والعربي؛ فإن اليهود إذا فرغوا من احتلال فلسطين، واطمئنوا إلى بقائهم واستقرارهم فيها آمنين سينطلقون منها إلى مصر والأقطار الإسلامية المحيطة بها في إفريقيا وآسيا، ليُقيموا ــ بالتدريج ــ دولتهم: (إسرائيل الكبرى) كما ذكرناها من النيل إلى الفرات، ومن الأرز إلى النخيل.

ونستفيد مما سبق: إن حماية الأمن القومي لمصر والأقطار العربية المُحيطة بفلسطين لن يتحقق إلا بنُصرة أهل فلسطين، وتحرير فلسطين ــ كل فلسطين ـــ من الاحتلال الأجنبي.

ولهذا فإن تحرير فلسطين ــ كل فلسطين ـــ يُوجبه الإسلام، وتُحتِّمه المصلحة والضرورة للأقطار الإسلامية.

## معركة التحرير قادمة.. قادمة.

فما دامت أرض القدس وفلسطين إسلامية خالصة.. وما دام اليهود قد اعتدوا عليها واحتلوها.. وما داموا قائمين باعتدائهم واحتلالهم، وما دام الإسلام يُوجب على المؤمنين تحريرها ورد اعتداء المعتدين عنها.. ما دام الأمر هكذا فإن حرب تحريرها قادمة.. قادمة، وإن استبعدها الكارهون.

ولهذا فإني أصيح للإعلام والإنذار، وأدق ناقوس التنبيه والاستنفار: إن الحرب بين المؤمنين واليهود المعتدين لتحرير القدس وفلسطين قادمة.. قادمة.. ومهما حاول المسلمون تجنب هذه الحرب أو تفاديها، إنْ بالتنازلات والتعاهدات السلمية، وإنْ بالسكوت والخذلان، وطلب السلامة فسيبدؤهم اليهود بها ــ بالحرب ــ مرة بعد مرة؛ ليحتلوا مزيدًا من الأقطار الإسلامية؛ ليصلوا إلى الحدود التي يُريدونها.

وفي ذات الوقت لن يقبل المسلمون ــ وخاصة في مصر الحبيبة ـــ الاعتداء على أرضهم وأهليهم، ومهما قيل عن ضعف المسلمين فسيردون بالدفاع والتحرير، وإن سكتت عنه طائفة منهم لأسباب عندها فستقوم به طائفة أخرى.

ولهذا أقول: ليست التعاهدات السلمية بين العلمانيين العرب واليهود دائمة، ولا حرب رمضان 1993هـ = أكتوبر 1973م آخر الحروب.

وليس هذا ضربًا من الأوهام، ولا نوْعًا من الكهانة أو التنبؤ بالغيب، إنما هو قراءة في أخلاق اليهود وسيرتهم وأطماعهم في أقطار الأمة الإسلامية، وقراءة لسنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول ولا تتخلف، كما يقول الله تعالى: (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تَحْوِيلاً ) (فاطر: 43).. وقد قال القائل:

إن الهلال إذا رأيت نموه * أيقنت أن سيصير بدرا كاملا!.

**وهذا للأسباب الآتية:**

**أولًا: الوحي الإلهي المعصوم (في القرآن الكريم والسنة النبوية).**

* ــ ففي القرآن الكريم يُوجب الله تعالى على المؤمنين (الدولة والمؤسسات والشعب) الجهاد في سبيل الله؛ لدفع الاعتداء عن المؤمنين، وتحرير أرضهم المحتلة.. ويُحرِّم عليهم الرضا بالهوان والذُّل، والاستسلام للعدو.

ودليل هذا قول الله تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ) (البقرة ــ 190).. (وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ) (البقرة ــ 191)..(فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ) (البقرة ــ 191).. وهذه كلها أوامر صريحة تُفيد وجوب الجهاد في سبيل الله؛ لدفع اعتداء المُعتدين، وتحرير أرض الإسلام المحتلة، ولم يصرفها عن الوجوب صارف.

ويقول سبحانه: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ) (البقرة: 216).

فمعنى قوله ه تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ) أي فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ.. قال الشيخ صلاح أبو إسماعيل: معناه: أن حرب أكتوبر ليست آخر الحروب مع إسرائيل [1].

ويقول سبحانه: (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) (آل عمران:75).

والقول الكريم يعني اليهود دون غيرهم؛ فهم الذين يقولون إلى اليوم: (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ).. ومعناه: أن اليهود لن يتركوا للمؤمنين أرضهم التي احتلوها في القدس وفلسطين وغيرها تبرعًا بغير قتال، أو هبة بغير تضحيات، إنما سيتركونها إذا ظل المؤمنون قائمين عليهم بالجهاد في سبيل الله مرة بعد مرة؛ لتحرير أرضهم المحتلة، كما يُفيده الاستثناء في قول الله تعالى: (لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً).

والتاريخ المعاصر خير شاهد، فاليهود لم يتركوا سيناء المصرية لأهلها (الشعب المصري) إلا بالحرب الساخنة في رمضان عام 1393هـ = 10/ 1973م.

---

1 () راجع: حقائق ومواقف البرلماني صلاح أبو إسماعيل 230، لسعيد سراج الدين.

ذكر الشيخ محمد أبو زهرة: أن الله سبحانه وتعالى عبر عن هذه الملازمة بقوله تعالى: (إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) أي إلا إذا استمررت مطالبًا له مصممًا على أن يؤدى مشرفًا عليه في غدوه ورواحه.. و(دام) معناها: استمر، و(قائمًا) معناها: ملازمًا متتبعًا [1].

* ــ وفي السنة النبوية جاء عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنِي سَئِمْتُ.. أو أَسَمْتَ (تركت) الْخَيْلَ (ترعى)، وَأَلْقَيْتُ السِّلاَحَ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وقُلْتُ: لاَ قِتَالَ .. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ^: «الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَرْفَعُ الله قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ، وَيَرْزُقُهُمُ الله مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلاَ إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » [2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ^ يقول: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ الله، لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا، تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَتْ حَرْبٌ نَشَبَتْ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ، يَرْفَعُ الله قَوْمًا وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ» [3].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ».. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَأَيْنَ هُمْ؟.. قَالَ: «بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» [4].

---

(1) راجع: زهرة التفاسير 3 / 1280.

(2) صحيح.. أخرجه أحمد 16965، والنسائي في الكبرى 4401، والطبراني في الكبير 6358، وغيرهم.

(3) صحيح.. أخرجه البخاري في تاريخه 4/ 248، وأبو نعيم 14003، والطبراني في الأوسط 7948، وغيرهم.

(4) صحيح... أخرجه أحمد 22320، والطبراني في الكبير 7643، وفي مسند الشاميين 860، وغيرهما.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ يقول:

«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» [1].

وهذا يُفيد أن القتال بين المؤمنين واليهود سيتكرر حتى يُحرِّر المسلمون أرضهم.

قال رسول الله ﷺ هذه الأحاديث في وقت كان اليهود والنصارى ضديْن لا يلتقيان؛ وعدويْن لا يصطلحان، فكان الصليبيون يضطهدون اليهود اضطهادًا لا نظير له، لأن الإنجيل الذي بين أيديهم أخبرهم أن اليهود قتلة السيد المسيح[2]، وكان اليهود لا يجدون ملاذًا آمنا يؤوون إليه، ولا كهفًا حنونًا يحتمون به سوى الدولة الإسلامية، فعاشوا فيها آمنين، وقد أعطاهم المؤمنون ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة المؤمنين ثلاثة عشر قرنًا من تاريخ الإسلام؛ باعتبارهم أهل كتاب، حى قال أحد الكاتبين: لولا الإسلام لفنيت اليهودية (!!!).

وفي عصرنا تغير هذا الحال القديم، فقد ضعف المسلمون وتفرقوا، وتوافق اليهود والصليبيون، واستعان اليهود بالصليبيين ـــ لأول مرة في تاريخهم ـــ واغتصبوا بهم فلسطين المسلمة، وأقاموا عليها دولتهم (إسرائيل) بالبغي والعدوان، وقتلوا وشردوا المؤمنين منها ـــ وهم أهلها الشرعيون ـــ وحوَّلوا مساجدها إلى ملاهي وحظائر

---

(1) صحيح... أخرجه البخاري 2926، ومسلم 7268، وغيرهما.. وشجر الْغَرْقَدُ: نوع من شجر الشَّوْكِ أو شجر العضاة، مشهور ببلاد بَيْتِ الْمَقْدِس، وَمِنْهُ قِيل لِبَقِيعِ أَهْل الْمَدِينَةِ: بَقِيع الْغرقد، لِأَنَّهُ كَان فِيهِ غَرقد وَقُطع.

(2) قالت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في مذكراتها: ما زالت ترن في أسماعي بوضوح تلك الأحاديث عن مذبحة سوف تحل بنا.. وكنت أعرف أنها تتصل بكوننا يهودًا، وبالرعاع الذين كانوا يجتاحون المدينة بحثًا عن اليهود مُلوِّحين بالسكاكين والعصي، وهم يصيحون: قتلة المسيح (راجع: قصة حياة جولدا مائير 91).

للحيوانات، ومساكن يهودية، وغدا المسجد الأقصى تحت أيديهم أسيرًا، ويعملون لهدمه؛ ليبنوا على أنقاضه معبدهم الوثني المزعوم (هيكل سليمان) [1].

* ــ والأحاديث المذكورة إن جاءت في صورة أخبار مُبَشِّرة بالنصر والتحرير فقد حملت في طيِّها أمرًا للمؤمنين (الدولة والمؤسسات والشعب) بأن يقوموا بالجهاد في سبيل الله، ولا ينقطعوا عنه حتى يُحرروا أرضهم المُحتلة، وإن عجزت عن هذا الجهاد الدفاعي طائفة (جيل) منهم أو تخاذلت عنه فيجب أن يقوم به جيل آخر أو طائفة أخرى، ولا يثنيها عنه ما أصابها من متاعب، والله تعالى يقول: (فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ) (الأنعام: 89).

وهذا نفهمه من رواية أبي هريرة: (تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَتْ حَرْبٌ نَشَبَتْ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ).

نعم، هذا الجيل أو هذه الطائفة المجاهدة قد يصيبها أذى من أعدائها، أو من بعض المسلمين المتخاذلين، بترك نصرتها، أو باضطهادها، وموالاة أعدائها، لكنها ستبقى، أو يجب أن تبقى قائمة بجهادها.. ثابتة على استخدامها أسباب القوة والنصر.. ثابتة على إخلاصها لله تعالى، واستغاثتها به سبحانه حتى يرزقها الله مدده ونصره، كما جاء في رواية أبي إمامة: (لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ، حَتَّى يَـأْتِيَهُمْ أَمْـرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ).. وفي رواية سلمة بن نفيل: (ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ... فَيُقَـاتِلُونَهُمْ وَيَـرْزُقُهُمُ الله مِنْهُمْ (أي الغنيمة) حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُـمْ عَلَـى ذَلِـكَ).. وكذا في رواية معاوية، ورواية أبي أمامة).. والله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: 7).

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة، فإن هذا الوصف ما زالوا يحملونه منذ زمن النبي ﷺ إلى الآن، ولا يزال ــ قائمًا بهم ــ حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث [2] .. أي إلى يوم القيامة.

---

(1) راجع كتابنا: القدس والوعد المفترى.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم 13/ 69، تحت رقم 4927.

وبهذا كله نوقن أن الحرب بين المؤمنين (الدولة والمؤسسات والشعب) واليهود المعتدين قادمة.. ومهما حاول الضعفاء والمتخاذلون من العلمانيين العرب الاستجابة للتخاذل فلن يفعلوا شيئاً سوى تأجيلها إلى حين، لكنها قادمة.. وفي هذا المكان، في فلسطين وما حولها، كما يدل عليه الحديث في تعيين مكان الطائفة المجاهدة: ( وَهُمْ بِالشَّامِ.. وفي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ).

ومهما يكن من اعتداء اليهود على المؤمنين فإن المؤمنين المجاهدين في هذه المعركة شجعان غير جبناء، ويخوضون المعركة ضد عدوان اليهود تحت راية الإسلام، ويُلقون عن أنفسهم رايات الجاهلية ونُعراتها التي أوْهنتهم دهورًا، كالقومية والاشتراكية والليبرالية، وغيرها، ولهذا جاء في الحديث: أن الحجر والشجر يناديهم بوصفهم مسلمين عبادًا لله وحده، فيقول: "يا مسلم، يا عبد الله"، ولا يقول: يا مصري، ولا يا سوري، ولا يا مغربي، ولا يا اشتراكي.. إلخ.

وفي هذه المعركة يمد الله تعالى المؤمنين المجاهدين بمدد من عنده، ويسخر لهم الجمادات والنباتات والحيوانات جنودًا لهم، ويرزقهم الغلبة والنصر، ويمكنهم من إزالة علو اليهود المعتدين واحتلالهم، ولا يجد اليهود من دون الله وليًا ولا نصيرًا.. لا يجدون غير الأشجار والأحجار يختبئون خلفها، ويحتمون بها، ظنًا منهم أنها تمنعهم من بأس الله الذي جاءهم بأيدي المؤمنين، ولكنها تكشفهم، وتخبر المؤمنين عنهم، وتنادي المؤمن: يا مسلم.. يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله!!.

**ثانيًا: اليهود هم الذين سيبدؤون المسلمين بالحرب.**

والذي يُؤكد وقوع الحرب القادمة بين المؤمنين واليهود المعتدين اعتداء اليهود على المؤمنين واحتلال أرضهم، وهم الذين سيبدؤون المؤمنين بالحرب مرة بعد مرة ليُحققوا هدفهم.. وقد وضعوا استراتيجيتهم في احتلال الأرض بالحرب العدوانية المتكررة (ساخنة وباردة)، كما ذكرناه!.

**ثالثًا: شهادة خبراء العسكرية بحتمية الحرب القادمة.**

ولهذا يُؤكد خبراء العسكرية بأن الحرب الساخنة بين اليهود والمسلمين قادمة.

* ــ ففي الجانب الصهيوني.. قال رئس الوزراء الإسرائيلي (إسحاق شامير) في تصريح له يوم 18/ 2/ 1992م (أي بعد مؤتمر مدريد): إن على العرب أن يقبلوا بوجودنا في كل إسرائيل الكبرى، وطالب الجيش الإسرائيلي بالاستعداد لحرب قادمة في المدى المتوسط.

ــ وفي مطلع عام 1995م كرَّر رفيقه إسحاق رابين نفس الكلمات تقريبًا [1].

ــ والخبير اليهودي (إيهود إيلام) الذي عمل مُستشارًا لوزارة الدفاع الإسرائيلية، وتخصص في شئون الأمن الإسرائيلي لمدة (30) عامًا كتب في الأعوام الأخيرة كتابًا بعنوان له دلالته: (الحرب القادمة بين مصر وإسرائيل)، وأكد فيه توقعه بقيام حرب قادمة بين العرب وإسرائيل، لأسباب ذكرها، وأنها ستكون على أرض سيناء المصرية، ووضع فيه تصوراته لشكل الحرب المقبلة بين مصر وإسرائيل؛ باعتبارها أمراً واقعاً قائماً قائماً، لا فائدة ترجى من التحايل على وجوده أو تجاهله، أو التظاهر بأن حالة السلام البارد بين البلدين يمكن أن تقلل من إمكانية اندلاع الحرب بينهما.

وقال: إن هذه الحرب ستكون حاشدة مكثفة بين مصر وإسرائيل وحدهما، بعد التدهور العربي الشامل، ففي سوريا حرب أهلية، وفي العراق تعجز الدولة عن الحفاظ على وحدتها، ولدى الأردن مشكلاته الخاصة، أمَّا الخليج فمشغول بإيران.

وأكد الكاتب في كتابه هذا على ضرورة استعداد إسرائيل للمواجهة المحتملة مع مصر دون إهمال الجبهات الأخرى، وعلى رأسها إيران وحزب الله مع التركيز على تنمية

---

(1) راجع: بيت المقدس بين المواثيق الدولية والأطماع الصهيونية 96، د. جمال عبد الهادي، وعبد الراضي سليم.

قدرات القتال التقليدية لجيش إسرائيل.. وكتب اقتراحاته بما يُمكن أن تفعله إسرائيل في هذه الحرب المُقبلة.

وقال ذات الكاتب (إيهود إيلام): «في منتصف يناير 2012، عقب إجراء المناورة المصرية «ناصر -6» فى سيناء، قال الفريق محمود حجازي، رئيس أركان الجيش المصري الثاني الميداني وقتها، إن هذه المناورة جاهزة للتنفيذ في حالة حدوث هجوم من إسرائيل على قناة السويس.

وقد سبق لذات الكاتب أن نشر مقالا احتوى أفكار كتابه هذا في يوليو 2012 تحت عنوان " سيناريوهات الحرب (المُقبلة) بين مصر واسرائيل "[1].

ــ وفي 5/ 6/ 1990م قال مساعد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي (موشيه باركوخيا) لإذاعة الجيش الإسرائيلي، عن: حتمية قيام حرب أخرى بين إسرائيل وكل من العراق وسوريا والأردن ولم يستبعد مصر أيضًا... وقال: إن إسرائيل يجب أن تحشد قواتها على الحدود الجنوبية (مع مصر)، والعودة لاحتلال سيناء (المصرية) في حالة تجدد المعارك في الجبهة الجنوبية، وفي هذه المرة لا أعتقد بأننا سنقف عند قناة السويس [2].. (أي كما فعلوا عام 1967م).

ومما يُؤكد قولنا أن اليهود سيبدؤون المؤمنين بهذه الحرب العدوانية إيمانًا منهم بخرافات التوراة التي تستعجل العنف والحرب ضد غير اليهود، كما قال الرئيس الأمريكي السابق (جيمي كارتر) في كتابه (القيم الأمريكية تتعرض للخطر.. أزمة أمريكا الأخلاقية): إن حقن هذه المعتقدات في سياسات الحكومة الأمريكية (يقصد جورج بوش الابن) مبعث القلق، فهؤلاء المؤمنون بالأفكار والنبوءات التوراتية يتحملون مسئولية

(1) راجع: عرض لكتاب (الحرب القادمة بين مصر وإسرائيل) لإيهود إيلام على شبكة الإنترنت في أكثر من موقع، وذكر صاحب العرض أن الكتاب ترجمته فاطمة نصير.

(2) راجع: صراع الوجود والبقاء.. فلسطين 114، 115، د. أبو بكر عبد الستار خليل.

تعجيل هذه النبوءات، ويدعو جدول أعمالهم إلى شن حرب في الشرق الأوسط ضد الإسلام، أي اعتداء اليهود والصليبيين على فلسطين وغيرها من بلاد العروبة والإسلام [1].

* ــ وفي الجانب الإسلامي نجد العديد من القادة والخبراء العسكريين المسلمين يُؤكدون ما يُؤكده اليهود: أن الحرب بين المسلمين واليهود قادمة.. قادمة، وأن اليهود هم الذين سيبدؤونها، وعلى المؤمنين التهيؤ لها، والاستعداد للانتصار فيها.

فالملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، قال: إذا استمر الصهيونيون في عداوتهم على العرب وتهديدهم لكيانهم، فليس أمام العرب والمسلمين إلا الدفاع عن أنفسهم وبلادهم بكل ما يملكونه من أنفس وأموال، وأن الملايين من العرب والمسلمين يتمنون أن تُسفك دماؤهم في سبيل حماية المسجد الأقصى، وأرضه المباركة من الصهيونيين، وأن هذا آت لا ريب فيه، طال الزمان أم قصُر، ففلسطين للعرب، وهي في نظرهم ونظر المسلمين أولى القبلتيْن، وثالث الحرميْن الشريفيْن، وجزء لا يتجزأ منها [2].

وسأل الإعلامي أحمد منصور الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب الجيش المصري أثناء حرب أكتوبر 1973م: ما رؤيتك لمستقبل الأمة العربية؟.

قال الفريق الشاذلي مؤكدًا نشوب حرب قادمة: بالنسبة للمستقبل البعيد فهو في صالح الأمة العربية والإسلامية، وسينتصر العرب والمسلمون على إسرائيل، وهذا مما لا شك فيه، لأنه وعد إلهي، والوعد الإلهي لا نقض فيه ولا إبرام.. هذه حقيقة ــ كما قلت لك ــ والرؤية الاستراتيجية تُؤكد هذا.. للأسف نحن نمر بمرحلة سيئة ، وهو مرض نمر به، وسنبرأ منه إن شاء الله.. والطريق الذي يُوصلنا إلى هذا أن نأخذ بالديمقراطية الحقيقية.. الديمقراطية. ثم الديمقراطية [3].

---

(1) راجع: الانتفاضة المباركة.. انتصارات وبشائر 253، 254، لحسن محمد.. ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

(2) راجع: أسباب كارثة فلسطين 210، 211، لمفتي فلسطين الأسبق الشيخ أمين الحسيني.

(3) من نهاية حوار مع الإعلامي أحمد منصور بقناة الجزيرة القطرية، تحت عنوان شاهد على العصر.

وذكر في كتابه (الخيار العسكري العربي): إن الخيار العسكري ضد اليهود هو الخيار المقبول والمُنتظر إذا لم يُفلح العرب في تحرير أرضهم باتفاقات السلام [1].

وقال المشير محمد عبد الغني الجمسي ــ أحد قادة معركة أكتوبر 1973م ــ بعدما حضر احتفال استعادة مدينة العريش المصري: وعدت بعد ذلك مباشرة إلى القاهرة لأستعيد ذكريات كثيرة عن سنوات طويلة ــ من العسكرية والحروب ــ مضت، وكان السؤال الذي يُلح عليَّ هو: هل حرب أكتوبر (1973م) هي آخر الحروب؟.. وكانت الحقيقة المؤكدة أمامي: أن حرب أكتوبر ليست آخر الحروب [2].

والرئيس محمد أنور السادات صاحب قرار معركة رمضان (1993هـ = أكتوبر 1967م)، وصاحب معاهدة السلام مع اليهود في (كامب ديفيد) كان يرى قبل أن يخوض الحرب: أن المعركة لا زالت كما هي منذ بدأها المؤتمر الصهيوني الأول (في بال بسويسرا عام) 1897م، ومرورًا بوعد بلفور عام 1917م، ومعركة 1948م، ومعركة 1956، ومعركة 1967م، واليهود ماضون في تحقيق إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، لأنه لم يكن في الجانب العربي المقابل تخطيط يُواجه تخطيطهم.. قال: وستتوالى المعارك ــ مثلما قلت للأمريكان ــ حتى لو وصلت مع اليهود إلى تسوية ــ سلمية ــ في هذه المرحلة، فبعد خمس سنوات لازم أتوقع أن إسرائيل ستبدأ معركة جديدة، لأن فيه مُخطط ماض، ويقومون على تنفيذه خطوة بخطوة [3].

ومعناه: أن العلمانيين العرب مهما خطبوا ود اليهود، وسعوا ليعقدوا معهم تعاهدات السلام، وقدموا لهم التنازلات فسيبدؤهم اليهود بالعدوان مرة بعد مرة.

---

(1) راجع: الجنرال الثائر.. سعد الدين الشاذلي 340، لخالد أبو بكر، ط. دار الكتب والوثائق القومية.. مصر.

(2) راجع: مذكرات المشير محمد عبد الغني الجمسي.. حرب أكتوبر 577، ط. مكتبة الأسرة. مصر عام 2001م.

(3) من خطبة للرئيس محمد أنور السادات قبل حرب رمضان، نقلها الإعلامي محمد المسلماني في برنامجه المرئي (الطبعة الأولى)، في قناة (دريم 2) المصرية.

وقد صدق الرئيس السادات، فبعدما أمضى مع اليهود معاهدة السلام عام 1979م أشعل اليهود الحرب ضد الجنوب اللبناني عام 1982م .. وهلمَّ جرا.

والرئيس السادات ذاته: يُؤمن أن المعاهدات كالورود وكالضباب عمرها قصير[1].. وقال لليهود أثناء كلامة عن معاهدة السلام المذكورة: لا سلام مع التوسع والاستيلاء على أرض الغير[2].

وقال أحد باحثي الاستراتيجية: على القادة العرب أن يعلموا أنه لابد في الأمد البعيد من منازلة إسرائيل في ميدان القتال العضوي، بل إن إسرائيل نفسها تعد لذلك، وسوف تبدؤنا هي بالحرب، وسوف يرى المسلمون الباحثون أن القيادات الإسرائيلية تُعد لحرب المسلمين [3].

وقال آخر من باحثي الاستراتيجية: وليس من قبيل الإغراق في استقراء الأحداث أن نتحسَّب لجولة عدوانية سادسة.. وعلى الرغم مما يُسمى بخُطة (بوش) للسلام في الشرق الأوسط، فإن كل المؤشرات تدل على أن الجولة السادسة سوف تقع حتمًا بل إنها وشيكة الحدوث[4].

ولهذا أقول: إن التعاهدات السلمية مع اليهود هواء.. وأن حرب العاشر من رمضان 1993هـ = السادس من أكتوبر 1973م ليست آخر الحروب.

وعلى المسلمين ــ وخاصة في بلاد الطوق، وفي مصر بوجه أخص ــ الاستعداد لهذه المعركة المُرتقبة بكل ما يقدرون عليه من الإمكانات، وأن يعملوا بكل جهدهم المستطاع على الانتصار.. وسيمدهم الله تعالى بمدد من عنده، ويرزقهم النصر الذي يُريدونه، ويُحررون أرضهم المحتلة كما يشتهون، ولكل مجتهد نصيب، والله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: 7).

---

(1) راجع: صلاة بلا مؤذن 155، لناصر الدين النشاشيبي.

(2) راجع: السادات. الحقيقة والأسطورة 428، لموسى صبري، ط. المكتب المصري الحديث.. مصر.

(3) راجع: إدارة الصراع العربي الإسرائيلي 19، د. جمال عبد الهادي وزميله. ط. دار الوفاء.. مصر.

(4) راجع: الجولة الإسرائيلية العربية السادسة 11، د. جمال عبد الهادي، وزميله، ط. دار الوفاء.. مصر.

# الفصل الثاني

# الخطوات القرآنية

# لتحرير فلسطين

# لخطوات القرآنية الواجبة لتحرير فلسطين

**تمهيد:**

ذكرنا أن الراسخين في العلم اتفقوا على أن القدس وفلسطين إسلامية خالصة، وان تحريرها من الاحتلال الأجنبي فرض عين على كل مسلم، بداية من القائمين فيها، ثم الذين يلونهم، الأقرب فالأقرب حتى يشمل العالم الإسلامي كله.

وذكرنا أن تحرير القدس وفلسطين لن يكون عطية بغير ثمن يُقدمه المؤمنون من أنفسهم وأموالهم، أو منحة بغير عمل، أو ضربة عشوائية بغير إعداد ولا جهاد، إنما يكون تحريرها بأيدي المؤمنين العاملين الذين يستخدمون سنن الله تعالى [1] في الإعداد، والجهاد في سبيل الله.

وقد سجلت في كتابنا هذا الخطوات القرآنية اللازمة للجهاد والتحرير، مثل: الإعداد التربوي للجيل الجهادي المنشود للتحرير.. طاعة الله تعالى قوة للمؤمنين.. القيادة الواعية قوة للرعية.. توحيد الشعوب الإسلامية.. الحرية الإنسانية.. معرفة العدو معرفة صحيحة.. إعداد السلاح اللازم للقتال للتحرير.. الخ.

هذه الخُطوات القرآنية هي ذاتها السنن الإلهية اللازمة لتحصيل القوة وإحراز التحرير، وهي سُننٌ مُحايدة، لا تُحابي مؤمنًا لإيمانه، ولا تُعادي كافرًا لكفره، إنما تنفع من استخدمها ــ مؤمنًا كان أو كافرًا ــ فمن استخدامها خدمته، ومن ضيَّعها ضيَّعته.

والإسلام يجعل هذه الخطوات القرآنية أو السنن الإلهية فرائض شرعية، ويُوجب على المؤمنين استخدامها، ويُحرِّم عليهم تضييعها ــ عمدًا أو إهمالاً أو كسلاً أو غفلة ــ ويُعاقبهم الله تعالى كلما تركوها أو ضيَّعوها.

---

1) السُّنَّة المقصودة هنا: قانون الله الثابت الذي لا يتخلف ولا يتبدل، كما يقول الله تعالى: (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (فاطر:43).

والمؤمنون الأولون حينما اتبعوا إسلامهم، واستخدموا هذه الخطوات القرآنية، أو (السنن الإلهية) رزقهم الله تعالى النصر والتمكين في الأرض، وهدى الله بهم العباد، وفتح بهم البلاد.

وحينما تركها العلمانيون العرب وضيَّعوها ــ كسلاً أو إهمالاً أو غفلة أو انشغالًا عنها بلهْوهم ــ تركتهم وضيَّعتهم حتى وهنت قوتهم، وتخلفوا عن الناس؛ وهزمهم عدوهم، واحتل أرضهم، كما سبق في الأندلس، وكما لحق في فلسطين.

وفي ذات الوقت أجاد أعداؤنا استخدام هذه السنن الإلهية أو الخطوات القرآنية!؛ فخدمتهم، وحازوا بها القوة، وانتصروا علينا، واحتلوا أرضنا.

وقد بذل اليهود كلَّ وُسْعهم في استخدام هذه الأسباب أو السنن الإلهية المتاحة لهم؛ فنفعتهم واحتلوا بها فلسطين؛ مثل: استخدامهم القُوى الكبرى التي بادلتهم المصالح، ومكَّنتهم من احتلال فلسطين.

وفي ذات الوقت وحَّدوا ــ أي اليهود ــ صفوفهم (مع تفرق قلوبهم).. وبذلوا من أموالهم (مع شح نفوسهم).. واستخدموا العلم.. وأعدوا السلاح المتطور.. والتخطيط المُحكم، والتنظيم المطلوب للمعركة.. واستثمروا ضعف المسلمين وتفرقهم، وغفلتهم عن سنن الله في القوة والتمكين؛ فانتصروا عليهم، واحتلوا أرضهم، وأقاموا على أنقاضهم دولتهم المعاصرة: (إسرائيل).

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: لما انتصر اليهود علينا نشرت مجلة (الوعي الإسلامي) تصريحًا للزعيم الإسرائيلي (ابن غريون) قال: إن أنبياءنا قالوا لنا: لابد من مضاعفة الاستعداد لأننا قلة وأعداؤنا كثيرون، ويجب أن نصعد إلى مستواهم العددي بمضاعفة إنتاجنا حتى يصل إلى إنتاجهم! [1].

وقال رحمه الله: لقد رويت لزملائكم قصة مدير تعليم من القاهرة انتُدب في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات إلى فلسطين مسئولاً عن التعليم هناك، قال لي:

---

1) راجع: اليهود المعتدون 129، للشيخ محمد الغزالي ط. دار القلم.. دمشق.

كنت حريصًا على أن لا أركب سيارة إلا إذا كانت عربية، فخُدعت يومًا وركبت سيارة، ومضت بي في الطريق من خان يونس إلى مدينة القدس، ونظرت إلى السائق في الطريق وبدأت أتأمله وشعرت أني خُدعت، لكني سكت ونظرت إليه بكبرياء. . وكأن السائق أحس بأني أنظر إليه بكبرياء، فأدار بصره إليَّ، وقال لي: من أنت؟.. فقلت له: أنا عربي.

فقال: يبدو أنك مثقف. . قلت: نعم، أنا حاصل على إجازة كذا من سويسرا، فلعبت أصابعه في الدرج الذي أمامه وأخرج نفس الإجازة العلمية وأراني إياها.

فقلت له: أنت حاصل على هذه الإجازة؟. . قال: نعم!.

قلت: فما الذي جعلك تشتغل سائق سيارة؟. . قال: أنا أشتغل سباكًا أو نجارًا أو حمَّالاً أو سائقًا من أجل إقامة إسرائيل! !.

مدير التعليم الذي روى لي هذا قال: كان هذا الحديث يرن في أذني، وله صدى في نفسي مشوب بالأسى، لأني وجدت بعض أبناء العرب الذين كانوا يتعلمون كانوا يرفضون أن يعملوا إلا رؤساء! ![1].

هذا في بذلهم أنفسهم، أمَّا في بذلهم من أموالهم، فإنهم مع شح أنفسهم لم يتأخروا عن البذل المطلوب منهم، فقد كان بذلهم أسبق وأكثر من بذل المؤمنين !!.

قال شيخنا محمد الغزالي: قال لي أحد رؤساء العشائر: خُرِبَ الدولاب الذي يستخرج الماء من البئر في حقلنا، فذهبت إلى الاختصاصي اليهودي في المستعمرة القريبة! ! كيما يأتي لإصلاحه.

وبكَّرت إليه أتعجله، فإذا هو يقوم بأعمال موكولة إليه في المستعمرة، فوقفت أحدِّثه وأتبسط معه، وناولته سيجارة فأخذها ووضعها على أذنه، ثم قال: إن الوقت إلى الساعة الثانية بعد الظهيرة من حقِّ المستعمرة فلا أحب أن أشغله بشيء، وعندما أنتهي منه أذهب إليك مساءً. . وحسم الموقف ليستأنف خدمة أمته ورعاية شئونها.

---

1) راجع: اليهود المعتدون 130، للشيخ محمد الغزالي ط. دار القلم.. دمشق.

ونزح يهودي من ألمانيا إلى فلسطين في أثناء اضطهاد (هتلر) لقومه، وكان الرجل ذا ثروة كبيرة، تركها خلفه وهو هارب، فلما تغيرت حكومة ألمانيا وعُوِّض اليهود عما فقدوا، أرسلت لليهودي النازح أمواله، وكان آنئذ فقيرًا يشتغل خفيرًا في إحدى المستعمرات.

فقال له عربي يعرفه: إن الثراء هبط عليك فجأة، فهل ستشتري المستعمرة كلها؛ لتُصبح مالكًا لها. . فقال اليهودي الخفير: ما ذا أفعل بالمال لنفسي؟!. . إن أولادي يتعلمون بالمجان في المدرسة وقد كبرت سني، فسأهب المال كله لشئون المستعمرة العامة، ولن أطلب من المسئولين إلا أن يُغيِّروا الكلب الذي يُساعدني في الحراسة؛ فقد ضعف بصره! !.

من أجل أي شيء ينصر الله الجهل على العلم، والفوضى على النظام؟! [1].

لن أنسى أبدًا تفاصيل أول معركة دارت بين شبابهم في مستعمرة (ديروم) وهي المعركة التي فقدوا فيها اثني عشر شهيدًا من خيرة أهل الأرض إيمانًا وشجاعة، ولم تفقد فيها المستعمرة الصهيونية إلا الرصاصات القاتلة! ولم؟.

لقد رسم خطة الهجوم طفل ــ عربي ــ كبير، لا يدري من فنون القتال إلا قراءة الأوراد، وإطلاق المسدسات فكان ما كان.

يا عجبًا تُعْوِزُنا أخلاق البذل والإقدام، فإن وجدناها فقدنا مواهب القيادة الصحيحة.. لقد أسمينا مقاتلي اليهود رجال عصابات. . وعندما اشتبكت هذه العصابات مع دول الجامعة العربية السبعة توقع المسلمون أن هذه الحكومات المهيبة ستُؤدب العصابات الثائرة، وتسترد منهم الأرض التي أغاروا عليها وأخذوها.. فلما التقى الجمعان علم المخدوعون أن العناوين المزورة لا تُغني عن الحقائق الكريهة شيئًا!.

إن باعة البصل يُنادون عليه في أسواقه بالرمان! ، وباعة الترمس يصيحون عليه: يا لوز! وهيهات أن ينطلي هذا الدلال على أحد! [1].

---

1) راجع: اليهود المعتدون 247: 249، للشيخ محمد الغزالي. ط. دمشق.

ومع هذا الاجتهاد اليهودي في العمل والإنتاج اجتهدوا ــ أي اليهود ــ في ضبط إنفاقهم، وترشيد استهلاكهم، وادِّخار المال لتحقيق أهدافهم في أقطار الإسلام.

قال الشيخ الغزالي: إن (برينتش ) الوزير الإسرائيلي السابق للتجارة والصناعة كان واضحًا في رسم أهداف الصهيونية حين خاطب اليهود بقوله: على الشعب اليهودي أن يُقلل من استهلاكه، ويتكتل وراء زعمائه استعدادًا للساعة الفاصلة التي نمحو فيها الدول العربية من الوجود [2].

وإذا ظللنا ــ نحن المسلمين ــ قائمين على الغفلة عن هذه الخطوات القرآنية للتحرير أو إهمالها وتضييعها ــ كما يريد لنا أعداؤنا ويُخططون لنا ـــ خذلتنا، وهزمنا عدونا، وبقيت أرضنا محتلة، وعاقبنا الله تعالى.

أمَّا إذا عُدنا إلى استخدام هذه الخطوات القرآنية أو السنن الإلهية للتحرير أعانتنا، وانتصرنا بها على أعدائنا، وحرَّرنا أرضنا المُحتلة (في فلسطين وغيرها).

ويُمكننا أن نُرتِّب هذه الخطوات القرآنية أو السنن الإلهية للجهاد والنصر والتحرير في الآتي:

1 ــ إعداد الجيل المسلم المنشود لنصر الله الموعود.

2 ــ طاعة الله تعالى، واجتناب معاصيه.

3 ــ الأمل في النصر مَقْرونًا بالعمل لنواله

4 ــ رعاية الحرية الإنسانية.

5 ــ الولاء للمؤمنين فريضة وضرورة.

6 ــ معرفة العدو معرفة صحيحة.

7 ــ مُجاهدة الإشاعات الخبيثة

8 ــ استنهاض الشعوب الإسلامية لتقوم بواجبها.

---

(1) راجع: اليهود المعتدون 247: 249، للشيخ محمد الغزالي. ط. دمشق.

(2) راجع: اليهود المعتدون 146، للشيخ محمد الغزالي. ط. دمشق.

9 ــ دوام التذكير بالأرض المحتلة وبوجوب تحريرها.

10 ــ تنصيب القيادة الإسلامية الواعية.

11 ــ إعداد القوة المطلوبة للجهاد والتحرير.

12 ــ توحيد الأقطار الإسلامية.

13 ــ أسلمة المعركة فريضة وضرورة.

14 ــ النهوض بالمعركة المرتقبة للتحرير.

* ــ شرط لابد منه.

## 1 ـ إعداد الجيل المنشود للتحرير

الخُطوة القرآنية الأولى للتحرير: إعداد الجيل المسلم المنشود لنصر الله الموعود.. وأراها على رأس القوة التي يجب إعدادها للجهاد والتحرير.

معنى إعداد الجيل المنشود.

إعداد الجيل المنشود معناه: تغيير ما بنفسه من أفكار وعقائد وعادات منحرفة لتحل محلها عقيدة التوحيد، والاستقامة على شريعته.

أهمية إعداد الجيل المنشود لنصر الله الموعود.

إن التعليم التربوي ــ كما قال العلماء: ــ هو الحامض الذي يُذيب شخصية الإنسان الحي، ثم يُكوِّنها كما يشاء. . إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيرًا من إي مادة كيمائية، هو الذي يستطيع أن يُحول جبلًا شامخًا إلى كوب تراب [1].

والتربية الإيمانية التي يتربى عليها المسلم تغرس فيه الإباء والشجاعة والثبات والتضحية والاحتمال, حتى يفوز بالنصر والسيادة أو الموت والشهادة.. والله تعالى يقول: (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) (الإسراء: 84).

فإذا كانت شاكلة الكافر بالإسلام الحرص على شهوات الحياة الدنيا، فإن شاكلة المسلم بذْل حياته الدنيا لله تعالى، وكل منهما يعمل وِفْقًا لشاكلته.. قال الشاعر:

كل امرئ يُشْبهه فعله * ما يفعل المرء فهو أهله.

ويتميَّز هذا الإعداد التربوي بخصوصيتيْن:

الأولى: بأنه عمل أهم، وعمل هادئ، لأنه يُعنى بصناعة الإنسان.. ووسيلته: الكلمة الطيبة والأخلاق الحسنة التي يغرسها ويُزكِّيها القرآن الكريم والسنة النبوية.

الثانية: وأنه ــ إن كان طويل الأجل، بطيء الثمرة ــ فهو أكيد المفعول، وتأثيره أكبر، وثمرته أحسن، وعمره أطول.

---

(1) راجع: نحو التربية الإسلامية الحرة 34، لأبي الحسن الندوي، ط. دار المختار الإسلامي.. مصر.

**إعداد الجيل المنشود فريضة وضرورة.**

ولهذا فإن إعداد الجيل المنشود لنصر الله الموعود فريضة وضرورة.

* ــ أمَّا أنه فريضة فلأن الله تعالى يقول: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) (الأنفال: 60). . وهذا أمر لولي الأمر والدولة المسلمة، يُفيد الوجوب.

وبهذا الأمر يجب على الدولة المسلمة (الحكومة والمؤسسات والشعب) أن تُعنىَ بإعداد الجيل المنشود للتحرير، وهو أكبر أنواع القوة المطلوبة، التي يأمر الله تعالى المؤمنين بإعدادها.. وكلمة (قُوَّةٍ) نكرة تُفيد عموم القوة، أي أن كل قوة مطلوبة للتحرير يجب على الدولة إعدادها، وعلى رأسها إعداد الجندي المنشود للتحرير.

* ــ وأمَّا أنه ضرورة فلأنه سنة ربانية، وقاعدة قتالية، لازمة لخوض المعركة وإحراز النصر والتحرير؛ فإن النصر كما يكون بالسلاح القوي يكون بالجندي المؤمن الشجاع المُدرَّب، المطبوع بأخلاق الرجولة المؤمنة؛ فهو الذي يقوم بأعباء الجهاد المدني في الداخل، و بأعباء الجهاد القتالي للدفاع والتحرير، كما يقول الله تعالى في أحداث غزوة بدر الَّذِيَ: (هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)(الأنفال: 62).

فالسلاح القتالي مهما كان متطورًا وقويًا لا يكفي وحده ما لم يُقاتل به الجنود الشجعان الأكفاء.. وقد قيل: " فالسلاح يحتاج إلى اليد الذي تستخدمه، واليد تحتاج إلى الإرادة التي تُحركها، والإرادة تحتاج إلى الإيمان الذي يصنعها ويدفعها".. وإن الأسلحة لا تنفع مع أجسام كأجسام البغال، وقلوب الجبناء، الذين وصفهم المثل العربي القديم: ترى الفتيان كالنخل، وما يُدريك ما الدخل.. إنما تنفع وتُفيد بالجنود المؤمنين الشجعان الأكفاء، كما قال الطُغَرائي قديمًا:

وعادة السيف أن يُزْهَي بجوهره * وليس ينفع إلا في يدي بطل.

وكما قال آخر:

ولا تنفع الخيل الكرام ولا القنا * ما لم يكن فوق الكرام كرام.

ولهذا جعل الله تعالى رسوله ^ يعكف في مكة على تغيير الأنفس، وتربية المؤمنين تربية إيمانية تقوم على اليقين في العقيدة، والحرية في الفكر، والإخلاص في العمل، والاستقامة في السلوك، يقول الله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) (آل عمران164)

وكان الصحابة في مكة يأتون رسول الله ^ بين مضروب ومجروح ومشجوج، يستأذنونه في حمل السلاح دفاعًا عن أنفسهم، فلم يأذن لهم، وأمرهم أن يصبروا ويكفوا أيديهم ويُقيموا الصلاة، يقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ) (النساء: 77).

في هذه المرحلة المكية أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ أكْثر سور القرآن؛ لتغيير ما بأنفس المؤمنين من دنس الجاهلية، وتزكيتهم بالتوحيد في العقيدة، والاستقامة على الشريعة، وقد احتل الحديث عن اليهود وتشريح شخصيتهم كثيرًا من هذه السور، كسورة الأعراف، وسورة طه، وسورة مريم، وغيرها.

وظل رسول الله ﷺ يُلازم أصحابه في مكة على هذا الحال التربوي في دار الأرقم ابن أبي الأرقم وغيرها ثلاثة عشر عامًا.. واستمر ^ على هذا الحال في المدينة؛ استجابة لأمر الله تعالى في قوله: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) (الكهف: 28).

وبهذه المُلازمة في التربية والتزكية ربَّى رسول الله ^ جيلًا من المؤمنين يكثرون عند الفزع، ويقلون عند الطمع، ولا يُغريهم وعد، ولا يُثنيهم وعيد، ولا يُبطرهم نصر، ولا تُقنِّطهم هزيمة، يسارعون إلى الموت في سبيل الله أكثر مما يحرص عدوهم على الحياة؛ فيأبون الظلم والاستبداد، ويترفَّعون على السفاسف والدنايا، ثابتون على ما عاهدوا الله عليه، كما يقول الله تعالى: (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ الله وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ

السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الفتح: 29).

أجل، بهذه التربية الإيمانية نشأ جيل من المؤمنين، تربى تربية إيمانية عالية، يصفهم النبي ﷺ بقوله: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى» [1].

وقد أذن الله تعالى لهؤلاء المؤمنين بالقتال دفاعًا عن أنفسهم ، يقول سبحانه: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) (الحج: 39، 40).

وقد وعى المؤمنون الأولون هذه السنة الربانية، والقاعدة القتالية، فقال أمير المؤمنين المُلْهم عمر بن الخطاب، لِأَصْحَابِهِ: «تَمَنَّوْا».

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَتَصَدَّقُ.

وَقَالَ رَجُلُ: أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ زَبَرْجَدًا وَجَوْهَرًا فَأُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأَتَصَدَّقُ.

ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: «تَمَنَّوْا».. فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ عُمَرُ: «أَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ رِجَالًا مِثْلَ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ» [2]. ليستعين بهم على أمور الدولة.

ووعاها أيضًا العلماء الواعون، والعقلاء المربون، والقادة العسكريون.

قال المشير أحمد إسماعيل وزير الحربية أثناء معركة العاشر من رمضان (1393هـ): السلاح بالرجل، وليس الرجل بالسلاح [3].

---

(1) أخرجه البخاري، ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود ﷺ، كما في صحيح الجامع 3295 .

(2) حسن.. أخرجه الحاكم 5005، وصححه على شرط البخاري ومسلم، ووافقه الذهبي، وغيره.

(3) راجع: ماذا بعد العبور 87، 138، لعلي محبوب، وزميليه، ط, الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مصر.

وقال الفريق أول محمد فوزي: حقق الجندي المصري في حرب (رمضان 1993هـ = أكتوبر 1973م) القول: إن الرجل خلف السلاح هو الأهم، وهو الفيصل الحاسم في المعركة [1].

وقال المشير محمد عبد الغني الجمسي في محاضرة له: لقد أثبتت حرب أكتوبر (1973م = رمضان 1993هـ) أن النصر أولًا وأخيرًا يرجع إلى الفرد المؤمن بهدفه، وعدالة قضيته، المُتقن لعمله. كما كان شأن المقاتل المصري في هذه المعركة [2].

وقال الرئيس المصري محمد أنور السادات الذي أعد وأشعل هذه المعركة: الشعب هو صانع الأسلحة التي حققت المعجزة، وهي أسلحة لم تُصنع من الفولاذ فقط، ولكن صُنعت بالإيمان والإصرار [3].

وكان الرئيس السادات رحمه الله يُؤمن أن المقاتل المصري بشجاعته وثباته واحتماله وخبرته عوض عن نقص السلاح، فقد نقل الصحافي المصري موسى صبري عنه قوله: لعلي تحدثت إليك كثيرًا عن إيماني قبل اتخاذ قرار الحرب بأن المقاتل المصري سيُعوضنا عن نقص السلاح.. هذا عنصر هام، بل بالغ الأهمية [4].

وأخيرًا قال الصليبي الفيلد مارشال (مونتغمري) في كتابه (الحرب عبر التاريخ): أهم مميزات الجيوش الإسلامية لم تكمن في المعدات أو التسليح أو التنظيم، بل كانت في الروح المعنوية العالية النابعة من قوة إيمانهم بالدعوة الإسلامية [5].

---

(1) راجع: حرب أكتوبر 1973م.. دراسة ودروس 308، للفريق أول محمد فوزي، ط. مكتبة الأسرة.. مصر.

(2) راجع: مجله الهلال المصرية 131، عدد تذكاري في أكتوبر 1976م.

(3) راجع: ماذا بعد العبور 300، لعلي محبوب، وأحمد الطوبجي، وسعد شعبان.

(4) راجع: السادات الحقيقة والأسطورة 367، لموسى صبري.. ط. المكتب المصري الحديث.. مصر.

(5) راجع: عوامل النصر والهزيمة، عبر تاريخنا الإسلامية 19، لشوقي أبو خليل.

وقال الرئيس الإسرائيلي (ابن جوريون): كل ما يجيء به العلم الحديث لا يكفي وحده، ولن تكون الكلمة الأخيرة للدبابة ولا للمدفع أو الطائرة المقاتلة لكسب الحرب، إنما تكون للإنسان الذي يُسخِّر هذه الوسائل لإرادته [1].

وقال الرئيس الإسرائيلي (شيمون بيريز) في كتابه (الشرق الأوسط الجديد): إن القوة في العقود القادمة في الجامعات، وليس في الثكنات (العسكرية) [2].

الأمة تنتصر بالرجال الذين صاغتهم التربية الإيمانية.

والمسلمون في كل عصر لم ينتصروا ولم يفتحوا البلاد للإسلام إلا بإعدادهم الجيل المطلوب للنصر والتحرير، والله تعالى يقول: (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: 40، 41).

هذا وعد الله تعالى، والله تعالى (لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (آل عمران: 9).

ولهذا قال مفتى فلسطين محمد أمين الحسيني مُبيِّنًا سبيل تحرير فلسطين:

أن نقوم بتعبئة روحية قوية، عاملين على بعث الرجاء في النفوس، ونزع اليأس من القلوب، فنُفْعِم نفوسنا وقلوبنا أفرادًا وجماعات بالإيمان الصادق، واليقين بالفوز والنصر، وباستنقاذ وطننا، واستعادة كرامتنا غير مترددين ولا مرتابين، يقول الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالله وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (الحجرات: 15) [3].

## المنهج المطلوب لإعداد الجيل المنشود.

والمنهج التربوي المطلوب لإعداد الجيل الذي ننشده هو ذات المنهج القرآني الذي صاغ وربى الجيل الأول: هو تربية الأنفس وتزكيتها باتباع القرآن والسنة، كما يقول الله

---

(1) راجع: الطريق إلى مجتمع عصري 24 . ط دار المختار الإسلامي .. مصر.

(2) راجع: مقاصد العقل في الصراع العربي الإسرائيلي 321، د. سامي الصلاحات.

3 () راجع: أسباب كارثة فلسطين 194، لمفتي فلسطين الأسبق محمد أمين الحسيني، ط. دار الفضيلة.. مصر.

تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: 151).

وَعَن مَالك بن أنس مُرْسَلًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ [1].

وقال الإمام مالك: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها [2].

قال (دنكان بلاك ونالد) في محاضرة له بجامعة (شيكاغو) الأمريكية عام 1966م: إن الشخصية المحمدية لا تزال بعد أربعة عشر قرنًا هي مصدر المدد المتصل في تقوية المسلم [3].

وقال الحكيم: أن أفضل محك لنجاح التربية وإخفاقها هي: تقاليد المجتمع، والقيم (الإسلامية) السائدة فيه، فهي الأسس التي تقوم عليها خصائصها وبقاؤها.

إن علينا أن نُلاحظ دائمًا أن كل محاولة للتقدم تقوم على القيم المُقررة التي يُؤمن بها هذا الشعب؛ فيجب أن تقوم عليها جميع الأعمال التي يقوم بها رجال التربية [4].

**أدوات ووسائل إعداد الجيل المنشود للنصر والتحرير.**

وقد اتفق العقلاء الواعون والخبراء المربون على أن هذا الجيل المسلم الذي ننشده لا يُصنع في المصانع الأجنبية وإن علا تطورها، ولا يُصاغ بعمل المهندسين والمربين الأعاجم مهما تقدمت خبرتهم، وعلا صدقهم، ولا يُستورد من الخارج كالمصنوعات والمُخترعات، إنما هو صناعة محلية إسلامية، تُفصَّل وتُربى وتُصنع في مصانعنا الإسلامية، وبأيدي المُربين المؤمنين الربانيين، وبمنهج الشريعة الإسلامية.

---

(1) صحيح .. أخرجه التبريزي في المشكاة 186، وغيره.

(2) راجع: حجة النبي ﷺ 103، للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي .. بيروت .

3 () راجع: بماذا انتصر المسلمون 38، 39 لأنور الجندي رحمه الله ط دار الاعتصام، مصر .

(4) راجع: نحو التربية الإسلامية الحرة 11، 12، لأبي الحسن الندوي، ط. دار المختار الإسلامي.. مصر.

أجل، يجب أن يقوم بهذا العمل الكبير: الأسرة في البيت، والمدرس في مدرسته وجامعته، والصحافي في خبره وصحيفته، والإعلامي في إذاعته المسموعة والمرئية والمكتوبة، والتاجر في حانوته، والطبيب في مشفاه، وخطيب الجمعة في خطبته، والواعظ في موعظته، وأصحاب الأموال ببذلهم، وأهل القرآن بإقامة المكاتب لتعليم القرآن، وأخيرًا الدولة في رعايتها ومتابعتها، وهكذا كل ذي عمل في عمله.

قالت دائرة المعارف البريطانية: إن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يُؤمنون بها.

إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ، تلك القوى التي تتصل بنظرية الحياة، وتربي التلميذ تربية تُمكِّن من الاحتفاظ بحياة الشعب، وتمد يدها إلى الأمام [1].

وقال خبراء التربية: إن مصلحة الحكومة في أن تطمئن إلى أن المدارس القائمة في حدودها كفيلة بنقل جميع أجزاء الحياة القومية (الإسلامية) إلى الأجيال القادمة، جيلًا بعد جيل، إن الفكرة التي يجب أن تُسيطر على سياسة الحكومة التربوية المرسومة وتسندها هي أن ينشأ الأطفال ورثة الخصائص القومية (الإسلامية)، وخلفاء آبائهم بالجدارة [2].

ثمار التربية والتعليم الإسلامي.

إذا نجح المؤمنون (الحكومة والمؤسسات والشعب) في غرس وإشاعة التربية الإيمانية استطاعوا صياغة جيل التحرير.. فيكون جيلًا يُجاهد جنوده في سبيل الله أنفسهم، كما يُجاهدون في سبيل الله عدو الله وعدوهم، ولا يشغلهم جهاد عن جهاد، "فلا يُلقون السلاح، ولا يستريحون من كفاح، يُجاهدون في سبيل الله في كل ميدان يطلبهم، وبكل سلاح يُمكنهم، قد يكون باليد إذا كان لابد من اليد تحمل الفأس والمدفع، وقد يكون باللسان إذا لزم البيان والتعريف، أو الترغيب والتعنيف، وقد يكون بالمال إذا احتاج

(1) راجع: نحو التربية الإسلامية الحرة 52، لأبي الحسن الندوي، ط. دار المختار الإسلامي.. مصر.

(2) راجع: نحو التربية الإسلامية الحرة 11، 12، لأبي الحسن الندوي، ط. دار المختار الإسلامي.. مصر.

العمل والجهاد إليه". . وعندئذ يغير الله حالهم من الضعف إلى القوة، ومن الهزيمة إلى النصر، ومن الاحتلال إلى التحرير، كما يقول سبحانه: (إِنَّ الله لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الرعد: 11).

ويقول الله تعالى: (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)(الروم: 47).

ذكر العلماء: أن في هذه الآية الكريمة حقًا أَوْجَبَهُ الله على نفسه الكريمة تكَرُّمًا وَتَفَضُّلًا منه، وتأْكِيدًا للبشارة بنصره، لأن كلمة (على) تُفِيدُ معنى اللزوم.. فإذا قال: (حَقًّا) أَكَّد ذلِك المعنى.

ويقول الله تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر: 52).

ويقول سبحانه: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (الصافات ــ 171: 173).

قال الألوسي: ظاهر الآية أن هذا النصر في الدنيا، وفي بعض الآثار ما يشعر بعدم اختصاصه بها، وأنه عام لجميع المؤمنين، فيشمل من جاء بعد الرسل من الأمة [1].

## صفات الجيل المسلم المنشود لنصر الله الموعود.

وللجيل المنشود صفات إيمانية تُميِّزه.. ونوجز هنا أهمها في الآتي:

### الصفة الأولى: جيل الإيمان بالله تعالى.

والإيمان الذي نعنيه ليس هو الإيمان المُخَدَّر بالاستبداد والبدع والخرافات وأخلاق الجاهلية، إنما أعني به إيمان القرآن والسنة.. الإيمان الحي المُتحرك المُحرِّك.. الإيمان الذي يُحرِّك المؤمن إلى العبودية لله تعالى، وإلى الحرية في القول والعمل وإعداد العدة، واستخدام سنن الله تعالى في النهوض بالجهاد والتحرير؛ فينجو من الخُسران في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (سورة العصر).

---

(1) راجع: تفسير الألوسي روح المعاني 11 / 52.

**الصفة الثانية: جيل التجرد لله تعالى في جهاده.**

التجرد لله تعالى هو الإخلاص لله تعالى، ومعناه في الجهاد: الجهاد لإعلاء الإسلام، وتحرير أرضه المحتلة؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى ومثوبته، وهو معنى المُصطلح الإسلامي (في سبيل الله)، كما يقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

بهذا التجرُّد لله تعالى يكون المؤمن مُجاهدًا في سبيل الله، "يبذل للانتفاع العام في صمت، ولا يتعلق قلبه بمال يبتغيه، أو بثناء يرتضيه، أو بصدارة يرتجيها، فلا يبتغي إلا رضوان الله تعالى ومثوبته، فحيثما وضعه المجتمع في عمل أنجزه وأحسنه دون صخب أو ضجيج، وإن أعطاه المجتمع حقه شكر وحمد ربه، وإن منعه المجتمع بعض حقه استمر في عمله الموكول إليه صابرًا غير ساخط، مُحتسبًا بذله لله تعالى، كما يقول النبي ﷺ: «طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، وَإِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[1].

هذا التجرد لله تعالى هو الذي جعل خالد بن الوليد يستقبل قرار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بعزله من قيادة الجيش وهو في أوج انتصاراته بتسليم ورضا، ولم يغضب، ولم يتبرَّم، ولم يضجر، ولم يستنكف أن يُقاتل في الجيش جنديًا مع الجنود، بعدما كان رأسًا يقود، وقال كلمته الإيمانية: لا أقاتل من أجل عمر، بل أقاتل من أجل إعلاء كلمة الله تعالى [2].

**التجرد لله تعالى هو سبيل النصر والتحرير.**

هذا الجيل المسلم المتجرد لله تعالى: هو الذي تنهض به الأمة، ويحقق الله به النصر والتحرير، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أن النبي ﷺ يقول: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ،

---

1() صحيح.. أخرجه البخاري في كتاب الجِهادِ، رقم 2887، والطبراني في الأوسط 2595، وغيرهما.

2() راجع: الرسول القائد ص 23، للواء محمود شيت خطاب .

لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يُرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ » [1].

ولما ظَنَّ سعد ابن أبي وقاص ﷺ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، قال له النبي ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ الله هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا: بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلاَتِهِمْ، وَإِخْلاَصِهِمْ» [2].

الصفة الثالثة: جيل يجعل حياته ــ كما يجعل موته ــ في سبيل الله.

وبالتربية الإيمانية يتربى جيل الإيمان ويُصاغ على: أن يجعل حياته كلها جهادًا في سبيل الله، كما يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣).

وفي القرآن الكريم يقرن الله تعالى العاملين في الأرض يبتغون من رزق الله (وهو من الجهاد المدني) بالقتال العسكري؛ لما بينهما من ترابط وتأثير، يقول الله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (المزمل: 20).

الصفة الرابعة: جيل الثبات والصبر والإصرار.

ومن سمات الجيل المنشود: الثبات والإصرار على نوال النصر والسيادة أو الموت والشهادة بعزم لا يلين، وثبات لا يفْتر، وإصرار لا يضعف، وصبر لا ينفد؛ فيفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة، كما يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: 200).

فقوله سبحانه: (وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ) معناه: غالبوا عدوكم في الصبر على القتال، فإذا صبر العدو على قتالكم شهرًا اصبروا أنتم على قتاله شهرين، وإذا ثبت أمامكم عامًا

---

1() أخرجه البخاري 3123، ومسلم 1876، وغيرهما عن أبي هريرة .

2() صحيح .. أخرجه النسائي وغيره .. وهو في البخاري دون ذكر الإخلاص، كما في صحيح الترغيب 6.

اثبتوا أنتم في مواجهته عامين... وقد قال الصالحون في وصاياهم لجنودهم: تجرع الصبر في هذا المقام، فإن قتلك هذا الصبر قتلك شهيدًا، وإن أحياك أحياك عزيزًا.

وبالثبات والاحتمال لا تقتل المحن إصرار المؤمنين على الإعداد للجهاد، ولا تهزم أملهم في النصر والتحرير، بل " تدفعهم إلى أن يجعلوا من الهزيمة دافعًا لتطهير أنفسهم من الفتور والكدر، ومراجعة خُططهم من القصور والوهن "، فيكونوا أسرع إفاقة بعد مُصيبة، وأوْشك كرَّة بعد فرَّة، أسوتهم في ذلك الربانيون من قبلهم الذين يقول الله تعالى في شأنهم: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (آل عمران: 146).

وهذا ما أقرَّت به جريدة (هآرتس) اليهودية، وحذَّرت منه، قالت: إن الذي سينتصر في المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية هو الذي لديه القدرة على الصمود [1].

**الصفة الخامسة: جيل التضحية والفداء والشهادة في سبيل الله.**

وهذه صفة خامسة تغرسها التربية الإيمانية في الجيل المنشود: فتجعله يحب الموت في سبيل الله مثلما يُحب أعداؤه الحياة. . يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: 111).

* ــ قَالَ خَيْثَمَةُ أَبُو سَعْدِ بْنُ خَيْثَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ. . . لَقَدْ أَخْطَأْتنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ، وَقَدْ كُنْت عَلَيْهَا حَرِيصًا، لَقَدْ بَلَغَ مِنْ حِرْصِي أَنْ سَاهَمْت (أي أجريت القرعة مع) ابْنِي فِي الْخُرُوجِ، فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرُزِقَ الشّهَادَةَ، وَقَدْ كُنْت حَرِيصًا عَلَى الشّهَادَةِ. . وَقَدْ رَأَيْت ابْنِي الْبَارِحَةَ فِي النّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، يَسْرَحُ فِي ثِمَارِ الْجَنّةِ وَأَنْهَارِهَا وَهُوَ يَقُولُ: الْحَقْ بِنَا تُرَافِقْنَا فِي الجنّة، فَقَدْ وَجَدْت مَا وَعَدَنِي رَبّي حَقّا! وَقَدْ وَاَللهِ يَا رَسُولَ اللهِ

(1) راجع: الانتفاضة المباركة .. بشائر وانتصارات 206.

أَصْبَحْت مُشْتَاقًا إلَى مُرَافَقَتِهِ فِي الْجَنّةِ، وَقَدْ كَبِرَتْ سِنّي، وَرَقّ عَظْمِي، وَأَحْبَبْت لِقَاءَ رَبّي، فَادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يَرْزُقَنِي الشّهَادَةَ، وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ فِي الْجَنّةِ.. فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقُتِلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا [1].

بهذه التربية ينجو الجيل المنشود من الوهن الذي حذَّر منه النبي ﷺ [2].

قال خالد بن الوليد: إن أمة يتزاحم أبناؤها من أجل الشهادة في سبيل الله لا تعرف الهزيمة [3].

نجاح التربية الإيمانية في صياغة جيل النصر المنشود.

وعلى مدار التاريخ الإسلامي منذ عهد رسول الله ﷺ إلى الآن (1441هـ =2020م) ثبت أن التربية الإيمانية كلما أقامها المؤمنون وعنوا بها في مجتمعهم استطاعوا إعداد وصياغة الجيل الإسلامي المنشود لنصر الله الموعود.

قال المثنى بن حارثة: قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد عليَّ من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب أشد عليَّ من ألف من العجم، إن الله أذهب (عن العدو) مصدوقيتهم، ووهن كيدهم، فلا يروعنكم زهاء ترونه، ولا سواد ولا قسي فج (أقواس كبيرة)، ولا نبال طوال، فإنهم إذا أعجلوا عنها، أصبحوا كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت [4].

---

1() راجع: دلائل النبوة للبيهقي 3/ 249، وسبل الهدى والرشاد 4/ 219، وغيرهم .

2() إشارة إلى الحديث الذي رواه ثوبان، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا».. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟.. قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ».. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟.. قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (أخرجه أبو داود في الملاحم، رقم 4297، وغيره).

3() راجع: عوامل النصر والهزيمة 18، لشوقي خليل.

(4) راجع: تاريخ الرسل والملوك، للطبري 3 / 467 . قوله: (زهاء) أي قوة.

وقال إبراهيم المقادمة ــ أحد قادة الجهاد في فلسطين ــ: قرأت لضابط إسرائيلي كبير يصف المجاهدين الفلسطينيين، قال: إنهم لا يخافون من دباباتنا، يُطل الواحد منهم من كل نافذة، ومن خلف كل حجر يُطلقون رشقات من (الكلاشينكوف)، ولا يرهبون قذائفنا، ليس هؤلاء هم الفلسطينيين الذين كنا نعرفهم [1].

والكاتب الإسرائيلي (يوسف لبيد) قال أثناء انتفاضة الحجارة في فلسطين: إننا لا نستطيع السيطرة إلى أمد بعيد على شعب غريب لا يُريدنا.. هذه هي النظرية.. لا يُعتبر الحجر الذي رماه الولد (الفلسطيني) مشكلة، وإنما الولد هو المشكلة [2].

ونجد هذه الصفات في الأمثلة الآتية:

* ــ وعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ، فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ. . فَقَالَ: مَا هَذَا؟. . قَالُوا: قَسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا؟.. قَالَ: «قَسَمْتُهُ لَكَ».

قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ».. فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَهُوَ هُوَ؟ ».. قَالُوا: نَعَمْ.. قَالَ: «صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّتِه، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «اللهمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ» [3].

---

1() راجع: شهداء على بوابة الأقصى 266، لحسن محمد أحمد، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

(2) راجع: الغرب والإسلامي وفلسطين 295، 296، لمحمود النمورة، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

3() صحيح .. أخرجه النسائي في الكبرى 2091، وعبد الرزاق في المصنف 6651، وغيرهما .

* ــ (علباء بن جحش العجلي) الذي استجاب لنداء القعقاع بن عمرو قائد الجيش الإسلامي في معركة القادسية (الجمعة 14شعبان سنة 15هـ = 20 أيلول 636م). . واندفع إلى جيش المجوس يهدهم هدًا، فاعترضه أحد صناديدهم فضربه (علباء) ضربة شقَّت صدره، لكن الفارسي تحامل على نفسه، وضرب (علباء) بسيفه فبقر بطنه، فاندلقت أمعاؤه أمامه، فوقع على الأرض يُلمْلمها، ويدفع بها إلى بطنه، حتى ضعفت قواه، وكاد يُغشى عليه، لكنه تحامل على جراحه، ونادى أحد المسلمين الذين كانوا على مقربة منه، وطلب منه أن يُعينه على إعادة أمعائه إلى بطنه ففعل، وربط بطنه بثوبه خشية أن تندلق أمعاؤه من جديد.

ووقف (علباء) وامتشق سيفه وسار نحو أعداء الله، لكنه ما كاد يخطو بضع خطوات حتى خر صريعًا من كثرة ما نزف من دمه، فطفق يُنشد وهو يُغالب الموت:

أرجو بها من ربنا ثوابًا * قد كنت ممن أحسن الضرابا.

وفاضت روح (علباء بن جحش العجلي ﷺ) إلى بارئها، شهيدًا في سبيل الله [1].

فما الذي دفع (علباء) الأمس أن تقوى أعصابه، ويتحامل على جراحه، ويُلملم أمعاءه، ويضعها في بطنه، ويربطها بثوبه ــ مع ما في ذلك من آلام شديدة ــ، ويُعاود القتال مرة أخرى؟.

وما الذي يدفع (علباء) اليوم أن يُغادر دبابة زنة (60 طن ) من الحديد الصلب لو أوى إليها ابن نوح لعصمته من الماء والنار إلا من أمر الله؟.

لأن (علباء) الأمس صاغه الإيمان فأضحى قوي العقيدة، صلب العود، أهلًا لمدد الله ونصره، و(علباء) اليوم صنعته الجاهلية الحديثة (العلمانية بشقيْها الليبرالي والاشتراكي) فأضحى هش العقيدة، رِخْو العود، أسرع إلى الهزيمة، ولو استتر بألف طن من الحديد الصلب ما حمته، ولا حققت له أمْنًا إلا من أمر الله تعالى [2].

---

1() راجع: مواقف بطولية من صنع الإسلام 92، 93.. لزياد أبو غنيمة .

(2) راجع: الطريق إلى مجتمع عصري 15:18 محمد جلال كشك ط . مكتبة الأمل .. الكويت.. بتصرف.

* ــ وفي فتح مصر بعث المقوقس عظيم مصر رُسلًا إلى الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص، فأبقاهم عمرو عنده يومَيْن وليلتيْن؛ ليروْا الجنود المؤمنين الذين رباهم الإسلام وصاغهم، وهيَّأهم للفتح المنشود، فلما رجعت رُسُل المقوقس إليه. . قال: كيف رأيتموهم؟. . قالوا: رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهْمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد؛ يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم

فقال عند ذلك المقوقس: والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد!، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض، وقووا على الخروج من موضعهم [1].

* ــ والقائد أبو قُتيبة الباهلي أبى إلا أن يدخل بلاد الصين، فقال له أحد أصحابه: لقد أوغلت في بلاد الترك يا قُتيبة، والحوادث بين أجنحة الدهر تقتل وتدمر!.

فأجاب قتيبة: بثقتي بنصر الله توغلت، وإذا انقضت المدة ( العمْر) لم تنفع العدة. . فقال له صاحبه: اسلك سبيلك حيث شئت يا قتيبة، فهذا عزم لا يفله إلا الله [2].

* ــ وفي بعض المعارك حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً، فندب الناس إلى نقب منه، فما دخله أحد، فجاء رجل من عُرْض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم.

فنادى مسلمة: أين صاحب النقب؟.. فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء!.. فجاء رجل، فقال: استأذن لي على الأمير. . فقال له: أنت صاحب النقب؟.

قال: أنا أخبركم عنه. . فأتى مسلمة فأخبره عنه، فأذن له.

---

1() راجع: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 1/ 11، 12، ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة.. مص.

(2) راجع: الأخوة الإسلامية لعلوان 73 .. والمسلمون وداء الفرقة 174 .

فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً:

ألا تسوِّدوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيء، ولا تسألوه من هو؟. . قال: فذاك له. . قال: أنا هو.. فكان مَسْلمة لا يصلي بعدها إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النَّقْب [1].

وقائع النصر بإعداد الجيل المنشود.

وقد ثبت في تاريخنا الإسلامي أن أي معركة حققت فيها الدولة الإسلامية الغلبة والنصر والتحرير كانت نتيجة لعملها في التربية الإيمانية والتعبئة الجهادية لإعداد الجيل المنشود.. ونذكر هنا معركتيْن تتعلقان بالتحرير.

**المعركة الأولى:** معركة (حطين) التي انتصر فيها المسلمون، وحرروا بها القدس وفلسطين من الاحتلال الصليبي، فقد ثبت أنها كانت بعد جهاد مدني في ميدان التربية الإيمانية والتعبئة الجهادية في الأمة المسلمة.. وقد استعان في إقامتها قادة التحرير الثلاثة ــ عماد الدين زنكي (ت: 541هـ)، وولده نور الدين محمود (ت: 569هـ)، ثم ثالثهم صلاح الدين الأيوبي (ت: 589هـ)، (رحمهم الله جميعًا) ــ بالعلماء الربانيين، الذين استطاعوا بناء الجيل المنشود للنصر والتحرير الموعود.

فكان من المربين الذين نهضوا بواجب التربية والإعداد الإمام أبي حامد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ) رحمه الله، فقد كتب كتابه الشهير: "إحياء علوم الدين" لمقصد ظاهر في عنوانه، وهو: إحياء علوم الإسلام التي ماتت بالاشتغال بالفكر الفلسفي اليوناني والفكر الباطني.. وتأمل قوله في مقدمة كتابه: علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقْهاً وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً أصبح من بين الخلق مطويًا، وصار نسيًا منسيًّا.

ولما كان هذا ثلماً في الدين وخَطْباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب

---

1() راجع: عيون الأخبار، لابن قتيبة: 1/ 266.. ومعنى لا تسوِّدوا اسمه: أي لا تكتبوا خبره إلى الخليفة.

مهماً؛ إحياءً لعلوم الدين، وكشفاً عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحاً لمباهي (لمحاسن) العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين [1].

والظاهر أنه ــ رحمه الله ــ لم يذكر في كتابه المذكور بابًا في (الجهاد العسكري) بينما ذكر فيه بابًا كبيرًا في (جهاد النفس)؛ على اعتبار أن جهاد النفس والانتصار فيه على الشهوات مقدمة لازمة، وإعداد ضروري للجهاد العسكري والانتصار فيه.. وقد قال الحكيم: إن أساس الانتصار في الجهاد العسكري هو: السيطرة على النفس، فلا يغلب خصمه من لا يغلب نفسه، ولا يقمع عدوه من لَا يقمع شهوته، وإنه بعد أخذ الأهبة يُفوِّض المجاهد أمره إلى الله، ويتوكل عليه [2].

وواكب هذا الجُهْد في التربية الإيمانية نهوض الدولة النورية والأيوبية بواجب تعبئة الأمة، وتربية أبنائها تربية إيمانية باعتبارها سلاحًا ضروريًا في الجهاد والتحرير.

فقاموا بإنشاء عشرات المدارس في مختلف البلدان، واستقدموا العلماء وأكرموهم، وكلفوهم بتربية أبناء الأمة بالعلوم الإسلامية الصافية، فاستقدم نور الدين محمود: الفقيه قطب الدين النيسابوري الشافعي من خراسان (ت:578هـ)، وبالغ في إكرامه.. واستقدم من بغداد ابن الشيخ أبي النجيب الأكبر، ووفد إليه من أصبهان الفقيه شرف الدين عبد المؤمن بن شوردة.

ويُضيف أبو شامة: أن نور الدين أوجز المقصد من هذه السياسة التعليمية والتربوية، فقال: ما أردنا ببناء المدارس إلا نشر العلم، ودحض البدع من هذه البلدة، وإظهار الدين [3].

وبجوار المدارس أعاد نور الدين للمساجد رسالتها التعليمية والتربوية على هدي رسول الله ^، وفي عام (543هـ) أبطل نور الدين البدع الظاهرة، مثل: الأذان بـ (حي على خير العمل)، وأبطل التظاهر بسب الصحابة، وساعده في ذلك علماء أهل السنة،

---

1() راجع: إحياء علوم الدين 1/ 9، ط. دار المنهاج.. جدة.. المملكة العربية السعودية.

(2) راجع: زهرة التفاسير 2/ 882، 883.. بتصرف.

3() راجع: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس 216، د. ماجد عرسان الكيلاني.

وعظم ذلك على الطائفة الإسماعيلية وأهل التشيع، وضاقت لـه صـدورهم، وهـاجموه، وهاجوا وماجوا، ثم سكتوا وأحجموا للخوف مـن السـطوة النوريـة المشـهورة، والهيبـة المحذورة [1].

بهذه التربية والتزكية الإيمانية تمكنت الدولة النورية من إعداد وتربية القادة والجيل الذي يُعتمد عليه في تحرير فلسطين.

ذكر أحد الباحثين: أن علماء الآثار عثروا علـى صـهريج قـديم في منطقـة (وادي الجوز) بالقدس، وبداخله كتابات لم يستطيعوا قراءتهـا، فحُولـت إلى العـالم "مـاكس فـان برشم" فقرأ فيها أسماء أشخاص تلـت كـل اسـم مـنهم عبـارة: (خـرج وهـو يسـأل الله الشهادة).

وقد أكد (ا. عادل جبر) ـــ أحـد علمـاء فلسـطين ـــ بعـد أن زار المكـان، وقـرأ الكتابات أن الأسماء هي أسماء الأبطال من رجال نور الدين زنكـي، كـان يبعـث بهـم ليجمعوا المعلومات عن أحوال العدو [2].

ومن هذا الجيل الذي صاغته التربية الإيمانيـة في مـدارس الدولـة النوريـة: القائـد الشهير: (صلاح الدين الأيوبي) رحمه الله.

ذكر ابن شداد: أن صـلاح الـدين الأيـوبي تَعلَّـم وتَربَّـى علـى يـد قطـب الـدين النيسابوري الذي استقدمه نور الدين محمود من خراسان، وجمع له الشـيخ قطـب الـدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب. وكان صلاح الدين رحمه الله لشدة حرصـه عليها يعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ في أذهانهم في الصغر، ورأيته وهـو يأخـذها عليهم وهم يلقونها من حفظهم بين يديه [3].

وحينما تولى صلاح الدين الأيوبي الحكم واصل رسالة الدولة النوريـة في التعلـيم والتربية والتزكية، فأكثر من إنشاء المدارس، وإشاعة التربية الإسلامية على الهدي النبـوي

---

1() راجع: هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس 216.

2() راجع: واقدساه 1 / 282، د. سيد حسين العفاني. ط. مكتبة معاذ بن جبل.. مصر.

3() راجع: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية 31، يوسف بن رافع، المعروف بابن شداد.

(مذهب أهل السنة)، ويقوم بالتدريس فيها كبار الأساتذة في عصره، حتى قيل: إنها تُرادف في عصرنا (الجامعات أو الكليات) [1].

وفي ذات الوقت ضيَّق صلاح الدين الخناق على المذهب الشيعي مثلما فعل نور الدين محمود، وأوقف الخطبة والتدريس في الجامع الأزهر الذي كان مركزًا رسميًا لتعليم الفكر الشيعي وإشاعته في الدولة الفاطمية، وبعد فترة حوَّل الدراسة والتعليم فيه إلى تدريس مذهب أهل السنة، وجعله معقلًا له، ومقصدًا لكبار العلماء والأساتذة، الذين يفدون على مصر، مما ساعد على نشر مذهب أهل السنة [2].

ورتب صلاح الدين في هذه المؤسسات التربوية المدرسين وطلبة العلم، وأجرى للجميع رواتب شهرية مُشجعة على التعلم والتربية، قال ابن جبير: وبني بإزاء مشهد الإمام الشافعي رضي الله عنه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته، بإزائها الحمّام، الى غير ذلك من مرافقها، والبناء فيها حتى الساعة، والنفقة عليها لا تحصى[3].

واستقدم صلاح الدين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي (ت: 596هـ = 1199م) واستوزره، وكان من جملة مساعديه في القضاء على النفوذ الفكري والسياسي للدولة الشيعية الفاطمية، وعلى يدي هذا القاضي تتلمذ العماد الأصفهاني الذي كان من كبار الصف الأول في مؤازرة صلاح الدين في طريق الجهاد [4].

في هذا المناخ شاعت التربية الإيمانية، وتسابق أهل الفضل في إشاعتها، كل منهم بما يملك من العلم والمال، وقد مدح ابن جبير هذه الروح الباذلة التي عمَّت الجميع، فقال: ولو لم يكن بهذه الجهات المشرقية كلها إلا مبادرة أهلها لإكرام الغرباء، وإيثار الفقراء،

---

1) راجع: الأزهر جامعًا وجامعة 1/ 97، 98، د. عبد العزيز الشناوي. ط. مكتبة الأنجلو المصرية.. مصر

2) راجع: الأزهر جامعًا وجامعة 1/ 107، 108.

3) راجع: رحلة ابن جبير ص: 21. ط دار الهلال.

4) راجع: استراتيجية المقاومة الشاملة 274: 276، بتصرف.. لعدد من المشاركين.

ولاسيما أهل باديتها كفى بذلك شرفًا لها، فإنك تجد من المبادرة ببر الضيف عجبًا، وربما يعرض أحدهم كسرته على فقير فيتوقف عن قبولها فيبكي الرجل، ويقول: لو علم الله فيَّ خيرًا لأكل الفقير طعامي. لهم في ذلك سر شريف [1].

وكتب صلاح الدين إلى الزهاد والعباد وخطباء المساجد يستمد منهم الدعاء، ويطلب منهم أن يحثوا المسلمين على الغزاة [2].

بهذا الجهاد التربوي والعسكري قاد صلاح الدين جيل الجهاد إلى حطين في (17/ 4/ 583هـ) بعد صلاة الجمعة بين تكبير المسلمين وابتهالهم، وتضرعهم إلى الله تعالى بالدعاء بالنصر.. وحقَّق الله النصر للمؤمنين العاملين، وتحررت القدس وفلسطين من الاحتلال الصليبي الذي دام عليها مائة سنة تقريبًا.

ولهذا كان القائد صلاح الدين يُوقن أن النصر قد صنعه العلماء بما قاموا به في تربية وإعداد الجيل المنشود للجهاد والنصر قبل المعركة بسنوات، وكانت المعركة القتالية في حطين نتيجة نهائيَّة لنجاحهم وانتصارهم في عملهم العلمي والتربوي، وقال صلاح الدين لقادة جيشه في نهاية المعركة والفرحة بالانتصار والتحرير: لا تظنوا أني فتحت البلاد بسيوفكم، بل بقلم ــ بعلم وكلام ــ القاضي الفاضل [3].

وفي لفظ: لم أفتح البلاد بسيفي، إنما برأي ــ بكلام ــ القاضي الفاضل [4].

وبجوار هذا الجهاد التربوي بالعلم والتعليم في الجهاد كان العلماء في طليعة المجاهدين القائمين بالقتال العسكري، لتحرير القدس وفلسطين.

قال العلماء: مضى المسلمون بقيادة صلاح الدين في الزحف نحو القدس، يتقدمهم جميع القيادات، ويضم جيشهم الأمراء والعلماء والفقهاء والصوفية بمختلف مذاهبهم

---

1) راجع: هكذا ظهر جيل صلاح الدين 232.

2) راجع: الكامل في التاريخ 9 / 468.

3) راجع: مختصر كتاب الروضتيْن في أخبار الدولتيْن: النورية والصلاحية لأبي شامة.

4) راجع: هكذا ظهر جيل صلاح الدين.. وهكذا عادت القدس 224، د. ماجد عرسان الكيلاني.

وتخصصاتهم، فكان من بينهم موفق الدين بن قدامة، وأخوه محمد، وابن النجا الواعظ، والقاضي ابن الزكي الشافعي، وغيرهم كثير [1].

المعركة الثانية: معركة العاشر من رمضان 1393هـ = 6/ 10/ 1973م بين مصر والعدو اليهودي، حيث كان الانتصار المصري فيها ثمرة طبيعية للتعبئة والتربية الإيمانية، والإعداد الحسن الذي قام به قادتها، بداية من الرئيس الشهيد السادات.

فقد عمل هذا الرئيس على التعبئة الإيمانية، فأشاع الحريات التي غيَّبها سلفه[2]، لأن الخائف لا يُفكر إلا في نجاة نفسه، واليد المرتعشة لا تُمسك سلاحًا.. وعمل (رحمه الله) على إشاعة التدين حتى قيل عنه: (الرئيس المؤمن)، ومصر بلد (العلم والإيمان).. وبجوار هذا عمل على إعداد السلاح المُستطاع، ودوام التدريب الجيد.

قال الدكتور محمد السعيد أحمد طبيب الأسنان، ورئيس الجمعية الشرعية بالمحلة الكبرى وقتئذ: قد صدر أمر قيادي في الجيش المصري (في الإعداد لهذا المعركة) بتدريس سورتي (الأنفال ومحمد ^) داخل كل وحدات الجيش المصري، وأوْجبوا تعليم أدب الجهاد في الإسلام لأفراد الجيش.

وقال الفريق سعد الدين الشاذلي: لأول مرة استُحدث طبع كُتيب يُسلَّم لكل ضباط وجنود الجيش؛ لتوعيتهم بأمور القتال والجهاد، ومعرفة واجباتهم، والتعامل وقت الأزمات، والتعامل مع الأسرى، وما يتعلق بالحرب [3].

دور العلماء والمربين في معركة رمضان 1393هـ.

ومثلما عُنيت القيادة السياسية والعسكرية في الدولتيْن النورية والصلاحية بالتربية الإيمانية، والتعبئة الجهادية للإعداد لمعركة التحرير (وقعت في حطين) عُنيت بها أيضًا القيادة السياسية والعسكرية في الدولة المصرية في إعدادها لمعركة التحرير، التي وقعت في العاشر من رمضان 1393هـ = السادس من أكتوبر 1973م .

---

1) راجع: هكذا ظهر جيل صلاح الدين 263، 264، د. ماجد عرسان، ط. الدار السعودية.. جدة.

2) وسلفه هو الرئيس المصري جمال عبد الناصر حسين (ت: 28/ 9/ 1970 م)

(3) راجع: فضائل مصر ومزايا أهلها 268، 269، د. محمد بن موسى الشريف.

ففي الإعداد لهذه المعركة أكثرت القيادة المصرية العسكرية والسياسية من إطلاق يد العلماء والمربين في إشاعة التربية الإيمانية والتعبئة الجهادية في عموم الشعب المصري، وفي كتائب الجيش المصري ــ قبل المعركة وأثناءها ــ، فكان قادة الجيش يستقدمون العلماء للحديث مع القادة والجنود عن الجهاد في سبيل الله، والثبات والشجاعة في سبيل الله، وتعريفهم بأحكام الشريعة الإسلامية في الجهاد، وسيرة الرسول الكريم ﷺ، وسيرة أصحابه العظام، وإخبارهم بما أعدَّ الله لهم من الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة.. الخ، فقام العلماء بواجبهم المطلوب؛ مما كان له الأثر الطيب في تربية الجنود، وفي سير المعركة، وتحقيق النصر.

وبين يدي كتاب (ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان. حقائق ووثائق للعبرة والتاريخ) للشيخ المجاهد حافظ سلامة، وقد حمل صور القادة العسكريين وهم يستقبلون علماء الإسلام (من مؤسسة بالأزهر، ومن وزارة الأوقاف، ومن مؤسسة الوعظ بالأزهر)؛ لإلقاء الدروس التربوية الإيمانية بين القادة والجنود.

والشيخ حافظ سلامة.. إمام مسجد الشهداء، ورئيس الجمعية الشرعية بالسويس، كان له دوْرٌ بارزٌ في إشاعة التربية الإيمانية والجهادية في قادة وجنود القوات المسلحة المصرية، حتى سماه الفريق عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث: (الأب الروحي للقوات المسلحة).. وقال في إحدى زياراته للشيخ حافظ: الرجل الذي له الفضل الأول في رفْع الروح الدينية للقوات المسلحة، والذي أعتبره الأب الروحي لهؤلاء الجنود. اهـ (ص: 31).

قال الشيخ حافظ عن هذا القائد العظيم: كان عبد المنعم واصل من القادة الشجعان، وقد اتفق معي بالاشتراك مع التوجيه المعنوي على أن أنظِّم قوافل من العلماء والدعاة لزيارة الوحدات العسكرية على خط النار، وذلك بالتوعية الدينية، وتذكيرهم بالله وسيرة صحابة رسول الله ﷺ من المجاهدين الأوائل.

وكما تعاهد معي أنه سوف يُنشئ بكل وحدة عسكرية مسجدًا على أن تتولى جمعية الهداية الإسلامية فرشه، وتزويده بمكتبة إسلامية. اهـ (ص: 30).

وتحت عنوان: كبار العلماء يزورون الجبهة، قال الشيخ حافظ: توجهت الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر لزيارة الجبهة، وعقد ندوات له بالوحدات العسكرية، كما كان ضمن البرامج: لقاء جماهيري ـــ عسكري ومدني ـــ يحضره كبار قادة القوات المسلحة والشرطة تحت رعاية السيد الوزير حامد محمود محافظ السويس. والتقى الشيخ الكبير رغم كبر سنه، ووهن صحته بالقادة والجنود العسكريين.. وقال حينما أتته الدعوة: لعلي أغبِّر قدمي في سبيل الله قبل أن ألقى ربي، أعيش هذه اللحظات بين الصامدين والمجاهدين في الجبهة. (ص: 41).

ونجد من أسماء علماء الأزهر الذين أدّوا دوْرهم في التوعية والتربية الإيمانية الشيخ الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر ـــ فيما بعد ـــ، ثم الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ـــ فيما بعد ـــ، ثم الشيخ الكبير محمد أبو زهرة... الخ.

وتحت إحدى الصور التذكارية (ص: 53) قال الشيخ حافظ سلامة: السيد/ حامد محمود محافظ السويس، والسيد اللواء: عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميداني وهم يُرحبون بعلماء الأزهر في إحدى القوافل التي تُنظمها جمعية الهداية الإسلامية أثناء حرب الاستنزاف.

وغيرهم كثير من العلماء، ممن ذكر الكتاب أسماءهم، وممن لم يذكر اسمهم.

اعتراف بالنتاج الطيبة لجهود العلماء.

ومما كتبه الشيخ حافظ سلامة، قال: اتجهت إلى تكوين جيش من الدعاة المخلصين من كبار الدعاة؛ لغرس هذه المبادئ الإيمانية في نفوس أفراد القوات المسلحة خاصة، وفي شباب الأمة عامة.

وكان لجهود العلماء أثره الطيب في نفوس المواطنين والقوات المسلحة، حيث ارتفعت معنوياتهم يومًا بعد يوم، وازدادت حصيلتهم من تعاليم ديننا الحنيف، وسيرة رسولنا الكريم ﷺ، وقدوة سلفنا العظيم، ورسم كل منهم طريقه بنفسه إلى العلم والعمل والتربية والبذل، والطُّهْر والفضيلة، وصيام الفرض والنفل، وقيام الليل، والتدريب على سلاح الصبر والتضحية.

ولقد رأى المسئولون هذا الأثر الهائل، والذي يكمن في أننا نريد ــ بحق ــ وجه الله ثم الوطن، وتحولت مراقبتهم لنا إلى تأييد وارتياح، بل وطلبوا مني أن نوسع دائرة العمل داخل وحدات قواتنا المسلحة بناء على طلب قائد قطاع السويس وقتئذ إلى محافظ السويس: حامد محمود.

وقال الشيخ حافظ سلامة: ولا أنسى الدور الكبير لعلمائنا الأفاضل الذين كانوا همزة وصل في إعداد هؤلاء الدعاة عند طلبي إياهم، من فضيلة الشيخ/ محمد الغزالي، والشيخ/ إبراهيم الدسوقي، والشيخ سيد سابق، من وزارة الأوقاف، فقد كانوا يُرسلون إليَّ القوافل بالأسماء التي أحددها لهم.. كما لا أنسى قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر، وكان مديره فضيلة الشيخ عبد الله المشد (ص: 78).

وذكر الشيخ حافظ سلامة من هذه الرسائل رسالة قائد الوحدة... (طه علي حسين فؤاد) إلى محافظ السويس، قال: لقد كان لنشاط سيادتكم الملموس في تعبئة الروح الدينية بالقوات المسلحة خلال شهر رمضان المعظم وما بعده أثره العميق في رفع الروح المعنوية، وتعبئة الطاقات القتالية في جندنا المرابطين على خط النار؛ لذا نرجوا مواصلة تدعيم هذه الجهود الطيبة لرفع الروح الدينية والقومية من اللجنة الممتازة من صفوة علماء الأزهر الشريف، والأوقاف والوعظ والإرشاد الذي يقومون بزيارة الجبهة بمسجد الشهداء تحت إشرافكم؛ حتى يكتب الله لنا النصر بإذنه تعالى في طريق كفاحنا ونضالنا من أجل الحق والحرية والكرامة، واستعادة أرضنا الطاهرة الطيبة.. وفقكم الله لما فيه النصر والعزة والكرامة (ص: 64).

وفي رسالة أخرى أرسلها عقيد: رضا محمد النواوي.. قائد الوحدة رقم (...) إلى محافظ السويس، قال: نظرًا لظروفنا الحاضرة، وما تتطلبه من تعبئة الطاقات الروحية لمعركة المصير.. نرجوا تدعيم تلك الطاقات الإيمانية، بمتابعة نشاطكم الملموس الذي اجتاز مرحلة الصمود والردع؛ مما كان له أطيب الأثر في رفع الروح المعنوية، وتدعيم عقيدة القتال لدى الجنود المرابطين على خط النار والمواجهة لأعداء الله والوطن، وذلك بمواصلة إمدادنا بصفوة كبار علماء الأزهر الشريف والأوقاف والوعظ والإرشاد،

الذين كانوا يفدون إلينا من مسجد الشهداء تحت إشرافكم، حيث أننا في أشد الحاجة لتعبئة تلك الطاقات الروحية، ومتابعتها دائمًا وأبدًا حتى نجتاز مرحلة التحرير والنصر. (ص: 65).

ولم يكن دوْر العلماء مقصورًا على التعبئة الجهادية قبل المعركة، إنما شملها وتجاوزها إلى المشاركة الفعلية أثناء المعركة في تقوية الروح الإيمانية في الجرحى .

قال الشيخ حافظ سلامة: أذكر أبرز ما حدث من تجاوب كبار العلماء واندماجهم مع جنودنا البواسل على خط المواجهة، وفي أثناء زيارة الإمام الأكبر الدكتور/ حسن مأمون، فقد حدث أن بكى عندما شاهد العلم الإسرائيلي على الضفة الشرقية من القناة، وبدأ يتضرع إلى الله تبارك وتعالى طالبًا النصر منه سبحانه، كما أذكر الدكتور الإمام الأكبر/ محمد الفحام شيخ الأزهر ــ فيما بعد ــ بين الضباط والجنود مع كبر سنه، وهو يستمع إلى الجنود البواسل وهم يُحاصرونه بالأسئلة عن الجنة ونعيمها، وفضل الشهادة في سبيل الله.. وكذلك الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ــ فيما بعد ــ الرجل الزاهد الذي يشعر من حوله بصفاء قلبه، وحديثه مع الجنود البواسل، وهم يهرعون إليه مصافحة وتقبيلًا، وهم يشعرون بمدى إخلاصه من خلال لقائه بهم (ص: 78).

وقال الشيخ حافظ سلامة: كان من أثر هذه الزيارات ما حدث عندما كان فضيلة الشيخ الدكتور عبد الغفار محمد عزيز ــ العالم الأزهري ــ في أحد مواقع المدفعية، وجاءت غارة جوية، وألقت أربعين حمولة من قنابل (النابالم) على الموقع الذي اشتعلت فيه النيران، وكان فضيلته مع قائد الموقع، وكان متأثرًا جدًا، وبعد انتهاء الغارة الجوية يخرج القائد والنار مشتعلة؛ ليطمئن على جنوده، فيُصر الشيخ الدكتور على أن يصحبه في تلك الجولة، على الرغم من معارضة قائد الموقع له، وإذا بهم يُهرولون نحو الحُفَر، وملاجئ الجنود، ويُنادي قائد الموقع على أبنائه الجنود، فإذا بالعناية الإلهية تحرسهم جميعًا، ولم يُصب منهم أحد، رغم أربعين حمولة (نابالم)، وكان سرور هؤلاء الجنود أن يروا بجوار القائد الشيخ الدكتور/ عبد الغفار محمد عزيز ــ العالم الأزهري ــ معهم في الموقع (ص: 79).

وذكر الشيخ حافظ سلامة: أن فضيلة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ـــ قارئ (القرآن الكريم) المعروف ـــ ذهب إلى وحدة الصاعقة، وهم يقومون بأعمالهم البطولية الحربية الناجحة، وأحيا ليلة معهم بوحدتهم في مطار (كبريت) قارئًا (القرآن الكريم) على أسماعهم بصوته الندي، وكان يصحبهم فضيلة الشيخ/ محمد زكي إبراهيم عميد العشيرة المحمدية، وبعض العلماء، وكان فضيلة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد قد حضر بسيارته الخاصة، وكشفتهم نقطة الملاحظة الإسرائيلية بالضفة الشرقية، ولكن الله سلّم (ص: 79)

قال الشيخ حافظ سلامة: كما لا أنسى فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد نايل ـــ من علماء الأزهر ـــ عندما كان بكتيبة من مدفعية (هوزر) تقع بضواحي السويس، ويرى الجند عند اشتباكهم مع جنود العدو، وهم يصيحون (هه، هه)، فيقول لهم: لماذا لا تُغيِّرون (هه. هه) إلى (الله أكبر. الله أكبر) عند حملكم دانات المدفعية أو انطلاقها، بل وفي جميع تحركاتكم؟.. فإن عناية الله ستكون معكم.. ولم تمض ساعات بعد خروج فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد نايل، ومع توصيته لهؤلاء الجنود، ولأول مرة تشهد المعركة عند تبادل طلقات المدفعية بيننا وبين مدفعية العدو، ويبدأ أبناؤنا الجنود بتنفيذ وصية فضيلة الشيخ الدكتور محمد نايل بشعار (الله أكبر)، فإذا بهم لأول مرة يُخْرسون مدفعية العدو، ويُصيبونها في مقتل، وتنتصر المدفعية المصرية لأول مرة، والتي أطلق عليها العدو بأنها معركة المدفعية لشراستها (ص: 80).

وذكر الشيخ حافظ سلامة: أنه في منطقة (حوض الدرس) حيث يتعرض جنودنا لمدفعية العدو، وجاء ضابط من الموقع يطلب زيارتنا، وقال: إن الجنود يحتاجون إلى زيارتنا لهم، ولكن الضابط أراد ـــ بإخلاص ـــ أن يُبيِّن لنا خطورة ذهابنا إلى الموقع، وكان معي في هذا اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور/ إسماعيل الدفتار ـــ العالم الأزهري ـــ، وسمع المناقشات، وعَزْمِي على الذهاب للموقع مهما كانت الخطورة؛ ليقيني بأن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى، وإذا بفضيلة الشيخ الدكتور/ إسماعيل يُصرُّ على مصاحبتي في هذه الزيارة، وقد حرستنا العناية الإلهية، وكانت الطلقات تتبادل، والجنود يُهلِّلون ويُكبِّرون

بعد مقتل كل إسرائيلي، وتنتهي المعركة ولم يُصب في موقعنا فردٌ واحد بعناية الله تعالى (ص: 80).

وقال الشيخ حافظ سلامة: أن علماء الأزهر هرعوا من القاهرة والأقاليم إلى المستشفيات؛ يُصبِّرون الجرحى على ألم الجراح، ويبعثون فيهم روح الإيمان حتى صار البطل الجريح يستعذب آلام الجراح على خطورتها، ويستشعر أن كل عضو بتر قد سبقه إلى الجنة.

نعم، لقد كان عمل العلماء كبيرًا، كان أحدهم يجلس إلى جوار الجريح يُطعمه ويسقيه، ويمسح عنه أثر الدماء ويربت على صدره، ويُمسك قلمه ومفكرته ليقول له: هل لك من حاجة نُوصلها إلى أهلك؟. هل أنت بحاجة إلى أي شيء (ص: 94).

وقال الشيخ حافظ سلامة: كنت أرى أحد العلماء وهو يجلس بجوار البطل الذي بُترت ذراعه، أو الذي لا يستطيع تناول الطعام، فيجلس بجواره ليُطعمه ويسقيه بيده، ويُحضر له المبْوَلة، ويقول له في تواضع: لقد سبقتمونا بالفضل بما حملتم من أوْسمة (ص: 97).

وماذا كانت نتيجة جهود علمائنا في التربية الإيمانية لهذه المعركة العظيمة؟.

كانت النتيجة: تربية جنود يليقون بالجهاد والنصر والتحرير، يسعون إلى الشهادة في سبيل الله كما يسعى عدو الله وعدوهم إلى الحياة أو أشد، باعوا أنفسهم لله، واشتراها الله تعالى منهم؛ فلم يهابوا أن يقعوا على الموت أو يقع الموت عليهم.

قال الشيخ حافظ: والله عندما كنت أشاهدهم، وهم ينطلقون لأخذ مواقعهم، أو عندما اشتركت معهم في بعض المعارك، مُوجهًا ومُرشدًا، ولست حامل سلاح، وأنا أقول: اضرب من هنا. اضرب من هنا، فوالله كنت أنظر إليهم وهم يقتحمون النيران كأنهم يُساقون إلى عُرس، وهم يُهلِّلون ويُكبِّرون من قلوبهم بهذا الهتاف الرباني (الله أكبر. الله أكبر)، فسبحان الذي أعطاهم هذه القوة الخارقة التي غيرت استراتيجية (تخطيط) العدو (ص: 251) .

وهذا اللواء مهندس أحمد حمدي عَلَتْ شفافيته الإيمانية وإخلاصه لله تعالى حتى: أنه كان يرى مهندسين آخرين، ليسوا من مهندسيه، فمن أين جاء هؤلاء؟.

إنه وقف صامتًا وهو يقول: المدد من الله، لقد أرسل إلينا مددًا من عنده من المهندسين، وكلما اقتربت من دبابة أو سيارة مصفحة أو ناقلة جنود أو قافلة جنود سمعتهم وهم يُهلِّلون ويُكبِّرون، وكأنهم استبدلوا بالتحية التكبير (ص: 91).

ومن المجاهدين: الجندي الذي بُترت ساقه وذراعه، وهو يُناديهم والدماء تنزف منه، فلما دنوت منه لأسأله حاجته، قال: إني أريد أن أقبِّلك، الحمد لله أنا بخير، وإذا به يضع أوْسمة من دمائه الذكية على جبيني وملابسي، ثم يقول:

أملي أن لا يحول بتْر ساقي وذراعي عن مواصلة جهادي حتى يتم تحرير أرض مصر (ص: 95).

قال الشيخ حافظ سلامة: وقفت لاستقبال الجرحى الأبطال، وفوجئت بسيارة (جب) تأتي مسرعة وتقف، فأرى السيد العقيد (فؤاد بسيوني) قائد كتيبة الصاعقة يجلس على كرسيه والدماء تنزف منه، كما أن الجندي السائق كان قد أصيب هو الآخر، وتحمَّل الإصابة، وقاد السيارة بنفسه؛ ليُنقذ حياة قائده، يالها من روْعة!، وحملناهما من السيارة ــ ودمائهما تنزف ــ إلى غرفة الاستقبال، كان ذلك قبل غروب الشمس بنصف ساعة، فوجدته (العقيد/ فؤاد بسيوني) يُتمتم بكلمات لا تُسْمع بسهولة، فدنوت منه، فإذا هو يقرأ من كتاب الله ما شاء، وقد أغْمض عينيْه، فلا يدري أين هو؟.. ولا ماذا يُفعل به؟!.. إنه سابح في ملكوته يُؤدي شكره من قلبه لمولاه ــ سبحانه وتعالى ــ، لما أصابه في سبيل الله.

وأسرع الطبيب المختص ليُسعفه بـ (الدم والجلوكوز ومحلول الملح) وهو على حاله يُتمتم بحمد الله، ثم ارتفع صوته قليلًا، وهو يُناجي ربه ليتقبل منه جهاده ودماءه، بل وروحه، وطلب مني قليلًا من الماء، فاستشرت الطبيب المختص، ورأى أن نُمرِّر بعض الماء على شفتيْه، فأسرعت إليه بالماء أقربه من فمه؛ ليشرب منه قليلًا، ولكنه أفاق على الفور، وقال لي: هل غربت الشمس؟.. فقلت له: باقي على المغرب عشرون دقيقة..

فقال: أنتظر حتى الغروب!.. فقلت له: لقد أعفاك الله من الصيام في ميدان القتال، وخاصة بعد جرحك الذي تُقاسي منه، ويحتاج إلى علاج، والفطر ضروري لك من أجل شفائك، ولكنه أجابني في لهجة عسكرية مؤمنة: لا أفطر حتى تغرب الشمس، أو ألقى الله وأنا صائم!.

ويشاء الله أن تُعمل له الجراحات، ويُفيق من المخدِّر، ويقول لأحد أبنائه من الضباط، وهو الرائد (أحمد ناجي): ماذا فعلتم في كذا وكذا؛ ليطمئن على تنفيذ أبنائه للخطة.. وقلت في نفسي: هل كان وهو في غيبوبته يُفكر في المعركة حتى يكون أول ما نطق به هو أن يطمئن على سير المعركة وعلى أبنائه؟، ويُحمِّل الرائد (أحمد ناجي) الأمانة، ويقول له: بلِّغ سلامي إلى جميع أبنائي، وسوف ألقاكم قريبًا بإذن الله، وقد حضر الرائد (أحمد ناجي) بعد اطمئنانه، واستلامه النقط الحصينة بالضفة الشرقية من القناة (منطقة المركاب)، ورفْع العلم المصري عليها.

وبعد الحصار الذي ضربته قواتنا المسلحة، وأنا أقف على باب المسجد (مسجد الشهداء) لأستقبله، وأهنئه بالنصر، إذْ قال لي: إني لم أؤد صلاة العصر، فقلت له: يا أحمد، هل أنت على وضوء؟.. فقال: ما دخلت معركة ولا اشتبكت مع عدو إلا وأنا على وضوء، وسوف أصلي في الشارع على الأرض بدلًا من فك الحذاء وربطه، لأنني لابد أن أسرع لألحق بأبنائي من الجنود والضباط في هذا الحصن، كما أدعوك لزيارته، والتعرف على قوة تحصيناته، وجُبْن من كان فيه من اليهود، واستسلامهم لنا (98).

وهذا جندي آخر: من رجال قواتنا المسلحة العابرة خط (بارليف) يُحمل إلى المستشفى في حالة سيئة، وقد انفصل عظم فكِّه الأسفل تمامًا، وجاء مُتدليًا على صدره، ولسانه كذلك، وأسرع الطبيب المختص يُعالجه، مُبتدئًا بربط لسانه إلى فكِّه الأعلى؛ تمهيدًا لإدخاله غرفة العمليات، وإذا بهذا الجندي يصيح كما يصيح البكم، مُشيرًا إلى حاجته إلى قلم، وكان له ما أراد.

وفي ثبات عجيب ذهب من خلاله ألمه المرير، وفي صمتٍ عاقل بدأ يكتب، وراقبته من قرب، فقد ظننت أنه يكتب آخر وصاياه، لقد نظر أولًا إلى نافذة الحجرة، ثم بدأ

يكتب على كف يده اليسرى ما نصه: (إني صائم).. وقلت في نفسي: حتى إذا كنت أيها الأخ مُفْطرًا فكيف نستطيع أن نُطعمك أو نسقيك شيئًا وأنت على هذا الحال؟.. ثم قلت في نفسي: لعله يقصد غير ذلك، وإذا به يقطع تفكيري، ويُشير إلى أنه بحاجة إلى ورقة، وقدمت إليه الورقة على الفور، فكتب ما نصه: احذروا أن تُعطوني أيَّ مُفْطر حتى تغرب الشمس.

وهذا جريح آخر يسبح في دمه، وينزف جسده ووجهه من الجراح التي شملته كله، وما أن استقر على سرير الاستقبال ونحن حوله حتى نسي نفسه، وأشار إلي فأسرعت إليه، فإذا به يحتضنني في قوة الذي يُصارع الموت، ويُشرِّف وجهي وملابسي بدمائه الزكية، وهو يقول بالنص: الحمد لله الذي نصرنا، وأخذنا بثأرنا في سبيل الله.. ادع لي يا عم الشيخ حافظ، أن يُكرمني الله لأعود مرة أخرى إلى الميدان، ولكن شاءت إرادة الله تعالى أن يُلحقه بجواره بعد هذه الكلمات مباشرة.

ومثال آخر: تمنيت لو رآه شعبنا (المصري) وأمتنا (الإسلامية)؛ لتعرف أصالتنا ونوْعية شعبنا بين شعوب البشر لو أننا جعلنا الله دائمًا هو وِجْهتنا في السلم، وفي الحرب على السواء.

وهذا جريح يُحمل إلى المستشفى من الميدان على عجل وقد بُترت ساقه بشظية قنبلة، والدماء تنزف منه، ومن مواضع كثيرة من جسده، وبدأ إسعافه على الفور، وكم كان فخرنا يعظم، وتكبيرنا يعلو حينما أشار إلي بالاقتراب منه، وهو يضحك مسرورًا، ويقول: لقد فعلت كذا، وفعلنا كذا. أعداؤنا يا شيخ حافظ ـــ والله ـــ مثل (الفئران)، يفرون أمامنا، إني لم أصب منهم وجهًا لوجه، بل إني أصبت من لغم نصبه الجبناء؛ ليدفعوا به عن أنفسهم، ثم سكت لحظة ليقول، ولكني أتمنى أن يُمكنني الله من العودة إلى

جهاد أعدائه حتى أنال الشهادة، وأدخل الجنة بعُرجتي هذه، ثم صاح فجأة ونحن بجواره، وهو يهتف: هبي علينا يا رياح الجنة (100) [1].

وغير هذا كثير مما سجله الشيخ حافظ سلامة في كتابه المذكور.

بهذه التربية الإيمانية التي شاعت في الشعب والجيش المصري قبل المعركة المذكورة وأثناءها ظهر الجندي المصري المجاهد على حقيقته في القتال؛ مما أذهل الأعداء وأرعبتهم، حتى أن رئيس أركان الحرب الإسرائيلي (دافيد أليعاذر) قال: إن المفاجأة الكبرى في هذه الحرب (المذكورة) كانت هي الجندي المصري، فقد أظهر قدرًا من الكفاءة والتضحية بالنفس والنفيس أكثر مما كانوا يظنون [2].

وقال أحد القادة الإسرائيليين: كان المصريون يركضون نحو دباباتنا دون وجل، يتسلقونها ويقتلون أطقمها بالقنابل اليدوية والصواريخ دون أن يبدو أن لذلك نهاية، وكان القتل حولنا مُخيفًا جدًا. . موجات تتلوها موجات من المصريين [3].

وقال الجنرال (شموئيل جوتين): كان الجيش المصري يتقدم في موجات تلو موجات، وكنَّا نُطلق عليه النار وهو يتقدم، ونُحيل ما حوله إلى جحيم وهو يتقدم، كان لون القناة (أحمر) قانيًا بلون الدم، ورغم ذلك ظل يتقدم [4].

ومع أن الرئيس السادات رحمه الله ذكر: أن الأسلحة التي بيعت للجيش المصري

---

1() رحم الله شهداءنا, ورحم الله الشيخ حافظ سلامة.. وحيا الله الأحياء من علمائنا، ورحم الله من مات منهم.. راجع: ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان.. حقائق ووثائق للعبرة والتاريخ، في الصفحات المُشار إليها.. بقلم: حافظ علي أحمد سلامة.. قائد المقاومة الشعبية بالسويس، ط. خاصة بالمؤلف.

(2) 308راجع: حرب أكتوبر 1973م.. دراسة ودروس 308، للفريق أول محمد فوزي.

(3) راجع: عندما سقطت السماء فوق إسرائيل 117، لمحمد فيصل عبد المنعم، ط. دار الشعب .. مصر.

(4) راجع: فضائل مصر ومزايا أهلها 270، د. محمد بن موسى الشريف، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وضعته وراء جيش العدو بعشر خطوات [1] فإن المجاهدين المصريين استطاعوا بالتربية الإيمانية والقتالية أن يُحققوا النصر المطلوب، ويكسروا جبروت الاحتلال اليهودي، ويعبروا قناة السويس، ويقتحموا خط (بارليف) الذي قالوا عنه: إنه صخرة ستتحطم عليه جماجم المصريين، ويُحققوا بطولات ذكَّرتنا ببطولات الصحابة، وكانت صيحتهم الإيمانية، التي قالوها بصوت جماعي مُؤثر: الله أكبر.

وفي معركة جوية قوامها (80) طائرة معادية تقريبًا أسقط طيار مصري واحد خمس طائرات فانتوم (! )، وهو يهتف باللاسلكي: (الله أكبر)! [2].

وفوق مياه قناة السويس، وأثناء عبور آلاف القوارب المطاطية لم يكن يعلو نداء إلا نداء الجنود: الله أكبر. . الله أكبر [3].

قال اللواء شوقي محمد بدران: ولقد كان شعار قواتنا المسلحة في حرب رمضان عام 1393هـ: (الله أكبر) مدويًا في آفاق السماء، ورجالنا يُهاجمون مواقع العدو فيهزهم هزًّا، وقذف الله في قلوب الأعداء الرعب؛ ففروا هاربين، وكان هذا الشعار يُقوِّي عزيمة الرجال، ويبعث فيهم الأمل، ويُعطيهم الثقة بأن العدو مهما كان كبيرًا.. كانت صيحاتهم المدوية (الله أكبر) تُزلزل أقدام العدو، فكانت هذه الصيحة طلبًا للمدد من الحق سبحانه وتعالى، فكتب لهم النصر، وحقق أمنيتهم [4].

ولهذا سماها الرئيس الصليبي الأمريكي (نيكسون): حرب (الله أكبر)، فقد نشرت جريدة الأماني القومية بعددها الصادر في جمادى الآخرة عام 1394هـ، أنه قال: إن

---

(1) راجع: البحث عن الذات 270.. تأليف محمد أنور السادات رحمه الله، ط. المكتب المصري الحديث .. مصر.

(2) راجع: مصر بعد العبور 138، لعلي محبوب، وزميليْه، ط, الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مصر.

(3) راجع: مصر بعد العبور 302، لعلي محبوب، وزميليْه، ط, الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مصر.

(4) راجع: فضائل مصر ومزايا أهلها 270، د. محمد بن موسى الشريف، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الانتصار العسكري الذي حققه المقاتل المصري في حرب (الله أكبر) ألزم أمريكا التحرك لتسوية دائمة في الشرق الأوسط [1].

وكان قادة الجيش قدوة حسنة لجنودهم في الشجاعة والثبات والاستشهاد.

قال الفريق الجمسي: تكبد رجال المهندسين نسبة عالية من الخسائر أثناء فتح الممرات في الساتر الترابي (خط بارليف) وإنشاء الكباري ــ فوق قناة السويس ـــ إلا إنهم ضربوا المثل في الإصرار على تنفيذ المهام والتضحية بالنفس في سبيل الواجب، واستُشهد منهم أحد القادة المهندسين البارزين، هو العميد: أحمد حمدي، الذي أُطلق اسمه على نفق قناة السويس ــ بعد الحرب ــ (نفق الشهيد أحمد حمدي) [2].

لقد أحزنني خبر استشهاده، لأني عرفته عن قُرب أثناء معارك القناة بعد حرب يونيو 1967م عندما كنت أعمل رئيسًا لأركان جبهة القناة، وكان الشهيد أحمد حمدي يعمل في الفرع الهندسي بالجبهة، كان هادئًا في طباعه، وعلى درجة عالية من الكفاءة في عمله الهندسي، ولديه الإصرار التام على إنجاز مهامه مهما احتاج ذلك من جهد أو وقت. . لا أتذكر أثناء الخدمة معًا أني رأيته في مقر قيادة الجبهة إلا نادرًا، فقد كنت أراه دائمًا عائدًا في الساعات المُتأخرة من الليل من الخطوط الأمامية بعد أن يكون قد أشرف على تنفيذ عمل هندسي تقوم به القوات أو الوحدات الهندسية [3].

العميد المهندس أحمد حمدي رحمه الله الذي عُرف بين رفقائه بلقب (اليد النقية)؛ لسرعته في تفكيك الألغام، وهو الذي أشْرف على إقامة الجسور فوق قناة السويس، وعبر عليها الجيش المصري إلى سيناء.

---

(1) راجع: ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان 1393عـ = 1973م ص 92، بقلم حافظ علي سلامة.

(2) ذكر العارفون به أنه رحمه الله سافر عام 1958م بعد زواجه بثلاثة أشهر إلى بعثة خارج مصر، وقال يومها: إن زوْجتي تستطيع الانتظار لكن الجيش لا يستطيع الانتظار (مجلة الهلال 197).

(3) راجع: السابق ص 314 .

وقبل المعركة طوَّر الكباري الروسية ليستغرق تركيبها ست ساعات بدلاً من (74) ساعة، وصنع كوبري علوي يتم تركيبه على أساس مواسير حديدية يتم سحبها عاشق ومعشوق؛ لاستخدامها في حالة فشل قوات الصاعقة في غلق فتحات (النابالم) في القناة.

أقول: هذا المهندس من الجنود الذين صاغتهم التربية القرآنية في المساجد؛ ففي يوم 14/ 10/ 1973م ليلة استشهاده جاء بالشيخ (زين) واعظ وحدات الكباري، وكان مُجنَّدًا بها، وقرأ الاثنان معًا في القرآن الكريم، ثم أدَّيا صلاة العشاء[1].

قال شيخنا محمد الغزالي: إنني عرفت أحمد حمدي في مسجد الجمعية الشرعية بالمعادي، وكنا نصلي الجُمعة معًا، وكذلك في مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة.. قال الشيخ: وقد أرسل إليَّ بتحياته عشية استشهاده [2].

وقد اختاره الله تعالى في طليعة الشهداء وهو يُؤدي واجبه في بناء الكباري [3].

---

(1) راجع: مجلة الهلال المصرية 199.

(2) راجع: الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر الهجري 99 لشيخنا محمد الغزالي .

(3) وبعد استشهاده ــ رحمه الله ــ دُفن جثمانه الطاهر بجوار الكوبري الذي كان يُصلحه على الشاطئ الشرقي لسيناء، ومنذ 19 من شهر رمضان وعصفوران خُضْر اللوْن يهبطان كل فجر، ويقفان طويلًا فوق القبر، ويتجمَّع المُقاتلون لرؤية المشهد الفريد، ويتذكرون أن البطل قال لأسرته وهو مُسافر إلى المعركة يوم 6 أكتوبر عام 1973م: لو أراد الله أن يُكْرمني ويُكْرمكم لكتب لي الشهادة وأنا أُحارب بين جنودي في معركة تحرير سيناء (راجع: مجلة الهلال المصرية 199، عدد تذكاري في أكتوبر 1976م).

وهنا أسجل أسفي لأن هذه المعركة التاريخية الفاصلة لم يُسجل الذين شهدوها من القادة والجنود وقائعها وكراماتها الإيمانية، مثلما عُني به العلماء في معركة القادسية وحطين وعين جالوت وغيرها .. إن ما سجله بعض قادتها في مذكراتهم لا يحكي ما حدث فيها كاملاً.

ومع أن القادة والجنود قد أقروا بدوْر الجانب الإيماني في تحقيق البطولات غير أنهم لم يتحدثوا عنه كثيرًا، ربما تحدث عن بعضه المجاهد: الشيخ حافظ سلامة، وربما أشار إليه إشارة خفيفة المشير الجمسي، أمَّا الفريق سعد الدين الشاذلي مع أنه القائد الذي أمر أن تكون صيحة الجنود: الله أكبر

ولهذا رزق الله المجاهدين النصر بقدر إخلاصهم وإعدادهم بعد نكبات طالت ببلادنا؛ فكسروا بهذا الانتصار شوكة اليهود المعتدين، وقهروا به استكبارهم، وأزالوا إشاعتهم عن جيشهم بأنه: الجيش الذي لا يُقْهر.

قال الرئيس المصري الذي قاد هذه المعركة: كانت أهم نتائج حرب رمضان أننا قضينا على أسطورة: جيش إسرائيل الذي لا يُقهر.

وقال وزير الدفاع الأمريكي (جيمس شيلز نجر): أصبحت هالة دولة إسرائيل التي لا تُقهر موضع تساؤل [1].

والحاصل: أننا إذا قمنا بإعداد الجيل المنشود بالتربية والتزكية الإيمانية نكون قد قطعنا شوطًا كبيرًا في طريق إعداد القوة المطلوبة للتحرير.. أمَّا إذا أخْفقْنا في إعداد هذا الجيل فلن يقوم بنا جهاد ولا نصر ولا تحرير، وسيستبدل الله بنا جيلاً آخر يكون أهلاً لمدده ونصره، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة: 54).

تتمة.. وجوب استهاض العلماء والمربين ليقوموا بعملهم في حياتنا.

ولهذا أقول يجب على ولي الأمر في كل قُطر إسلامي أن يستنهض العلماء ليقوموا بعملهم المطلوب في التربية الإيمانية، فإن عملهم هذا لا يقل في أهميته وضرورته عن جهود القادة السياسيين والعسكريين، فكل منهما يُكمل الآخر في الإصلاح والبناء والجهاد والنصر والتحرير، ولهذا قال الحكيم: صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلُحَا صَلُحَ النَّاسُ:

---

لم ينقل للناس وقائع إيمانية شهدها أو سمعها. وكنت ــ ولا زلت ــ أتمنى لمن عاصر هذه المعركة من القادة والجنود أن يُسجلوا للتاريخ ما شاهدوه فيها من آيات الإيمان والبطولة والفداء، إنها أمانة في أعناقهم وسيسألهم الله عنها.

(1) راجع: فضائل مصر ومزايا أهلها 275، 281، د. محمد بن موسى الشريف.

الْأُمَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ [1].. وأيضًا إذا فسد (الْأُمَرَاءُ وَالْفُقَهَاءُ) فسد الناس.

قال أبو حامد الغزالي: إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفًا من إنكارهم؛ ولذلك قال ﷺ: «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ تَحْتَ يَدِ الله عَزَّ وَجَلَّ وَفِي كَنَفِهِ مَا لَمْ يُمَالِئ قُرَّاؤُهَا علماءها) أُمَرَاءَهَا» [2].. والقراء هم العلماء. اهـ [3].

ولا غرو، فالعلماء اختارهم الله تعالى ليكونوا أوْعية لحمْل دينه، وعقْلًا لفهْم وحيه، ولسانًا لبيان هديه، يقول الله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنكبوت: 43).

ويقول سبحانه: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء: 83).

فالعلماء كما قال الراسخون في العلم: سراج الأزمنة، كل واحد منهم مصباح زمانه، يستضيء به أهل عصره [4].

وقد أيْقنْت بالمعايشة والتأمل أن المسلمين ـــ في الأعم الأغلب ـــ لا يعرفون إسلامهم ولا يعملون به إلا ببيان العلماء في اللقاءات الفردية والجماعية.. فلولا العلماء

---

1) قول مأثور منسوب إلى سفيان الثوري.. ذكره تمَّام في فوائده قم 901، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، رقم 1108، وحلية الأولياء لأبي نعيم 4/ 101، رقم 4898، وغيرهم عن ابن عباس مرفوعًا، وسنده هالك، ولهذا ذكره الألباني في الأحاديث الضعيفة رقم 16، وقال: موضوع.

2) مرسل الإسناد.. ذكره أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين 3/ 573، وأخرجه أبو عمرو الداني في كتاب الفتن رقم 331، وابن المبارك في الزهد رقم 821، من رواية الحسن مرسلًا، ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر .. وإسنادهما ضعيف.. ومرسلات الحسن ضعيفة كما قال أهل الحديث.

3) راجع: إحياء علوم الدين 3/ 573. 574، لأبي حامد الغزالي، ط. دار المنهاج.. جدة.

4) راجع: إحياء علوم الدين 1/ 45 .

لشاع في المسلمين الجهل بإسلامهم، ولغابت عنهم التربية الإيمانية، وصاروا أوْعية فارغة، قابلة لثقافة الهزيمة والانحراف، بل قابلة للارتداد عن الإسلام.

قال الحسن: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم[1].. أي أن الناس يخرجون بالعلم من حد البهيمية إلى واحة الإنسانية.

**ميثاق أهل العلم: البيان والتعليم والتذكير.**

هذا، وقد زلَّل الله تعالى لأهل العلم والتربية طرائق العلم، ويسر لهم مسالكه، وألَانَ لهم مسائله، وأخذ عليهم الميثاق أن يُبينوا ولا يكتموا، وينصحوا ولا يُنافقوا، ويقوموا بواجبهم في التربية والتوعية ولا يقعدوا، يقول الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: 187).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَآهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ».. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ [2].

ويقول سبحانه: (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)(التوبة: 122).

وعمل العلماء والمربين في البيان والتربية والتعبئة ضرب من الجهاد المدني المطلوب، يقول الله تعالى: (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى الله أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ) (النساء: 84).

وفي هذه الآية يعطف الله تعالى وعده للمؤمنين بأن يكف عنهم بأس الذين كفروا على أمْره سبحانه لولي الأمر وأهل العلم بتحريض المؤمنين على القتال.

والتحريض على الجهاد وعلى الخير عادة يكون باللسان، كما يقول الله تعالى: (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان: 52).

---

1) راجع: إحياء علوم الدين 1/ 45.

2) صحيح.. أخرجه أحمد 11017، وغيره.

ومعناه: جاهدهم بالتبليغ والإيصال وبالإيضاح والبيان، والصبر والاحتمال، ولم يكتف الله تعالى بتسمية هذا العمل المدني جهادًا، بل وصفه بأنه: (جِهاد كَبِير)، لأنه يُلازم المسلم في كل أحواله، في ليله ونهاره، وفي إقامته وسفره.

وهذا الجهاد المدني ثلث أعمال الجهاد المطلوب للنصر والتحرير، كما جاء عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ» [1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ» [2].

وَجَاء عَن بعض الصَّحَابَة رضى الله عَنْهُم: إِذا جَاءَ الْمَوْت طَالب الْعلم وَهُوَ على هَذِه الْحَال مَاتَ وَهُوَ شَهِيد [3].

قال ابن القيم: الجهاد بالعلم والحجة والبيان هو جهاد الخاصة من اتباع الرسل، وهو جهاد العلماء العاملين، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه.... ولهذا يقرن الله تعالى بين الكتاب المُنزَّل، (وهو الذي يقوم به العلماء)، وبين الحديد الناصر، (وهو الذي يقوم به الحكام)، يقول الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الله مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحديد: 25).. فذكر الكتاب والحديد معًا إذْ بهما قوام الدين [4].

فإذا قام أهل العلم بواجبات هذا الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم جعلهم الله تعالى معه في إقامة العدل في الأرض، والشهادة على الخلْق، كما يقول سبحانه: (شَهِدَ الله

---

1) صحيح.. أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، رقم 2504، والنسائي في كتاب الجهاد، رقم 3096، وغيرهما.

2) صحيح.. أخرجه ابن ماجة، رقم 227، وأحمد 8603، 9419، وأبو يعلى 6472، وغيرهم.

3) راجع: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة 1/ 271: 273، لابن القيم.

4) راجع: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة 1/ 271: 273، لابن القيم.

أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيـزُ الْحَكِـيمُ) (آل عمران: 18).. ويقول سبحانه:

(قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (الرعد: 43).

وجعلهم رسول الله ﷺ ورثة الأنبياء عليهم السلام، كما جاء عن أَبِـي الـدَّرْدَاءِ أن رسول الله ﷺ يقول: «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وإنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» [1].

قال الراسخون في العلم: أقرب الناس إلى درجة النبوة أهل العلم وأهـل الجهـاد، أمَّا أهل العلم فدلوا الناس على مـا جـاءت بـه الرسـل.. وأمَّـا أهـل الجهـاد فجاهـدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل [2].

وإذا لم يقم أهل العلم بواجبهم في الإيصال والبيان، والتذكير والتوجيه فقد خانوا الأمانة، وارتكبوا حرامًا وإثمًا مبينًا، ولعـنهم الله تعـالى وملائكتـه والمؤمنـون، يقـول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُـوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (البقرة: 159، 160).

ويقول ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [3].

**ترك توجيه العلماء ونصائحهم هزيمة وزوال.**

وإذا كان العمـل بتوجيـه العلمـاء وبيـانهم ووصـاياهم سـبب في القـوة والنصـر والتحرير فإن ترك توجيههم ونصائحهم سبب كبير في الهزيمة والزوال.

---

1) صحيح.. أخرجه أبو داود في كتاب العلـم 3641، وابـن ماجـة في المقدمـة 223، وابـن حبـان 88، وغيرهم.

2) راجع: إحياء علوم الدين 1 / 23، منسوبًا لإسحاق بن عبدالله بن أبي فروة.

3) صحيح.. أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، رقم 3658، والترمذي في أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كتمان العلم، رقم 2649، وابن حبان 95، وغيرهم عـن أبي هريرة.

قال أبو بكر بن العربي رحمه الله: ولقد نزل بنا العدو قصمه الله سنة سبع وعشرين وخمسمائة (527هـ)؛ فجاس ديارنا، وأسر جيرتنا، وتوسط بلادنا في عدد هال الناس عدده، وكان كثيرا، وإن لم يبلغ ما حددوه، فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدو الله، وقد حصل في الشرك والشبكة، فلتكن عندكم بركة، ولتظهر منكم إلى نصرة دين الله المتعينة عليكم حركة، فليخرج إليه جميع الناس حتى لا يبقى منهم أحد في جميع هذه الأقطار فيحاط به فإنه هالك لا محالة إن يسركم الله له.. فغلبت الذنوب، ووجفت القلوب بالمعاصي، وصار كل أحد من الناس ثعلبًا يأوي إلى جاره، وإن رأى المكروه بجاره ــ لا يُنجده ــ ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون [1].

وأعاد التاريخ نفسه، واحتل العدو أرض الإسلام في القدس وفلسطين، وأولياء الأمر في الأقطار الإسلامية شهود وسكوت، وقد بُحت أصوات العلماء بالمناداة بوجوب الجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض، ولم يستجب لهم أحد؛ مما كان سببًا في طمع العدو في أرض الإسلام، واحتلاله مزيدًا منها.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

**الحذر من دسائس الأعداء ومكائدهم.**

إن أعداءنا من الصليبيين واليهود يُوقنون أن التربية الإسلامية تُربي مؤمنين مجاهدين، وأبطال أشداء، لا يقْوون على محاربتهم؛ ولهذا يرونهم أخْطر عليهم من السلاح الحربي؛ فيخافونهم أكثر من خوفهم من الله تعالى، كما يقول الله تعالى: (لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ)(الحشر: 13).

وقالت جريدة الدستور الأردنية عن وسائل الإعلام اليهودية: لا تُخفي السلطات اليهودية أنها تعتبر أسرة الجهاد أكثر الحركات الوطنية خطرًا على إسرائيل، لأنها تُصر إزالة دولة إسرائيل من فلسطين؛ لتقيم في فلسطين كلها حُكْمًا إسلاميًا [2].

---

1) راجع: راجع: أحكام القرآن 2/ 517 لأبي بكر بن العربي.

(2) راجع: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية 108، د. محمد شبير، ط. دار النفائس.. بيروت.

ولهذا يجب على الدولة المسلمة (الحكومة والمؤسسات والشعب) أن تحذر مكائد الأعداء في التأثير على دور التعليم والتربية بما يُحقق مصالحهم، ويُضعف بلادنا.

فقد عمل الأعداء منذ احتلوا أرض الإسلام على صناعة جيل منَّا، يحمل فكرهم وأخلاقهم؛ ويكون مِعولًا ضدنا، وقد قال أحد الخبراء: إن أهل الشرق يقضون على العدو بشدخ رأسه، ولكن الغربيين يقضون على العدو بتغيير طبيعته وقلبه [1].

وقال محمد إقبال: إن التعليم الغربي (في بلاد العروبة والإسلام) إنما هو مؤامرة على الدين والخُلُق والمروءة [2].

واليهود هم الآخرون يعملون لإفساد المسلمين بالانحلال الأخلاقي والخمور والمخدرات، والنظريات الفاسدة التي يُلْبسونها لباس العلم، مثل: النظرية العلمانية (شيوعية أو ليبرالية)، ومثل: نظرية فرويد في الجنس، ونظرية التطور لداروين.. ونظرية: كارل ماركس في الاعتقاد والاقتصاد.. وغيرها.. وهذا ليضْعف المسلمون، ويسهل على اليهود هزيمتهم واحتلال أرضهم وديارهم.. قال اليهود في خططهم الشيطانية: لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها.

وقالوا : لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه وقد رتبناه من قبل. والأمر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحاً لنا على التأكيد [3].

وعقب الحرب الإسرائيلية على لبنان (عام 1427هـ = 2006م) فاجأ الحاخام

---

(1) راجع: نحو التربية الإسلامية الحرة 34، لأبي الحسن الندوي، ط. دار المختار الإسلامي.. مصر.

(2) راجع: نحو التربية الإسلامية الحرة 34، لأبي الحسن الندوي، ط. دار المختار الإسلامي.. مصر.

(3) راجع: الخطر اليهودي بروتوكولات صهيون، البروتوكول رقم 9، ص: 178.. ورقم 2، ص 148: 149.

(3) راجع: جريدة عقيدتي 5/ 8/ 1427هـ- 29/ 8/ 2006م.

اليهودي (مردخاي فرومان) مستمعيه في المعبد بأنه يملك حلاً قوياً؛ لإنهاء الصراع اليهودي مع الإسلام إلى غير رجعة، وذكر في خطبته: أن تبذل الدوائر الصهيونية في إسرائيل والعالم كله جهدها؛ لعلْمَنة المجتمع الإسلامي، بحيث يتم القضاء على تعاليم وتاريخ الإسلام في شخصية وحياة المسلم، عن طريق نشر الإباحية وثقافة الجنس والدعارة والمخدرات ونحو ذلك بشتى الوسائل.

ثم قال: إن على إسرائيل أن تنسى تماما أيّة محاولة للتخلص من المسلمين عسكريًا، فلن تبلغ ذلك أبدًا، ما دام بَقي في داخلهم أدنى علاقة بهُويتهم الإسلامية، ولكن إسرائيل تستطيع عقب علْمَنتهم التخلص منهم بسهولة منقطعة النظير [1].

ويجب أن نعترف أن اليهود نجحوا في إفساد عدد من المسلمين في المجتمع المسلم، حتى في فلسطين المحتلة وجدنا من زعم أنه علماني (ليبرالي أو شيوعي)، ويدعم اليهود في احتلالهم فلسطين! مثلهم مثل اليهود.

ففي سنة 1948م كان من أبناء فلسطين شيوعيون!، يدعمون اليهود، ويكتب عدد مهم إلى الاتحاد السوفياتي رأس الشيوعية في العالم، قالوا: إن جعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود هي الطريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربي (!).

وكشف المدعو رفيق رضا ــ عضو قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري ــ النقاب عن علاقة الحزب الشيوعي باليهود قال: كانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماسة (ابن جوريون) على بعث الدولة اليهودية في فلسطين، فإسرائيل في نظرهم واحة من واحات الديمقراطية في الشرق الأدنى، والشعب الإسرائيلي المُشرَّد لابد أن يلتقي في أرض المعاد [2].

**2 ـ طاعة الله تعالى واجتناب معاصيه.**

الخطوة القرآنية الثانية للنصر والتحرير: طاعة الله تعالى، واجتناب معاصيه.. وهي

---

(1) راجع: جريدة عقيدتي 5/ 8/ 1427هـ- 29/ 8/ 2006م.

(2) راجع: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية 118.

من أهم آثار التربية الإيمانية.

وطاعة الله تعالى هي: عمل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال، وهي عينها طاعة رسوله ﷺ ومنها: استخدام السنن الإلهية في استجماع أسباب التحرير.

وقد ثبت في الوحي الإلهي، وفي سنن الله الثابتة التي لا تتحول ولا تتبدل ولا تتخلف: أن طاعة الله تعالى قوة للمؤمنين، وسبب رقيهم في السلم، وانتصارهم في الحرب، كما يقول الله تعالى: (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) (طه: 123).. ويقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) (محمد: 7، 8).

ويقول سبحانه: (وَلَيَنصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: 40، 41).

قال الشنقيطي: الآية دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالذين يُمكِّن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيهم والسلطان لهم، ومع ذلك لا يُقيمون الصلاة ولا يُؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فليس لهم وعد من الله بالنصر، لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأولياؤه، فلو طلبوا النصر من الله بناءً على أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أُجِّر عليه ثم يطلب الأجرة، ومَنْ هذا شأنه لا عقل له [1].

**المؤمنون حازوا القوة والنصر بطاعتهم لله تعالى.**

وفي التطبيق العملي نجد أن المؤمنين في تاريخهم كلما قاموا بطاعة الله تعالى واجتنبوا معاصيه، وأعدوا ما استطاعوا من أسباب النصر رزقهم الله تعالى القوة والغلبة والنصر والتمكين في الأرض. . ونذكر لذلك أمثلة للبيان لا للحصر:

---

(1) راجع: أضواء البيان 5/ 703، 704.

* ــ في غزو بدر كان المؤمنون قدوة حسنة في طاعتهم لله ورسوله، حتى أن أحدهم وهو الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو قال لرسول الله ^: يَا رَسُولَ الله، امْضِ لِمَا أَرَاكَ الله، فَنَحْنُ مَعَكَ، وَالله لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ) (المائدة: 24) وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فو الّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بِرْكِ الْغِمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ، حَتَّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ^ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِهِ [1].

ولهذا رزق الله تعالى المؤمنين في هذه المعركة القوة بعد الضعف، والنصر بعد الابتلاء، والأمن بعد الخوف، يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (آل عمران123).

* ــ وفي معركة القادسية جرت المراسلات بين المسلمين والفرس، وكان الفرس ينظرون إلى أسلحة المسلمين بعين الاحتقار لصغرها، وقالوا للمسلمين: لا يد لكم ولا قوة ولا سلاح؛ فما جاء بكم؟، ارجعوا.. قالوا: لا نرجع، وما نحن براجعين، فكانوا يضحكون من نَبْلنا، ويقولون: (دوك، دوك) أي يشبِّهونها بالمغازل [2]. . (لصغر حجمها).. فقال المؤمنون: وأما ما ذكرتم من رثاثتنا وقلّتنا، فإن أداتنا الطاعة، وقتالنا الصبر[3].

في هذه المعركة رزق الله المؤمنين النصر والفتح مع قلة عددهم، وضعف عتادهم، وعبروا نهر (دجلة) بغير سُفُن (!)، وكان الذي يُساير سعد بن أبي وقاص ﷺ ــ قائد الجيش ــ ويُحدثه وهم يسبحون على سطح الماء هو الصحابي سلمان الفارسي ﷺ، فَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَالله لَيَنْصُرَنَّ الله وَلِيَّهُ، وَلَيُظْهِرَنَّ الله دِينَهُ، وَلَيَهْزِمَنَّ الله عَدُوَّهُ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْجَيْشِ بَغْيٌ أَوْ ذُنُوبٌ تَغْلِبُ الْحَسَنَاتِ.

---

(1) أخرجه مسلم 1779، وعبد الرزاق 9727، وأحمد 12954، وابن حبان 4722، وغيرهم .

(2) (دوك) كلمة فارسية معناها: مغزل.. راجع: تاريخ االطبري3 / 496.. البداية والنهاية لابن كثير 7 / 41.

(3) راجع: تاريخ الرسل والملوك 3 / 528، ط. دار المعارف المصرية .. مصر.

فقال له سلمان: الإِسْلامُ جَدِيدٌ، ذَلَّلْتَ لَهُمْ وَاللهِ الْبُحُورَ كَمَا ذُلِّلَ لَهُمُ الْبَرُّ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ لَيَخْرُجُنَّ مِنْهُ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوهُ أَفْوَاجًا، فَطَبَّقُوا الْمَاءَ حَتَّى مَا يُرَى الْمَاءُ مِنَ الشَّاطِئِ، وَلَهُمْ فِيهِ أَكْثَرُ حَدِيثًا مِنْهُمْ فِي الْبَرِّ لَوْ كَانُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا مِنْهُ ـــ كَمَا قَالَ سَلْمَانُ ـــ لَمْ يَفْقِدُوا شَيْئًا، وَلَمْ يَغْرَقْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، إلا رجل واحد يدعى غرقدة، زال عن ظهر فرسٍ له شقراء، فثنى القعقاع بْن عمرو عنان فرسه إليه، فأخذ بيده فجره حتى عبر بسلام [1].

وفي معركة المؤمنين ضد الدولة الرومانية تعجَّب القائد الرومي (هرقل) من انهزام جيشه مع تفوقه في العدد والعدة والتدريب، وانتصار المسلمين عليه مع قلة عددهم، وضعف عتادهم، ورثاثة حالهم.

وقال لجنوده: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشرًا مثلكم؟. . قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم؟. قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن.

قال: فما بالكم تنهزمون؟.

فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزنى، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم ونأمر بالسخط، وننهى عما يرضى الله، ونفسد في الأرض. . فقال: أنت صدقتني[2].

* ـــ وذكر ابن تغرى بردى: أن المقوقس أرسل إلى القائد المسلم عمرو بن العاص رُسُلًا؛ ليُفاوضه في الصلح، فلما رجعت رسل المقوقس إليه قال: كيف رأيتموهم؟.

قالوا: رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على

---

(1) راجع: البداية والنهاية لابن كثير 7 / 65/ 67 .

(2) راجع: البداية والنهاية لابن كثير 7 / 15، ط. دار الفكر .. بيروت .

ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد؛ يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم.

فقال عند ذلك المقوقس: والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم[1].

* ــ وفي معركة رمضان عام 1393هـ = أكتوبر عام 1973م كان الإعداد لها جيدًا بقدر الاستطاعة، وكان الاشتغال بطاعة الله تعالى وذكره على رأس هذا الإعداد، وأطلق على مصر (دولة العلم والإيمان)، وعلى رئيسها (الرئيس المؤمن)؛ فرزق الله المؤمنين النصر الذي يُريدون.

ومن شهد هذه المعركة أكد أن طاعة الجنود لله تعالى، وصيحتهم المدوية (الله أكبر) كانت لهم أكبر مَدَد، مكَّنتْهم من عمل البطولات، وتحقيق النصر، حتى قال القائد اليهودي العسكري (موشي ديان) في كتابه (قصة حياتي):

إن المصريين هذه المرة (1973م) ليسوا هم الذين عرفناهم سنة 1967م[2].

**معصية الله سبيل الضعف والهزيمة.**

وفي المقابل نجد أن المؤمنين كلما تركوا طاعة الله تعالى، وانتشرت فيهم معصيته سبحانه أوْهنت قوتهم، وأحدثت فيهم ثُقوبًا؛ اختلَّت بها أمورهم، ويقوى عليهم عدو الله وعدوهم بكثرة عدده وقوة عتاده؛ فيهزمهم ويفتنهم عن دينهم بجاهليته، ويغتصب أرضهم وثرواتهم، ويحرص في ذات الوقت على بقائهم في هذا الوضع الجاهلي؛ ليظلوا ضعفاء تحت قوته وسيطرته، والله تعالى يقول: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه: 124).

---

(1) راجع: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 1/ 11، 12، ط. قصور الثقافة .. مصر.

(2) راجع: من أوراق السادات 252، لأنيس منصور، ط. دار المعارف.. مصر.

المعيشة الضنك هي الشقاء في السلم، والهزيمة في الحرب، ويقول سبحانه: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النور: 63).

وعَنْ زَيْنَب ابْنَةِ جَحْشٍ ــ رضى الله عنها ــ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ »، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِى تَلِيهَا.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟. . قَالَ: « نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخُبْثُ» [1].

وقد بيَّن النبي ﷺ لأمته أن شيوع معصية واحدة فيهم (مثل سرقة المال العام) تُوهن قوتهم أمام عدوهم، كما جاء عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنْ لَمْ تَغُلَّ أُمَّتِي لَمْ يَقُمْ لَهُمْ عَدُوٌّ أَبَدًا».

وقَالَ أَبُو ذَرٍّ لِحَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ: «هَلْ يَثْبُتُ لَكُمُ الْعَدُوُّ حَلْبَ شَاةٍ؟ »..

قَالَ: نَعَمْ، وَثَلَاثَ شِيَاهٍ غُزْرٍ.

قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «غَلَلْتُمْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتُوا لَكُمْ حَلْبَ شَاةٍ » [2].

* ــ وأرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ جيشًا إلى بلد من بلاد الأعداء، ثم جاء البشير يُبشره بالنصر، فقال له: متى كان بدء المعركة؟.

فقال: غدوة (أي في الصباح).. قال: ومتى كان النصر.. قال: عشية (أي في المساء).. فبكى عمر ﷺ حتى بلت دموعه لحيته.. فقال: أبشرك بالنصر يا أمير المؤمنين وتبكي؟. . قال: والله ما الكفر يقف أمام الإيمان من غدوة إلى عشية إلا لأمر أحدثتموه أنتم أو أنا [3].

---

(1) أخرجه البخاري 3346، ومسلم وغيرهما، كما في صحيح الجامع 7176

(2) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني 988، الطبراني في الشاميين 1028، والأوسط 8108، تَفَرَّدَ به: بَقِيَّةُ بن الوليد، وهو مدلس، لكنه صرَّح بالتحديث .. (المنتقى من الترغيب 725 ) ..لكن الألباني ضعَّفه بسبب عبد الرحمن اليحصبي، وهو مجهول كما في (ميزان الاعتدال للذهبي) (راجع: الأحاديث الضعيفة والموضوعة 5169).. والغلول: هو السرقة من المال العام للدولة .

(3) راجع: شؤم المعصية وبركة التقوى 87 أحمد البيانوني .. فكيف يتصر حاكم يسرق أموال رعيته ؟.

* ــ وفي التطبيق العملي نذكر غزوة أحد، حيث انهزم جيش المسلمين بسبب معصية ارتكبها عدد يسير من جنوده. . وخلاصتها: أن النبي ﷺ أوْقَفَ عددًا من الجنود الرماة على جبل (عينيْن) المقابل لجبل (أحد) ليردوا المشركين عن ظهْر الجيش الإسلامي إذا أرادوا طعنه من خلفه، وقال لأميرهم: انْضَحْ الْخَيْلَ عَنّا بِالنّبْلِ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَك لَا نُؤْتَيَنّ مِنْ قِبَلِك، ثم قال ﷺ للرماة: «إنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» [1].

لكن الرماة حينما رأوا بشائر النصر، ولاحت الغنائم أمام أعينهم تعلَّقت بها قلوبهم، وسال إليها لعابهم؛ فعصوا أمْر رسول الله ﷺ، وقَالَوا: أَيْ قَوْمِ، الْغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ!. . فَقَالَ أميرهم عَبْدُ الله بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ الله ﷺ؟.. قَالُوا: وَالله لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ تركوا مكانهم خاليًا، فنفذ منه العدو وأوْقع بالمؤمنين هزيمة لم يكونوا يتوقعونها [2].. وفيهم يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ الله وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ) (آل عمران: 152).

قال ابن مسعود: ما شعرنا أن أحدا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد [3].

وبعد المعركة وقف المسلمون مع أنفسهم وقفْة مُراجعة.. كيف انهزموا؟.. ولماذا انهزموا؟.. فبيَّن الله تعالى أن الهزيمة جاءت من داخل صفهم؛ بسبب معصية عدد منهم لأمر النبي ﷺ، يقول الله تعالى: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران: 165).

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 11 رقم 1090 .. وتاريخ الطبري 2 / 507 .

(2) أخرجه البخاري 3039، وغيره .

3() راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 5/ 363، تحقيق: د. عبد الله التركي، ط. مؤسسة الرسالة .

* ــ وفي غزوة حنين اقترف عدد من المؤمنين معصية واحدة من معاصي القلوب، وهي العُجب بكثرتهم؛ فتراخت همتهم عن أخذ الحذر في مسيرهم، وشغلتهم عن طلب العوْن من الله تعالى؛ فأنزل الله تعالى عليهم بأسه، وهزمهم عدوهم في بداية المعركة؛ فتفرقوا واضطربوا..قال العلماء: أدركهم شؤم إعجابهم بكثرتهم، وتراخيهم بسببه في القتال، يقول الله تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ الله فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) التوبة: 25) [1].

وسرعان ما راجعوا أنفسهم أثناء المعركة، ورجعوا إلى ربهم تائبين، وجمعوا صفهم طائعين؛ فرزقهم الله تعالى المدد والعون والنصر.

ولهذا كان المؤمنون الأولون يُحذِّرون المجاهدين من معصية الله تعالى، ويأمرونهم بالاستعانة بطاعة تعالى؛ فإنها عَوْن لهم على الثبات والصبر حتى النصر أو الشهادة.

* ــ قَالَ بُرَيْدَةُ: «كَانَ رَسُولُ الله ^ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ «اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله اغْزُوا وَ لاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تُمَثِّلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا » [2].

* ــ وأوصى أبو بكر الصديق جيش المؤمنين في الشام قُبَيْل معركة اليرموك قال: اجتمعوا عسكراً واحداً، وألقوا زحف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله؛ والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره، ولن يؤتى مثلكم من قلة؛ وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب؛ فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه [3].

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام 2 / 443.. والتفسير الوسيط 4 / 1680، 1681 .

(2) أخرجه مسلم في كتاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، رقم 1731، وأبو داود في كِتَاب الْجِهَادِ، رقم 2613، وغيرهما.

(3) راجع: تاريخ الرسل والملوك 3 / 393 .

* ــ وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى قائد جيشه عمرو بن العاص ﷺ قال: إني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم، وعدتنا ليست كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإن لم ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.....

وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم [1].

وجوب تطهير المجتمع الإسلامي من الموبقات.

ولهذا يجب على المؤمنين في سلمهم وحربهم مقاومة المعاصي في مجتمعهم.

وقد شرع الإسلام لتطهير المجتمع المسلم من الموبقات فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى: (وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: 104).

وحرف (مِنْ) في قوله سبحانه: (مِنكُمْ) للبيان والتجريد. . ومعناه: يجب على المؤمنين جميعًا أن يتجردوا للنهوض بهذه الفريضة بقدر استطاعتهم، كما جاء عَنَ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أن النبي ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» [2].

---

(1) راجع: إتمام الوفا للشيخ محمد الخضري 60 .. والقوة الغالبة.. شبيل أبو الغيث إبراهيم 76 .

(2) صحيح.. أحرجه مسلم وأحمد وغيرهما عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، كما في صحيح الجامع 6250.

هذا، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط لابد من بيانها، وهي:

1 ــ أن يقوم به من يستطيعه ويُحسنه.

2 ــ أن يكون القائم به عالمًا بما يأمر ..عالمًا بما ينهى .

3 ــ أن يكون أمره ونهيه بطريقة تُلين القلوب وتفتحها .. أو بالتعبير القرآني: بالحكمة والموعظة الحسنة .

* ــ وتغيير الموبقات باليد لمن يملكه فريضة، كولي الأمر في بيته أو في محله أو في دولته، أو من يستطيع إنقاذ مظلوم بيده. . ونحو هذا.

* ــ وبعده تغيير الموبقات باليد تغييرها باللسان لمن استطاعه، والإسلام يجعله جهادًا في سبيل الله، كما جاء عن عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ أن رسول الله ﷺ يقول: « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ الله فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ» (1).

* ــ وتغيير الموبقات بالقلب يعني مقاطعة فاعليها، وتحريم الركون إليهم حتى يكفوا عنها.. يقول الله تعالى: (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ الله مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) (هود: 113).

**المؤمنون متضامنون في تطهير المجتمع من المنكرات.**

ويجب على المؤمنين أن يتضامنوا ويتعاونوا للقيام بهذه الفريضة الجهادية؛ ليكونوا أقوى في التأثير والتغيير والتحرير، وهو معنى قول الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (التوبة: 71).

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا». . وَشَبَّكَ صلى الله عليه وسلم أَصَابِعَهُ (2).

(1) أخرجه مسلم 50، وأحمد 4379، والبيهقي في الكبرى 20178، وغيرهم .

(2) أخرجه البخاري 481، ومسلم وغيرهما، عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ.

**المسلمون خير أمة بسبب قيامهم بالأمر بالطاعة والنهي عن المعصية.**

وإذا قام المسلمون بهذه الفريضة شاعت فيهم الطاعة، وتضاءلت فيهم المعصية، وأضحوا خير أمة أخرجها الله تعالى لهداية الناس، كما يقول الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (آل عمران: 110).

قال قتادة: بَلَغَنَا أن عمر بن الخطاب ﷺ في حجة حجّها قرأ هذه الآية: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ). . ثم قال: من سَرَّه أن يكون من تلك الأمة فَلْيؤدّ شَرْط الله فيها [1]. . فلا تكون لهم هذه الخيرية إلا بهذا.

**القائمون بالأمر بالطاعة والنهي عن المعصية رجال النجاة والنصر.**

وقد ثبت أن القائمين بالأمر بالطاعة والنهي عن المعصية هم سبب نجاة قومهم من عقاب الله تعالى، ففي سورة هود يذكر الله تعالى عددًا من الأمم التي أهْلكها الله تعالى بمعاصيهم له، وبيَّن سبحانه أنهم لو كان فيهم مُصلحون ينهونهم عن فسادهم ومعاصيهم، ويأمرونهم بطاعة الله تعالى مع الأنبياء عليهم السلام لنجوا جميعًا وما هلكوا، يقول الله تعالى: (فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)(هود: 117).

وبيَّن النبي ﷺ هذا، كما جاء عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا» [2].

---

(1) راجع: تفسير القرآن العظيم 2 / 86 ط دار الشعب .. مصر .

(2) أخرجه البخاري والترمذي واحمد وغيرهم عن النعمان، كما في صحيح الجامع 5832..

ولهذا سارع أبو بكر الصديق ﷺ إلى تصحيح فهْمٍ غير صحيح رآه قد شاع بين المؤمنين، يُؤدي إلى تركهم مقاومة المنكرات، وذكَّرهم بما يجب عليهم في الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَـذِهِ الآيَـةَ وَتَضَـعُونَهَا عَلَـى غَيْـرِ مَوَاضِعِهَا: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ) (المائدة: 105)، وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُـمَّ يَقْـدِرُونَ عَلَـى أَنْ يُغَيِّـرُوا ثُـمَّ لاَ يُغَيِّرُوا إِلاَّ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله مِنْهُ بِعِقَابٍ» [1].

**تحريم إيذاء القائمين بالنهي عن المعصية والفساد.**

وفي ذات الوقت يُحرِّم الله تعالى إيذاء القائمين بالأمر بالطاعة والنهي عن المعصية بأي نوع من أنواع الإيذاء، وقد توعَّد الله تعالى الذين يُؤذونهم بالعقاب الأليم في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَـتْ أَعْمَـالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ)(آل عمران: 21، 22).

قال الحسن: هذه الآية تدلُّ على أن القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخوف (أي عند الشدائد) تلي منزلته في العظم منزلة الأنبياء (عليهم السلام).

ودلَّت الآية أيضًا على عِظم حال من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وعِظم ذنب من يُؤذيه أو يقتله، لأنه قرن ذلك بالكفر بالله تعالى، وقتل الأنبياء بغير حق[2].

وعن أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟. . قال: « رَجلٌ قَتَلَ نَبيًا أوْ مَنْ أمر بِالْمَعْرُوفِ ونَهَى عَنِ الْمُنْكَر ». . ثم قرأ رسول الله ﷺ الآيتين الكريمتين السابقتين [3].

الموت في إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شهادة في سبيل الله.

---

(1) صحيح .. أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، كما في صحيح الجامع 1973 .

(2) راجع: تفسير القاسمي 7/ 212 .

(3) ذكره ابن كثير في تفسيره 2 / 21، تحت الآيتين الكريمتين، وعزاه لابن جرير الطبري .

وما دامت فريضة الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية جهادًا في سبيل الله فإن الموت في إقامتها شهادة في سبيل الله متى خلُصت النية والقصد لله تعالى، والمؤمن الذي يموت أثناء قيامه بها سيد الشهداء بعد حمزة ﷺ كما يقول النبي ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[1].

ﻣﻘﺘﺖ ﻣﻘﺘﺖ ﻣﻘﺘﺖ

(1) صحيح .. أخرجه الترمذي والحاكم عن جابر ﷺ، كما في صحيح الترغيب والترهيب2308 .

## 3. الأمل في النصر مَقْرونًا بالعمل له [1].

الخطوة القرآنية الثالثة للنصر والتحرير: الأمل في النصر مَقْرونًا بالعمل له.

ومن ثمار التربية الإيمانية بجوار الإعداد والصبر والثبات والإصرار على نوال التحرير: الأمل في النصر والتحرير، مقرونًا بالعمل لنواله.

فإن الأمل في نصر الله تعالى يبعث في نفْس المؤمن الهمة لنواله، ويشرح صدره للبذل والعطاء، ويُقوِّي العزيمة على الجهاد، فهو قوة فوق القوة، ونصر قبل النصر.

"فالأمل ــ كما قيل ــ يخلق في الإنسان دواعي الكفاح من أجل الواجب، ويبعث النشاط في الروح والبدن، ويدفع الكسول إلى الجد، والمجد إلى المداومة على جده، والزيادة فيه، ويدفع المخفق إلى تكرار المحاولة حتى ينجح، ويحفز الناجح إلى مضاعفة الجهد ليزداد" [2]. . وقد قال الشاعر الحكيم:

أعلل النفس بالآمال أرقبها * ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.

وقال الآخر:

---

(1) الأمل في اللغة هو: الرجاء ... وفي الاصطلاح: توقع حصول الخير قبل حدوثه، وأكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله (انظر: تاج العرس 7/ 214).

(2) هذا بخلاف اليأس، فإنه يقطع خيط الرجاء في القلب، ويقتل روح الجهاد والمقاومة، ويُشجع على الاستكانة والاستسلام للأعداء؛ مما يُؤدي إلى الضعف والهزيمة، كما قال القائل:

واليأس يحدث في أعضاء صاحبه * ضعفًا، ويورث أهل العزم توهيناً.

وإذا كان التهويل من قوة العدو يُؤدي إلى اليأس والقنوط فإن التهوين من قوته يُؤدي إلى العُجب والغرور، وكل منهما يُؤدي إلى القعود عن إعداد العدة واستجماع أسباب النصر، مما يُؤدي إلى هزائم وكوارث ماحقة؛ كما قال ابن مسعود: الهلاك في اثنتيْن: القنوط والعُجْب.. القنوط هو اليأس.. والعجب هو الإعجاب بالنفس والغرور بما قدمته. قال أبو حامد الغزالي: (إنما جمع بينهما: لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب، والجد والتشمر، والقانط لا يسعى ولا يطلب، لأن ما يطلبه مستحيل في نظره. والمعجب يعتقد أنه قد سعى وأنه قد ظفر بمراده، فلا يسعى، فالموجود لا يطلب، والمحال لا يطلب، والسعادة في اعتقاد المعجب حاصلة، ومستحيلة في اعتقاد القانط ... فمن ههنا جمع بينهما (انظر: الإيمان والحياة 133).

لا خير في اليأس، كل الخير في الأمل * أصل الشجاعة والإقدام في الرجل.

وقال الحكيم: لا حياة مع اليأس، ولا يأس مع الحياة.

الأمل في نصر الله تعالى مشروع للمؤمنين العاملين.

واللازم للمؤمنين العاملين أن تبقى جذوة الأمل في النصر والتحرير مُتَّقدة في نفوسهم بغير فُتور، وبصبر واحتمال بغير كلل ولا ملل، وملازمة لهم بغير انقطاع.

والتربية الإيمانية تغْرس في المؤمنين المجاهدين هذا الأمل، وتُحرِّضهم على العمل والجهاد لنواله مهما طال الطريق، وكثرت متاعبه حتى يُحققه الله تعالى لهم. . يقول الله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ) (البقرة: 214).

ففي الآية الكريمة نرى تكاليف الجهاد تشتد بالمؤمنين؛ فتُصيبهم بالبأساء في أموالهم وأوطانهم، وبالضراء في أبدانهم وذريتهم، وبالزلزلة في نفوسهم، وتطول بهم حتى يستبطئوا نصر الله، ويستعجلوه قائلين: متى نصرُ الله؟.

والإنسان عجول بطبعه، لكن الله لا يعجل بعجلة أحد، وكل شيء عنده بأجل مسمى لا يتقدم ولا يتأخر، وعندما يحين موعد نصره يسوقه لهؤلاء المؤمنين العاملين، كأنه أقرب إليهم من أنفسهم، (أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ).

وفي مثل هذا يقول سبحانه: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف: 110).

قرأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا) ــ بتشديد الذال ــ وقالت لابن أختها عروة بن الزبير: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس

الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنوا ــ أي الرسل ــ أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك [1].. أي قريبًا منهم من حيث لم يحتسبوا.

وفي هذا المعنى يقول سبحانه: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) (الشورى: 28).

وفي الآية الكريمة يُسمِّى الله تعالى المطر غيثًا لأنه نافع للخلْق، فينزله الله تعالى عليهم غوثًا للهفتهم، وتلبية لحاجتهم ومنفعتهم بتقديره وعلمه سبحانه.

وقد يشتد الاعتداء على المؤمنين، وقد يمتد زمن احتلال أرضهم؛ فيطول معه وقت جهادهم لدفعه، ويكثر بذلهم من أنفسهم وأموالهم، ويطول معه أملهم في النصر والتحرير؛ فيسوق الله تعالى لهم نصره بتقديره وعلمه، وفي موعده الذي عيَّنه بعدما طال انتظارهم له، واشتداد حاجتهم له.

قال قتادة: ذُكر أن رجلًا قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، قحط المطر، وقل الغيث، وقنط الناس؟. . فقال: مطرتم إن شاء الله، ثم قرأ: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) (الشورى: 28) [2].

فالمؤمن إن صار مغلوباً في بعض الأوقات بسبب ضعف الأسباب لديه فهو بجدِّه وجهاده، وصبره وثباته، وأمله في وعد الله له بالنصر غالب في باقي الأوقات، يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) (الصافات ــ 171: 175).

قال الشوكاني: هذا الوعد لجند الله المؤمنين بالنصر والغلبة، لا ينافيه انهزامهم في بعض المواطن، وغلبة الكفار المعتدين لهم، فإن الغالب في كل موطن هو انتصارهم على الأعداء وغلبتهم لهم، وخرج الكلام مخرج الغالب، على العاقبة المحمودة لهم على كل

---

(1) أخرجه البخاري رقم 6695، تفسير المراغي، 13/ 56.

(2) راجع: تفسير القرطبي 18/ 476.

حال، وفي كل موطن، كما يقول سبحانه: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: 128) [1].

واليهود المعتدون في عصرنا ليسوا خيراً من باقي الكافرين المعتدين، فلم يخُصَّهم الله في كتبه السماوية بالاستثناء من عقوبته، كما يقول سبحانه: (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) (القمر 43: 45).

حينما نزلت هذه الآيات تلقَّاها الكافرون في مكة بالاستهزاء والسخرية، واعتبروها ضربًا من الكذب، أو نوعًا من الهذيان.. أمَّا المؤمنون فقد تلقوها بالتصديق واليقين، واستبشروا بها، آملين في نصر الله تعالى لهم، وإن لم يعرفوا متى يهزمون أعداءهم، ولا كيف يهزمونهم؟!.

وبعد سنوات حقق الله تعالى للمؤمنين العاملين وعده بالنصر في غزوة بدر، وفيها كان رسول الله ﷺ يدعو الله فيها بقوله: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» [2].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: لما نزل قوله تعالى: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) (القمر: 45). . جعلت أقول: أيَّ جمع سينهزم؟.. حتى كان يوم بدر، رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)( القمر: 45)، فعرفت تأويلها يومئذ [3].

ولهذا يُؤكد علماء الاستراتيجية أن العالم الإسلامي قد يخسر معركة أو معارك أمام أعدائهم، ولكنه في المدى القريب أو البعيد لابد وأن يكسب حربه ضد أعدائهم[4].

قال ابن القيم: إن حكمة الله وسنته في رسله (عليهم السلام) وأتباعهم جرت بأن

---

(1) راجع: فتح القدير 5/ 583.

(2) أخرجه مسلم 1763، وغيره.

(3) أخرجه ابن جرير وعبدالرزاق وغيرهما، كما في الدر المنشور، 7/ 681.. وجاء مثله عن ابن أبي وقاص .

(4) راجع: كيف تفكر إسرائيل 18.. د. جمال عبد الهادي وزميله، ط. دار الوفاء.. مصر.

يُدالوا مرة ويُدال عليهم أخرى[1]، لكن تكون لهم العاقبة [2]، كما يقول الله تعالى: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: 128).

الأمل في النصر سبيل المؤمنين.

ولهذا اتخذ المؤمنون العاملون من قديم الأمل في نصر الله تعالى سبيلًا للتغلُّب على محن الحياة مهما علت واشتدت، واستجماع القوة وأسباب النصر والتحرير.

فمثلًا: موسى عليه السلام استخدم الأسباب في نجاة قومه من طغيان فرعون، ثم انقطعت دونه الأسباب، وغلب على قومه اليأس من النجاة، كما يقول الله تعالى: (فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ) (الشعراء: 61)، وهنا علا صوت موسى عليه السلام بالأمل في النجاة، (قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)(الشعراء: 62).

وعندئذ بشره الله تعالى بفرجه ونصره الذي يرجوه، يقول سبحانه: (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ) (الشعراء: 63: 65).

* ــ والنبي ﷺ مع شدة إيذاء المشركين له كان على يقين من معية الله تعالى له، وعلى ثقة عالية من نصر الله تعالى له.. قال ابن إسحاق: حدثني هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، قال: لَمَّا نَثَرَ السَّفِيهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ الله ^ التُّرَابَ، دَخَلَ رَسُولُ الله ^ بَيْتَهُ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ، فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي، وَرَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ لَهَا: لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةِ، فَإِنَّ الله مَانِعٌ أَبَاكَ [3].

قوله ^: (فَإِنَّ الله مَانِعٌ أَبَاكَ) هو عيْن الأمل واليقين في حفظ الله تعالى ونصره.

---

(1) يقول الله تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) (آل عمران: 140).

(2) راجع: زاد المعاد في هدي خير العباد 3 / 196، ط. دار الرسالة.. بيروت.

(3) راجع: الموسوعة في صحيح السيرة النبوية 394، محمد إلياس الفالوذه، ط. مطابع الصفا.. مكة المكرمة.

وحينما أمر النبي ﷺ أصحابه في مكة بالهجرة إلى الحبشة؛ للنجاة من بطش المشركين كان يُشيع فيهم الأمل بالعودة بعد الهجرة، والتجمع بعد تفرُّق.

قَالَ عُرْوَةُ: لَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَظَهَرَ الإِيمَانُ أَقْبَلَ كُفَّارُ قُرَيْش على من آمن من قبائلهم يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عَن دينهم.

قَالَ: فَبَلغنَا أَن رَسُول الله ﷺ قَالَ لمن آمن بِهِ: تفرقُوا فِي الأَرْض، فَإِن الله تَعَالَى سيجمعكم.. قَالُوا: إِلَى أَيْن نَذْهَب؟. . قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَرض الْحَبَشَة، فَهَاجَرَ إِلَيْهَا نَاس ذَوُو عدد، مِنْهُم من هَاجر بأَهْله، وَمِنْهُم من هَاجر بِنَفسِهِ[1].

فقوله ^: (تفَرقُوا فِي الأَرْض، فَإِن الله تَعَالَى سيجمعكم) هو عيْن الأمل واليقين في الفرج بعد الضيق، وفي اليسر بعد العسر، وفي التجمع بعد التفرُّق.

وحينما طال الأذى بالمؤمنين في مكة، واستبطئوا الأمن كان رسول الله ﷺ يُرغِّبهم في الصبر والاحتمال والثبات، ويبعث فيهم الأمل بزوال المحنة، وَمَجِيء الفرج.

قال خبَّابُ بن الأرت ﷺ: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسّد بردته في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟. . ألا تدعو لنا؟.

فجلس رسول الله ﷺ محمرّاً وجهه من الغضب، ولقّنهم درساً في الصبر والأمل في فرج الله تعالى. . وقال ﷺ له: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَالله لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لاَ يَخَافُ إِلاَّ الله وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» [2].

وقوله ﷺ: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) هو عيْن الأمل في هداية الناس إلى الله.

---

(1) راجع: الدرر في اختصار المغازي والسير 48، والسيرة الحلبية 1/ 456 .

(2) أخرجه البخاري، 3612، وأبو داود 2649، وأحمد 21057، وغيرهم.

**اليأس والقنوط من الكبائر.**

وكما يُوجب الإسلام الأمل في النصر والتحرير يُحرِّم اليأس والقنوط، يقول الله تعالى: (وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ الله إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)(يوسف: 87).

قَالَ القرطبيُ: هذه الآية الكريمة دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُنُوطَ مِنَ الْكَبَائِرِ.. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا الْكَبَائِرُ؟.

قَالَ: الشِّرْكُ بِالله، وَالْإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله» (1).

وقَالَ عبدُ الله بنُ عمرو وابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنهما: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بالله، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله » (2).

وينهى الله تعالى الإنسان الذي أسرف على نفسه بالمعصية عن اليأس من رحمة الله وغفرانه، ويأمره أن يُقبل عليه بالتوبة والاستغفار والاستقامة على طاعته، والأمل في رحمته وغفرانه، يقول سبحانه: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ) (الزمر: 53)

وقال فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ نَازَعَ اللهَ رِدَاءَهُ، فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ الله، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله» (3).

* ــ وكما علمتنا السنن الإلهية أن الإيمان بالله يُثمر الأمل في فرج الله علمتنا أيضًا أن الكفر بالله تعالى يلد اليأس من رحمته سبحانه، يقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(العنكبوت: 23).

---

(1) أخرجه الهيثمي في المجمع، رقم 391، وعزاه للبزار (في الكشف 106)، والطبراني، وقال: رِجَالُهُ مُوَثَّقُونَ.

(2) أخرجه عبد الرزاق 19701، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 1922، 1926وغيرهما .

(3) صحيح .. أخرجه أحمد 23943، وابن حبان 4559، والبخاري في الأدب المفرد 590، وغيرهم.

**مُقويَّات الأمل والرجاء في نفس المؤمن.**

1 ــ ومما يغرس في المؤمنين الأمل والرجاء في النصر والتحرير: اليقين بأن سنة الله الثابتة في خلْقه: تقليب حالهم بين السراء والضراء، أو بين العُسر واليُسر، كما يقول الله تعالى: (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) (آل عمران: 140).. ويقول سبحانه: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (الرحمن: 29).. فجعل سبحانه بعد الليل فجرًا، وبعد العسر يسرًا، وبعد الضيق فرجًا ومخرجًا، ودوام الحال من المحال.

وقد تعلمنا من دوران الليل والنهار أن أشد ساعات الليل ظلمة هي التي يعقبها تنفس الصبح؛ وهذا بيان بأن العسر كلما اشتد بالمؤمن كان دلالة على اقتراب اليسر، وأن الضيق كلما زادت قسوته كان علامة على اقتراب فرج الله تعالى، يقول الله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً) (الشرح: 5، 6). . ويقول سبحانه: (سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ) (الطلاق: 7 ). . وقديمًا قال الحكيم:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكنت أظنها لا تفرج.

وقيل أيضًا:

إذا ذهب الكلام مع الرياح * ورقص الغافلون على النباح
ومزَّق جلدنا حمم الجراح * وصال البغي بالكفر المباح
ونقضي الليل في همِّ الصباح * وقال الإفك غنوا في انشرح
فصبرًا يا رجال الله صبرًا * سيعلو صوت حي على الفلاح [1].

وما بين اليأس والأمل إلا لحظات طالت أم قصرت، تتفتح فيها أبواب رحمة الله، وهو الولي الحميد، كما يقول الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) (الشورى: 28).

1) راجع: شهداء على بوابة الأقصى 10، لحسن محمد أحمد، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

2 ــ ومما يُقوِّي الأمل في النصر والتحرير بشارة النبي ^ للمؤمنين العاملين بالنصر على عدوهم وإن خذلهم الناس، كما يقول ﷺ: لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ الله، لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا، تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَتْ حَرْبٌ نَشَبتْ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ، يَرْفَعُ الله قَوْمًا وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ [1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ يقول: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» [2].

هذا الحديث إن جاء في صورة الخبر إلا أنه يحمل في طيِّه الترغيب في الأمل في نصر الله تعالى في المعركة المُرتقبة للتحرير.. وأن المؤمنين في هذه المعركة المُرتقبة يُحافظون على الثوابت، ويثبتون عليها ولو اجتمع عليهم من في الدنيا.

3 ــ ومما يُقوِّي الأمل في نصر الله تعالى أن المؤمنين في كل تاريخهم الحربي من يوم غزوة بدر قلة في عددهم وعتادهم بالمقارنة لأعدائهم، ومع هذا ينتصرون بإيمانهم وأملهم في النصر، وإعدادهم لنواله.. قال الأستاذ محمود شاكر: الواقع أن كل المعارك التي خاضها المسلمون لم يكن ينطبق عليها التقويم والتقدير العسكري، فهي خاسرة كلها بالحساب العسكري، ولكنها نجحت جميعها، وكانت نتيجتها النصر المؤزر.. بل نستطيع أن نقول إن أكثرها معارك حاسمة، بسبب المعنويات القتالية العالية التي كان يتمتع بها المسلمون، فثقتهم بنصر الله وتأييده هي الدور الرئيسي [3].

فمثلًا: في غزوة الأحزاب اجتمعت أحزاب الكفر في عشرة آلاف مقاتل في جزيرة

---

(1) حسن.. أخرجه أبو نعيم 14003، والبخاري في التاريخ الكبير 4/ 248، وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ.

(2) أخرجه البخاري 2926، ومسلم 7268،، وأحمد 9398 وغيرهم .

(3) راجع: القلة الغالبة 53، 54، د. شبيل أبو الغيث إبراهيم، ط. دار القلم.. دمشق.

العرب، وأحاطوا بالمدينة إحاطة السِّوار بالمعصم، في مقابل ثلاثة آلاف مجاهد من المؤمنين المجاهدين، يقول الله تعالى: (إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً) (الأحزاب: 10، 11).

وكان رسول الله ﷺ مع اجتهاده في الإعداد واستخدام أسباب النصر يغرس في المؤمنين الأمل في النصر، وجعل كلمة السر بينهم (هم لا يُنصرون)، وقد حقَّق الله تعالى للمؤمنين وعده، يقول الله تعالى: (وَرَدَّ الله الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى الله الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) (الأحزاب: 25).

والمؤمنون في عصرنا ليسوا أقل من إخوانهم المؤمنين في السابق، فيجب أن يكون لديهم الأمل في التحرير، وأن يستجمعوا أسبابه، كما كان أسلافهم، ولا يجوز أن يغلبهم اليأس من النصر، فإن الله تعالى لا تُعجزه قوة من خلْقه، يقول الله تعالى: (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ)(النور: 57).

4 ــ ومما يُقوِّي في المؤمنين الأمل في النصر والتحرير الاقتداء بالمؤمنين الأولين، فما من شدة أو كبوة أو هزيمة ألـمَّت بهم إلا نهضوا سريعًا يُعدون العدة آملين في النصر والتمكين حتى يُحقق الله تعالى لهم ما أملوا فيه.

ا ــ فمثلًا: بعدما فارق رسول الله ﷺ الحياة الدنيا ارتد كثير من العرب، ومنع آخرون منهم الزكاة حتى لم يبق في جزيرة العرب من يسجد لله تعالى ــ كما قال الإمام النووي ــ إلا في ثلاثة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد "عبد قيس" في البحرين في قرية يقال لها: "جواثا" [1].

ووجد خليفة رسول الله ﷺ من قال له: يا خليفة رسول الله، لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، لكن أبا بكر

(1) راجع: شرح النووي لصحيح مسلم 1/ 152 تحت رقم 125.

الصديق ــ ذلك الرجل الرقيق البكَّاء ــ أبى أن يستسلم لهذا اليأس والخذلان، وثبت كالطود، وزأر كالليث، وقال غاضبًا: أيُنقض الدين وأنا حيّ؟.

وقال قولته الشهيرة ﷺ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً ــ أو قال عناقًا (أي عنزًا صغيرًا) ــ كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ [1].

وأدار أبو بكر والمؤمنون على قلة عددهم وعتادهم المعركة ضد المرتدين ومانعي الزكاة في الجزيرة العربية على كثرتهم، ومع هذ حقق الله للمؤمنين وعده، وانتصروا علي المرتدين ومانعي الزكاة، وعادت الجزيرة العربية كلها للإسلام كما كانت قبل أن يُفارق النبي ﷺ الدنيا، وعاد المرتدون ومانعو الزكاة إلى الإسلام تائبين مستغفرين، يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة وينصرون الله ورسوله، حتى قال بعض العلماء: كانوا من أعظم المؤمنين بلاء في قتال فارس والروم، حتى فتحوها للإسلام[2].

والثابت في تاريخنا أن الصليبيين حينما احتلوا فلسطين عاد عليهم المسلمون بعد أقل من مائة سنة، في معركة حطين (22/ 4/ 583 هـ= 1/ 7/ 1187م)، وانتصروا عليهم، وحرروا القدس وفلسطين وأعادوها للإسلام كما كانت.

وبعدما اعتدى التتار على دولة الخلافة الإسلامية عام (656هـ)، ودمَّروا بغداد تدميرًا هائلًا حتى شاع بين المؤمنين اليأس من مقاومة التتار والانتصار عليه، وقالوا في أمثالهم السائرة: (إذا سمعت أن التتار قد انهزموا فلا تُصدق).. ومع هذا رجع عليهم المسلمون بعد عامين في معركتهم الشهيرة (عين جالوت، عام: 658هـ)، وانتصروا عليهم، وحرروا بغداد ودولة الخلافة (العباسية) من احتلالهم.

---

(1) أخرجه البخاري 1399، وغيره.

(2) مثل طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة في بني أسد وغطفان، وقد تاب إلى الله تعالى، وكان في طليعة المجاهدين في معركة القادسية (14 هـ)، وسأل سعد بن أبي وقاص قائد جيش المؤمنين أمير السرية عن أمره، فجعل يصف له شجاعته (البداية والنهاية 7/ 39، وكتابنا: حتمية زوال إسرائيل في ضوء القرآن والسنة والتاريخ).

وبعدما اعتدى اليهود على المسلمين عام 1967م عاد عليهم المسلمون، وكسروا أنفهم في معركة (رمضان عام 1393هـ = أكتوبر عام 1973م)، وجاء في التقرير السنوي لمعهد الدراسات الاستراتيجية الدولية في لندن: إن حرب أكتوبر جعلت بقاء إسرائيل في الأرض العربية ترفًا باهظ الثمن لن تقدر عليه بعد اليوم أبدًا [1].

وقال وزير الحرب الإسرائيلي (موشى ديان): إن حرب أكتوبر أثبتت للعالم أننا لسنا أقوى من مصر، كما أن هالة التفوق الإسرائيلي التي كانت إسرائيل توهم العالم بأنها أقوى من العرب ــ عسكريًّا وسياسيًّا ــ وأن العرب إذا تجاسروا وبدأوا الحرب فإن الهزيمة ستكون من نصيبهم، هذه النظرية قد انهارت تمامًا [2].

هذه المعركة الناجحة والانتصار العظيم علمنا أمْرَيْن اثنَيْن:

1 ــ أن المؤمنين أقوى من عدوهم إذا استخدموا ما لديهم من أسباب التحرير.

2 ــ وأن الأمل في تحرير فلسطين من الاحتلال اليهودي من رجسهم قائم.

هذا، ولا ينبغي أن تكون نكبات العلمانيين العرب (في أعوام 1948م، 1956م، 1967م) سببًا في اليأس من النصر على اليهود وتحرير أرض الإسلام من احتلالهم.. فقد أجمع الخبراء بالحروب على أن انتصار اليهود على العلمانيين العرب لم يكن لقوة دولة اليهود، أو لشجاعة في جنودهم، إنما كان لسوء إدارة القادة العرب العلمانيين، حتى قال ابن جوريون في أعقاب حرب 1948م: نحن لم ننتصر لأننا أتينا بعجائب، بل لأن الجيوش العربية لم تكن في حالة جيدة.

وبعد انتصارهم على العلمانيين العرب في عام 1967م قال (إيجال آلون) نائب رئيس وزراء إسرائيل: إن الانتصار الإسرائيلي يرجع الفضل فيه أولًا إلى الأخطاء الضخمة التي ارتكبها ــ القادة ــ العرب [3].

---

(1) راجع: اليهودية 127، د. أحمد شلبي، عن صحيفة الأهرام المصرية التي نشرت التقرير في 10/ 5/ 1974م.

(2) راجع: حرب أكتوبر شهادات إسرائيلية 92، 93.

(3) راجع: ممنوع من التداول 307، لمحمود عوض، ط. دار الشروق.. مصر.

وقال الرئيس السادات: أذكر أن خبيرًا عسكريًّا زار إسرائيل بعد النكسة (1967م)، فقال لهم: إن الهزيمة ليس سببها شطارتكم، ولكن خيبة المصريين، فأنتم لم تفعلوا شيئًا، وإنما المصريون هم الذين استداروا (انسحبوا) وانهاروا [1].

ج ــ وفي الجهاد الفلسطيني سأل أحد الصحافيين المجاهد (أحمد ياسين) مُستغربًا من قوة أمله، وثقته بالنصر وتحرير فلسطين، قال: كيف يُمكن أن يتحقق ذلك وقد تخلى عنكم العرب جميعًا، وأنتم ضعفاء محصورون، وإسرائيل يُساندها الغرب كله؟.

فرد أحمد ياسين قائلًا: إن الوضع الحالي لن يستمر، والأيام دول، هذه سنة من سنن الله تعالى، ودوام الحال من المحال، وإن كانت إسرائيل اليوم في فترة القوة والشباب فإنها ستصير إلى شيخوخة، وفي الوقت نفسه سيصبح أطفال المقاومة بعد زمن شبابًا، وستتغير الظروف حتمًا طالما أننا نعرف حقنا ونتمسك به [2].

وفي حوار أجرته مجلة البيان مع الشيخ (أحمد ياسين)، وسألته: سبق أن حددتم زمناً معيناً لزوال دولة اليهود كما نشر في بعض الصحف؛ فما هي المرتكزات التي استندتم إليها في ذلك؟، أم أن هذا من باب التفاؤل بالمستقبل فقط؟.

قال: الحقيقة أن هذا عبارة عن استلهام من آيات القرآن الكريم، واستلهام تاريخي من الواقع.. الاستلهام القرآني أن ربنا سبحانه وتعالى في كل أربعين سنة يغير الأجيال ونفوس الأجيال وطبائعهم، وهذا جاء في سيرة بني إسرائيل في القرآن قال: (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ) (المائدة: 26) حرمهم أربعين سنة؛ لأنهم رفضوا أن يدخلوا مع موسى عليه السلام للقتال ليموت الجيل الضعيف الجبان ويخرج جيل يقاتل يَقتل ويُقتل هذه واحدة.

---

(1) راجع: من أوراق السادات 71، لأنيس منصور، ط. دار المعارف.. مصر.

2() راجع: أمة المقاومة 43، 44، د. علاء الدين محرم، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

الثانية: من التاريخ؛ ففي الحروب الصليبية نجد أن الأمة الإسلامية ضعفت أربعين سنة وبعد أربعين سنة ثانية بدأت المقاومة والمناوشات حتى بدأ زوال الدولة الصليبية؛ إذن نظرية الـ 40، 40 هي معادلة تاريخية إيمانية صحيحة، وعندما خسرنا المعركة وطردنا وشردنا وخرجنا من بلادنا عام 1948م واستكان الشعب الفلسطيني في الداخل، وبدأت المقاومة من الخارج من الأردن ولبنان من 1948م إلى 1987م، هي الأربعين سنة، الشعب الفلسطيني عندما انتفض وواجه مع أنهم كانوا غير معترفين بحاجة اسمها الشعب الفلسطيني ولا بالقضية الفلسطينية، كانوا متنكرين تماماً؛ وكانت القضية ملقاة على رفوف الأمم المتحدة، الانتفاضة قلبت الموازين: جلبت مبادرات، اعتراف بحق، اعتراف بوجود، اعتراف بشعب، وكشفت الوجه اليهودي البشع في العالم، ودفعت شعبنا الذي هرب من فلسطين أمام مذبحة أو اثنتين أو ثلاثة وأمام الدعاية الصهيونية، اليوم صاروا يقتلون فيه ويواجه العدو بالحجر، إذن الشعب الفلسطيني بعد (40) سنة تغيرت موازينه ورؤيته الإيمانية: نقول إنه بعد الأربعين سنة الثانية سيكون الانهزام والزوال لدولة إسرائيل إن شاء الله تعالى.

مجلة البيان: يعني زوالهم في عام 2027 تقريباً؟.

ــ تقريباً، وليس شرطاً أن يكون 2027م بالضبط إذ يمكن أن يكون قبل خمس سنوات، ويمكن أن تزيد عشر سنوات، المهم في هذا المعدل حول العام 2027م تدور الدائرة وتزول الدولة العبرية إن شاء الله[1].

**وجوب العمل لنوال الأمل في التحرير.**

ومع ضرورة الأمل للمؤمنين في النصر والتحرير يجب عليهم أن يعملوا ويُعدُّوا العدة لنواله، واستجماع أسبابه وشروطه، كما يقول الله تعالى: ( فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) (الكهف: 110).

ومعناه: فمن كان يُوقن بلقاء الله تعالى، ويأمل في مثوبته وجنته فليعمل عملًا

1) راجع: مجلة البيان جزء 161، ص 92، صادرة عن المنتدى الإسلامي.

صالحًا يُبلِّغه أمله ورجاءه، مهتديًا بشريعة الله تعالى، ومُخلصًا لله تعالى، وقد قيل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * إن السفينة لا تجري على اليبس

وما يسوق الله تعالى البشارة بنصره إلا للمؤمنين العاملين، الذين أعدوا للجهاد عدته، وجمعوا للنصر شروطه وأسبابه، وخاضوا الجهاد بأموالهم وأنفسهم، يقول الله تعالى: (وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (الحج: 40، 41).

ويقول الله تعالى: (وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 55)

والنبي ﷺ في هجرته كان على يقين من معية الله تعالى له، وآملًا في نصره سبحانه، ومع هذا استخدم أسباب النصر المُتاحة له، فاصطحب رفيق السفر.. واختار دليل الطريق.. وأعد زاد السفر.. واختبأ في الغار حتى هدأت عنه العيون.. وحينما انقطعت دونه الأسباب، ووجد من صاحبه خوفًا بشره بالأمل في معية الله تعالى له، كما في قول الله تعالى: (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ الله هِيَ الْعُلْيَا وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: 40).

فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا.. فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا» [1].

وكذلك كان النبي ﷺ في غزواته: يغرس في المؤمنين الأمل في نصر الله وهو يُعد العدة، مثلما فعل ﷺ في غزوة بدر، حيث أعد العدة، ونظَّم المجاهدين في صفوف عسكرية

(1) أخرجه البخاري 3653 ، ومسلم 2381، والترمذي 3096، وغيرهم .

فريدة، وغرس فيهم الأمل قائلًا: سيروا وأبشروا، فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم [1].

وفي غزوة الأحزاب استخدم رسول الله ^ كل ما استطاعه من أسباب النصر، فحفر الخندق، ونظَّم صفوف المؤمنين، وغرس في نفوسهم الأمل في النصر، حتى إنه ^ جعل كلمة السر التي يلتقون بها: (هم. لا يُنصرون).

ولما اعترضت الصحابة صخرة شديدة أثناء حفرهم الخندق، جاء رسول الله ﷺ بمعوله وقال: (بسم الله)، وضربها ضربة، فكسر ثلثها، وبرقت برقة، فخرج نور من قبل اليمن، فأضاء ما بين لابتي المدينة، حتى كأن مصباحًا في جوف ليل مظلم، فكبر رسول الله ﷺ وقال: الله أَكْبَرُ، أُعْطِيت مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَالله إنّي لأُبْصِرُ بَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا السّاعَةَ، كَأنها أنيابُ الكلاب [2].

ثم ضرب الثانية، فقطع ثلثًا آخر، وبرق منها برقة، فخرج نور من قبل الروم، فأضاء ما بين لابتي المدينة، فكبر رسول الله ﷺ وقال: (الله أَكْبَرُ، أُعْطِيت مَفَاتِيحَ الشّامِ، وَالله إنّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذا الساعة).

ثم ضرب الثالثة، فقطع بقية الحجر، وبرق برقة من جهة فارس، فأضاءت ما بين لابتي المدينة، فكبر رسول الله ﷺ وقال: (أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصور الحيرة، ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب من مكاني هذا، وأخبرني جبريل عليه السلام أن أمتي ظاهرة عليها، فأبشروا بالنصر...)، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله، موعد صادق، بأن وعدنا النصر بعد الحصر.

وجعل رسول الله ﷺ يصف لسلمان الفارسي رضي الله عنه قَصْرَ كِسْرَى الأَبْيَضَ بِالْمَدَائِنِ، فقال سلمان: صَدَقْت وَالّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ إنّ هَذِهِ لَصِفَتُهُ، وَأَشْهَدُ أنّك لَرَسُولُ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: هَذِهِ فُتُوحٌ يَفْتَحُهَا الله عَلَيْكُمْ بَعْدِي يَا سَلْمَانُ، لَتُفْتَحَن الشّامُ، وَيَهْرُبُ

---

1() صحيح .. ذكره ابن هشام في السيرة رقم 728، وصححه الألباني في فقه السيرة 231 .

(2) سبل الهدى والرشاد، 4/ 524.

هِرَقْلُ إِلَى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ، وَتَظْهَرُونَ عَلَى الشّامِ فَلا يُنَازِعُكُمْ أَحَدٌ، وَلَتُفْتَحَن الْيَمَن، وَلَيُفْتَحَن هَذَا الْمَشْرِقُ، وَيُقْتَلُ كِسْرَى فلا يكون كِسْرَى بَعْدَهُ.

قَالَ سَلْمَانُ: فَكُلّ هَذَا قَدْ رَأَيْت [1].

ولهذا قال معاذ بن جبل ﷺ لجنوده في معركة القادسية: يا أهل القرآن إن رحمة الله لا تُنال، وجنته لا تُدخَل بالأماني، ولا يُؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المُصدِّق، ألم تسمعوا إلى قول الله تعالى: (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور: 55) [2].

القعود عن استخدام أسباب النصر أمان فارغة.

وإذا كان اليأس من نصر الله من كبائر الذنوب فإن الغرور والقعود عن العمل لنواله واستجماع شروطه وأسبابه من كبائر الذنوب أيضًا.

مثلما كان العلمانيون العرب في عقود مضت يُشيعون أنهم سيرمون (إسرائيل) في عرض البحر، ويطوفون شوارع القاهرة بصواريخ (القاهر والظافر!!)، وأخذ راديو القاهرة يمدح الفدائيين، ويقول: ابك يا إسرائيل، فقد اقترب يوم الفناء [3].

ويُشيعون على ألسنة العامة: (بيب. بيب، بُكرة سندخل تل أبيب !).

وظلوا سنوات عديدة يُهوِّنون من دولة اليهود، ويصفونها بأنها (إسرائيل المزعومة)!، بينما ظل جيش الدولة الإسرائيلية يضربهم ويهزمهم في معارك عديدة؛ حتى أوْشك العلمانيون العرب أن يكونوا هم المزعومين!!.

وفي ذات الوقت تباطأ العلمانيون العرب عن إعداد العدة للقتال.. فلم يكن إعدادهم للقتال بحجم كلامهم وشعاراتهم التي عالنوا بها، وخدعوا بها عامة المسلمين،

---

(1) سبل الهدى والرشاد، 4/ 520، والبيهقي في الدلائل 3/ 417، 418.

(2) راجع: البداية والنهاية لابن كثير 7/ 8 .

(3) راجع: حياتي. جولدا مائير. قصة حياة رئيسة وزراء إسرائيل ص 214.

وخدَّروهم بها سنين عددًا، وهوَّنوا بها دولة اليهود.

ولهذا يتوعَّد الله تعالى الذين ألهاهم الأمل في شهوات الحياة الدنيا عن الإيمان بالله تعالى والجهاد في سبيله بالخسران في الدنيا والشقاء في الآخرة، يقول سبحانه: (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (الحجر: 3).

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُمُ الْأَمَانِيُّ ــ عن العمل ــ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا لَهُمْ حَسَنَةٌ، وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: إِنِّي أُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّي وَكَذَبَ، وَلَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ لَأَحْسَنَ الْعَمَلَ، وَتَلَا قَوْلَ الله تَعَالَى: (وَذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ)(فصلت: 23 ).

وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ أَنَّهُ جَلَسَ وَرَجُلٌ مِنَ التَّابِعِينَ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنِّي لَا أَرْجُو وَأَخَافُ، فَقَالَ الْآخَرُ: «مَنْ رَجَا شَيْئًا طَلَبَهُ، وَإِنَّهُ مَنْ خَافَ مِنْ شَيْءٍ هَرَبَ مِنْهُ، وَمَا أَحْسَبُ امْرَأً يَرْجُو شَيْئًا لَا يَطْلُبُهُ، مَا أَحْسبُ امْرَأً يَخَافُ شَيْئًا لَا يَهْرُبُ مِنْهُ» [1].

وقال الحكيم في الأثر: الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى الله [2].

ومعناه: أن العاقل من امتلأ بالأمل، واتهم نفسه بالتقصير، وشمَّر عن ساعد الجد في العمل واستخدام الأسباب لتحقيق ما يأمله ويرجوه.

وقال معروف الكرخي: طلب الجنة بغير عمل صالح ذنب من الذنوب، وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة الله بغير طاعته جهل وحمق.

وقال ابن عطاء الله: الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية، فمن رجا شيئًا طلبه، كما أن من خاف من شيء هرب منه، أمَّا الرجاء الكاذب هو الذي يفتر صاحبه عن العمل [3].

---

(1) راجع: الزهد لأحمد بن حنبل الشيباني، رقم 1696، ط. مكتبة الصفا.. مصر.

(2) أخرجه أحمد 17123، وغيره عن شداد بن أوس مرفوعًا، وفي إسناده ضعف؛ ولهذا ذكرته أثرًا من الحكمة.

(3) راجع: غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية 1/ 225.

وخلاصة القول: أن الأمل في نصر الله تعالى والعمل لنواله ضرورة يجب أن يُنَشَّأ عليها جيل التحرير، وأن الأمل في النصر بغير استجماع شروطه، واستخدام أسبابه ضرب من الأماني والأحلام الفارغة لا يحقق نصراً، ولا يُحَرِّر أرضًا.

ولو اكتفي المؤمنون الأولون بالأمل في النصر دون العمل لنواله ما جاهدوا عدوًا، ولا أحرزوا نصرًا، ولا فتحوا للإسلام بلدًا.

**الحذر من دسائس الأعداء ومكائدهم.**

وبجوار هذا يجب على المؤمنين الحذر من دسائس الأعداء ومكائدهم، فإنهم يعملون بكل حيلهم لغرس اليأس والقنوط في نفوس المؤمنين من مقاتلة اليهود، بتصوير اليهود بأنهم خلق غير الخلق.. خلْق خارقون للعادة، وأبطال متفردون ، وجنود لا تُقهر، فلا يُستطاع قتالهم، والمغامرة بقتالهم سقوط في هاوية الهزيمة.

وأن اليهود في أمريكا وأوربا يملكون كل شيء، الإعلام والاقتصاد.. الخ.

ونُشِرَتْ كُتبٌ بين المسلمين باللغة العربية تحمل عناوين تُشيع هذا اليأس، مثل: "الدنيا لعبة إسرائيل".. و"أحجار على رقعة الشطرنج".. "حكومة العالم الخفية"، وأمثالها، وكلها اشتركت في تصوير اليهود بأنهم الحكومة الخفية الحقيقية للعالم، وما العالم بين أيديهم إلا أحجار على رقعة الشطرنج، يحركونها كما يشاؤون.

وذكرت مجلة " أكتوبر " المصرية في 9/ 9/ 1984م أن عضو الكونجرس الأمريكي "مايكل ساباّجاء إلى مصر؛ ليدعو لكتابه "شبكة أرماجدو"، وموضوعه: أن اليهود يحكمون كل شيء في أمريكا، ويعلمون كل شيء عن قوتها وأسرارها العسكرية والاقتصادية وغيرها.

وماذا يفعل المؤمنون أمام هذه القوة اليهودية الهائلة التي صُوِّرت لهم كأنها إله من دون الله؟.. يتصرفون في الكون كما يشاؤون، ويقولون: من أشد منا قوة؟!.

قالت المجلة: هذا لغرس اليأس في الأمة، وقتل روح المواجهة والجهاد فيها.

وفي معركة رمضان 1393هـ = أكتوبر 1973م كان بعض المسئولين حول الرئيس المصري محمد أنور السادات يُشيعون حوله ظلام اليأس من الحرب ضد اليهود، فوزير

الحربية الفريق أحمد صادق كان يُشيع في وحدات القوات المسلحة أننا غير قادرين على الحرب، وكانت التقارير تصل إلى الرئيس بهذا [1].

وكان الصحافي المصري محمد حسنين هيكل يُحاول هو الآخر أن يغرس اليأس من مقاتلة اليهود في نفس الرئيس المصري[2]، حتى قال الرئيس: هيكل لم يفهم، وكان مقتنعًا أن دخولنا الحرب هو المستحيل، وحاول بكل الوسائل أن (يكسَّر مجاديفي)، كان يحضر ويتكلم عن الضابط اليهودي. والعسكري اليهودي.. وهو (أي هيكل) كان دارس في (سمستر) في أمريكا، حضرها (رابين)، وأخذ يتكلم عن الضباط اليهود، وكأنهم عباقرة.

وهذه مسألة حساسة عندي جدًا، لأن ثقتي بالمقاتل المصري لا تعلو عليها ثقة.. رغم أنني لم أمكث في الجيش إلا سنوات قليلة.. والذي لا يعرفه أحد عني أنني قطعت صلتي تمامًا بأعز صديق؛ لمجرد أنه أعلن عن اقتناعه بأن الجيش المصري لن يصلح لشيء [3].

ومما اخترعه الأعداء لغرس اليأس في المؤمنين من مقاتلتهم، والانتصار عليهم، فتنة: (الواقعية المريضة) التي تقول: إن دولة إسرائيل يدعمها أكثر دول العالم الإنساني، وأن تحرير فلسطين بعيد المنال، فمن الواقعية الاعتراف بما هو كائن واقع!. قال العلماء: "إن هذه (الواقعية) هي بداية الهزيمة، بل هي الهزيمة عينها، وليس أقر لعين الباطل من أن تعترف بوجوده، والاستسلام لمقولاته وأطماعه، وتتعامل معه على أساس الواقع.. فليحذر المؤمنون هذه الفتنة، ويجب أن يُوقنوا: أن أول طريق النصر: أن تقتل العدو في نفسك، وأن تُسقطه من قلبك"، وتعمل للنصر والتحرير مهما كان طريقه طويلًا ومتاعبه كثيرة، فبداية الألف ميل خطوة، وكل آت قريب، ولن يُضيِّع الله حقًا وراءه مُطالِب، إن

---

(1) راجع: السادات.. الحقيقة والأسطورة 405، لموسى صبري، ط. المكتب المصري الحديث.. مصر.

(2) ذكر الرئيس السادات أن هذا الصحافي ــ محمد حسنين هيكل ــ عميل لأمريكا الصليبية، قال: إن هذا الصحافي طول عمره معروف، إنه عميل أمريكي، وعبد الناصر ــ الرئيس المصري الأسبق ــ كان بيستخدمه للاتصال بالأمريكان (راجع: مجلة المجتمع الكويتية 16/ 4/ 1397هـ).

(3) راجع: السادات.. الحقيقة والأسطورة 255، لموسى صبري، ط. المكتب المصري الحديث.. مصر.

الله لا يُضيِّع أجر من أحسن عملًا، ولن يكون تحرير فلسطين من الاحتلال اليهودي أعظم وأبعد من تحريرها من الاحتلال الصليبي البائد.

ولو أن المؤمنين الأولين استسلموا لفتنة الواقعية المريضة هذه ما حرروا فلسطين من الاحتلال الصليبي، وما خرجوا لمقاتلة التتار، وما حرروا الشام من رجسه.

## 4. رعاية الحرية الإنسانية.

الخطوة القرآنية الرابعة للنصر والتحرير: رعاية الحرية الإنسانية المسئولة.. ومعنى المسئولة: أن حرية الإنسان في الاختيار يكون مسئولًا عنه.

والحرية الإنسانية المسئولة التي أعنيها هي: اختيار الإنسان قول وفعل ما ينبغي لا ما يشتهي، فإنَّ قول وفعل الإنسان ما يشتهي يؤول إلى فوضى مُهْلكة.

الحرية بهذا المعنى أراها وسطًا بين طرفيْن مذموميْن.. بين الفوضى وما فيها من الحيوانية في الإضرار بالنفس وإيذاء الخلْق، وبين الاستبداد وما فيه من استرقاق الإنسان في تعطيل عقله واختياره، وكل منهما إضرار بالإنسان يُحرِّمه الإسلام قطعًا، والله تعالى يقول: (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: 195).. والنبي ﷺ يقول: «لا ضَرَرَ ولا ضِرَار» [1].

ولهذا فالحرية الإنسانية هي رعاية الحقوق، لا حرية الفسوق.. حرية القيام بالواجبات لا حرية عمل المُحرَّمات.. حرية تقديم الكفاءات، وإعطاء كل صاحب فضل حقه.. حرية تقول للفاسدين: (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ)(يس: 59).. أي انفصلوا وابتعدوا وتميَّزوا عن العاملين الصالحين.

### الحرية فطرة ركَّبها الله تعالى في الإنسان.

الحرية بهذا المعنى الإنساني فطرة ركَّبها الله تعالى في الإنسان منذ خلقه ونفخ فيه من روحه، فهي تُولد معه.. وإن الله تعالى حينما خلق المخلوقات خيَّرهم بين أمريْن:

الأول: إمَّا أن يُعطيهم العقل والحرية والاختيار في مقابل أن يُكلِّفهم بحمل الأمانة ورعايتها في الدنيا، ويسألهم عنها يوم القيامة، ويُجازيهم عليها خيرًا إن قاموا برعايتها، ويُعاقبهم إن خانوها ولم يرعوها حق رعايتها.

---

1) صحيح .. أخرجه ابن ماجة 2340، وغيره عن عبادة بن الصامت.

الثاني: وإمـّا أن يجبلهم على طاعته، ولا يمـنحهم الحريـة والاختيـار في مقابـل أن يُعفيهم من حمل الأمانة ولا يُكـلِّفهم برعايتها في الـدنيا، ولا يسـألهم عنهـا يوم القيامة.

فاختارت الملائكة والسماوات والأرض وما بينهما من المخلوقات ــ غير الإنسان ــ أن يُجبلوا على الطاعة، ولا تكون لهم حرية ولا اختيار في مقابل أن يُعفيهم الله تعـالى من حمل الأمانة ورعايتها، ولا يسألهم عنها يوم القيامة.

واختار الإنسان أن يحمل الأمانة، ويُحاسب عليها، في مقابل أن يُعطيه الله العقـل والحرية والاختيار، فأعطاه الله تعالى ما اختاره لنفسه، وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) (الأحزاب: 72) [1].

ومن يومئذ ركَّب الله في الإنسان العقل والاختيار والحرية، وجعلها مـن مكونـات فطرته التي تُولد معه، وركَّب فيه وسائلها، من حواس تُدرك، وعقلٍ يُفكِّر، ويُدرك ويُميِّز الخير والشر، ويختار منهما ما أراده لنفسه، كما يقول سـبحانه: (وَهُـوَ الَّـذِي أَنشَـأَ لَكُـمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ)(المؤمنون: 78 ).

ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لواليه على مصر عمـرو بـن العـاص: يـا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ [2].

---

1) الراجح لديَّ أن الأمانة التي حمَّلها الله تعالى للإنسان هي: التكاليف الشرعية.

2) في قصة معروفة ذكرها المؤرخون عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عنـد عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنه إذ جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك.. قال: وما لك؟.

قال: أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل.. فأقبلت، فلما ترآها الناس، قـام محمّـد بـن عمـرو فقـال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا منه عرفته، فقلت: فرسي ورب الكعبة، فقام إليّ يضـربني بالسـوط، ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين.

وبعد أن يُولد الإنسان حُرًّا، يوجب الإسلام أن يُنمِّي فيه المربون ـــ في مجتمعه الصغير (أسرته)، وفي أسرته الكبيرة (المجتمع) ـ الحرية الإنسانية ويُرشِّدونها.

أمَّا إذا حُرِمَ الإنسان من نعمة العقل والاختيار، أو سلبت منه حريته فقد حُرِم من أهم مكونات فطرته، ولا يكون إنسانًا سويًّا، ولا يستطيع أن يتحمل مسئولية.

الحرية فريضة إسلامية مُحكمة.

ومع هذه الفطرة يُوجب الإسلام للإنسان هذه الحرية الفطرية، ويُحرِّم حرمانه منها.. ودليل هذا أن الإسلام يُحرِّم الإكراه على اعتناقه، ويُوجب الحرية في اختياره، فلا خير في دين يأتي عن غير طريق الحرية، (وهذا أول دعائم الحرية).. يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ (الكهف: ٢٩).. ويقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ومع أن حكم الآية عام فإن في سبب نزولها إيضاح وبيان، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قوله: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) قَالَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، يُقَالُ لَهُ: الْحُصَيْنِيُّ كَانَ لَهُ ابْنَانِ نَصْرَانِيَّانِ، وَكَانَ هُوَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَقَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَلَا أَسْتَكْرِهَهُمَا،

---

قال: فو الله ما زاده عمر أن قال له: اجلس، ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمّد، قال: فدعا عمرو ابنه فقال: أحدثت حدثاً؟، أجنيت جناية؟.. قال: لا.. قال: فما بال عمر يكتب فيك؟..= = قال: فقدم على عمر، قال أنس: فوالله إنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو، وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه؟، فإذا هو خلف أبيه، قال: أين المصري؟.. قال: ها أنا ذا.. قال: دونك الدّرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين.

قال فضربه حتى أثخنه، ثم قال: أحلِها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه.

فقال: يا أمير المؤمنين، قد ضربت من ضربني.. قال: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟، ثم التفت إلى المصري فقال: انصرف راشداً، فإن رابك ريب فاكتب إليّ (محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب 2/ 472، 473).

فَإِنَّهُمَا قَدْ أَبَيَا إِلَّا النَّصْرَانِيَّةَ؟ ، فَأَنْزَلَ الله فِيهِ ذَلِكَ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَرَوَى السُّدِّيُّ نَحْوَ ذَلِكَ وَزَادَ: وَكَانَا قَدْ تَنَصَّرَا عَلَى يَدَيْ تُجَّارٍ قَدِمُوا مِنَ الشَّامِ يَحْمِلُونَ زَيْتًا، فَلَمَّا عَزَمَا عَلَى الذَّهَابِ مَعَهُمْ أَرَادَ أَبُوهُمَا أَنْ يَسْتَكْرِهَهُمَا، وَطَلَبَ مِنْ رَسُولِ الله ^ أَنَّ يَبْعَثَ فِي آثَارِهِمَا، فَنَزَلَتْ هذه الآية الكريمة [1].

وفي رواية: كَانَتَ الْمَرْأَةُ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَكَادُ يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ فَتَحْلِفُ لَئِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ لَتُهَوِّدَنَّهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ إِذَا فِيهِمْ نَاسٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ (يبدو أن الأنصار أكْرهوا أولادهم على اعتناق الإسلام فامتنعوا)، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ الله أَبْنَاؤُنَا، فَأَنْزَلَ الله هَذِهِ الْآيَةَ: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)[2].

* ــ الحرية الإنسانية بهذا المعنى الإنساني نعمة من الله تعالى كبيرة، وقد ذكَّر موسى عليه السلام بني إسرائيل بها بعد نجاتهم من استبداد فرعون، وأمنهم من بطشه، يقول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ) (المائدة: 20).

فقول موسى عليه السلام لقومه: (وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً) معناه: أن الله تعالى منحهم الحرية، ولم يعد للاستبداد سلطان عليهم، ولا يكون الناس ملوكًا إلا بهذا المعنى.

قال السدي: ملك كل واحد منهم نفسه وأهله وماله.

قال ابن كثير: أي ملكْتم أمركم، لا يغلبكم عليه غالب بعد أن كنتم مملوكين لفرعون مقهورين، فأنقذكم منه بالغرق، فهم ملوك بهذا الوجه [3].

* ــ وكان رسول الله ^ في سيرته يرعى هذه الحرية الإنسانية ويصونها للإنسان، ولم يُؤثر في خبر صحيح أنه ﷺ أكْرَه أحدًا على اعتناق الإسلام، أو عاقب أحدًا على كلمة قالها، أو رأْيٍ اختاره ما لم ينتهك حُرمات الله تعالى.

فحينما قال مشرك أسير ــ بيد المسلمين ــ لرسول الله ﷺ:

---

1) صحيح .. أخرجه الطبري في تفسيره 4 / 542، رقم 5817،وغيره.

2 ) صحيح.. أخرجه ابن حبان رقم 140، وأبو داود في كتاب الجهاد، رقم 2682، وغيرهما.

3 ) راجع: تفسير القرطبي 7 / 393.

يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟».. قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، فلم يقبل منه رسول الله ﷺ هذا الزعم وهو مأسور يفقد حريته ، وقَالَ له: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انْصَرَفَ [1].

ومعناه: أن هذا الأسير لو اعتنق الإسلام وهو حر يملك حريته، أي وهو غير مأسور لكان صادقًا، وقبل الله تعالى منه إسلامه، ورزقه الفلاح في الدنيا والآخرة.

وقَالَ عَبْدُ الله بن مسعود ﷺ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ الله ^ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ، وآثَرَ نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ».. فَقَالَ رَجُلٌ: وَالله إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ، مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله، فَقُلْتُ: لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ الله ^، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ، إِذَا لَمْ يَعْدِلِ الله وَرَسُولُهُ» .. ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ الله مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ» [2].

ففي هذا الخبر سمع رسول الله ﷺ اتهامًا في قسمته، وهو نبي الأمة، ورئيس الدولة، ومع هذا لم يُضار القائل بأي عقاب ولو بكلمة تُخيفه أو تُروِّعه، إنما اكتفى النبي ﷺ بنفي التهمة، وقال: «يَرْحَمُ الله مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

---

1) إشارة ما أخرجه مسلم عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِى عُقَيْلٍ، فَأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟.. فَقَالَ: «إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ»، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»، فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ (أخرجه مسلم رقم 1641، وأبو داود رقم 3316، وأحمد رقم 19863، وغيرهم ).

2 ) صحيح.. أخرجه ابن حبان 4829، ومسلم في الزكاة 1062، والبخاري في الأنبياء 3405، وغيرهم.

* ــ وفي ذات الوقت يُوجب الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (وهو ثاني دعائم الحرية)، يقول الله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) (آل عمران: 104).. والنبي ^ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ» (1).

ويقول ^: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ».. قُلْنَا: لِمَنْ؟.. قَالَ ^: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (2).

* ــ ويُوجب الإسلام الشورى، (وهي ثالث دعائم الحرية)، يقول الله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ) (آل عمران: 159).

ومع أن رسول الله ﷺ كان مُؤيَّدًا بالوحي، يُسدد خطاه، ويدله على الرشد لكنه ^ كان يستشير أصحابه، ويُكثر من استشارتهم في أموره الخاصة والعامة، ويعمل بما اختاروه أحيانًا؛ ليُعلِّمهم أهمية الشورى، وحرية الرأي لحياتهم، كما قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ (3).

وَقَالَ الْحَسَنُ: إِنْ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ مُشَاوَرَتِهِمْ لَغَنِيًّا، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَنَّ بِذَلِكَ الْحُكَّامُ بَعْدَهُ» (4).

**الحرية الإنسانية تغرس في الإنسان الشعور بالمسئولية.**

والحرية الإنسانية بهذا المعنى تغرس في الإنسان الإحسان في عمله، والإبداع في إنتاجه، والشعور بمسئوليته عن إصلاح نفسه، وإصلاح مجتمعه، وتطهيره من الموبقات، والمشاركة في إعداد القوة المطلوبة للتحرير، والنبي ﷺ يقول:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (5).

---

1 ) أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما عن أبي سعيد الخدري، كما في صحيح الجامع 6250.

2 ) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ، كما في صحيح الجامع 1610.

(3) أخرجه البيهقي في الكبرى 13303، وغيره.

(4) راجع: السنن الصغير للبيهقي 4/ 129 رقم 3247، وغيره.

5 ) أخرجه البخاري 5200، ومسلم وغيرهما عن ابن عمر.

**الحرية الإنسانية سبيل القوة اللازمة للجهاد والنصر والسيادة.**

أجل، الحرية الإنسانية سبيل الإنسان للإبداع في الفكر، والدأب في العمل وإتقانه، والحرص على زيادة الإنتاج وإحسانه، وإعداد جيل النصر وعُدته.

فإن الإنسان الخائف لا يهدأ عقله ليُفكر، وإذا فكَّر لا يُفكر إلا في أمن نفسه وأمن أهله، ولا يبتكر شيئًا إلا لنجاة نفسه وأهله، وقد قيل: يد الخائف مرتعشة، لا تُمسك فأسًا لتزرع، ولا تقبض على سلاح لتقاتل.

وقد لاحظت في القرآن العظيم في سياق الأمر بالشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ وهما أظْهر دعائم الحرية ــ أن الله تعالى يُعقِّب على كل منهما بالبشارة بالنصر؛ ليُبين للمؤمنين أن الحرية سبب كبير لقوتهم ونصرهم وتحرير أرضهم.

ففي فريضة الشورى يقول الله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: 159).

فالأمر بالشورى يقتضي وجوب ممارسة الحرية الإنسانية، وقد أعقب الله ذلك في الآية التالية بالبشارة بنصره: (إِن يَنصُرْكُمُ الله فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ) (آل عمران: 160).

وفي الأمر المعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى: ( كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله ) (آل عمران: 110).. وفي ذات السياق يسوق الله تعالى للمؤمنين البشارة بالنصر كلما قاموا بهذه الفريضة، يقول سبحانه في الآية التالية: (لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ) (آل عمران: 111).

وحينما اقتدى المؤمنون الأولون بالرسول ﷺ في إقامة الشورى وحرية الرأي رزقهم الله السداد في القول والعمل، ومنحهم النصر والتمكين في الأرض.

* ــ وفي القديم حدثوا أن شدَّاد العبسي ظل يُنكر بنوة ابنه عنترة؛ لسواد وجهه، ولأجل أمه الحبشية (يُقال لها: زبيبة) حتى أغارت بعض أحياء العرب على قومه (بني عبس)، ودارت الدائرة على قومه، فأصاب خصومهم منهم منالاً، واستاقوا إبلًا، فتبعهم

العبسيون فلحقوهم، فقاتلوهم عمّا معهم، وعنترة يومئذ فيهم، فقال له أبوه شـدَّاد: كُـرَّ يا عنترة. . فقال له عنترة: إن العبد لا يحسن الكر، إنما يحسن الْحِلاب والصّر.. فقـال لـه أبوه: (كُـرَّ وأنت حر).

وحينما سمع عنترة هذا الإقرار بحريته، ولامسـت حـلاوة الحريـة قلبـه انـدفع إلى الحرب بإقْدامه وشجاعته وبطولته المعهودة، وانقضَّ على الأعداء غير هيَّاب، حتى تحقـق النصر لقومه، وصار فارسهم، وحفر اسمه في ذاكرة التاريخ [1].

وفي تاريخنا المعاصر حينما نهض الرئيس الشـهيد محمـد أنـور السـادات رحمـه الله بالإعداد لمعركة (رمضان عام 1393هـ = أكتوبر عام 1973م المُباركة كان أول أعماله: إرجاع الحرية التي غيَّبها سلفه، وإخراج المسجونين المظلومين من المعتقلات، وإعلاء شأن الحرية وسيادة القانون، وكان دائمًا يقول: (إن جوهر الأديان يُؤكد حق الإنسان في الحياة وفي الحرية).. وقال رحمه الله: (الحرية هي أجمل وأقدس وأغلى ثمرة لثقافتنا) [2].. وقـال رحمه الله: (إنني مُصرٌّ على طريق الحرية) [3].

وفي ظل الحرية أعدَّ رحمه الله للقتال عدَّته حتى حقـق الله للمـؤمنين نصـره بقـدر إعدادهم وإخلاصهم له.

**الاستبداد خطيئة جاهلية فاسدة ومُفسدة.**

وفي المقابل نجد أن الاستبداد كالاسترقاق، كل منهمـا وأْدٌ للحريـة، وقتـل لفطـرة الاختيار والتملك والتصرف الإنساني التي ركَّبها الله تعالى في الإنسان، يقـول الله تعـالى:

---

1) راجع: شرح المعلقات السبع لحسين الزوزوني 237، ط. دار احياء التراث العربي .
ومعنى (الصِرّ) أي شد ضرع الأنعام برباط يحوطه نهارًا، حتى لا يرضعه صغيرها نهارًا، ويعتـاد الأكـل مما تأكله، وفي ذات الوقت يبقى شيئًا من لبنها ليحلبه صاحبها ليلًـا، «وكـان مـن عـادة العـرب أن تصر ضروع الحلوبات إذا أرسلوها إلى المرعى سارحة، ويسـمون ذلـك: (الصِّـرار)، فـإذا راحـت عشيًا حُلَّت تلك الأصرة وحَلَبَت».

2) راجع: من أوراق السادات 54، لأنيس منضور.. وسيدة من مصر 568، لجيهان السادات.

(3) راجع: السادات الحقيقة والأسطورة 244، لموسى صبري.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ٧٥).

وفي الآية الكريمة يُبيِّن الله تعالى أن العبد المُستعبد بالاسترقاق أو بالاستبداد ضعيف لا يقدر على التصرف في شيء يملكه ــ إن كان يملك ــ؛ فلا يمكن أن يتساوى مع الإنسان الحر الذي يقدر على التفكير والاختيار والتصرف فيما يملكه، فإن هذا الأخير هو أفضل حالًا، وأهْدى سبيلًا، وأقْوم قيلًا.

تحريم الاستبداد وتحريم قبوله والركون إليه.

ونفهم من هذا أن الإسلام يُحرِّم الاستبداد كما يُحرِّم الاسترقاق، ويقول الله تعالى لرسوله ﷺ ولولي الأمر من بعده: (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) (ق: 45).. (لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية: 22).

وكما يُحرِّم الإسلام الاستبداد يُحرِّم قبوله والركون إليه؛ فإن قبوله والاستسلام له والركون إليه خلل في التربية الإيمانية، ومرض في القلب.. إنه يدفع الإنسان إلى الرضا بالدون والحياة الهُون، رغبًا أو رهبًا، ويعيش عبدًا لا حرًا، مسلوب الإرادة والاختيار والكرامة، بل قال العلماء: أشد من الاستبداد قبول الاستبداد، والركون إليه، وقد نهى الله تعالى عنه نهيًا صريحًا في قوله سبحانه: (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ) (هود: 113).

عن ابْنِ عَبَّاسٍ: وَلَا تميلوا إلى الذين ظلموا، فلَا تَوَدُّوهُمْ ، وَلَا ترضَوْا أعمالهم.. قال ابن كثير: وهذا القول حسن.. أي لا تستعينوا بالظلمة؛ فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنعهم [1].

وقال الحسن البصري: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصى الله تعالى في أرضه [2].

---

(1) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4 / 283، 284، ط. دار الشعب .. مصر.

(2) راجع: أحياء علوم الدين 3 / 545، لأبي حامد الغزالي، ط. دار المنهاج.. جدة.. السعودية.

واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلًا، فقيل له: كان عاملًا للحجاج فعزله، فقال الرجل: إنما عملت له شيئًا يسيرًا.

فقال له عمر: حسبك بصحبته يومًا أو بعض يوم شؤمًا وشرًا [1].

وكتب صاحب للإمام الزهري حينما رآه دخل على السلطان المُستبد (عبد الملك بن مروان): أخذ الله على العلماء الميثاق بالبيان: قال الله تعالى (لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: 187)، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت: أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل البغي بدنوك ممن لم يؤد حقًا، ولم يترك باطلًا حين أدناك، اتخذوك قطبًا تدور عليك رحى ظلمهم، وجسرًا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلمًا يصعدون فيه إلى ضلالهم، ويدخلون بك الشك على العلماء، ويصادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك [2].

فالمسلم الذي يقبل الاستبداد أو يركن إليه ولا يكْرهه ولا يُجاهده يرتكب حرامًا وإثمًا مُبينًا، ويكون شريكًا في إقامته، لأنه بركونه إليه يُشجع على بقائه واستمراره،

وقد قال المصريون: لماذا اتفرعنت يا فرعون؟. . قال: لم أجد أحدًا يردني.

ولبيان ما ذكرناه يذكر الله تعالى هذا الحوار القرآني بين القادة المستبدين ورعيتهم التي قبلت استبدادهم، واستكانت لظلمهم، يقول الله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بالله وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا

(1) راجع: أحياء علوم الدين 3 / 546، لأبي حامد الغزالي، ط. دار المنهاج.. جدة.. السعودية.

(2) راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4 / 283، 284، ط. دار الشعب .. مصر.

الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(سبأ ـــ 31: 33).

قال القرطبي: (الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) هم القادة والرؤساء [1].

وعلى هذا فإن (الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) هم رعيتهم التي استكانت لهم، وخضعت لاستبدادهم وركنت إليهم.

ويظهر أن هذا الحوار يدور يوم القيامة بين القادة المستبدين والمُستكينين من رعيتهم.. لأن هؤلاء القادة المستبدين في حياتهم الدنيا لا يسمعون لرعيتهم قولًا، ولا يقبلون منهم قولًا يُخالف قولهم، بل لا يُقيمون لهم وزنًا، ولا يعتبرون لهم وجودًا، ولا يجرؤ واحد من رعيتهم أن يقول لهم: (لم) ؟، فضلًا عن (لا).

بل لا يأذن المستبد لأحد أن يتساءل، أو يقول: لم؟. . أو: لا. . فهو يُوقن أنه ليس في شعبه واحد مثله عقلاً وذكاءً، وإحاطة بالأمور، وحُسن إدراك للعواقب. . فهو وحده الفهَّامة في كل شيء، والعلامة في كل فن، وما على الناس إلا أن يقولوا له وحده: سمعنا وأطعنا. . ومن يتجرَّأ على الاستفهام أو الاعتراض فهو عدو الشعب، ولا حرية لأعداء الشعب!.

فالحاكم المستبد في دنياه ـــ كما قال الكواكبي ـــ يحكم رعيته بإرادته لا بإرادتهم، ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي، فيضع كعب رجله على أفواه الملايين منهم؛ ليسدها عن النُّطق بالحق، والتداعي لمطالبتهم به[2].

أمَّا في يوم القيامة فيتشجع المُستكينون (المُستضعفون) ويُواجهون قادتهم المستبدين بالحقيقة المرة، ويقولون لهم: (لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ).. أي لولا استبدادكم وكذبكم وخداعكم لكُنَّا من أهل الإيمان والنجاة من سوء العذاب.

---

(1) راجع: تفسير القرطبي 17 / 317.

2) راجع: طبائع الاستبداد 41 لعبد الرحمن الكواكبي ط . بيروت .

ورد عليهم قادتهم المُستبدون أو (الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) في استعلاء واستهانة بهم: (أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ) (سبأ: 32).

أي نحن ما صددناكم عن الهدى بعدما عرفتموه، بل أنتم قلوبكم مريضة، ونفوسكم فاسدة؛ فاستكنتم وخنعتم، وقبلتم الضلال والاستبداد وإرادة المُستبد، بل مجدتم الظالم المُستبد، فارتكبتم بهذا أكبر جريمة طالت عليكم في حياتكم بغير برهان من عقل أو شرع، فكنتم: (مُّجْرِمِينَ)، ونحن ما فعلنا بكم أكثرُ من أنَّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم باختياركم الأدلة والبراهين التي جاءت بها الرسل [1].

وهذا يُسميه العلماء: القابلية للاستبداد.

وفي هذا الحوار يجعل الله تعالى القادة المُستبدين والشعوب التي استكانت لهم، وقبلت ظلمهم واستبدادهم في الظلم سواء: (الظَّالِمُونَ).. وفي العقاب سواء، كما يقول سبحانه: (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

قال العلامة محمد الطاهر بن عاشور: وضمير الجمع (وَأَسَرُّوا) عائد إلى جميع المذكورين قبل، وهم الذين استضعفوا والذين استكبروا [2].

وقال كبار علماء الأزهر: يقول الله تعالى: (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) أي: وأضمر الظالمون من الفريقين: ــ المستكبرين والمستضعفين ــ الندامة على ما كان منهم في الدنيا من الضلال والإضلال الذي جانب المستكبرين، ومن الضلال والانقياد إلى المضلين في جانب المستضعفين حينما رأوا العذاب وشاهدوه؛ لأنهم بهتوا لما عاينوه فلم يقدروا على النطق، واشتغلوا عن إظهار الندامة بهول العذاب، أو لأنهم علموا أن لا فائدة من إظهارها [3].

---

1) راجع : التفسير الوسيط 8 / 275، 276، بتصرف.

2) راجع: التحرير والتنوير 22 / 209.

3) راجع: التفسير الوسيط 8 / 276.

ويذكر الله تعالى أن الأمم الهالكة ما هلكت إلا لقبول شعوبها استبداد قادتهم، وركونهم إلى ظلمهم واستبدادهم، يقول الله تعالى: (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) (هود: 59).. قال القرطبي: أَيِ اتَّبَعَ سُقَّاطُهُمْ رُؤَسَاءَهُمْ (الجبابرة الذين لا يقبلون الحق ولا يُذعنون له) [1].

وقد مدح عمرو بن العاص الروم لعدم قبولهم استبداد وظلم ملوكهم، فالملك فيهم لا يستطيع الاستبداد بشعبه، وجعل عمرو هذه الصفة سببًا في قوتهم.

قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ^، يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ».

فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ. قَالَ: أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ [2].

**الاستبداد طريق الفساد والضعف والهزيمة في الداخل.**

والثابت المعروف أن الاستبداد يُفسد الحياة (السياسية والأخلاقية والاقتصادية، وغيرها) في المجتمع؛ فتضعف الدولة، ثم يهزمها عدوها في أضْعف مواجهة.

وأول عقوبات الله تعالى للشعوب الخانعة القابلة للاستبداد أن يُولي الله تعالى عليهم مُستبد ظالم، يقْهرهم بسبب ظلمهم لأنفسهم، كما يقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (الأنعام: 129).

قال أبو زهرة: كلمة (نولي) من معانيها: الولاية بمعنى السلطان، ويكون المعنى: وكذلك نجعل بعض الظالمين ولاة على ظالمين مثلهم، فيفسد الأمر، ويضطرب الحال، ويكون الفساد في الأرض، بدل الصلاح فيها، وهذا يفيد أن ظلم الولاة يكون بسبب

---

1) راجع: تفسير القرطبي 11/ 147، تحت الآية الكريمة.

2) أخرجه مسلم في كتاب، رقم 2898، وأحمد 18022، والطبراني في الأوسط 8668، وغيرهم.

ظلم الرعية فيما بينها، كما رُوِى (كيفما تكونوا يولى عليكم) [1]، وأن فساد الرعية يؤدي إلى ألا يحكمها إلا راع ظالم، فإنهم يتعاونون على الظلم والعدوان، ولا يتعاونون على البر والتقوى، وإن الوالي الظالم يجد العون على ظلمه من الرعية نفسها، ثم يُسلِّط الله تعالى الظالم على من أعانه على ظلمه، كما يقول ﷺ: من أعان ظالما سلط الله تعالى عليه ظالما [2]، وقد رأينا ذلك.. ولقد قال النبي ﷺ: لَتَأْمُرُن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذنَّ على يدي الظالم ولتأطُرُنَّه على الحق

أطرا أو ليضربن قلوب بعضكم ببعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم [3]. اهـ[4].

ويرشح لهذا المعنى قوله تعالى في ختام الآية: (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أي بما كانت الرعية تكسب من ظلم بعضها بعضًا في معاملاتها؛ فيجيء حكام على شاكلتهم فيتشاكلون فيما بينهم، ويحكمونهم بمثل أخلاقهم.

وقد رأيْنا هذا في عصرنا في بلادنا الإسلامية، حيث ظلمت شعوبها بعضها بعضًا؛ فتسلَّط عليهم حُكَّامٌ اغتصبوا القيادة بالقهر والتزوير، وأقاموا فيهم الاستبداد والظلم؛ حتى شاع فيهم الفساد والضعف، وصاروا كما قال الشاعر:

أغاروا على الحكم في ليلة * ففر الصباح ولم يرجع.

وعيَّرنا أحد الصليبيين بهؤلاء المستبدين، فقال: إن الذي لم يعش في المجتمعات الإسلامية المتعصبة (وغير المتعصبة. م) لا يعرف نعمة حرية الرأي [5].

* ــ وكما تفسد الحياة السياسة بالاستبداد تفسد الأخلاق أيضًا؛ حيث يعلو أهل

---

1 ) راجع: كشف الخفاء 2 / 184.

2) راجع: كشف الخفاء 2 / 315.

3 ) صحيح.. أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم 4336، وغيره.

4) راجع: زهرة التفاسير 5 / 2669، 2670، ثم قال: وقد يكون معنى تولية الظالمين بعضهم بعضا، بمعنى الولاء النفسي، والتشاكل الخلقي... وعندي أن الآية الكريمة تحتمل التخريجين، ولا مانع من الجمع بينهما.

5 ) راجع: الجنازة حارة 207، يوميات مراقب لأزمة الخليج، لمحمد جلال كشك. ط. للمؤلف.. مصر.

الكذب والنفاق والتملق والخنوع، ويلتفون حول المستبد، ويُحيطون به من كل جانب، ويكيلون له الثناء الكاذب، والمديح الزائف، ويُلبسونه ألقابًا ليست له، ولا تليق به؛ لالتقاط عطايا ليست من حقهم، ومناصب في الدولة ليسوا من أهلها [1].

ولهذا يُحذِّر النبي ﷺ المؤمنين من التملّق والمتملِّقين فيقول:

«إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»[2].

* ــ وفي ظل الاستبداد تُؤخر الكفايات وتُهان، و يُقدم لأعمال الدولة وقيادة جيشها الضعفاء والمهازيل من أهل الثقة، تطبيقًا لمبدأ الاستبداد: أهل الثقة أولى من أهل الكفاية. . والويل لأمة يقودها التافهون، ويُخْزى فيها القادرون.

قال العلامة الشيخ محمد الغزالي: كنت أقرأ في الصحف المصرية ــ دون دهشة ــ كيف أن المسئول عن الثقافة والفكر في الاتحاد الاشتراكي المصري رجل أمي، وكان يصيح كلما سأله المحقق: اعذرني؛ فإني جاهل! [3].

---

1) ومن هذا الملق قول ابن هانئ للمعز الفاطمي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار

وكأنك أنت النبي محمد * وكأنما أنصارك الأنصار .

ومثله قول بعض المتملقين الفاسدين للرئيس العراقي السابق صدام حسين:

تبارك وجهك القدسي فينا * كوجه الله ينضح بالجلال .

وحينما ضرب الزلزال مصر عام 1948م أيام حكم الملك فارق، قال له بعض المُتملقين:

ما زُلزلت مصر من ظلم ألَـمَّ بها * ولكنها رقصت من عدلكم طربًا !!.

وفي يوم الجمعة 8/ 1/ 1971م صلى الرئيس السوري (حافظ الأسد) صلاة الجمعة في مسجد (سيف الدولة) بحلب ــ سوريا ــ، فخاطبه خطيب الجمعة بقوله: لقد أعدت عسرنا يُسرًا، وأعدت خوفنا أمنًا، وأعدت الإيمان إلى النفوس الضالة... اهـ !!! (راجع: مجتمع الكراهية 106، للوزير الأردني سعد جمعة).

(2) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (340)، وابن حبان (5770)، وغيرهما عن ابن عمر .

3 () راجع: قذائف الحق 194، للشيخ محمد الغزالي.. ط ذات السلاسل .

وفي عصرنا رفع وزير الثقافة المصري في وقته (فاروق حسني) عقيرته بأن أركان الإسلام أربعة!. (فظهر أن وزير الثقافة يجهل دينه؟!).

بهؤلاء الضعفاء والمهازيل تضطرب الدولة، وتضعف قوتها، ويهزمها عدوها في أضعف مواجهة، كما ذكر النبي ^ لمن سأله مَتَى السَّاعَةُ قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».. قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟.

قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ » [1].

ومن قديم ذكر الماوردي: أن الاستبداد والجور يُفسد ضمائر الخلق. . ولكل جزء من الجور قسط من الفساد حتى يُستكمل [2].

* ــ وكما تفسد الأخلاق بالاستبداد تفسد القوة الاقتصادية للدولة. . فالأموال في ظل الاستبداد تُنفق في مشاريع الترف والعبث والفساد، وإشباع شهوات المستبدين وأسُرهم، وحماية أمنهم، وتَرُوج لأجلهم الدعايات الكاذبة، والشعارات الزائفة، والتنكيل بالأحرار؛ لستر فشلهم في الإدارة والتنمية، يقول الله تعالى في شأن أمة من الأمم الهالكة:

---

(1) أخرجه البخاري رقم 59 وغيره عن أبي هريرة، وهو في صحيح الجامع 826.

2) راجع: القرآن والسلطان 22 فهمي هويدي .

من سمات فساد الأخلاق بالاستبداد: انقسام التلاحم الشعبي إلى مكبوت مربوط اللسان أو مُكمَّم الفم، ومن يُسارع بإبلاغ السلطات المستبدة عنه إذا تكلم بكلمة كتمها، فتُعاقبه السلطة المستبدة، وتُكافئ من قام بإبلاغها عنه، وعندئذ انتشرت ظاهرة كتاب بعض الشعب التقارير السرية ضد بعضه الآخر، وقد قال الكاتب محمد جلال كشك: في احتفال رسمي في مصر الجديدة جرت مكافأة طالبة،لأنها كتبت تقريرًا في شقيقها !!.

وفُصل فلاح من عضوية الاتحاد الاشتراكي لأنه ضرب ابنه عندما ضبط عنده تقريرًا ضد ابن عمه.. وكم كان الفلاح رائعًا وهو يقف في اجتماع عام ليقول: يا بك (موجها كلامه لعضو الأمانة العامة): فقلت له: الظفر ما يطلعش من اللحم. واللي ما فيهش خير لأهله ما فيهش خير للناس. ربنا فتح عليك وعرفت الحق، نوِّر ابن عمك، وارشده بدل ما تضيعه، إيه فائدة التعليم إذا كنا حنفضل نكتب عرضحلات في بعضنا؟! (راجع: كلام لمصر، لمحمد جلال كشك 180، ط. دار الوطن العربي.. بيروت).

(أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) (الشعراء ــ 128: 130).

والويل لمن قال: لم؟!.. فضلًا أن يقول: لا!.

أجل، إن الأمير المستبد يبطش بقائل الكمة الحرة بطشًا عاتيًا يُسكته في السجن أو في المقبرة!، كما يقول الله تعالى: (وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ).

قال السلف: البطش العسف قتلًا بالسيف، أو ضربًا بالسوط من غير تثبت.. وقيل: إنه المؤاخذة على العمد والخطأ من غير عفو ولا إبقاء.. وكله مذموم.

وقال القرطبي: والآية نزلت خبرًا عمن تقدم من الأمم، ووعظًا من الله عز وجل لنا في مجانبة ذلك الفعل الذي ذمهم به وأنكره عليهم.

قلت (القرطبي): وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الأمة، لا سيما بالديار المصرية منذ وليتها البحرية[1]، فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق. وقد أخبر ﷺ أن ذلك يكون. كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وكذا [2].

وابن خلدون رحمه الله خصَّص فصلاً في مقدمته المعروفة بعنوان: الظلم مؤذن بفساد العمران، وقال: الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم هي أنه ينشأ عنه فساد العمران وخرابه، وذلك مؤذن بانقطاع النّوع البشريّ [3].

وخلاصة القول: قال الكواكبي رحمه الله: لو كان الاستبداد رجلاً، وأراد أن يحتسب وينتسب لقال: أنا الشر، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي

---

1) البحرية: هم من المماليك الأتراك الذين استخدمهم الملك الصالح الايوبي، وأسكنهم جزيرة الروضة. وأول ملوكهم عز الدين أيبك. وكانت مدة حكمهم من سنة (648 هـ: 784هـ).

2) راجع: تفسير القرطبي 16/ 57، 58.. والحديث المذكور أخرجه مسلم رقم 2128.

3 ) راجع: تاريخ ابن خلدون 1/ 356 تحقيق خليل شحادة.. والقرآن والسلطان 22 فهمي هويدي .

المسكنة، وعمي الضُّر، وخالي الذُّل، وابني الفقر، وابنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب، أما ديني وشرفي فالمال.. المال.. المال [1].

الاستبداد طريق الهزيمة والاحتلال.

فالاستبداد بهذا الإفساد الداخلي لا يُربي إلا فقراء منهوكين، وجهلاء هابطين، وعبيدًا خانعين، وجبناء فاسدين، ترتجف قلوبهم، وترتعش أيديهم عند أدنى مخاطرة، ولا ترقى همتهم إلى القيام بأعباء التحرير المطلوب؛ مما يُساعد على بقاء ضعفهم، والهزيمة التي حلت بوطنهم وأمتهم، وقد رُوي في الحديث: «إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الْظَالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ إِنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ» [2].. أي أنهم بخُذْلانهم، وقبولهم الاستبداد واستسلامهم له ماضون في طريقهم إلى الهلاك.

وآية ذلك: بنو إسرائيل الذين قبلوا طغيان واستبداد فرعون مئات السنين؛ حتى ألفوا الاستبداد، ولم يعتادوا التضحية للخلاص منه، فحينما خرج بهم موسى عليه السلام من مصر، وأمرهم بالقتال لدخول الأرض المقدسة جبنوا وعصوْا، وأرادوا أرضًا بغير مخاطرة ولا تضحيات، يقول الله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) (المائدة: 21، 22).

وليس هذا بغريب؛ ففي ظل الاستبداد يشيع الاستعباد، ويجبن القوم عن صناعة النصر لأنفسهم، ويألفون أن يُقدمه لهم القائد المستبد سهلاً لا كدَّ فيه؛ في مقابل أن يستعبدهم ويحرمهم من حريتهم، ولهذا رد بنو إسرائيل على نبيهم مرة أخرى بإصرار الجبناء: (قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (المائدة: 24).

---

(1) راجع : طبائع الاستبداد 89 لعبد الرحمن الكواكبي ط . بيروت .

2) أخرجه أحمد 6521، والبيهقي في الشعب 7547، والهيثمي في مجمع الزوائد 12110، وغيرهم عبد الله بن عمرو.. وفي إسناده انقطاع، لأن أبا الزبير وهو محمد بن مسلم بن تدرس لم يسمع من عبد الله بن عمرو .. وأبو الزبير مُتهم بالتدليس.. وذكره الألباني في الأحاديث الضعيفة رقم 577، 1264.

فعاقبهم الله تعالى على جبنهم بالحرمان الأبدي من الأرض المقدسة، وبالتيه في الصحراء أربعين سنة، ودمغهم بالفسق، يقول الله تعالى: (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)(المائدة: 26).

وإنما حكم الله تعالى عليهم بالتيه أربعين سنة في أرض سيناء حتى يكون هذا الجيل الجبان الذي أَلِفَ الاستبداد وركن إليه قد أنهكته الشيخوخة، أو مات وفني، ونشأ جيل آخر تربى على حرية الصحراء، وقوة الإيمان، وخشونة الصحراء؛ فيكون أقدر على القتال.

يذكر التاريخ أن معركة الجسر سنة (13 هـ/ 634 م) التي هُزم فيها المسلمون بسبب استبداد قائد الجيش أبو عبيد بن مسعود الثقفي، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أمره ــ عند خروجه بالجيش ــ أن يتريث في الأمر، ويستشير أصحاب رسول الله ﷺ الذين معه، ولا يستبد برأيه، قال: اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشْرِكْهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعًا حتى تتبيَّن، ولم يمنعني أن أؤمر سليطًا (بن قيس) إلا سرعته إلى الحرب، وفي التسرع إلى الحرب ضياع الأعراب، فإنه لا يصلحها إلا الرجل المكيث. وأوصاه بجنده، لكنه رضي الله عنه خالف هذه الوصية عندما اختار أن يعبر بالجيش نهر (دجلة)، فنهاه الواعون في جيشه عن العبور إلى العدو، ومنهم: سليط بن قيس (من أهل بدر)، فاستبد أبو عبيد برأيه، وقال: لا يكونوا أجرأ على الموت منَّا [1].. فحلت الهزيمة باستبداده.

ويذكر التاريخ أيضًا أن الدولة العباسية حينما تفشى فيها الاستبداد، ضعفت قوتها، وانهارت عاصمتها بجيش التتار في نفس القرن السابع الهجري الذي دعا فيه الخليفة العباسي المستعصم الفقهاء في المدرسة المستنصرية ببغداد إلى إلغاء حريتهم في التفكير والاجتهاد، والاقتصار في دروسهم على تقليد أقوال الأئمة من قبلهم (أبو حنيفة

1) راجع: الكامل في التاريخ 2/ 229، لعلي بن محمد.. المعروف بابن الأثير (ت: 630هـ)، ط. دار الحديث.

ومالك والشافعي وأحمد)، ولا يدرسون لتلاميذهم كتابًا إلا من كتبهم؛ مما رسَّخ الاستبداد الفكري الذي يتبع بطبيعة الحال الاستبداد السياسي [1].

وما أُضير الإسلام في بلادنا ، وما علت فيها راية الجاهلية الحديثة (العلمانية)، وما تغلَّب عليها العدو إلا في مهاد الاستبداد؛ حيث استولت عصابات العلمانيين على زمام الحكم فيها بالقهر والاستبداد، وغيَّبوا الحرية، وكمَّموا الأفواه عن الكلمة الحرة، ولطموا الوجوه الشريفة؛ فابتُليت شعوبنا بنكبات لا تقل في فداحتها عن نكبة التتار.

ولم يتمكن الأعداء من احتلال فلسطين، وإنزال النكبة بالأقطار العربية عام 1948م، 1956م، 1967م، واحتلال العراق عام (2003م) وقتل المسلمين في فلسطين عامًا بعد عام إلا في ظل سيادة الاستبداد والقهر في بلادنا الإسلامية.

قال شيخنا محمد الغزالي: إن قيام إسرائيل وانتصاراتها المتكررة على البلاد العربية لا يعود إلى بطولة مزعومة لليهود قدر ما يعود إلى استبداد الحكام العرب، وعمى أبصارهم.. فقد أعماهم جنون السلطة، وطغيان الاستبداد عن إعداد العدة وتهيئة الشعوب للجهاد والنصر، ولو أنصف اليهود لأقاموا لهؤلاء الحكام تماثيل ترمز إلى ما قدموه لإسرائيل من عوْن ضخْم، ونصر رخيص [2].

**مجاهدة الاستبداد والمُستبدين**

ولهذا كله يُوجب الإسلام على المؤمنين مقاومة الاستبداد، ومجاهدة كل جبار مُستبد مجاهدة سلمية بقدر الاستطاعة؛ لتبقى للإنسان حريته الإنسانية، ولا يحرمه منها جبار عنيد، يقول الله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) (الشعراء ــ 150: 152).

قال أبو زهرة: المسرفون هم الذين يخرجون بطبيعتهم البشرية عن حد الاعتدال.. فيسرفون في طلب السلطان والقوة، ويجعلونها للاستعلاء والاستكبار على الضعفاء،

---

1) راجع: القرآن والسلطان 20، 21 لفهمي هويدي .

2) راجع: قذائف الحق 191 للشيخ محمد الغزالي ط. ذات السلاسل .

ليكونوا عبيدا أذلاء؛ ولذا قال تعالى: (الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ).. فالمسرفون يفسدون دائما ولا يصلحون، وقد قرر اللَّه لهم وصفين:

الوصف الأول: الفساد المترتب على إسرافهم.. والوصف الثاني: في قوله سبحانه: (وَلا يُصْلِحُونَ) أي لَا يمكن أن يكون منهم إصلاح كالذي يدعيه الطغاة من الحكام، والأقوياء من الأمراء من أنهم يُصلحون بين الناس، وإن الوجود في حاجة إليهم ولا نشعر، فهذا النص السامي يرد كلامهم في أعناقهم [1].

وفي وجوب مجاهدة الاستبداد يقول الله تعالى: (كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) (العلق: 19)، واقتران النهي عن طاعة المستبد بالأمر بالسجود لله تعالى يقتضي أن المسلم لن تستقيم له عبادة ولا سجود لله تعالى إلا إذا قدَّم عصيان المستبد في فساده، وقد جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أن النبي ﷺ يقول: «لاَ يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟.

قَالَ: «يَرَى أَمْرًا لله عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لاَ يَقُولُ فِيهِ.. فَيَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيَّ كَذَا وَكَذَا؟.

فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ.

فَيَقُولُ الله له: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى» [2].

وفي رواية عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أن رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا رَآهُ وَعَلِمَهُ، أَوْ رَآهُ وَسَمِعَهُ» [3].

وكلما كان المُستبد جبارًا عنيدًا كانت مُجاهدة استبداده أفضل أنواع الجهاد ، كما جاء عَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ: عَرَضَ لِرَسُولِ الله ﷺ رَجُلٌ في حجة الوداع فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟.

فقال ﷺ: « كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ » [1].

---

(1) راجع: زهرة التفاسير 10/ 5392، 5392.. بتصرف.

2 ) صحيح .. أخرجه ابن ماجة 4144، ومسلم وغيرهما، كما في صحيح الجامع 6332.

(3) صحيح .. أخرجه أبو يعلى 1212، وأحمد 11428، والطيالسي 2158، وغيرهم .

الموت في هذا الجهاد المدني شهادة في سبيل الله تعالى.

والمؤمن الذي يموت في مجاهدة الاستبداد والمستبدين مع خلوص نيته لله تعالى سيد الشهداء بعد حمزة بن عبد المطلب ﷺ كما يقول النبي ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» [2].

وسائل غرس الحرية.

هذا، وللإسلام وسائل هامة لغرس الحرية الإنسانية وإشاعتها ورعايتها في المجتمع، نُبينُها في الآتي:

- الوسيلة الأولى: تغيير ما بالأنفس من أفكار الاستبداد، وأفكار قبول الاستبداد، بغرس عقيدة التوحيد وإشاعة الحرية الإنسانية، والله تعالى يقول: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّـهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (الأنفال: 53).
- الوسيلة الثانية: تحريض المؤمنين على الإيجابية في محاربة الفساد، ومقاومة السلبية الاجتماعية، والانسحابية من الإصلاح التي تُشيع في الناس الاستسلام للاستبداد، واليأس من الإصلاح، فالله تعالى يقول: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(آل عمران: 104).
- الوسيلة الثالثة: أن يُوقن المؤمن أن الإسلام يُحرِّم الاستبداد، ويُحرِّم الركون إلى المستبدين ، ومشاركتهم في استبدادهم، يقول الله تعالى: (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ) (هود: 113).

وأن المسلم الساكت عن البيان، ومقاومة الاستبداد يُغضبُ ربه، ويُحقِّر نفسه، ويُوبقها بلعنة الله تعالى، يقول الله تعالى: ( إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى

---

(1) صحيح .. أخرجه ابن ماجة 4148، كما في صحيح الترغيب 2307 .

(2) صحيح .. أخرجه الترمذي والحاكم عن جابر ﷺ، كما في صحيح الترغيب والترهيب2308 .

مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)(البقرة: 159).

والخلاصة: إننا إذا استطعنا النهوض بالحرية الإنسانية في المجتمع المسلم تغيرت قيادات الاستبداد، إمَّا بإفراز الشعوب، وإمَّا بالأخذ على أيدي المستبدين. واستطعنا إعداد القوة، والنهوض بالجهاد والتحرير.

**الحذر من دسائس ومكائد الأعداء.**

ويجب على المؤمنين وولاة أمرهم في بلادنا الإسلامية أن يحذروا دسائس ومكائد أعدائهم في إشاعة الاستبداد، وحرمان شعوبنا من الحرية الإنسانية.

فإن اليهود في عصرنا يعلمون أن عدوهم الوحيد الذي يسعى لإزالة احتلالهم فلسطين هم المسلمون العاملون، كما قال شيمون بيريز رئيس إسرائيل الأسبق: لن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد [1].

وهم يعلمون أن الإسلام لن يغمد سيفه إلا في ظل مطارق الاستبداد وتغييب الحرية الإنسانية في بلادنا الإسلامية؛ ولهذا يعملون ليفرض ولاة الأمر في بلادنا الإسلامية الاستبداد وتغييب الحرية الإنسانية؛ حتى يكبتوا لهم المسلمين العاملين، ويمنعوهم من الحرية، ومن الحركة لتحرير أرض الإسلام؛ ليبقى لهم احتلال القدس وفلسطين، ثم يشرعون في احتلال ما جاورها من أقطار الإسلام بالتدريج.

اسمع إليهم في بروتوكولاتهم، قالوا: ليست صورة الحكومة التي يمكن أن تُعطاها هذه المجتمعات (الأممية) بحق الا صورة الاستبداد التي سأصفها لكم.

إننا سننظم حكومة مركزية قوية، لكي نحصل على القوى الاجتماعية لأنفسنا. وسنضبط حياة رعايانا السياسية بقوانين جديدة كما لو كانوا اجزاء كثيرة جداً في جهاز. ومثل هذه القوانين ستكبح كل حرية، وكل نزعات تحررية يسمح بها الأمميون (غير

1) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 47، لزياد أبو غنيمة، ط. دار الفرقان.. الأردن.

اليهود)، وبذلك يعظم سلطاننا فيصير استبداداً يبلغ من القوة أن يستطيع في أي زمان وأي مكان سحق الساخطين المتمردين من غير اليهود [1].

وأخيرًا قال المستشرق الأمريكي سميث.. الخبير بشئون باكستان: إذا أُعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد.. وبالدكتاتوريات وحدها يُمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية وبين دينها [2].

ولن يتحقق للأعداء غرس الاستبداد في بلاد الإسلام إلا باضطهاد المسلمين العاملين، فهم خمائر الحرية الإنسانية، وقوة النصر وتحرير القدس وفلسطين.

قال الرئيس الإسرائيلي (ديفيد بن جوريون): لا أمل في الصلح مع العرب إلا بالقضاء على الرجعيين (المسلمين العاملين)، وإقامة دول شعبية اشتراكية (علمانية) محل النُّظم الرجعية في المنطقة [3].

وقال مدير المخابرات الإسرائيلية الأسبق (أهارون ياريف) لمجلة (نيوزويك) الأمريكية في 14/ 8/ 1981م: لا أعتقد أن العرب بأوضاعهم الحالية يستطيعون أن يُزيلوا إسرائيل من الوجود حتمًا مع وجود أسلحة جديدة ومتطورة، ولكن الأمر قد يُصبح أكثر خطورة بالنسبة لإسرائيل في المستقبل إذا نجح المتعصبون المسلمون في تغيير الأوضاع في الأقطار العربية لصالحهم، ولكننا نأمل أن أصدقاءنا الكثيرين سينجحون في القضاء على خطر المتعصبين المسلمين في الوقت المناسب [4].

ومناحيم بيجن رئيس الحكومة الإسرائيلي الذي عقد معاهدة السلام مع مصر في (كامب ديفيد) الأمريكية قال للإذاعة الإسرائيلية: إنني لن أطمئن على مستقبل معاهدة وملحقاتها مع مصر إلا بعد أن يتم القضاء نهائيًّا على الحركة الإسلامية في مصر بشكل خاص، وعلى الحركة الإسلامية في كل المنطقة العربية بشكل عام !!.

---

1) راجع: بروتوكولات صهيون، البروتوكول الخامس، ص: 160، ترجمة محمد خليفة التونسي.

(2) راجع: مجلة العالم العرب 31، عدد 5، السنة 4، 21/ 2/ 1370هـ = 1/ 12/ 1950م.

(3) راجع: المسلمون والحرب الرابعة 24 لزهدي الفاتح .

4) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 129، 130، لزياد أبو غنيمة، ط. دار الفرقان.. الأردن.

وأردف (بيجن) قائلًا: لقد حملت معي أثناء زيارتي لمصر في الأسبوع الأول من شهر أيلول الماضي (1981م) حقيبة مليئة بالمنشورات والمطبوعات التي في مصر ضد اليهود بشكل عام، وضد إسرائيل بشكل خاص، وقلت لصديقي الرئيس (المصري) السادات: كيف تُريدني أن أصدق أنك راغب فعلًا في تطبيع العلاقات مع إسرائيل، بينما تسمح للمسلمين المتعصبين بنشر الدعايات المعادية لليهود وإسرائيل..؟.

وقال (بيجن): وأكدت له بدوْري أن إسرائيل لا تُريد أن تكتفي بسماع تصريحات مُطمْئنة، ولكنها تُريد إجراءات حازمة وعنيفة لتأديب قادة الحركة الإسلامية، وإيقافهم عند حدهم، وبخلاف ذلك فإن إسرائيل ستظل تنظر بريبة وشك إلى مستقبل اتفاقيات السلام مع مصر.

ثم قال: لقد كان صديقي الرئيس السادات عند حسن ظننا به. إذ لم أكد أغادر مصر عائدًا إلى إسرائيل حتى بدأ حملة عنيفة للقضاء على الحركة الإسلامية، وإنني أتمنى له النجاح من كل قلبي في القضاء على هؤلاء المسلمين المتعصبين [1].

ونقلت صحيفة القبس الكويتية في عددها (3382) الصادر في 12/ 10/ 1981م نص مقابلة رئيس الوزراء الإسرائيلي (مناحيم بيجن) مع الإذاعة الإسرائيلية قبل أسبوعين من مقتل الرئيس المصري محمد أنور السادات قال: إنني أدرك تمامًا الأخطار التي تُهدد صديقنا الرئيس السادات، ولست أنكر أنني حذرته مرارًا من أولئك المتعصبين المتطرفين الذين يحملون أفكارًا عدائية لإسرائيل، ويُريدون العودة إلى تطبيق قوانين وعادات العصور الوسطى بل العصور الحجرية.

وعندما كنت في أمريكا قام الرئيس السادات بحملة اعتقالات ضد أعدائه من المسلمين المتعصبين، وقد سمعت اعتراضات كثيرة هناك ضد هذه الحملة باعتبارها

---

1) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 120: 122، لزياد أبو غنيمة، ط. دار الفرقان.. الأردن.
قال (بيجن) ذلك للإذاعة الإسرائيلية في الساعة الخامسة والنصف مساء يوم الجمعة 19/ 2/ 1982م.

تتعارض مع التقاليد الديمقراطية، ولكنن دافعت عن إجراءات السادات بحرارة، وأقنعت المُعترضين بأنه يجب عليهم أن يتناسوا التقاليد الديمقراطية حين يتعلق الأمر بالمسلمين [1].

بهذه التصريحات وغيرها يظهر تدخُّل القادة اليهود في الشأن الداخلي لدولنا العربية والإسلامية، ويُريدون من ولاة الأمر فيها: (إجراءات حازمة وعنيفة لتأديب قادة الحركة الإسلامية، وإيقافهم عند حدهم).. (ولست أنكر أنني حذرته (أي حذَّر الرئيس السادات) مرارًا من أولئك المتعصبين المتطرفين الذين يحملون أفكارًا عدائية لإسرائيل).

وأضحت هذه الكلمة دستورًا لدى الأوربيين ـــ بلاد الديمقراطية ـــ، يُقيمون الديمقراطية فيما بينهم، لكنهم يعملون بإلحاح لحرمان البلاد الإسلامية منها، ويُباركون كل ولاة الأمر في البلاد الإسلامية الذين يحرمون شعوبهم منها، ويُقيمون فيها الاستبداد!!، كما قال بيجن لهم: (إنه يجب على الأوربيين أن يتناسوا التقاليد الديمقراطية حين يتعلق الأمر بالمسلمين).. والله المستعان.

﴿ ﴿ ﴿

1() راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 134، 135، لزياد أبو غنيمة، ط. دار الفرقان.. الأردن.

## 5. الولاء للمؤمنين دون غيرهم.

الخطوة القرآنية الخامسة للقوة والتحرير: الولاء للمؤمنين دون غيرهم.

الولاء هو: القرب والترابط القلبي والعاطفي، ومن لوازمه: الموادة والمعاونة والنصرة.. والمراد بالولاء للمؤمنين: موادتهم ومعاونتهم ونصرتهم في الشدائد، وفي رد الاعتداء عنهم، وفي تحرير أرضهم المحتلة.

الولاء للمؤمنين بهذا المعنى الإيماني يقتضي أو يلزم منه: العداء لأعداء المؤمنين، والبراء منهم [1].. وهو ثمرة للتربية الإيمانية على الأخوة والتعاون والتناصر.

الولاء للمؤمنين فريضة إيمانية.

والولاء للمؤمنين بهذا المعنى فريضة؛ لقول الله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة: 55).

ذكر الشيخ ابن عاشور: أن هذا القول الكريم يتضمن أمرًا بتقرير هذه الولاية ودوامها، فهو خبر مستعمل في معنى الأمر، والقصر المستفاد من (إِنَّمَا) قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا [2].

---

1) يُضاد الولاء للمؤمنين العداء لأعدائهم، فيُقال: الولاء والعداء، والولاية والعداوة.. والبراء مظهر من مظاهر العداء، ولازم من لوازمه، يقول الله تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله) (الممتحنة: 4).
هذا بخلاف غير المسلمين المسالمين، الذين لم يعتدوا على المؤمنين، ولم يُظاهروا المُعتدين عليهم فيجب إحسان معاملتهم؛ لقول الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (الممتحنة: 8، 9).

2) راجع: التحرير والتنوير 6 / 239.. قال الشيخ محمد أبو زهرة: وفى هذا النص (الكريم) عبرة للمعتبرين الذين يرتمون في أحضان أعداء الإسلام، ويوالونهم، وهم الذين يؤذون المسلمين، ويخرجونهم من ديارهم، ويظاهرون على إخراجهم، والنبي عليه السلام يقول: "المسلم أخو المسلم لَا يحقره، ولا يظلمه، ولا يسلمه، ولا يخذله (راجع: زهرة التفاسير 5 / 2256.. والحديث الذي

أي أن الأمر بالولاء للمؤمنين بصيغة الحصر(إِنَّمَا) يجعل ولاء المؤمنين لإخوانهم المؤمنين فريضة إيمانية، وحقًا لازمًا لهم، وليس نفْلًا ولا فَضْلًا.

وجاءت كلمة (وَلِيُّكُمُ) بالإفراد مع أن الولاية فيها للجمع (الله وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) للبيان بأن الولاء للمؤمنين هو عين الولاء لله ورسوله.

ويُبيِّن هذا ما رواه عَمْرُو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أنَّ النبي ﷺ يقول: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُم، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ» (1).

**الإيمان أساس الولاء.**

والذي يُؤسس هذا الولاء للمؤمنين: هو الإيمان؛ فإن الله تعالى يذكره وصفًا للمؤمنين، في قوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (التوبة: 71).

ويقول سبحانه في نهاية سورة الأنفال المعنية بغزوة بدر: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (الأنفال: 72).

ويقول سبحانه: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)(الأنفال: 74).

والنبي ﷺ يقول: «أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز و جل» (2).

ولأجل هذا لا يكون الولاء الواجب في ظل الإسلام إلا للمؤمنين، وإن تناءت ديارهم، وتعددت أنسابهم، أو اختلفوا فيما بينهم.

وفي هذا جاء عن عَمْرو بْنَ العَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ:

---

ذكره صحيح، وقد سبق تخريجه).

(1) حسن.. أخرجه ابن الجارود في المنتقى 1073، والألباني في إرواء الغليل 2208، وغيرهما.

(2) صحيح .. أخرجه الطبراني في الكبير 11537، والألباني في الأحاديث الصحيحة 998، وغيرهما عن ابن عباس، وهو في صحيح الجامع 2539 .

«إِنَّ آلَ أَبِي» ــ يَعْنِى فُلاَنًا من المشركين ــ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ الله وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا ».. يَعْنِى أَصِلُهَا بِصِلَتِهَا [1].

قال القاضي عياض شارحًا: أفاد هذا الحديث أن أولياءه صالح المؤمنين وإن بَعُدَ نسبهم، وأن من ليس بمؤمن ولا صالح ليس بولي له وإن قرب نسبه.

وقال ابن بطال: فأوجب ^ الولاية بالدين ونفاها عن أهل رَحِمِه إذا لم يكونوا من أهل دينه، فدل ذلك على أن النسب يحتاج إلى الولاية التي تقع بها الوراثة بين المتناسبين، وأن الأقارب إذا لم يكونوا على دين واحد يجمعهم لم يكن بينهم توارث ولا ولاية [2].

وبهذا لا يُمكن أن يقوم ولاء بين المسلم وغير المسلم؛ ولهذا لا نجد مؤمنًا يُوالي أعداء المؤمنين ولو كانوا أقاربه في النسب، كما يقول الله تعالى: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) (المجادلة: 22).

**التناصر بين المؤمنين من لوازم الولاء الواجب لهم.**

ومن أخص لوازم الولاء للمؤمنين: تناصرهم فيما بينهم مهما تناءت بلادهم، ومهما كلفهم ذلك من مشقات وتكاليف في أنفسهم وأموالهم، كما يقول الله تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: 2).. وهذا أمْر يُفيد الوجوب، ولم يصرفه عن الوجوب صارف.

والجهاد الواجب لتحرير الأرض المحتلة على رأس أعمال البر والتقوى التي يجب التعاون فيها.

ومثله قوله سبحانه: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ الله وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ الله وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ

(1) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمرو بن العاص، كما في صحيح الجامع 6442 .
(2) راجع: إكمال المعلم شرح مسلم للقاضي عياض 1 / 600 .

لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ الله أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) (التوبة: 120، 121).

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى [1].

ومعنى (تَدَاعَى) دعا بعضها بعضًا إلى الولاء والترابط والتأثر والمشاركة في التأثُّر بالنازلة حتى تزول وتنمحي.. وهذا أقوى وأبلغ في بيان وجوب ولاء المسلم لإخوانه المسلمين، ومشاركته لهم في نوازلهم وآلامهم، كما جاء في بعض ألفاظ الحديث عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ يقول: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ» [2].

ومثله ما رواه سَهْل بْن سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ» [3].

وقد قرأت أن السيد محمد رشيد رضا إذا رأته أمه حزينًا قالت له: أمات اليوم مسلم في الصين !! [4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو

---

1) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، رقم 2586، والبخاري في كتاب الأدب، رقم 6011، وغيرهما.

2) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، رقم 2586، وغيره.

3) صحيح لغيره.. أخرجه أحمد 22877، والزهد لابن المبارك 693، والقضاعي في الشهاب 136، وغيرهم.

4) راجع: كيف ننصر فلسطين 37، لنبيل حامد المعاذ، بغير ناشر.

الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ» [1].

ومعنى (لاَ يُسْلِمُهُ) أي لا يتركه لمن يظلمه في نفسه وأهله وماله. . ومعنى (وَلَا يَخْذُلُهُ) أي لا يترك نصرته إذا استنصره، فيُسارع إلى إغاثة لهفته ونجدته ونُصرته.

وعن عَبْد الله بْن عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ الله ^ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ الله فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ» [2].

وقَالَ عبد الله بن عمرو: جَاءَ رَجُلٌ مُسْتَصْرِخٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: جَارِيَةٌ لَهُ يَا رَسُولَ الله. . فَقَالَ ﷺ: «وَيْحَكَ مَا لَكَ»؟.

قَالَ: شَرًّا، أَبْصَرَ لِسَيِّدِهِ جَارِيَةً لَهُ، فَغَارَ فَجَبَّ (قطع) مَذَاكِيرَهُ. . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَلَيَّ بِالرَّجُلِ».

فَطُلِبَ فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اذْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله عَلَى مَنْ نُصْرَتِي؟.. قَالَ: «عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ». . أَوْ قَالَ: «كُلِّ مُسْلِمٍ » [3].

ويكون التناصر بين المؤمنين أشد وجوبًا إذا طلب المؤمنون المنكوبون من إخوانهم المؤمنين النَّجْدة والنُّصرة، والله تعالى يقول: (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) (الأنفال: 72).

ويجب على من سمعهم من المؤمنين ــ الأقرب فالأقرب ــ أن يُسارع إلى نجدتهم ونُصرتهم، ولا يتركهم للعدو يعتدي عليهم، ولو كان بينهم وبين هذا العدو عهد وميثاق، فإن نصرة المؤمنين واجبة، والولاية معهم قائمة، ولا يبقى للعدو مع اعتدائه

---

1) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، بَابُ تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ، وَخَذْلِهِ، وَاحْتِقَارِهِ، رقم 2580، وغيره.

2) أخرجه البخاري في كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، رقم 2442، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم 2580، وغيرهما.

(3) صحيح .. أخرجه أبو داود 4519، وابن ماجة 2680، وحسنه الألباني كما في الإرواء 1744وغيرها .

عليهم عهد ولا ميثاق، والنبي ﷺ يقول: «وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» [1].

قال أبو بكر بن العربي: إن كان المؤمنون أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منَّا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم. . كذلك قال مالك وجميع العلماء [2].

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: يجب أن تدفعوا عنهم كل من يعتدي عليهم ولو كان بينكم وبينهم ميثاق، لأنهم ــ أي الأعداء ــ ينقضون الميثاق بمجرد أن يعتدوا على مؤمنين، فلا عهد لهم مع الاعتداء على أهل الإيمان [3].

المعاملة بالمثل تُوجب على المؤمنين الولاء فيما بينهم.

ومما يُؤكد وجوب الولاء للمؤمنين: أن أعداء المؤمنين مع اختلاف أديانهم ومذاهبهم ومصالحهم يُوالي بعضهم بعضًا في العداء للمسلمين، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)(المائدة: 51).

قال العلماء: وليس المراد من الآية أن بعض اليهود أولياء لبعض النصارى لانتفاء الموالاة بين الفريقين أصلًا، قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ) (البقرة: 113) إلا في عداوتهم للمسلمين، فهم فيها أولياء، ولهذا أكد القرآن في نبذ الولاية لهم وتأكيدها للمؤمنين [4].

وقد عرف هذا السلطان عبد الحميد الثاني بالتجربة العملية، قال: المُشاهد أن هذه الدول ــ الصليبية ــ الكبرى ينهش بعضها في بعض، لكنه سرعان ما تتفق وتتحالف إذا

---

(1) أخرجه البخاري 3678، والبيهقي في الدلائل 2 / 277 .

(2) راجع: أحكام القرآن لابن العربي ج 4 / 82، وقال: فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والعدة والعدد، والقوة والجلد.

(3) راجع: زهرة التفاسير 2204، 2205 .

(4) راجع: التفسير الوسيط 2/ 1092، ط. مجمع البحوث الإسلامية .. مصر .

ما تعلق الأمر بمقاتلة العثمانيين أي المسلمين [1].

ومعاملة بالمثل يُوجب الله تعالى على المؤمنين أن يُعاون بعضهم بعضًا في دفع الاعتداء عنهم، مثلما يُعاون أعداؤهم بعضهم بعضًا في الاعتداء عليهم، يقول الله تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) (التوبة: 36).

أي كما يتحد أعداؤكم (كَافَّةً)، ويُوالي بعضهم بعضًا في مقاتلتكم والاعتداء عليكم فاتحدوا أنتم أيضًا (كَافَّةً)، ويُوالي بعضكم بعضًا في مقاتلتهم ورد عدوانهم.

وإذا لم يُوال المؤمنون بعضهم بعضًا ويتحدوا لدفع الاعتداء فقد ارتكبوا حرامًا وإثمًا مبينًا، وتضْعف قوَّتهم، ويهزمهم عدوهم، كما يقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)(الأنفال: 73).

قال كبار علماء الأزهر: إلا تفعلوا ــ أيها المؤمنون ــ ما أمرتكم به من التناصر والتعاون، وقطع الصلات بينكم وبين الكفار حتى تجعلوا قرابتهم كلا قرابة، إلا تفعلوا ذلك كله، تحصل فتنة في الأرض وفساد كبير، لظهور الشرك وغلبَته، لأن المسلمين ما لم يصيروا يدًا واحدة على أعدائهم، طمع فيهم أولئك الأعداء، واستولوا على ديارهم، كما حدث في الحقبة التي غفل فيها المسلمون عن موالاة بعضهم لبعض، واتخذوا أعداءَهم أولياءَ لهم [2].

**تحريم الولاء لغير المؤمنين.**

هذا، ووجوب الولاء للمؤمنين يقتضي تحريم الولاء لغير المؤمنين، ومع هذا صرَّح الله تعالى بالنهي عن الولاء لغير المؤمنين أكثر من مرة؛ لتأكيد تحريمه، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة: 51).

ويقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً

---

(1) راجع: مذكرات السلطان عبد الحميد 131.. ط. دار القلم.. بيروت.

(2) راجع: التفسير الوسيط.. لكبار علماء الأزهر 3/ 1651، ط. مجمع البحوث الإسلامية .. مصر.

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ) (المائدة: 57).

ويقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)(الممتحنة: 1، 2).

قال الإمام القرطبي: هذا الحكم في قطع الموالاة باق إلى يوم القيامة، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) (هود: 113). . وَقَالَ تَعَالَى: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) (آل عمران: 28) [1].

ويقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(التوبة: 23).

ذكر الشيخ محمد أبو زهرة: أن في قوله تعالى: (إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ) شرط لمنع الولاية عن ــ الآباء والإخوان ــ، والانتصار بهم ونصرتهم.. هذه واحدة.

الثانية: أن الله تعالى حكم بالظلم على من يتولاهم من المؤمنين في قوله تعالى: (وَمَن يَتَوَلَهُم مِّنكمْ فَأَوْلَئِكَ هُم الظَّالِمُون). إشارة إلى انفصال من يُواليهم عنكم، وحكم عليهم سبحانه بالظلم وقصره عليهم؛ وذلك لأنهم ظلموا أنفسهم بترك أوليائهم الحقيقيين كما قال تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّه وَرَسُولهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)، فتركوا ولاية الله وإخوانهم المؤمنين، فكانوا ظالمين إذ استنصروا بمن لَا ينصرونهم، وليس في قدرتهم أن ينصروهم من دون الله [2].

**الولاء لغير المؤمنين نفاق بعد إيمان.**

ولهذا لا يُوالي المسلم أعداء المؤمنين إلا لوهن في إيمانه، أو لمرض في قلبه، ويكون

---

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن 8 / 47، تحقيق: د. عبد الله التركي، ط. مؤسسة الرسالة.. بيروت.

(2) راجع: زهرة التفاسير 6 / 3361، 3362.. بتصرف.

بذلك قد انتقل إلى صفهم وحزبهم في العداء للمؤمنين [1] يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ) (المائدة: ٥١، ٥٢).

قال السيد محمد رشيد رضا في تفسيره: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ): شرط وجوابه، أي ومن ينصرهم ويستنصر بهم من دون المؤمنين ـــ وهُمْ إلْب (تألَّبوا صفًا واحدًا) عليكم ـ فإنه في الحقيقة منهم لا منكم، لأنه معهم عليكم، ولا يُعقل أن يقع ذلك من مؤمن صادق، فهو إما موافق لمن والاهم في عقيدتهم، أو في عداوتهم لمن والاهم عليهم، وعلى كلتا الحالتين يكون حكمه حكمهم [2].

وقال كبار علماء الأزهر: أي ومن يتودد إلى اليهود والنصارى ويستنصر بهم فإنه من جملتهم، وليس من جماعة المؤمنين، لأنه قد خالف الله تعالى ورسوله ﷺ مثلما خالفوا هم، ووجبت معاداته كما وجبت معاداتهم، واستحق عقاب النار كما استحقوه، لأنه أضعف الإسلام بهذه الولاية، قال الله تعالى: (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) (هود: 113).

وقد استُفيد الحكم: بأن من يتودد إلى اليهود والنصارى يكن منهم من قول الله تعالى: (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)، لأن انحصار الموالاة بين اليهود والنصارى في عداوتهم للإسلام يترتب عليه أن يكون من يُواليهم منهم لا من المؤمنين [3].

وفي قول سبحانه: ( فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) (المائدة: 52). . قال رشيد رضا: أي نخشى أن نقع في مصيبة كبيرة مما يدور بها الزمان، أو من المصائب والدواهي التي تحيط المرء إحاطة الدائرة بما فيها فنحتاج

---

(1) ويكون من أعداء المؤمنين على الحقيقة إذا استحل الولاء لهم ومناصرتهم.. على أنه لا يدخل في الموالاة المحرمة تبادل المصالح بين المسلمين وغيرهم .

(2) راجع في هذا: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا 6 / 356، والتحرير والتنوير لابن عاشور 6 / 230 .

(3) راجع: التفسير الوسيط 2 / 1092 .

إلى نصرتهم، فنحن نتخذ لنا يداً عندهم لننتفع بها إذا مسّتنا الضراء... لأنهم في شك من نصر الله للمؤمنين وإظهار الإسلام على الدين كله، وهكذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان [1].

ولهذا أقول: من بديهيات الإيمان والأحكام أن تطبيع العلاقات (بمعنى الموالاة والمودة والمحبة وتبادل النصح والنصرة) لا يكون إلا بين المؤمنين؛ فالتطبيع بهذا المعنى مع المؤمنين إيمان، ومع المنافقين نفاق، ومع الظالمين ظلم، ومع الفجار فجور، ومع المعتدين اعتداء وظلم.

الولاء للمؤمنين سبيل القوة والنصر، والولاء لغيرهم سبيل الضعف والهزيمة.

والثابت في تاريخنا أن المؤمنين كلما أقاموا ولاءهم ونصرتهم لإخوانهم المؤمنين زادهم الله قوة على قوتهم، ويسَّر لهم الأمن في السلم، والنصر في الحرب، مثلما حدث في غزوة بدر وحطين والعاشر من رمضان (عام 1393هـ) وغيرها، يقول الله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْغَالِبُونَ) (المائدة: 56).

---

(1) راجع: تفسير المنار، 6/ 356، 357 .

وقال: وهو الذي جعل كثيراً من رؤساء ووزراء بعض الدول ــ في أمتنا ــ منذ قرن أو قرنين ما بين روسي أو إنجليزي أو ألماني أو أمريكي أو يهودي في سياسته، كل منهم يتخذ له يداً عند دولة قوية يلجأ إليها إذا أصابته دائرة، حتى تغلغل نفوذ هذه الدول في أحشاء هذه الدول الضعيفة ــ من أمتنا ــ فأضعفن استقلالها في بلادها، ويُخشى ما هو أكبر من ذلك: من خطر نفوذهم فيها، وحتى صار بعض رجالها الصادقين لها يرون أنفسهم مضطرين إلى الاستعانة بنفوذ بعض هذه الدول على بعض، وأما الذين احتل الأجانب بلادهم بأي صورة من صور الاحتلال، وأي اسم من أسمائه، فأمر منافقيهم أظهر، فهم يتقرّبون إلى الأجانب بما يضر أمّتهم، حتى فيما لم يكلفوهم إياه، ويسمون هذا تأميناً لمستقبلهم، واحتياطاً لمعيشتهم، ولو التزموا الصدق في أمرهم كله، فلم يلقوا أمتهم بوجه والأجانب بوجه لكان خيراً لهم، وأقرب إلى الجمع بين مصلحة البلاد ومداراة الأجانب، ولكنه النفاق يخدع صاحبه بما يظن صاحبه أنه يخدع غيره، ويسلك سبيل الحزم لنفسه... وهو الذي يحمل بعض المنافقين الخائنين على نهب مال أمتهم ودولتهم، وإيداعه في مصارف أوربا، لأجل التمتع به إذا دارت الدائرة على دولتهم.

وفي المقابل كلما جعل المؤمنون ولاءهم لأعدائهم كان سببًا في اختلال أمرهم في السلم، وهزيمتهم في الحرب، واحتلال أرضهم، كما حدث لهم في معارك الطوائف في الأندلس، وفي معارك فلسطين المتتابعة قبل عام 1948م وبعدها إلى اليوم.

فعندما انقسمت الأندلس إلى طوائف متنازعة وأقاموا ولاءهم للعدو الصليبي، استولى العدو الصليبي على بلادهم بلدًا بعد بلد، فمثلًا: حاصر (ألفونسو السادس) أمير قشتالة مدينة (طليطلة) حتى استسلمت وسقطت في أيدي الأعداء، ومما يُؤسف له أن قوات المعتمد بن عباد أمير أشبيلية كانت ضمن قوات العدو الصليبي.. وهكذا حتى قال شاعر الأندلس:

أرى الملوك أصابتهم بأندلس * دوائر السوء لا تُبقي ولا تذر.

وخلاصة القول: أن هذا كله يُفيدنا أمريْن اثنيْن:

وجوب الولاء بين المؤمنين.. وأن هذا الولاء أساسه وسببه الإيمان ليس إلا؛ ولهذا لا يُمكن أن يقوم ولاء بين المسلم وغير المسلم إلا لمرض في قلب المسلم.

أنواع التناصر المطلوب.

والتناصر المطلوب للمؤمنين المنكوبين ثلاثة أنواع: تناصر بالنفس، وتناصر بالمال، وتناصر باللسان. . ويتحدد النوع المطلوب منها باحتياج المؤمنين المنكوبين.

**النوع الأول: التناصر بالنفس.**

فإذا احتاج المؤمنون المنكوبون إلى المجاهدين فيجب على إخوانهم المؤمنين ــ بإدارة ولي الأمر ــ أن يُخْرِجوا منهم عددًا كافيًا لمعاونتهم في القتال، يقول الله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) (النساء: 75، 76).

هذا استفهام إنكاري توبيخي يستثير نخوة المؤمنين وهمَّتهم لنصرة إخوانهم المُسْتَضْعفين، وتخليصهم من الظلم الواقع عليهم.

ذكر الإمام الرازي: أن هذا يدل على أَنَّ الجهاد واجب، ومعناه: أنه لَا عذْرَ لكم فِي ترك الْمُقَاتَلَةِ وقد بلغ حال الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرجال والنساء وَالْوِلْدَانِ من المسلمين إلى ما بلغ في الضعف، فهذا حثٌ شَدِيد عَلَى القتال، وبيان الْعِلَّةِ التي لها صار القتال وَاجِبًا، وهو ما في القتال مِنْ تَخْلِيصِ هؤلاء المؤمنين مِنْ أيدي الكفرة [1].

ومع هذا التحريض الشديد لنصرة المؤمنين المنكوبين بالنفس أتبعه الله تعالى بالأمر الصريح لولي الأمر في المؤمنين بالقتال لنصرتهم بالنفس في قوله سبحانه: (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً).

* ــ وفي عهد النبي ﷺ جلست امرأة مسلمة إلى صائغ يهودي في سوق يهود بني قينقاع، ليصنع لها حُليًّا، فأرادها اليهود الذين في السوق أن تكشف وجهها فأبت ــ وحُقَّ لها أن تأبى ــ فعمد يهودي منهم إلى أسفل ثيابها من خلفها وعقده بأعلى كتفها، ولم تشعر به الصحابية؛ لاتساع ثيابها، فلما قامت انكشفت عورتها، فتضاحك اليهود، وصاحت الصحابية تستغيث بولي الأمر: وامحمداه. . وامحمداه!.

وسمعها مسلم أبيٌ كان في السوق فأسرع إلى الصائغ اليهودي فقتله، فاجتمع اليهود على هذا المسلم الأبي فقتلوه، وقد قيل:

الكثرة تغلب الشجاعة.. وعندئذ استنصر المؤمنون أهل الصحابية، وأهل الصحابي الأبي الشهيد بإخوانهم المؤمنين، فأجابهم ولي الأمر وهو رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، وحاصروا يهود بني قينقاع حتى أخرجوهم من المدينة؛ لأجل نصرة مسلمة عفيفة، ومسلم أبيٍ شجاع [2].

* ــ وحينما أرسل رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبي برسالة إلى قيصر أمير الروم أحسن قيصر استقباله، وأكرم وفادته، وأجازه وكساه، وفي رجوعه لقيه المشركان: (الهُنَيْد بن عوص وابنه عوص الصُّلعيان)، واعتديا عليه، وسلبا كل شيء معه، ولم يتركا

---

1() راجع: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للإمام الرازي 10 / 141 .

(2) راجع: سيرة ابن هشام 4 / 457 رقم 1032، وسبل الهدى والرشاد 4/ 266، بإيجاز وتصرف.

عليه إلا ثمل الثوب (أي قديمه)، فبلغ ذلك قومًا من المسلمين من بني الضُّبَيْب (رهط من رفاعة بن خزام) عرفوا أمره؛ فأدركوا بفطرتهم الإيمانية حق أخيهم (دحية) عليهم في النصرة بالنفس، فنفروا إلى الهُنَيْد وابنه، وقاتلوهما حتى استنقذوا لأخيهم المؤمن كل متاعه الذي سلباه منه، ورجع به (دحية) إلى المدينة [1].

**ثانيًا: التناصر بالمال.**

وإذا رأى المؤمنون احتياج إخوانهم المؤمنين المنكوبين إلى المال فيجب عليهم ـــ بإدارة ولي الأمر ـ نُصرتهم ومعاونتهم بالمال، بأن يبذلوا من أموالهم ما يُجهِّزون به المجاهدين في سبيل الله، من مركب يركبونه، أو سلاح يُقاتلون به، أو زاد يُقيمهم في رباطهم وجهادهم، ويكفل أهلهم من خلفهم حتى يرجعوا بنصر أو شهادة.

والتناصر بالمال في هذه الحالة فريضة إيمانية كالتناصر بالنفس وأشد، وقد أمر الله بهما معًا في سياق واحد، وقدَّم الجهاد المال في أكثر الآيات الآمرة بالجهاد، لأن احتياج الجهاد إليه أكثر، وعامة المؤمنين يستطيعونه، كل منهم بقدر ما يملك [2]، كما في قوله سبحانه: (انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ الله) (التوبة: 41).

والنبي ﷺ يقول: « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ » [3].

**مجالات الجهاد بالمال.**

* ـ ومن مجالات الجهاد بالمال: الإنفاق لإقامة دور التعليم ومناهجه، وإنشاء أدوات البيان، وقنوات الإعلام بتعددها، ورعاية مناهجها، ورعاية الموهوبين.. وتجهيز

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام 4 / 307 رقم 2015، وسبل الهدى والرشاد 6/ 140 .

(2) قدَّم الله تعالى الجهاد بالنفس على الجهاد بالمال في موضع واحد في سورة التوبة، الآية (111)، يقول الله تعالى: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّـهِ)، لأن المعركة ـ حسب الآية الكريمة ـ قائمة وحاجتها للمعاونة بالنفس آنية.

(3) صحيح .. أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي وغيرهم عن أنس، كما في صحيح الجامع 5401 .

المقاتلين في سبيل الله، وتحرير الأسارى.. الخ.. يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا في سَبِيلِ الله فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا في سَبِيلِ الله بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا » [1].

وفي غزوة تبوك تسابق المؤمنون إلى تجهيز الجيش، كل منهم بما يستطيع، فجاء عمر بن الخطاب ﷺ بنصف ماله، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ بِكُلِّ مَاله، وجهَّز عثمان ثلث الجيش، حتى قيل: ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شُنُقَ (أربطة) أسْقِيتهم [2].

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِى لِحْيَانَ ــ مِنْ هُذَيْلٍ ــ فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا». . ثُمَّ قَالَ ﷺ لِلْقَاعِدين: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ في أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ» [3].

وروى الزاهد منصور بن عمار أنه جلس في المسجد يدعو للإنفاق في سبيل الله؛ لتجهيز جيش إسلامي خارج البلاد، فأخذ كل من في المسجد يُلقي أمامه ما يُيسر الله له حتى وجد (صُرَّة) أُلقيت ففتحها فوجد فيها ضفيرتيْن من شعر امرأة، ومعهما ورقة مكتوب فيها: رأيتك يا ابن عمار تدعو للإنفاق في سبيل الله، وإني لا أجد ما أنفقه إلا ضفيرتي هاتيْن فأستحلفك بالله أن تجعلهما قيد فرس يغزو في سبيل الله.

وفي عصرنا قرأت عن عروس أردنية مسلمة تبرعت بذهبها ومهرها وتكاليف الفرح؛ لكفالة أسر شهداء فلسطين.. والنماذج كثيرة [4].

والنبي ﷺ يقول: «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ» [5].. قَالَ سُفْيَانُ: وَالْعَانِي ــ هو ــ الأَسِيرُ. . والأمر بفكِّه للوجوب.

قال القرطبي: قال علماؤنا: فداء الأسارى واجب وإن لم يبق درهم واحد.

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن زيد بن خالد الجهني، كما في صحيح الترغيب 1237 .

(2) راجع: سبل الهدى والرشاد 5 / 629 .

(3) أخرجه مسلم 4884 وأبو داود 2510 وأحمد وغيرهم، كما في صحيح الترغيب 1238 .

(4) راجع: كيف ننصر فلسطين 823، لنبيل حامد المعاذ.

(5) أخرجه البخاري 5373، وأبو داود وأحمد وغيرهم عن أنس، كما في صحيح الجامع 4229.

وقال ابن خويز منداد: وجوب فك الأسرى، وبذلك وردت الآثار عن النبي ﷺ أنه فك الأسارى، وأمر بفكهم، وجرى بذلك عمل المسلمين، وانعقد به الإجماع [1].

وإذا ترك المؤمنون (الحكومة والمؤسسات والشعب) الجهاد بالمال عمدًا ــ كسلاً أو تهاونًا أو غفلة ــ مع قدرتهم عليه فقد تركوا فريضة الله عليهم في الولاء للمؤمنين، وارتكبوا حرامًا وإثمًا مُبينًا، وتوعدهم الله بضعف دولتهم، وتسلُّط عدوهم عليهم، وزوال سلطانهم، يقول الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: 195).

ويقول سبحانه: ( هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ الله فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَالله الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ) ( محمد: 38).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ الله سُبْحَانَهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [2].

والقارعة قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: مصيبة في الدنيا مؤلمة، أو هزيمة مهلكة.

**ثالثًا: التناصر باللسان.**

وفي كل الحالات يجب على المؤمنين أن ينصروا إخوانهم المؤمنين المنكوبين باللسان، ويكون ذلك بدلالتهم على أسباب القوة والنصر، وبالمحاجة عنهم، وتخذيل عدوهم عنهم، وشحذ همم الناس لنصرتهم.. الخ.

والنبي ﷺ يقول: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ » [3].

والله تعالى يقول: (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان: 52).

---

(1) راجع: الجامع لأحكام القرآن 2 / 242 .

(2) صحيح .. أخرجه أبو داود 2503، وابن ماجة عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، كما في صحيح الترغيب 1391 .

(3) صحيح .. أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي وغيرهم عن أنس، كما في صحيح الجامع 5401 .

يعني جاهدهم بالقرآن، وهو لا يكون إلا باللسان، وسماه الله تعالى جهادًا كبيرًا، لأنه يُلازم المؤمن ولا يُفارقه في سكونه وحركته، وفي إقامته وسفره.

ويذكر الله تعالى للمؤمنين خبر مؤمن آل فرعون في ولائه ونصرته لموسى عليه السلام بلسانه بعدما سمع فرعون وملأه يتشاورون لقتله، ولم يكن يستطيع نصره وقتئذ إلا بلسانه، فأخذ يُخذِّل الناس عن قتله، يقول الله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (غافر: 28).

ثم سارع وأخبر موسى عليه السلام أن الملأ من قوم فرعون عزموا على قتله، ونصحه بالخروج من مصر، يقول الله تعالى: (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) (القصص20).

وحينما آذى المشركون رسول الله ﷺ بألسنتهم دعا النبي ^ شعراءه، وأمرهم بالذود عنه ونصرته، قال: ﷺ « اهْجُوا قُرَيْشًا؛ فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ».

فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «اهْجُهُمْ». . فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ (أظْهَر) لِسَانَهُ، فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ (أُمزِّق أعراضهم بالهجاء) بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ لِحَسَّانَ: « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ الله وَرَسُولِهِ. . وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى» [1].

---

(1) مثلما فعل أبو أيوب الأنصاري حينما كان في مَدِينَةِ الرُّومِ، لفتح القسطنطينية (استانبول الآن)، قال ﷺ: فَأَخْرَجَ الرُوم إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا. . . فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ الله!، يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ

* ــ ومن مجالات التناصر اللساني المطلوب: تصحيح المفاهيم المغلوطة، ومقاومة الإشاعات الخبيثة التي تثبِّط همم المؤمنين عن الولاء والنصرة [1].

تطبيق المؤمنين الولاء بينهم يسيرٌ لا عُسر فيه.

* ــ هذا، وقد طبَّق المؤمنون الأولون هذا الولاء الإيماني بينهم، وضربوا في هذا أروع الأمثلة، مثل الأنصار الذين آووا إخوانهم المهاجرين في المدينة إيواءً فريدًا لم يُعرف مثله في التاريخ الإنساني، ولم يجمع بينهما نسب ولا قبيلة ولا مواطنة إلا أخوة الإيمان؛ يقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: 9).

* ــ قال الزهري وعطية بن سعد: جاء عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي موالي من يهود، كثير عددهم، وحاضر نصرهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، وأوالي الله ورسوله.

وقال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية موالي اليهود.

وفي رواية: لكني لا أبرأ من ولاية اليهود، أنا رجل لابد لي منهم.

فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الُحباب، ما بخلت به من ولاية اليهود على عبادة ابن

---

الأَنْصَارِ، لَمَّا أَعَزَّ اللهُ الإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا = = لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ الله ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلاَمَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ الله عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (البقرة: 195) فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاَحَهَا، وَتَرَكْنَا الْغَزْوَ، فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا (خارجًا) فِي سَبِيلِ الله حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ (أخرجه مسلم 6345، والبيهقي في الكبرى 20895 وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها).

(1) صحيح .. أخرجه الترمذي 2972، وأبو داود 2512، وهو في صحيح الترغيب 1388 .

الصامت فهو لك دونه. . قال ابن أبي بن سلول: إذن أقبل [1].

* ــ وفي غزوة بدر قاتل المهاجرون أقاربهم المشركين، ومنهم من قتل أباه كأبي عبيدة بن الجراح، ومنهم من قتل خاله كابن الخطاب (قتل خاله العاص بن هشام)..

* ــ وقَالَ أَبُو عَزِيزِ بْنُ عُمَيْر: مَرّ بِي أَخِي مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَأْسِرُنِي، فَقَالَ للأنصاري: شُدّ يَدَيْك بِهِ، فَإِنّ أُمّهُ ذَاتُ مَتَاعٍ؛ لَعَلّهَا تَفْدِيهِ مِنْك. . قَالَ لَهُ أَبُو عَزِيزٍ: يَا أَخِي، هَذِهِ وَصَاتُك بِي؟. . فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: إنّهُ أَخِي دُونَك [2].

* ــ ولقي يامين بن عمرو النضري أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان.. فقال: ما يبكيكما؟.. قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج، ونحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ فأعطاهما ناضحًا (جملاً) له، وزود كل واحد منهما صاعين من تمر[3].

وفي عصرنا (في يوم السبت 21 / 1/ 1215هـ = 14 / 6/ 1800م) وجدنا الطالب الأزهري سليمان الحلبي أتى من حلب (تابعة للقطر السوري) ــ مع بُعد المسافة ــ وقتل قائد الجيش الفرنسي (كليبر)؛ لاعتدائهم على إخوانه المؤمنين في مصر، واحتلالهم مصر.. وهذا نوعٌ من الولاء للمؤمنين، والعداء لأعدائهم.

وفي التحقيق ذكر بعض الشهود أنه حدثه أن مراده يُغازي في سبيل الله.. وفي لفظ شاهد آخر: إنه حضر بقصد غزو الكفار[4].

---

(1) مرسل... أخرجه ابن جرير في جامع البيان 12075، والواحدي في أسباب النزول رقم 495، وغيرهما.

(2) راجع: سيرة ابن هشام 2 / 314، 315 رقم 793 .

(3) راجع: سبل الهدى والرشاد 5/ 628 .

(4) ذكر الجبرتي هذه الواقعة في تاريخه، فقال: وفي ذلك اليوم أعني يوم السبت وقعت نادرة عجيبة،

وفي معركة رمضان عام 1393هـ = 6 / 10 / 1973م بين مصر والكيان الصهيوني أعاد المؤمنون ولاءهم لإخوانهم المؤمنين، حينما عاون المؤمنون في بلاد الحرميْن الشريفيْن والجزائر والمغرب وغيرهم إخوانهم المؤمنين في مصر وسوريا.

ومعنى هذا كله: أن الولاء للمؤمنين ممكن غير ممتنع، ويسير غير عسير.

ولهذا قال شيخنا الكبير محمد سيد طنطاوي ــ شيخ الأزهر السابق ــ يجب أن تعمل دول الأمة العربية والمسلمة على تقوية أهل فلسطين ، وخاصة المجاهدين منهم في كل النواحي، وأن تُعطيهم الإمكانات ما يجعلهم يستطيعون أن يُزلزلوا كيان الصهيونيين، عن طريق (حرب العصابات)، لأن هذه الحرب من شأنها أن تُهدد أمن إسرائيل واستقرارها واقتصادها وجميع مرافقها.

وتكون هذه الحرب مقدمة لمعركة التحرير الفاصلة التي يجب على الأمة الإسلامية أن تخوضها لتحرير القدس وفلسطين حتى تُطهر الأرض المقدسة من احتلال ورجس اليهود.

ولقد اتبعت عدة دول طريقة حرب العصابات ضد المستعمرين فانتصرت عليهم في النهاية، واستطاعت أن تنال حريتها رغم أنوفهم، وخير مثال لذلك: الجزائر دولة المليون شهيد، فإنها قامت بهذه الحرب ضد فرنسا حتى أجبرتها على الرحيل عن بلادها [1].

---

وهو أن ساري عسكر كلهبر (كليبر) كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذي بداره بالأزبكية، فدخل عليه شخص حلبي وقصده، فأشار إليه بالرجوع، وقال له: ما فيش، وكررها، فلم يرجع، وأوهمه أن له حاجة، وهو مضطر في قضائها، فلما دنا منه مد إليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده، فمد إليه الآخر يده فقبض عليه، = = وضربه بخنجر كان أعده في يده اليمنى أربع ضربات متوالية، فشق بطنه، وسقط إلى الأرض صارخًا، فصاح رفيقه المهندس، فذهب إليه وضربه أيضًا ضربات وهرب (راجع الواقعة كاملة في: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار 2 / 190، 199، 208، 209: لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي. ت: 1237هـ).

(1) بنو إسرائيل في القرآن والسنة 689، د. محمد سيد طنطاوي.. شيخ الأزهر السابق.

**الحذر من مكائد الأعداء.**

ولهذا كله يجب على المؤمنين أن يحذروا الولاء لغير المؤمنين، وأن يُوقنوا أن العدو هو العدو مهما استتر بلباس الصداقة والود والنُّصرة؛ فإنه خادع لا يعمل إلا لمصلحته الآنية والآتية، ويعمل بكل الدسائس والمكائد ليُوقع المسلم في شباكه، ولن يرضى منه إلا أن يرتد عن الإسلام أو يجعله خادمًا لمصالحه، فيأخذ منه ما يُريد من الثروات والأرض.. وفي هذا يقول الله تعالى: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ الله مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)(البقرة120).

فإذا رضي المسلم الولاء لغير المسلمين فقد ارتكب حرامًا وإثمًا مبينًا، ولا يجد من هذا الولاء إلا الضعف والتمزق والنكبات بمقدار ما أعطاهم من الولاء، كما يقول الله تعالى: (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ الله مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)، وهذا تنبيه وإيذان بعقاب الله لمن يدين بالولاء لغير المؤمنين.

وفي التاريخ الإسلامي نماذج عملية كثيرة نذكر منها:

1 ــ ومن ذلك ملوك الطوائف في الأندلس الذين استبد بهم الهوى، وفرَّقوا الدولة الإسلامية الواحدة إلى إمارات وطوائف، وكل منهم يُقاتل بإمارته المؤمنين في الإمارة الأخرى ليضمها إلى ملكه، واستعان كل منهم بالولاء لعدوهم جميعًا.

من ذلك أن ابن عباد أمير (أشبيلية) غزا إمارة غرناطة؛ ليضمها إلى إمارته، ولم يُفلح، فوجَّه أمير غرناطة (عبد الله بن بلقين) وزيره إلى الصليبي الفونسو السادس ملك (قشتالة) وعقد معه معاهدة حلف وصداقة، ويتعهد فيها بتأدية جزية قدرها عشرين ألف دينار (!)، وعلى أثر هذه المعاهدة سار عبد الله في قواته، ومعه سرية من جند النصارى، أمده بها ألفونسو السادس، وأغار على أراضي إمارة أشبيلية.. قال الأستاذ عنان مُعلقًا

على المعاهدة: (على نسق معظم أمراء الطوائف) [1].

وردًّا على ملك غرناطة بعث المعتمد بن عباد أمير إشبيلية وزيره يستعدي الأمير الصليبي الفونسو السادس ملك (قشتالة) نفسه، وعقد معه حلفًا واتفاقًا خلاصته أن يتعاون الفريقان في افتتاح غرناطة، على أن تكون المدينة (غرناطة) لابن عباد، وسائر ما فيها من الأموال للملك الصليبي ملك قشتالة، ويُؤدي ابن عباد له فوق هذا جزية قدرها خمسون ألف دينار !![2].. إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهكذا كان أمراء الطوائف (!)، والملك الصليبي يرقب هذا الوضع المُهترئ، ويُعين بعضهم على بعض؛ لقاء جزية يدفعونها له ــ من قوة المؤمنين.

وفي ذات الوقت كان عدوهم يستعين بإمارة ليغتصب أختها، وهكذا إمارة بعد إمارة حتى اغتصب أرض الأندلس كلها، وزالت دولة الإسلام من الأندلس.

هذا ما جعل أبو الحسن بن رشيق القيرواني:

مما يزهدني في أرض أندلس * ألقاب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها * كالهر يحكي انتفاخاً صَوْلَة الأسد [3].

ب ــ وفي عصرنا انخدع ناس من المسلمين في دولة الخلافة العثمانية بدسائس الأعداء في جمعية (الاتحاد والترقي)؛ فأعطوهم ولاءهم ضد أمتهم، مثل: طلعت باشا رئيس الوزراء، كان ــ كما قال جواد رفت أتلخان ــ رجلًا طيب السريرة مُخلصًا.

ثم قال جواد رفعت: إن طلعت باشا (مأمور البريد، ورئيس وزراء الحكومة العثمانية) المسكين لم يكن على علم بخفايا الأمور، لأنه كبقية الغافلين كان قد صدَّق المزاعم الماسونية (الصهيونية) التي تتغنى بالحرية والمساوة والإخاء البشري والسلام العالمي، ولقد انهارت الدولة العثمانية، ولفظ طلعت أنفاسه الأخيرة غريبًا في بلاد أجنبية

---

(1) راجع: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي 142، 143، د. محمد عبد الله عنان.

(2) راجع: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي 143، د. محمد عبد الله عنان.

(3) راجع: دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي 15، د. محمد عبد الله عنان.

برصاص الماسونية اليهودية[1].. أي بعد أن انكشفت النوايا والأهداف اليهودية في جمعية (الاتحاد والترقي) الماسونية (الصهيونية) اختلف معهم، فدبروا مؤامرة اغتياله، واختفى طلعت الباشا كبقية المخدوعين المُغفَّلين بعدما أعطى ولاءه ونُصرته لغير المؤمنين، وحقق لهم أهواءهم وأهدافهم! !.

وكذلك القائد العسكري (جمال أنور باشا) فقد زاره الجنرال (جواد رفعت أتلخان) بعدما حققت الصليبية والصهيونية أهدافها وأهواءها بأيديهم، وهزموا دولة الخلاف الإسلامية، وانفرط عقد جمعية (الاتحاد والترقي)، وهرب أكثر المخدوعين المُغفَّلين فيها، قال الجنرال جواد: تذاكرنا معًا في الهزائم، وحللنا أسباب هذه الاندحارات، فقال جمال باشا ( وزير حربية الاتحاديين وقائد جيشهم) مُوجِّها كلامه إلى زائريه: أتعرفون ما هو ذنبنا الحقيقي؟.. لقد كان ذنبنا أننا لم نُقدِّر السلطان عبد الحميد حق قدره، فأصبحنا آلة بيد الصهيونية، واستثمرتنا الماسونية.. هذا فظيع جدًا، ولكنه في الواقع مع كل أسف كنا ألعوبة في أيدي اليهودية الدولية [2].

ومثل هذا وذاك أعطى الشريف (حسين بن علي) وأولاده ولاءهم للصليبيين البريطانيين، الذين دفعوه ــ كما قال الجاسوس البريطاني (توماس إدوارد لورانس ــ المعروف بلورانس العرب) ــ للوقوع في حبالهم والانخداع بوعودهم المعسولة؛ فعادوا أبناء أمتهم ودينهم، وكثيرًا ما كان الشريف حسين يقول: (حليفتنا الوفية بريطانيا)! ، واتخذ الشريف حسين بن علي وولداه (عبد الله وفيصل) هذا الجاسوس الصليبي الصهيوني (لورانس) مُستشارًا وصديقًا حميمًا، يثقون فيه ثقة مطلقة، وقالوا عنه: (صلاح الدين المعاصر)! ، وأنه: (خالق الجيش العربي)!! [3].

---

(1) راجع: أسرار الماسونية 83، 84، للجنرال جواد رفعت أتلخان، ط. مجلة الأزهر في عدد 11/ 1405هـ.

(2) راجع: كيف ضاعت فلسطين 114، د. عيسى الماضي، ط, مكتبة المعلا.. الكويت.

(3) راجع: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين 1/ 290، 466.

وكان الأمير فيصل يستجيب لوسوسة مستشاره وصديقه الجاسوس الصليبي البريطاني (لورانس)، ووافقه على الالتقاء بزعيم الصهيونية (حاييم وايزمان) في 3 يناير عام 1919م واتفق معه على تنفيذ وعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين المسلمة، دولة (إسرائيل)[1]. . وهذه أهم نصوصها:

إن صاحب السمو الملكي الأمير (فيصل بن الحسين) ممثل المملكة العربية الحجازية، والقائم بالعمل نيابة عنها، والدكتور (حاييم وايزمان) ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها. . . على المواد الآتية:

* ــ عند إنشاء دستور وإدارة فلسطين تُتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أوْفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية في نوفمبر سنة 1917م.

---

(1) ذكر الأستاذ عوني عبد الهادي ــ أحد مستشاري الأمير فيصل ــ أمام لجنة التحقيق الأمريكية الإنجليزية: أن الأمير فيصل وقع على الاتفاقية دون أن يعرف محتوياتها، لأنها وُضعت باللغة الإنجليزية، وأن لورنس العرب هو الذي وضع الصياغة اللفظية لنصوص هذه الاتفاقية وبنودها باللغة الإنجليزية، ثم ترجمها للأمير (فيصل) ترجمة مُضللة، وأن (لورنس) لم يسمح لمستشاري فيصل العرب الذين يعرفون اللغة الإنجليزية بالاطلاع عليها قبل أن يُوقع عليها (راجع: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين 1/ 476).

قلت: وهذا عذر أقبح من ذنب، فقد كان بوسع الأمير فيصل أن يأمر مستشاره الصليبي (لورنس) بإعطاء نصوص الاتفاقية لمستشاريه الذين يعرفون اللغة الإنجليزية؛ ليُعرِّفوه ببنودها، لكنه وقع في الولاء المُفرط لغير المؤمنين.

وأيَّد هذا لدي أن (لورنس) هذا هو الذي كان يُعد نصوص الاتفاقات والبيانات والخطب التي يُلقيها الأمير فيصل في المؤتمرات والمحافل العامة، مثل الخطاب الذي ألقاه أمام المجلس الأعلى للحلفاء في باريس 6/ 2/ 1919م، فقد أعده الصليبي لورنس، وذهب مع الأمير فيصل إلى الجلسة يقوم بالترجمة الفورية إلى اللغة الإنجليزية، وقد جاء خطاب الأمير هزيلًا، فقد التزم فيه الصمت التام إزاء وعد بلفور، وذهب إلى أبعد من ذلك، فطالب في الخطاب نفسه بوضع فلسطين تحت انتداب إحدى الدول الكبرى، وأخرج فلسطين من الدول العربية، وهذا كله من وسوسة وإملاءات مستشاره الأول لورانس (راجع: السابق 1 / 476، 477).

* ــ يجب أن تُتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مدى واسع، والحث عليها، وبأقصى ما يُمكن من السرعة لاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع والزراعة الكثيفة. . . (!!).

* ــ يُرافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق والتفاهم التامَّيْن في جميع الأمور التي شملتها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

* ــ كل نزاع يُثار بين الطرفيْن يجب أن يُحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم [1].

وفي 3/ 1919م قال فيصل في مؤتمر الصلح في باريس: إننا معشر العرب والمثقفين منا بوجه خاص نشعر نحو الحركة الصهيونية بأعمق مشاعر العطف. وأن وفدنا هنا في باريس يعلم تمامًا المُقترحات التي قدمتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح، وإننا ننظر على أنها اقتراحات معتدلة صحيحة، وسوف نبذل جهدنا في النطاق الذي يخصنا للمساعدة على تحقيقها، إننا نُرحب باليهود أعظم ترحيب.

ولقد كان لنا ــ ولا يزال ــ مع زعماء حركتكم وبخاصة الدكتور (حاييم وايزمان) أوْثق العلاقات. وقد كان عونًا كبيرًا لقضيتنا. وأرجو أن يحتل العرب في القريب مركزًا يُمكنهم من رد المعروف لليهود... إن حركتيْنا تكملان إحداهما الأخرى. فالحركة اليهودية قومية وليست استعمارية، وحركتنا قومية وليست استعمارية [2].

فهل كان كل من الشريف حسين وولده فيصل مخدوعيْن بعطايا الصليبيين المالية [3]، ودسائسهم الخادعة، وأمانيهم الزائفة، ثم مضى في خيانة دينه وبلاده وأمته؟!.

---

(1) راجع: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين 1/ 301: 305.

(2) راجع: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين 1/ 337.

(3) أي رشاوي بريطانيا، فقد أرسل إليه (سير هنري مكماهون) في 14/ 12/ 1915م لإبلاغه بأنه مرسل له مع الرسول الذي يحمل المذكرة: عشرين ألف جنيه، وقد حدد صفة هذا المبلغ بأنه عربون على صدق نيتنا، ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة (راجع: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين 1 / 145).

الظاهر أنه كل هذا.. وعلى كل حال بعدما والاهم ونصرهم على أمته، وحقق لهم ما يشتهون على حساب وطنه وأمته لفظوه لفظ النخامة، وركلوه بأقدامهم؛ ليعيش في زاوية الخذلان والحسرة، فلا دنياه أخذ كما اشتهى، ولا آخرته كسب.

قال الأستاذ محمد الفرجاني: قلت يومًا للرئيس السوري الجليل السيد الحكيم: هل هناك من وعود وعهود مكتوبة غير الرسائل المُتبادلة بين شريف مكة (الحسين بن علي) ومكماهون (الصليبي الانجليزي) فأجابني بالنفي ثم قال: الواقع لقد وُجدنا أطفالًا في السياسة (العلمانية).

وأضاف: ومثل هذا الكلام نُسب إلى النجل الأكبر لصاحب رصاصة مكة (الشريف حسين) [1] حيث قال: لم نكن سوى بداة بسطاء، لم يسبق لنا قبل الثورة أن دخلنا في الحياة الدولية أو عاملنا الأجانب أو اتصلنا بهم من قريب أو بعيد، ولقد جاءنا الإنجليز إلى الحجاز ولم نذهب إليهم، جاءونا بورقة بيضاء في ذيلها ختم الإمبراطورية، وقالوا لنا: هذه ورقة، فاكتبوا فيها ما تشاءون، ونحن مُستعدون للتنفيذ والتلبية فصدقناهم، وقاتلنا إلى جانبهم، ولكنهم ما لبثوا أن خانونا وغدروا بنا [2].

وشهد بهذا الخداع الجاسوس البريطاني (لورانس) قال: طلب إليَّ العرب كوكيل حر أن أضمن وعود الحكومة البريطانية. لم أكن قد اطلعت مطلقًا بصورة رسمية أو شخصية على الوعود التي قطعها مكماهون ــ للعرب ــ ولا على معاهدة سايكس بيكو، فجميعها قد تمت عن طريق مكاتب الخارجية البريطانية.. وبما أنني لم أكن أحمق فقد رأيت أن وعودنا التي قطعناها للعرب في حالة كسبنا للحرب ستبقى حبرًا على ورق.. وهكذا كان عليَّ لو كنت مستشارًا شريفًا أن أنصح رجالي بالعودة إلى ذويهم وديارهم عوضًا عن المخاطرة بحياتهم في سبيل قصص وخداع من هذا النوع.. ولكن ألم تكن الحماسة العربية أفضل أداة نستخدمها في حربنا في الشرق الأدنى؟.. وهذا الأمر هو الذي حملني

(1) هو الذي أطلق الرصاصة الأولى إيذانًا ببدء الثورة على دولة الخلافة الإسلامية ولاءً للدولة الصليبية.

(2) راجع: القومية والغزو الفكري 301، وكيف ضاعت فلسطين 129، د. عيسى الماضي.

على أن أؤكد لرفاق السلاح من العرب بأن انكلترة ستحترم وعودها نصًا وروحًا. فما إن نال الثوار العرب هذا الوعد منِّي حتى دبَّت فيهم الحماسة من جديد، وراحوا يُحاربون بشجاعة فائقة (!!!).. أمَّا أنا فعوضًا عن أن أفتخر بما كنا نُحرزه معًا من انتصارات فقد كان يُلازمني شعور مرير بالخجل لعلمي بأن ما قلته لا قيمة عملية له [1].

قال: إن كل ما بذله الحلفاء (على رأسهم بريطانيا) للعرب من وعود قد تبخر بتأثير مطامع انجلترا... وتحت تأثير سياسة فرنسا الاستعمارية.

وقال: وقد غامرت بنفسي في هذه المؤامرة الغادرة لأني كنت واثقًا أن مساعدة العرب لازمة ضرورية لإحراز ذلك النصر في الشرق رخيصًا وسريعًا، وقد فضَّلت أن نكون منتصرين وناكثين للعهد على أن نكون خاسرين مهزومين [2].

هذا، وقد نقل أحمد شفبق باشا في مذكراته حديث الزعيم المصري (مصطفى كامل) مع الأميرالاي (بارنج) شقيق اللورد (كرومر) المندوب السامي البريطاني في مصر، وقد طالب (مصطفى كامل) بريطانيا بالوفاء بعهدها بالرحيل عن احتلال مصر فضحك الأميرالاي (بارنج) ضحكًا عاليًا، وقال: ما أسلم نياتكم معشر المصريين، وأقربكم إلى الحالة الفطرية منكم إلى الحالة الحضرية!، أتظنون أن الانجليز ــ وهم أحق الناس بكل نعمة وخير ــ ينجلون عن مصر، ويتركون لكم أو لغيركم خيرها الوفير!، أم تظنون أنَّا نُؤخذ بأقوالنا وأفعالنا ناطقة بحقيقة نياتنا؟، وماذا على رجالنا إذا كانوا حققوا لكم ولأوربا الاحتلال المؤقت والانجلاء القريب، ومبدؤهم الكذب في خدمة الأوطان، واستعمال الخداع في السياسة؛ وما هي إلا حرب سلمية أنفع من الحراب والطعان، وهل تُصدقون بأن أوربا تُنجدكم وتُساعدكم ضدنا؟، إنها آمال بعيدة، وأوْهام يحق لكم أن تتركوها، وتعلموا أنكم في حماية الإنجليز [3].

---

(1) راجع: أعمدة الحكمة السبعة 207، 209، لتوماس لورد لورانس، صديق العرب !!.

(2) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 193.. نقلًا عن أعمدة الحكمة السبعة.

(3) راجع: مذكراتي في نصف قرن لأحمد شفيق باشا ج2 / قسم 1/ ص 193، ط. هيئة قصور الثقافة.. مصر.

## 6. معرفة العدو معرفة صحيحة.

الخطوة القرآنية السادسة للنصر والتحرير: معرفة العدو معرفة صحيحة.. في قوته القتالية.. وفي ثقافته المعرفية والأخلاقية.

فإن معرفة العدو معرفة صحيحة بغير تهويل ولا تهوين [1] هي أولى وسائل الإعداد لمقاومته والتغلب عليه؛ فلا يستطيع المسلمون أن يُجاهدوا عدوًا لا يعرفونه.

بهذه المعرفة يكون المؤمنون على بصيرة من أمْرهم، ليأخذوا حذرهم، ويُعِدُّوا للقتال عدته، وإلا فاجأهم العدو بما لم يكونوا يحتسبون، فتختل قوتهم، ويضعفوا.. قال حذيفة بن اليمان ﷺ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي [2].. ومنه قول الشاعر:

عرفتُ الشـــرَّ لا للشـــرِّ ولكن لتوقيه * ومن لا يعرف الشرَّ من الناس يقع فيه.

ولهذا أكثر الله تعالى من ذكر قصص الأمم السابقة في القرآن، ولا سيما قصة بني إسرائيل، كما يقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام: 55).

قال علماء الأزهر: أي ومثل ذلك التبيين الواضح، في صفةِ أهل الطاعة وأهل الإجرام ــ المُصِرِّين منهم والأَوَّابين ــ نُبَيِّنُ سائرَ الآياتِ، لما له من فوائد كثيرة، ولتتضح طريق المجرمين فيتحاشاها الراشدون [3].

ويجب على المؤمنين (الحكومة والمؤسسات والشعب) أن ينتفعوا بهذا البيان القرآني في معرفة شخصية الصليبيين واليهود.

---

1() فإن كلا من التهويل والتهوين يُخْفي الحقائق، ويُؤدي إلى الغفلة عن الإعداد للعدو؛ فالتهويل من قوة العدو يُؤدي إلى اليأس من مقاومته.. والتهوين من قوته يُؤدي إلى الاستهانة به، ولهذا فكل منهما يُؤدي إلى الضعف.

2() أخرجه البخاري في كتاب الفتن رقم 3606، وغيره.

3 () راجع: التفسير الوسيط 3/ 1251.. لكبار علماء الأزهر. ط. مجمع البحوث الإسلامية.. مصر.

فمن انتفع من المؤمنين ببصائر القرآن أبصر وانتصر، ومن أعرض عنها عمى وأضل نفسه وانهزم، ولا يلومن إلا نفسه، وسيُعاقبه الله تعالى في الدنيا والآخرة، كما يقول الله تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (الأنعام: 104، 105).

وكان النبي ﷺ في سيرته العملية أحرص الناس على معرفة عدوه معرفة صحيحة بغير تهويل ولا تهوين.. وفي ضوء هذه المعرفة كان ^ يبني مواقفه، ويُعد للأمر عدته، ويُصدر قراراته السياسية والعسكرية.. ونذكر من ذلك:

* ــ في صلح الحديبية بين المسلمين ومشركي مكة أرسل المشركون إلى رسول الله ﷺ (مِكْرَزَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الْأَخْيَفِ)؛ ليعرف في أي شيء جاء رسول الله ﷺ، وماذا يريد؟. . فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ مُقْبِلًا قَالَ: هَذَا رَجُلٌ غَادِرٌ. . أي فاحذروه.

وقد صدق رسول الله ﷺ في معرفته بعدوه، ففي أثناء الصلح قاد (مِكْرز) عددًا من الرجال، وتسلل خِلْسَةً ليُصيب من المسلمين غِرة وغدرًا، ولكن المسلمين كانوا على معرفة به، وحذر منه؛ فواجهوهم وأسروهم، ثم عفا عنهم رسول الله ﷺ.

ثُمّ بعثَ المشركون إلَى النبي ﷺ الْحُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ أَوْ ابْنَ زَبّانَ وكان يوْمئِذٍ سيد الْأَحَابِيشِ، وهو أَحدُ بنِي الْحارث بْن عبْد مَناةَ بْنِ كِنانةَ؛ فلَمّا رآهُ رسول الله ﷺ قال: إنّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلّهُونَ (أي يُعظِّمون النُّسُك)، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ (الذبائح) فِي وَجْهِهِ حَتّى يَرَاهُ، فلمّا رأَى الْهَدْيَ يسِيلُ عليْهِ مِنْ عرضِ الْوادِي في قلَائِدِهِ، وقدْ أَكل أَوْبَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عنْ مَحِلّهِ رجعَ إلَى قريْشٍ، ولَمْ يصلْ إلى رسولِ الله ﷺ إعْظَامًا لَمَا رأَى، فَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ.. فقالُوا له: اجْلِسْ فإِنّمَا أَنت أَعْرابِيّ لَا عِلْمَ لَك.

فغضب الْحُلَيْسُ عند ذلك وقال: يا معشر قريْش، والله ما على هذا حالفْناكمْ، ولا على هذا عاقدْناكمْ. أَيُصَدّ عنْ بيت للّهِ مَنْ جاء مُعَظّمًا لهُ والّذي نفْسُ الْحُلَيْسِ بيدِهِ لَتُخَلّنّ بيْن مُحَمّدٍ وبيْن ما جاء لهُ أَوْ لَأَنْفِرَن بِالْأَحَابِيشِ نَفْرَةَ رجلٍ وَاحِدٍ.

فقالُوا له: مَهْ (كُفّ) عنّا يَا حُلَيْسُ حتّى نأْخذَ لِأَنْفُسِنَا ما نرْضى بِهِ.

ثم بعث المشركون سُهَيْلَ بْنُ عَمْرٍو، فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ مُقْبِلًا، قَالَ: قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرّجُل، فَلَمّا انْتَهَى سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إلَى رَسُولِ الله ﷺ تَكَلّمَ فَأَطَالَ الْكَلَامَ وَتَرَاجَعَا، ثُمّ جَرَى بَيْنَهُمَا الصّلْحُ [1].

ولهذا شرعت القيادة المصرية في سبيل إعدادها لمعركة رمضان 1393هـ = أكتوبر 1973م في الحديث عن اليهود بعنوان: (اعرف عدوك)، ووُزعت نشرات بهذا.

ومعرفة العدو تكون في جانبيْن اثنيْن:

1 ــ جانب في معرفة هدف العدو وقوته القتالية.

2 ــ وجانب في معرفة ثقافته النظرية وأخلاقه السلوكية.

**الجانب الأول: في معرفة هدف العدو وقوته القتالية.**

ومعرفة الدولة المسلمة للعدو في عدده وعتاده لا ينهض بها إلا جهاز مخابراتي ـــ تُقيمه الدولة ــ عالي التدريب والانتشار في ديار الأعداء.

والنبي ﷺ نفسه كان حريصًا على معرفة عدوه في هذا الجانب، إمَّا عن طريق المؤمنين الذين يعيشون بين ظهراني الأعداء، وإمَّا ببث العيون في ديار العدو.

ا ــ مثل: العباس بن عبد المطلب ﷺ الذي كان يُقيم في مكة بين ظهراني المشركين، وأبقاه الرسول ﷺ في مكة لأجل إمداده بخبرهم.

قال ابن عبد البر: كان العباس ﷺ بمكة يكتب إِلَى رَسُول الله ﷺ أخبار المشركين، وكان من بمكة من المسلمين يتقوون به، وكان لهم عونا عَلَى إسلامهم، وأراد الهجرة إِلَى رَسُول الله ﷺ فقال لَه رَسُول الله ﷺ: مقامك في مكة خير [2]. . أي ليكون عيْنًا للمسلمين.

---

1 ) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 313، 314 رقم 1508، 1509، وص 319 رقم 1518.

2) راجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر 3/ 164، ترجمة رقم 2799، ط. دار الكتب العلمية.

ورأى العباس بن عبد المطلب ﷺ المشركين يُخرجون جيشهم إلى المدينة لحرب المسلمين ومباغتتهم في مدينتهم (في غزوة أحد)؛ فأرسل إلى رسول الله ﷺ يُخبره بذلك، في رسالة مختومة مع رجل من بني غفار، واشترط عليه أن يُوصِّلها إليه بعد ثلاثة أيام بلياليها؛ ليتأهب رسول الله ﷺ للقائهم، وقال: اصنع ما كنت صانعًا إذا وردوا عليك، وتقدم في استعداد المتأهب.

ولما وصلت الرسالة إلى رسول الله ﷺ فك ختمها، ودفعها إلى أبي بن كعب ﷺ فقرأها عليه، فاستكتمه النبي ﷺ، واستكتم سعد بن الربيع الذي سمعها [1].

فلما تحرك جيش المشركين بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ، ضمَّنها جميع تفاصيل الجيش، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة وجدَّ في السير، وسلَّم الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء [2].

كانت المعلومات التي قدمها العباس لرسول الله ﷺ عسكرية دقيقة للغاية، فقد جاء في رسالته: إن قريشًا قد أجمعت المسير إليك، فما كنت صانعًا إذا حلوا بك فاصنعه، وقد توجهوا إليك، وهم ثلاثة آلاف، وقادوا مائتي فرس، وفيهم سبعمائة دارع، وثلاثة آلاف بعير، وأوعبوا (جمعوا) من السلاح [3].

ب ــ ومثل العباس: قبيلة خُزَاعَةُ التي كانت عَيْبَةَ (موْضع) نُصْحِ رَسُولِ الله ^ مُسْلِمُهَا وَمُشْرِكُهَا، لَا يُخْفُونَ عَنْهُ ﷺ شَيْئًا كَانَ بِمَكّةَ [4].

* ــ وأرسل رسول الله ﷺ قبل غزوة بدر بشهرين سرية استطلاعية بقيادة عبد الله ابن جحش ﷺ (في رجب سنة 2هـ ) تسلك طريق النجدية إلى بطن نخلة، وأعطاه كتابًا مُختومًا، ثم قال له: إ ذا سرت ليلتين فانظر كتابي هذا ثم امض لما فيه.

---

1) راجع: المدرسة النبوية العسكرية 71 .. أنساب الأشراف 1/ 313، 314 .

2 ) راجع: الرحيق المختوم للمباركفوري250.

3) راجع: المغازي للواقدي 1 / 204، ط. دار الأعلمي.. بيروت

4) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 313 رقم 1508، سبل الهدى والرشاد 4 / 442 ..( عَيْبَةَ) أي ناصحة.

فانطلق عبد الله بن جحش حتى إذا كان مسيرة يومين فتح الكتاب، فإذا فيه: «سر باسم الله وبركاته، ولا تُكْرِهَنّ أحدًا من أصحابك على السير معك، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة، فترصّد عير قريش، وتعلّم لنا أخبارهم». . فلما نظر في الكتاب قال: سمعًا وطاعة.

وقرأ عبد الله الرسالة على أصحابه، وقال: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشًا حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ.. فقالوا أجمعون: «نحن سامعون مطيعون لله تعالى ولرسوله ﷺ ولك، فسر على بركة الله». . فسار ومعه أصحابه لم يتخلف منهم أحد [1].

* ــ وفي غزوة بدر أرسل رسول الله ﷺ من أصحابه عيونًا في طريق جيش المشركين لمعرفة أخباره وأخبار مسيره، وإلى أي مكان وصل؟.

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَدَبَ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُم! ! » [2].. ونحو هذا كثير.

وقد اقتدى المؤمنون برسول الله ﷺ في هذه الخطوة (معرفة قوة عدوهم)، فقبيل معركة القادسية دخل (طليحة الأسدي) جيش الفرس، وبات فيه يجوسه، ويتوسم ما فيه،

---

1) راجع: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد 6 / 28، 29 .

2) أخرجه مسلم 1779، وأحمد 13703، و ابن هشام في السيرة 2/ 274 رقم 731، وغيرهم.

ولما عاد طليحة أخبر (سعد بن أبي وقاص) عن أحوال الفرس، وأنهم مائة وعشرون ألفًا، وأتباعهم مثلهم خُدَّام لهم [1].

الجانب الثاني: في معرفة ثقافة العدو، وأخلاقه السلوكية.

وهذا من الجوانب الهامة التي يجب أن يعرفها المؤمنون في أعدائهم: فإن الثقافة المجتمعية، وخاصة الدينية هي التي تصنع في الإنسان قوته الإيمانية، وثقافته وأخلاقه السلوكية، وعقيدته القتالية، وتصنع تصوره للكون والحياة والأحياء.

قال اللواء الركن محمود شيت خطاب: إن معرفة العدو لا تقتصر على المقاتلين العسكريين وحدهم، بل يجب أن تشمل المؤمنين المدنيين أيضًا، لأن الحرب الحديثة أصبحت حربًا شاملة، تقتضي حشد كل الطاقات المادية والمعنوية للشعب، ولا يمكن إحراز النصر في مثل هذه الحرب بدون أن يكون الشعب كله ــ لا الجيش وحده ــ على مستوى مسئولياته المصيرية على معرفة العدو معرفة كاملة دقيقة؛ حتى يكون على بينة من أمره، وحتى يُعدُّ العدة لمجابهته، وحتى يعرف كل فرد من أفراد الشعب واجبه في الدفاع عن شرف أمته، وحتى يقدر هذا الفرد مغبة التفريط في حق وطنه، وخطورة هذا التفريط على مصيره، فردًا، وعلى مصير أمته شعبًا ووطنًا، وعلى مصير حضارته عقيدة ولغة وتراثًا [2].

وفي هذه الخطوة نُبين بعضًا من أخلاق اليهود وصفاتهم؛ ليُعدَّ المؤمنون عدتهم وقوتهم، ويأخذوا حذرهم وعدتهم.. ولا أجد أوْفى ولا أوْضح من القرآن الكريم في بيان ثقافة اليهود وأخلاقهم الدينية.. فقد أكْثر القرآن من ذكرها وبيانها؛ حتى قيل: كاد القرآن أن يكون لبني إسرائيل. . ونذكر منها الآتي:

---

1() راجع: عوامل النصر والهزيمة، عبر تاريخنا الإسلامي 17، شوقي أبو خليل، ط. دار الفكر.. دمشق.

2() راجع: الوجيز في العسكرية الإسرائيلية 189، 190، للواء الركن محمود شيت خطاب.

**1 ــ شدة العداء للمؤمنين واستمراره.**

وهذه صفة مركوزة في الشخصية اليهودية، تُلازمها ولا تُفارقها في كل العصور والأمكنة؛ كأنها قطعة من مكوناتها، يقول الله تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) (المائدة: 82). . وقوله سبحانه: (لَتَجِدَنَّ) يدل على تجدد هذا العداء للمؤمنين واستمراره إلى يوم القيامة.

* ــ قَالَت صَفِيّةُ بِنْتِ حُيَيّ: لَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءَ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي ( حُيَيّ بْنُ أَخْطَبَ )، وَعَمّي (أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ ). . فَلَمْ يَرْجِعَا حَتّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشّمْسِ. . فَأَتَيَا كَالّيْنِ (مُتْعَبيْن) كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى. . فَهَشِشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَوَالله مَا الْتَفَتَ إِلَيّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنْ الْغَمّ.

وَسَمِعْت عَمّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي (حُيَيّ بْنِ أَخْطَبَ ): أَهُوَ هُوَ؟.

قَالَ: نَعَمْ وَالله. . قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ؟. . قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَمَا فِي نَفْسِك مِنْهُ؟.

قَالَ: عَدَاوَتُهُ وَالله مَا بَقِيتُ [1].

وظلت مقولة حُيي بن أخطب (عَدَاوَتُهُ وَالله مَا بَقِيتُ) دستورًا قائمًا في الثقافة اليهودية في موقفهم من الإسلام و المسلمين إلى اليوم وإن أقاموا معهم تعاهدات.

وقالوا في سفر (حازوحار 2/ 88 ): يا أبناء إسرائيل، اعلموا أننا لن نفي محمدًا حقه من العقوبة التي يستحقها حتى ولو سلقناه في قِدْرٍ طافحةٍ بالأقذار، وألقينا عظامه النخرة للكلاب المسعورة؛ لتعود كما كانت نفايات كلاب، لأنه أهاننا وأرغم خيرة أبنائنا على اعتناق بدعته الكاذبة، وقضى على أعز آمالنا في الوجود، ولهذا يجب عليكم أن تلعنوه في صلواتكم المباركة أيام السبت، وليكن مقره في جهنم وبئس المصير [2].

---

1) راجع: سيرة ابن هشام 2/ 165،166 ط . قصور الثقافة في مصر .

2) راجع: اليهودية والصهيونية 115، لأحمد عطار.. والدعوى بأن رسول الله ﷺ أكْره أحدًا على اعتناق الإسلام ليست صحيحة، ونصوص القرآن الكريم وتطبيقات الرسول ﷺ شاهدة بهذا.

واليهود يُخفون هذا العداء للمؤمنين ويخدعونهم حينما يرونهم أقوياء، كما قال تلمودهم: إن الرجل (اليهودي) يمكنه أن يظهر بمظهر المهذب تجاه الشرير (القوي من غير اليهود) ويستطيع أن يقول له: أنا أحبك إذا كان خائفًا منه، ووجد ذلك ضربة لازب [1] (أي خدعة خادع).

أمَّا إذا رأوا المؤمنين ضعفاء أظهروا حقيقة عداوتهم لهم، وأسرفوا في الاعتداء عليهم بخسة وقسوة غسر مسبوقة، يقول الله تعالى: (إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ)(الممتحنة: 2).

قوله سبحانه: (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) أي بما يملكونه من قتل وتعذيب، (وَأَلْسِنَتَهُمْ) بسب وشتم وتشويه الإسلام ورسوله ^ وكتابه والمؤمنين.

**2 ــ اليهود عنصريون.**

فإذا كان الله تعالى في الإسلام رب العالمين، فهو عند =اليهود ربهم وحدهم، وهم وحدهم شعبه المختار، وباقي الأمم حيوانات مُستباحة لهم، كما قالوا: «أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ.. لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ» (سفر التثنية ــ2: 14).

وقال اليهود في تلمودهم: اليهود وحدهم بشر، أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع مختلفة من الحيوانات [2].

وقالوا: تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، ومن ثَمَّ كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات [3].

---

(1) راجع: همجية التعاليم اليهودية 73، لبولس حنا سعيد، ط. المكتب الإسلامي .. بيروت.

2) راجع: همجية التعاليم اليهودية 67 .

3) راجع: الكنز المرصود في أحكام التلمود 66 .

وقالوا: الأجانب كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تُخلق للأجانب ولا للكلاب، والكلب أفضل من الأجنبي، لأنه مُصرَّح لليهودي في الأعياد أن يُطعم الكلب وليس له أن يُطعم الأجنبي، أو أن يُعطيه لحمًا، بل يُعطيه للكلب لأنه أفضل منه.

وقالوا: خلق الله الأجنبي (غير اليهودي) على هيئة إنسان ــ فقط ــ ليكون لائقًا لخدمة اليهود، الذين خُلقت الدنيا من أجلهم.

وقالوا: نحن شعب الله في الأرض... وقد فرَّقنا لمنفعتنا، وذلك لأن الله سخَّر لنا ــ الحيوان الإنساني ــ وأهل كل الأمم والأجناس، سخرهم لنا، لأننا نحتاج نوعيْن من الحيوانات: نوع أخرس كالدواب والأنعام والطيور، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين، وغيرهم من أمم الشرق والغرب.. وسخَّر هؤلاء لنا لخدمتنا، وفرَّقنا في الأرض لنمتطي ظهورهم، ونُحركهم كما نشاء، ونستغل علومهم وفنونهم لمنفعتنا [1].

الغريب أن اليهود يُريدون لغيرهم قبول لهذه العنصرية والخضوع لها، كما قال الحاخام (إبراهيم أفيدان): على غير اليهود أن يقبلوا بالعبودية، وعليهم ألا يسروا ورؤوسهم مرفوعة في وجوه اليهود [2].

واليهود في عصرنا كما كان أسلافهم في القديم يعتقدون ما ذكروه في تلمودهم.

ذكرت صحيفة (الإندبندنت) البريطانية في 4/ 4/ 2001م على لسان كاتبها (روبرت فيسك) الأوصاف التي أطلقها القادة اليهود المعاصرين على الفلسطينيين والعرب، فمثلا: ( مناحم بيجن ) رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق وصف العرب الفلسطينيين بأنهم (أي الفلسطينيين) بهائم تسير على قدمين.. وأحد وزراء السياحة في إسرائيل قال: إنهم (أي الفلسطينيين) مجموعة من العقارب.

و(رفائيل إيفان) رئيس الأركان الإسرائيلي: دائب على وصف العرب والفلسطينيين بأنهم صراصير في برطمان أو جرَّة.. الخ.

---

1) راجع: بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم تلمودهم 33: 38، ترجمة شوقي عبد الناصر.

2 ) راجع: نحو نصرة حقيقية لفلسطين 17، د. مجدي الهلالي، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

قصرهم الالتزام الأخلاقي عليهم وحدهم.

هذه العنصرية اليهودية جعلت اليهود يُقْصرون التزامهم الأخلاقي عليهم وحدهم، فلا يُؤذي اليهودي يهوديًا مثله ولا يسرقه ولايقتله، لكنهم يستبيحون إيذاء وقتل غير اليهود، كما يقول الله تعالى فيهم: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) (آل عمران: 75). . و(الْأُمِّيِّينَ) هم غير اليهود.. أي ليس على اليهود

حُرمة في هتك أعراض غير اليهود، ولا في سرقة أموالهم، ولا في سفك دمائهم.

قال السُّدِّيُّ: يُقَالُ لَليهودي: مَا بَالُكَ لَا تُؤَدِّي أَمَانَتَكَ؟. . فَيَقُولُ: لَيْسَ عَلَيْنَا حَرَجٌ فِي أَمْوَالِ الْعَرَبِ، قَدْ أَحَلَّهَا الله لَنَا [1].

وقالوا في تلمودهم: جميع ما يخص الغويم (غير اليهودي) كالصحراء، يستطيع اليهودي أن يدعي أنها ملكه، ويُسرع للاستيلاء عليها [2].

وقالوا: إن حياة الجوي (غير اليهودي) وجميع قواه الجسدية هي ملك اليهودي.. وقالوا: قتل غير اليهودي من الأفعال التي يُكافئ عليها الله، وإذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فواجب عليه أن يتسبب في هلاكهم في أي وقت، وبأي طريقة مُمكنة [3].

**3 ــ اليهود كذَّابون. . خائنون غادرون.**

وبهذه العنصرية يستبيح اليهود الكذب والغدر والخيانة لتحقيق أطماعهم، كما يقول الله تعالى: (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) (المائدة: 41).

وفي تلمودهم قالوا: اسم الله لا يُدنس عندما يكذب اليهودي على الجوي ( غير اليهودي ) كأنْ يقول له مثلاً: أعطيت شيئًا ما لأبيك لكنه مات، فعليك إعادته لي، مادام الجوي لا يعرف أنه كاذب [4].

---

1) راجع: جامع البيان لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري 5 / 511

2) راجع: فضح التلمود .. تعاليم الحاخامين السرية 131 .

3) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 164، د. جمال عبد الهادي.. بروتوكولات حكماء صهيون 33: 39.

4 ) راجع: نحو نصرة حقيقية لفلسطين 17 د. الهلالي.

وفي غدرهم وخيانتهم يقول الله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ) (المائدة: 13).

وقوله سبحانه: ( وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُم) يفيد تجدد واستمرار خيانتهم وغدرهم أينما كانوا، وفي أي عصر كانوا.. وكلمة (خَائِنَةٍ) نكرة تفيد عموم خيانتهم.. وهي صفة لموصوف محذوف تقديره: نفوسهم خائنة، ومعناه: أن الخيانة والغدر جزءٌ من مكونات شخصيتهم، فهي تلازمهم ولا تفارقهم، كما يُبيِّنه قول الله تعالى: (أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ) (البقرة: 100).. أي مهما عاهدهم المسلمون فستغلب عليهم أخلاقهم في الخيانة والغدر، وفْقًا لمصالحهم.

واليهود بهذه الأخلاق شر الخلْق، كما يقول الله تعالى: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ) (لأنفال: 55، 56).

هذه الآية الكريمة تخص اليهود وحدهم، فهم الذين عاهدهم النبي ﷺ أكثر من مرة، (ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ) [1].

روى ابن عباس ﷺ أنها نزلت في بني قريظة، فقد نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ وأعانوا عليه المشركين يوم (الأحزاب)، ثم قالوا له: نسينا وأخطأنا [2].

قال الألوسى: قوله سبحانه: (ثُمَّ يَنقُضُونَ) صيغة الاستقبال؛ للدلالة على تعدد النقض وتجدده واستمراره، وكونهم على نيته على كل حال، أي: ينقضون عهدهم الذي أخذ منهم في كل مرات المعاهدة [3].

---

(1) هذا بخلاف المشركين، فلم يُعاهدهم رسول الله ﷺ إلا مرة واحدة، غدروا فيها، وكانت سببًا في فتح مكة.

(2) راجع: تفسير المراغي 10/ 20.

(3) راجع: روح المعاني 10/ 21.

وقال الشوكاني: عطف الله المستقبل في قوله: (ثُمَّ يَنقُضُونَ) على الماضي في قوله: (عَاهَدْتَ)؛ للدلالة على استمرار النقض منهم[1].

قال شيخنا محمد الغزالي: إن الغدر شيمة اليهود، كما أن المكر شيمة الثعالب، ولن يزالوا كما وصفهم الله من قرون: (يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ) (الأنفال: 56) [2].

وفي التوراة المعاصرة أمثلة عملية لغدرهم وخيانتهم، منها: أن (شكيم بن حمور) وهو غير يهودي ضاجع (دينة بنت يعقوب) اليهودية، فأتى(حمور) وكَلَّم بني يعقوب ليزوجوها ابنه (شكيم)، فطلبوا منه أن يختتن الذكور من جماعته، وتعاهدوا أن يتبادلا زواج النساء، ويعيشا شعبًا واحدًا، فوفى حمور وجماعته بالعهد واختتنوا.. قالت التوراة: (25فَحَدَثَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِذْ كَانُوا مُتَوَجِّعِينَ أَنَّ ابْنَيْ يَعْقُوبَ، شِمْعُونَ وَلاَوِيَ أَخَوَيْ دِينَةَ، أَخَذَا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ، وَأَتَيَا عَلَى الْمَدِينَةِ بِأَمْنٍ، وَقَتَلاَ كُلَّ ذَكَرٍ. 26وَقَتَلاَ حَمُورَ وَشَكِيمَ ابْنَهُ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَخَذَا دِينَةَ مِنْ بَيْتِ شَكِيمَ وَخَرَجَا. 27ثُمَّ أَتَى بَنُو يَعْقُوبَ عَلَى الْقَتْلَى وَنَهَبُوا الْمَدِينَةَ، لأَنَّهُمْ نَجَّسُوا أُخْتَهُمْ. 28غَنَمَهُمْ وَبَقَرَهُمْ وَحَمِيرَهُمْ، وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ وَمَا فِي الْحَقْلِ أَخَذُوهُ. 29وَسَبَوْا وَنَهَبُوا كُلَّ ثَرْوَتِهِمْ وَكُلَّ أَطْفَالِهِمْ، وَنِسَاءَهُمْ وَكُلَّ مَا فِي الْبُيُوتِ) (تكوين 34 ــ 1: 29 ) [3].

وذكرنا أن اليهود في عصرنا ينصبون شباك خداعهم على القيادات العلمانية العربية بصورة جديدة، حيث قسموا أنفسهم فريقيْن: (حمائم وصقور).. ففريق (الحمائم) يحملون وجهاً خبيثًا خادعًا، ويتظاهرون بالهدوء واللين والحوار، وعقد تعاهدات السلام، ثم في الانتخابات الآتية يذهبون، ويأتي الفريق الآخر: (جماعة الصقور) يحملون وجهاً كالحا مُتشدداً، ويشتغلون بالغدر ونقض المعاهدات التي عقدتها جماعة الحمائم، وصدق

(1) راجع: فتح القدير 2/ 448.

(2) راجع: اليهود المعتدون للشيخ محمد الغزالي 200 ط . دار القلم .. دمشق .

(3)راجع: المجتمع اليهودي لزكي شنودة 339، 344، لزكي شنودة، ط. مكتبة الخانجي .. مصر .

الله تعالى إذْ يقول: (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) (البقرة: 100).

وكل من الفريقيْن يعتدي على المؤمنين ويحتل أرضهم بطريقته.

وقد أقرَّ بهذا رئيس وزرائهم ( مناحم بيجن ) في إبريل عام 1950م قال: إنه لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد، حتى لو وقعنا معاهدة صلح [1].

وفي التطبيق العملي المعاصر: عقد عرب اليوم مع اليهود عشرات التعاهدات، فليقولوا لي: كم معاهدة وفَّى لهم اليهود بها، ولم ينقضوها بغدرهم؟!.

أعلن اليهودي (ابن غوريون) في (15/ 3/ 1948م) أنه ينشد السلام، وأعلنت عصابته الهاجاناه في (20 / 3 / 1948م) أنه يمدون يد الصداقة للعرب، وعقدوا مع العرب الغافلين في قرية (دير ياسين) معاهدة سلام، وركن أهل القرية المذكورة لهذا الوعد، ولكن اليهود ــ على عادتهم في الغدر والخِسَّة ــ باغتوا أهل القرية في صباح الجمعة 9 / 4/ 1948م الساعة الرابعة والربع باعتداء وحشي معروف.

وبعدها بثلاثة أيام (12/ 4/ 1948م) أذاع المجلس الصهيوني العالمي نداءً يدعو إلى السلام، وفي اليوم التالي باغتوا المسلمين بمجزرة في قرية (ناصر الدين) [2].

قال الشيخ الغزالي: اسمع إلى الإحصاء الرسمي المصري لغدرات اليهود على حدود مصر وحدها: في سنة 1949م وعقب اتفاق الهدنة مباشرة وقع (116) اعتداء، وفي سنة 1950م وقع (44) اعتداء، وفي سنة 1951م وقع (187) اعتداء، وفي سنة 1952م وقع (155) اعتداء، وفي سنة 1953م وقع (174) اعتداء، وفي سنة 1954م وقع (259) اعتداء، وفي سنة 1955م وقع (276) اعتداء. . وفي ثماني سنوات نقض اليهود الهدنة مع مصر وحدها (1112) مرة!.. الخ.

---

(1) راجع: أهداف إسرائيل التوسعية 24، 25، لمحمود شيت خطاب، ط. دار الاعتصام .. مصر.

2) راجع: مجتمع الكراهية 159، 160، لسعد جمعة، ط. دار الكاتب العربي .. بيروت.

وقد تميَّزت اعتداءات اليهود بطابع الوحشية والقسوة، فكان تمزيق الجثث وبقْر البطون، وإرداء (قتل) الأطفال والنساء والرجال بالجملة ديْدنهم في كل هجوم [1].

* ــ وفي معاهدة: (كامب ديفيد) بين مصر وإسرائيل عام 1979م ذكر الرئيس المصري محمد أنور السادات أن المسئولين اليهود في إسرائيل وعدوه بإيقاف بناء مستعمرات جديدة في الضفة الغربية، وتمَّ وضع جدول زمني للتفاوض حول الحكم الذاتي الفلسطيني.

قالت السيدة (جيهان صفوت رؤوف) زوجة الرئيس المصري: وبعد ثلاثة شهور فقط من التوقيع بالأحرف الأولى على اتفاق السلام في (كامب ديفيد) بدأ الإسرائيليون يتراجعون عن كلمتهم، فبدلًا من فك المستعمرات في الضفة الغربية استمروا في توسيعها، وأعلنوا خُططًا لبناء مستعمرات جديدة؛ مُنتهكة بذلك اتفاق (كامب ديفيد).. وكانت عملية السلام على شفا الانهيار.

واغتاظ أنور (الرئيس المصري) من هذه الأفعال المخالفة لروح اتفاقات السلام لدرجة أنه رفض التوجه إلى (أوسلو) لاستلام جائزة (نوبل) للسلام في ديسمبر (1978م)، وذهب بدلًا منه المهندس سيد مرعي حما ابنتي.

وفي 25/ ديسمبر 1978م قضى أنور (الرئيس المصري) عيد ميلاده في ميت أبو الكوم(قريته) مُكتئبًا، ومُغرقًا في التفكير، بينما أحاول أنا وأبنائي الترويح عنه.. وقد أصبت أنا (زوجة الرئيس) بإحباط شديد بسبب انتهاكات الإسرائيليين [2].

وبعد معاهدة السلام بوقت قصير (1982م) اعتدى اليهود على الجنوب اللبناني غيلة، وقتلوا الفلسطينيين المدنيين العُزْل ــ نساءً وأطفالاً وشيوخًا ــ في مذبحة رهيبة ورعيبة في مُخيمي (صبرا وشاتيلًا) [1].

---

(1) راجع: اليهود المعتدون للشيخ محمد الغزالي 200 ط . دار القلم .. دمشق .

(2) راجع: سيدة من مصر 482، 485، 486، 493ـ لجيهان السادات، ط. المكتب المصري الحديث.. مصر.

* ــ ثم عقدوا مع العرب العلمانيين اتفاقية (مدريد) عام 1992م. . * ــ ثم اتفاقية (أوسلو) عام 1993م. . * ــ ثم اتفاقية (واي ريفر) 1998م. . * ــ ثم اتفاقية (شرم الشيخ) عام 1999م. . وغير ذلك من التعاهدات، وفي كل مرة يغدر اليهود، وينقضون عهدهم، ويعتدون على أهل فلسطين، ويحتلون أرضهم وديارهم.

**4 ــ اليهود جبناء.**

ومن الصفات المركوزة في الشخصية اليهودية: الُجبْن والخوْف القاتل.. وقد ظهر جبنهم عمليًا حينما أمرهم نبيهم موسى عليه السلام أن يدخلوا الأرض المقدسة ساكنين، ودُعاة إلى التوحيد، فأَبَوْا جُبْنًا وخوفًا من أهلها الأقوياء الجبارين، يقول الله تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) (المائدة: 22).

ومعناه: أن شخصية اليهود مسكونة بالجبن من عدوهم كلما وجدوا فيه قوة.. وهم بجبنهم يخافون المؤمنين المجاهدين أكثر من خوْفهم من الله تعالى نفسه، كما يقول الله تعالى: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الله ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)(الحشر: 13).

ومن قصص المؤمنين المجاهدين المُتطوعين في معركة 1948م حينما استعصت مستعمرة يهودية على القوة النظامية استدعوا لها المجاهدين المُتطوعين، فخرج إليها العالم الأزهري المجاهد (محمد فرغلي) رحمه الله على رأس ثمانية من المجاهدين وراء خطوط اليهود، وسلكوا إلي المستعمرة اليهودية قرب الفجر، وصعد الشيخ أعلى مكان فيها، وأذن لصلاة الفجر، وظن اليهود في المستعمرة أن المجاهدين قد داهموهم بليل، فولوا

---

(1) قامت بهذه المذبحة كتائب مسيحية لبنانية بتوجيه ورعاية الجيش الإسرائيلي، وقيادة (آرئيل شارون)، في مساء الخميس إلى السبت 16: 18/ 9/ 1982م، وكان شعارهم: (بدون عواطف. الله يرحمه)، وكلمة السر (أخضر)، أي طريق الدم مفتوح، وقتلوا أكثر من (3500 مسلم، وكلهم من المدنيين العجزة الأطفال والنساء والشيوخ)، هذا، فضلًا عن التعذيب الرعيب قبل القتل، فكان اغتصاب الفتيات أمام ذويهم، وذبح الأبناء أمام أبويهم.. الخ. (راجع: تحرير فلسطين.. الثوابت.. المتغيرات.. الواجبات، د. السيد المليجي).

الأدبار، وفي مقدمتهم حراس المستعمرة، وفي الصباح سلم المجاهدون المستعمرة إلي الجيش المصري دون استخدام سلاح أو إراقة دماء[1].

ومن قصص المؤمنين المجاهدين في معركة (رمضان 1393هـ = 6/ 1973م) أن أحد الجنود الجرحى قال للشيخ حافظ سلامة قائد المقاومة الشعبية بالسويس: أعداؤنا يا شيخ حافظ، (والله) مثل الفئران، يفرون أمامنا، إني لم أُصب منهم وجْهًا لوجه، بل إني أصبت من لغم نصبه الجبناء؛ ليدفعوا به عن أنفسهم. . . [2].

وقال موشي ديان وزير الإرهاب اليهودي لحسن التهامي (أحد الضباط الأحرار): إنني سأقول لك بصراحة (في معركة أكتوبر 1973م) لو تقدمتم بسرعة ولم تتوقفوا لكان يُمكنكم احتلال (تل أبيب) دون مقاومة؛ حيث أنه لم يكن هناك جندي أو فرد إسرائيلي واحد على استعداد للتصدي أو المقاومة للهجوم المصري أو لمقاتليكم، بل إن بعضهم كان يرفض الصعود إلى الدبابات، وجميعهم رفض التوجه إلى سيناء في بداية الحرب، وكان يمكن تدفق الهجوم نحو الممرات، ولاسيما أنه لم تكن هناك قوات إسرائيلية تُقاوم الهجوم [3].

وقال ذات الوزير الإسرائيلي(موشي ديان) أثناء حرب 1948م: إننا لا قِبَل لنا بمواجهة المجاهدين المتطوعين؛ لأنهم يريدون أن يموتوا [4].

وحينما أسر اليهود الضابط المصري معروف الحضرى في معركة عام (1948م) قال له ضابط يهودي: نحن لا نخاف إلا من هؤلاء المتطوعين.

قال له معروف: ولماذا لا تهاجمونهم، وعددهم قليل، وسلاحهم ضئيل؟..

---

(1) راجع: مجلة الدعوة المصرية عدد 3 في رمضان 1396هـ .

(2) راجع: ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان 1393عـ = 1973م ص 100، بقلم حافظ علي سلامة.. وتتمة كلامه قال: وأتمنى أن يُمكنني الله من العودة إلى جهاد أعدائه، حتى أنال الشهادة بعرجتي هذه، ثم صاح فجأة ونحن بجواره، وهو يهتف: يا رياح الجنة.

(3) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 507، نقلًا عن لعبة الأمم 249.

(4) راجع: جريدة آفاق عربية المصرية عدد 553 في 5/ 2/ 1423هـ-18/ 4/ 2002م .

قال: إن هؤلاء يريدون أن يموتوا، والذي يريد أن يموت يفعل الأعاجيب، ونحن جِئنا لاحتلال هذه الأرض لنقيم دولة، لا لندفن فيها، ولذلك فنحن نتجنّبهم[1].

وسئل الخبير اليهودي (فان كرفيلد): ما ذا سيحدث للجيش إذا دُعي لمقاتلة جيش نظامي كسورية ولبنان؟.

قال: تقديري أنه سيهرب، فإذا ما انفجرت حرب مثل حرب 1973م فإن غالبية الجيش ــ وليس كله ــ ستضع رجليها على ظهرها وتولي هاربة [2].

ورئيس وزراء إسرائيل (آرئيل شارون) الذي اعتدى على الفلسطينيين اعتداءً وحشيًا يخافُهُم في نفسه جدًا حتى أنه قبل أن يُصاب بغيبوبته المرضية الطويلة التي مات فيها رأى في منامه: أنه وقع في قبضة الفلسطينيين المُجاهدين في غزة، وأنهم وضعوه في عربة مكشوفة، مُقيدًا بالسلاسل، ويدورون به في شوارع غزة. . ومرة أخرى: رأى في منامه كأن الفلسطينيين أمسكوا به ووضعوه في بئر[3].

وقال الرئيس الإسرائيلي (ديفيد بن جوريون): نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ[4].

**5 ــ اليهود قساة القلوب.**

وهذه صفة مغروسة في الشخصية اليهودية، وهي: قسوة قلوبهم على غيرهم، وهي ثمرة من جبنهم وعنصريتهم المغروسة في شخصيتهم، ومعناها: خُلُو قلوبهم من الرحمة بالخلق؛ فَلَا يخشون الخالق، ولا يستحون من مخلوق، ولا يقبلون موعظة، يقول الله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (المائدة: 13).

---

(1) راجع: التربية الإسلامية.. د . يوسف القرضاوي ط مكتبة وهبة .. مصر .

(2) راجع: الانتفاضة والتتار الُجدد ص 35 د سفر الحوالي .. ملحق بمجلة التبيان .

(3) ذكر هذا الخبر تلفزيون الجزيرة الفضائي القَطَرِي في صباح 14/ 1/ 2008م .

(4) راجع: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله 61 .

ويقول الله تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(البقرة: 74).

هذه القسوة مرض في قلوب اليهود تغرسه وتُغذِّيه فيهم توراتهم التي بين أيديهم، كلما وجدوا في غيرهم ضعفًا، كما قال سفر التثنية: ( 16وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا)(التثنية20 ــ 16).

وكما قال أشعيا: (وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ) (أشعيا 13: 16).

وفي تلمودهم قالوا: من يرفع وَثنيًا (غير يهودي) من حفرة وقع فيها فإنه يُبْقِي رجلًا من عُبَّاد الأوثان؛ لذلك إذا سقط وثني في حفرة فاسددها عليه بحجر كبير.

ويُضيف: يجب عليك أن تمنع عنه كل وسيلة يمكنه استعمالها في خروجه من الحفرة، لأن النسر ــ موسى ابن ميمون ــ يُعلِّم: مُحرم عليك أن تأخذك الشفقة على وثني، بل عندما تراه قد تدهور في نهر أو زلت به قدمه فكاد يموت فأجهز عليه ولا تُخلِّصه.

وقالوا: إذا نظر أحد اليهود ووجد كافرًا في حفرة فعليه أن لا يُخرجه منها، ولو وجد فيها سُلَّمًا يُمَكِّن الكافر أن يخرج بواسطته منها وجب على اليهودي نزعه محتجًا بأنه أخرجه حتى لا ينزل عليه قطيعه (غنمه)، وإذا وجد حجرًا بجانب الحفرة وجب عليه وضعه عليها، ويقول: إني أضع هذا الحجر ليمر عليه قطيعي [1].

وقال رئيس وزراء اليهود (مناحيم بيجن): أنتم أيها الإسرائيليون لا يجب أن تشعروا بالشفقة حتى تقضوا على عدوكم، ولا عطف ولا رثاء حتى تنتهوا من إبادة ما يُسمى بالحضارة الإسلامية التي سنبني على أنقاضها حضارتنا [2].

---

1 ) راجع: همجية التعاليم اليهودية 97 .. و الكنز المرصود 91 .

2) راجع: لورانس العرب على خطى هرتزل 18 لزهدي الفاتح ط. دار النفائس .. بيروت .

ولأن أهل فلسطين ضعفاء، لا سلاح معهم ولا مال ولا ظهير لهم يَقْسوا اليهود في الاعتداء عليهم ، وصدق الله العظيم إذْ يقول: (إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) (الممتحنة: 2).

* ـــ وفي التطبيق المعاصر لهذه القسوة اليهودية قالت صحيفة (هاآرتس) الإسرائيلية في ملحقها الأسبوعي يوم (1/ 7/ 2005م): قامت وحدة من الجيش الإسرائيلي بعد احتلالهم أرض النقب بقتل رجل عربي (مسلم) من النقب، واختطفت ابنته الصبية التي عمرها (15) سنة، واقتادتها إلى قاعدة عسكرية، حيث أمر القائد الجنود بأن يُعرُّوا الصبية من ملابسها، وأن يجزُّوا شعرها، وأن يأخذوها كما ولدتها أمها تحت صنبور ماء في الساحة المكشوفة أمام الجنود ثم يُحمِّموها، وبعد ذلك أدخلوها في كوخ مهجور، وتناوب الجنود على اغتصابها، وهي تصرخ حتى أغمي عليها، وعندما حاولت الهرب في اليوم التالي حفر الجنود حفرة عمقها (30) سنتيمترًا، وأطلقوا عليها النار ثم دفنوها في الحفرة [1] (!!!).

واعتدى اليهود على الفلسطيني: (عمر عبد الغني سلامة) مرة بعد مرة بتهمة أنه من الفدائيين، وفي آخر مرة عذبوه عذابًا شديدًا بالصدمات الكهربائية وعلقوه من السقف بواسطة السلاسل، وأجبروه على تنظيف الزنزانة بلسانه بعدما وضعوا فيه القاذورات وشظايا الزجاج، ثم فرضوا عليه ابتلاع تلك القاذورات، وحينما رجاهم باسم الله أن يرحموه من هذا العذاب، قالوا له: إن ربك تحت أقدامنا[2] (!).

قال الكاتب الإسرائيلي (أموس عوز): ماذا لو قتلنا مليونًا أو ستة ملايين (من العرب)؟. . سيكتب التاريخ في كتابه صفحتيْن مجللتيْن بالسواد، ولكن ثمن ذلك سيكون عظيمًا، سيأتي إلينا يهود الشتات، ونصبح أمة تعدادها (25) مليونًا، أمة تدعو إلى

---

1) راجع: الغرب والإسلام وفلسطين 135، لمحمود النمورة، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

(2) راجع: صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية 33.

الاحترام، أمة تمتد حدودها من قناة السويس، وحتى آبار البترول في الخليج والعراق، وبعد ذلك سينسى التاريخ ما ارتكبنا من فظائع لإقامة تلك الدولة [1].

ابتكر اليهود طريقة في القتل لم يسبقهم بها غيرهم، وهي طريقة (القرعة أو اليانصيب)، وخلاصتها أن يسحب الشاب الفلسطيني ورقة من بين أوراق في دلو، وكتبوا على كل ورقة فيه شكلًا من أشكال التعذيب الذي سيُنفَّذ عليه، مثل: كسر الذراع أو تكسير اليد أو تكسير أصابع اليد أو القدم أو فقء العين أو كسر الظهر أو إطلاق الرصاص على القدم أو اليد أو أن يُلقى به على الأرض من السيارة العسكرية التي تسير بسرعة كبيرة (!!)، وهذا ما حدث للشاب عمران أبو حمدية (17) سنة، من الخليل، فقد جاءت قرعته على الورقة التي اختارها ــ رغمًا عنه ــ بأن يُضرب ضربًا مبرحًا، ثم يُرمى من السيارة وهي مسرعة، وتم تنفيذ الحكم بحقه، فأصيب بكسور في جمجمته وعظامه، وظل في حالة غيبوبة إلى أن استشهد[2].

وكتب فهمي هويدي في جريدة الأهرام المصرية في 4/ 3 / 2003 م مقالًا عنوان: (المسكوت عنه في فلسطين)، وأنقل عنه الأمثلة المؤلمة الآتية، قال:

ا ــ في 16 / 11 / 2002م قدَّم التلفزيون الإسرائيلي برنامجًا تضمن شهادات لجنودٍ خدموا في الضفة الغربية، حيث ذكروا أن قادتهم سمحوا لهم بالرهان فيما بينهم على ضرب النار على الفلسطينيين لمجرد التسلية وقتل الوقت!!.

ب ــ المسلمة الفلسطينية ( فاطمة النجار) التي تسكن غرب (خان يونس) ذهبت إلى المدينة لشراء مادة كيماوية، تُستخدم في صيانة سفن لزوجها الصياد، وأوْقفتها مُجندات إسرائيليات، وحينما عرفن طبيعة المادة الكيماوية التي معها أمرتها إحدى المجندات أن تشربها، وحينما أبت انقضَّ عليها ثلاث

---

(1) راجع: الخيار العسكري العربي 21، 22، للفريق: سعد الدين الشاذلي، ط. المؤسسة الوطنية.. الجزائر.

(2) راجع: الغرب والإسلام وفلسطين 135، لمحمود النمورة، نقلًا عن جريدة الشرق الأوسط 8/ 1/ 2003م.

مجندات وقمن بتقييدها، ووضعن المادة الكيماوية في فمها رغْمًا عنها (!!!)؛ الأمر الذي أدى إلى انهيارها، وأصابها بعاهة دائمة في حنجرتها ومعدتها!.

ج ــ وعلى معابر الطُّرق التي أقاموها في مداخل القرى والمدن الفلسطينية وضعوا دَلْوَ اليانصيب الذي ذكرناه، ونذكر في الآتي حالات من القسوة اليهودية على هذه المعابر اليهودية للتمثيل لا للحصر:

* ــ (وسام عشراوي) فلسطيني خرج من منزله ذات يوم، فقابلته دورية يهودية تابعة لحرس الحدود، وأمروه أن يختار ورقة من أربع ورقات مطويات، كتب على كل واحدة منها عقوبة اليوم، ولما اختار إحداهن كُرهًا وقهْرًا، قاموا بعد قراءتها بانتزاع يده، ثم كسروا إصبعه حقيقة لا مجازًا، كما هو مكتوب في الورقة التي اختارها!.

* ــ تكرر المشهد مع فلسطيني آخر اسمه (حجازي أبو ستيتة) الذي التقط واحدة من الأوراق التي عُرضت عليه، فانهال عليه الجنود بالضرب على الساقين واليدين والظهر، ثم ألقوا به في حوض المياه؛ تنفيذًا للعقوبة التي اختارها.

* ــ (علي الطرايرة) فلسطيني خرج إلى عمله ذات صباح، فاعترضته سيارة حرس الحدود، وقال له أحدهم: في هذا الدلو مجموعة من الأوراق، في كل واحدة منها أسلوب تعذيب، وعليك أن تختار ما يروق لك!.

ولم يجد الفلسطيني مفرًا من الاستجابة، وحين التقط إحدى الأوراق تناولها أحد الجنود، وعرضها على رفاقه، فإذا بهم يتصايحون بشكل هستيري، وقام أحدهم بعرضها عليه، وفوجئ بأن كُتب عليها: تكسير اليدين والرجليْن، ولم يُضيِّع الجنود دقيقة من الوقت، حيث انهالوا عليه بالضرب المُبرح، وبأعقاب البنادق حتى سقط أرضًا ــ وصف الطرايري ما جرى له قائلًا: بعد وجبة الضرب المتواصل والمُبرح أمسك اثنان من الجنود بإحدى ذراعي، وقام ثالث بالضرب عليه بقضيب حديدي كبير، عندها فقط شعرت أنهم جادون في تحطيم عظامي، وانتقلوا بعد تكسير الذراع الأولى إلى تكسير الذراع الأخرى،

وبعد الانتهاء من هذه المهمة، راحوا يُوجهون الضرب، وبشكل جنوني إلى أنحاء الجسم؛ فغاب الشاب عن الوعي، وتركوه فيه وحده ليُلاقي حتفه!، ولم يستيقظ الشاب إلا وهو في المستشفى بعد أن نقلته عائلة فلسطينية مرت في المكان.

* ــ وللتنكيل درجات أخرى أشد وأفظع، تتحدث عنها روايات سكان المناطق النائية في الجنوب الشرقي للضفة، حيث ذكر أحد القرويين أن الجنود عرضوا عليه أن يختار إحدى الأوراق، فإذا قرعته تقضي بقطع العضو الذكري، وبالفعل ــ كما يقول ــ أجبره الجنود على التعري، لكن مرور مجموعة من الصحافيين الأجانب في المكان حال دون قيام الجنود بما كانوا ينوون القيام به، وأطلقوا سراحه.

د ــ وتحكي نادية عودة أن اليهود عند الحواجز يُجبرون الفلسطينيين الصائمين على الإفطار قسْرًا.. وأحيانًا كثيرة يُجبرون الفتيات الفلسطينيات على تقبيل الشباب الفلسطيني المرافقين في مركباتهم، أو البصق عليهم (!) [1].

هـ ــ والأسرة المسلمة التي تريد العبور إلى المدينة أو القرية الأخرى لإتمام عقد الزواج يأذن اليهود لبعض الأسرة ولا يأذنون للأخرى، وإذا أذنوا لبعض أفرادهم فبإلحاح مقرون بالإذلال؛ مما يضطر المأذون إلى إجراء عقد الزواج على المعابر والحواجز، كل منهم في ناحية (!)، ويكتب أوراق تسجيل الزواج على مقدمة السيارة العسكرية التابعة لليهود؛ فليس في الشارع منضدة، وبدلاً من أن تكون كلمة المأذون في التهنئة بالزواج تكون في الحث على الاحتمال والصبر! [2].

---

(1) راجع: أرض الإسراء. دروس في العزة والفداء 103، ناصر الفضالة. ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

(2) راجع: أرض الإسراء. دروس في العزة والفداء 101، 102، ناصر الفضالة.

و ــ وقد اضطرت بعض النساء الحوامل في حالات عديد أن يضعن مواليدهن على الحواجز في السيارات الخاصة أو في سيارات النقل العام، وهو الأمر الذي تسبب كثيرًا في وفاة المولود أو مرضه، أو في وفاة الوالدة والمولود معًا.. وقد أثبتت الإحصاءات أن (65) امرأة فلسطينية (في هذا الوقت) أجبرن على الولادة على الحواجز العسكرية أو بوابات الجدار العنصري، وأن نصف الأمهات فقدن أولادهن بسبب تلك السياسة اليهودية، وأضافت الدراسة أن (20٪) من وفيات الأطفال كانت بفعل هذه الحواجز، وجدار الفصل العنصري [1].

يتكرر هذا مرات على مرأى ومسمع العالم كله، ولا عجب في ذلك؛ فالقسوة والخِسَّة تشرَّبها اليهود من توراتهم وتلمودهم، وإذا لم يُفِق المسلمون من غفلتهم سيتسلط عليهم اليهود بقسوتهم أكثر مما ذكرناه.

**6 ــ اليهود لا يردعهم إلا القوة.**

ومن الصفات الأساسية التي يتميز بها اليهود بجبنهم وعنصريتهم: أنهم لا يردهم عن غيهم إلا القوة.. ولن يتركوا ما اغتصبوه إلا بالقوة الرادعة؛ فقديمًا عرض عليهم موسى عليه السلام تعاليم الله تعالى وهدايته فأبوا أن يُطيعوه إلا بعدما هددهم الله تعالى باستخدام القوة، ورفع عليهم جبل الطور في سيناء، وأنذرهم إن لم يُطيعوه ويقبلوا تعاليمه سيُنزله عليهم، ويُهلكهم جميعًا، فأذعنوا صاغرين، وأطاعوا مُكْرَهين، يقول الله تعالى: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (لأعراف: 171)(وسيأتي بيان هذا)

(1) راجع: الغرب والإسلام وفلسطين 156، لمحمود النمورة، نقلًا عن جريدة الشرق الأوسط 8/ 1/ 2003م.

**7 ــ التحالف مع الأقوياء.**

واليهود بجبنهم لا يستطيعون بذاتهم أن يُحققوا نصرًا، ولا يستطيعون بذاتهم أن يُقيموا دولة، إلا بالتحالف مع الأقوياء في عصرهم.

* ــ ففي القديم تحالفوا مع الفرس الذين كانوا وقتئذ قوة غالبة، حتى أعطوهم وعدًا بإعادة دولتهم مرة أخرى، وحارب الفرس الرومان وهزموهم، ووفُّوا لليهود بالوعد، وأعادوا لهم دولتهم المنهوكة، لكن هذه العودة كانت ضعيفة، ولم تدم طويلاً، فبعد بضع سنين حارب الرومان الفرس وهزموهم، وأزالوا الدولة اليهودية من فلسطين مرة أخرى كما ذكرنا من قبل، يقول الله تعالى: (غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ الله يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ الله لَا يُخْلِفُ الله وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم ــ 2: 6).
* ــ وتحالفوا مع المشركين في مكة سنة (5هـ) وأتوا بهم في غزوة الأحزاب، وحاصروا بهم المدينة ليستأصلوا الدولة الإسلامية، ولكن الله سلَّم، يقول الله تعالى: (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى الله الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) (الأحزاب: 25).
* ــ وفي عصرنا قال (حاييم وايزمان) عام 1325هـ = 1907م: إن الصهيونية السياسية تعني الآتي: أن تجعل المسألة اليهودية مسألة دولة، إنها تعني أن نتوجه إلى الأمم المختلفة، ونقول لها: إننا في حاجة إلى مساعدتكم لكي نُحقق أهدافنا [1].
* ــ وذكر الرئيس اليهودي (حاييم وايزمان) مرة أخرى هذا التصريح في مؤتمر صهيوني بلندن في 16 مايو 1917 م، قال: إنه بينما هدفنا النهائي هو خلق دولة يهودية، فإن الطريق لتحقيق ذلك يكون على عدة مراحل متداخلة، وإحدى هذه

(1) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 175.

المراحل التي أرجو أن تكون نتيجة لهذه الحرب (العالمية الأولى) هي أن فلسطين اليهودية سوف تتمتع بحماية قوة ضخمة وكبيرة مثل بريطانيا، وتحت جناح هذه القوة يصبح اليهود قادرين على إقامة جهاز إداري وتنفيذي ينجز أهدافنا الصهيونية، بينما لا نزعج أنفسنا بالمصالح المشروعة للأهالي من غير اليهود [1].

* ــ ولهذا تحالفوا في عصرنا مع بريطانيا ــ باعتبارها القوة الغالبة ــ؛ فوجدت فيهم بريطانيا أداتها المنشودة لتحقيق الأهداف الصليبية في العالم الإسلامي؛ فاحتلت لهم فلسطين، وأقامت لهم عليها دولتهم اليهودية، كما قال زعيمهم (وايزمان) في خطبة له بنقابة الصحفيين بإنجلترا عام 1919م = 1338هـ: إن إقامة الدولة اليهودية يستلزم أن تُوضع فلسطين تحت حماية دولة صديقة كبريطانيا؛ لتسهل لنا الهجرة والسكنى، وتُمكِّننا من تحضير الجهاز الإداري اللازم لبلوغ هدفنا [2].

وقد أعطتهم بريطانيا ما يشتهون، وأقامت لهم «دولة إسرائيل المعاصرة» على أنقاض أهل فلسطين أصحاب الأرض الأصليين الشرعيين.

* ــ وحينما أفل نجم القوة البريطانية اتجهوا إلى التحالف مع أمريكا باعتبارها القوة الغالبة، ووارثة بريطانيا، ولا زالوا إلى اليوم يتحالفون معها.

قال رئيس الوزراء اليهودي (بنيامين نتنياهو): لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي يُراودنا منذ (2000) سنة تحقق من خلال المسيحيين الصهيونيين [3].

أجل، قد استعان اليهود بأمريكا في معركة (رمضان 1393هـ = أكتوبر 1973م)، وأنقذتهم من قبضة المصريين، كما قال الرئيس المصري محمد أنور السادات: وفي لقاء تلفزيوني اعترف الرئيس الأمريكي (نيكسون) فقال: إنه لولا تدخل أمريكا في حرب

---

(1) راجع: ممنوع من التداول 1/ 40 0

(2) راجع: جهاد شعب فلسكين 86، لصالح مسعود أبو يصير.

(3) راجع: خدعة هرمجيدون17.

أكتوبر (عام 1973م = 2393هـ) لانفتح الطريق من أوله إلى آخره عند تل أبيب (تل الربيع) أمام القوات المصرية [1].

* ــ وحينما رأوا أفول نجم شاه إيران (محمد رضا بهلوي) وصعود نجم آية الله الخميني سارعوا إليه بعد انتقاله إلى باريس عام 1978م، وحصلوا منه على وعد بعدم المساس باليهود في طهران، كما أن حكومة أوربية كانت تعمل في ذلك الوقت بناءً على طلب (إسرائيل) في سبيل الحفاظ على حياة يهود إيران.. وأبلغ الخميني الحكومة الفرنسية من مكان منفاه لتبلغ اليهود بأنه يُميِّز بين اليهودية وبين الصهيونية، ووعدهم بتوجيه تعليماته إلى رجاله في إيران بعدم المساس باليهود.. ثم تحركت القوة اليهودية في إيران تجاه القيادة والقوة الجديدة، وفي الثورة الخُمَيْنية خرج خمسة آلاف يهودي في طهران في مظاهرة كبيرة على رأسهم الحاخام الأكبر لاستقبال الخميني، وهم يحملون صوره ويهتفون: (اليهود والمسلمون إخوان)!.. وأعقب ذلك اتصالاتهم له بالتأييد، ثم سيَّروا مظاهرة تأييدٍ له ثانية ! [2].

* ــ وفي ذات الوقت يتحالفون في عصرنا مع بعض الحكام العلمانيين العرب، ويُغرونهم أو يُهددونهم لقهْر شعوبهم وإذلالهم بالفقر والاستبداد، حتى يأمن لهم احتلال فلسطين وما حولها.

---

(1) راجع: من أوراق السادات 350، لأنيس منصور، ط. دار المعارف.. مصر.

(2) راجع: اليهود والتحالف مع الأقوياء 91 .

## 8. مُجاهدة الإشاعات الخبيثة.

الخطوة القرآنية الثامنة للجهاد والتحرير: مقاومة الإشاعات الخبيثة [1].

الإشاعات الخبيثة سلاح قديم وخطير استخدمه الناس ضد بعضهم بعضًا في سلمهم وحروبهم، ولا زال أعداء الإسلام يستخدمونه في حروبهم ضد الإسلام والمسلمين، وأعدوا له في عصرنا أجهزة معنية بنشأته ونشره وتطويره، وتطوير آلاته وأساليبه، وتدريب العاملين فيه؛ ليكون انتشار الإشاعات الخبيثة أسرع وأوْسع، وتأثيرها أكبر وأخطر ؛ لينالوا بها في بلاد المسلمين عدة أمور:

* ــ غرس وإشاعة الاختلال والاضطراب في المجتمع المسلم.
* ــ إرباك القيادة والشعب بالإشاعات الخبيثة حتى تنشغل بدفعها، ولا تتفرغ للعمل النافع والجهاد للتغيير والتحرير.
* ــ تفكيك الصف الإسلامي المُتماسك حتى يتفرق ويضعف.
* ــ تخذيل المؤمنين في مجتمعٍ ما، وإضعاف عزائمهم عن تحرير أرضهم المحتلة.
* ــ زعزعة الثقة في القوة الذاتية للأمة، وفي إمكان إحرازها النصر والتحرير.
* ــ بث الرعب في نفوس المؤمنين، وتخذيلهم عن الجهاد والنُّصرة؛ بما يُضعفهم، ويغرس فيهم اليأس من التغيير والنصر والتحرير.
* ــ تحقيق أهداف الأعداء وأطماعهم في البلد الإسلامي، مثل: الاستسلام للأعداء في أطماعهم.. وزحزحة المسلمين عن إسلامهم شيئًا فشيئًا بالتدريج حتى يتركوه في النهاية، والله تعالى يقول: (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ) (البقرة: 217).

ونذكر من الإشاعات الخبيثة المُتعلقة بفلسطين الآتي [2]:

---

1) الإشاعات الخبيثة: الأخبار المكذوبة التي يُشيعها الناس في مجتمع ما؛ للنيل منه منالًا سيئًا.

2) راجع: كتابنا (الإشاعات الخبيثة وعلاجها في ضوء القرآن والسنة) .. مخطوط.

**الإشاعة الأولى: المسلمون العاملون إرهابيون مُفسدون.**

هذه إشاعة خبيثة افتراها الفاسدون ــ ولا زالوا يقومون بها ــ ضد المؤمنين العاملين. . ففي القديم افترى الأعداء ضد الأنبياء عليهم السلام إشاعات خبيثة، مثل: أنهم كاذبون أو ساحرون أو مجنونون. . يقول الله تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) (الذريات: 52، 53).

وفي هذه النص الكريم نجد: أن الطغاة والمُفسدين تختلف أشخاصهم وأسماؤهم وأزمانهم وأماكنهم، ولم يلق بعضهم بعضًا، ولم يُعلِّم أحدهم الآخر، ومع هذا تتحد إشاعاتهم الخبيثة ضد الأنبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين العاملين، لأن أخلاق الطغيان وطبائع الفساد مُتشابهة تتكرر ولا تتغير مع تغير الزمان، واختلاف المكان، كما في قوله سبحانه: (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ).

واليهود منذ احتلالهم فلسطين يُشيعون هذه الإشاعة الخبيثة ضد المسلمين العاملين في العالم الإسلامي، وخاصة في فلسطين وما حولها.

**الإشاعة الثانية: الفلسطينيون باعوا أرضهم لليهود.**

وهذه إشاعة خبيثة افتراها اليهود وروَّجوها في العالم الإسلامي، والصحيح أن اليهود اغتصبوا فلسطين بالتآمر والبغي والعدوان، ولم يبعها الفلسطينيون لهم ولا لغيرهم، ولم يُفرطوا فيها قط، وإلا فمن باع لليهود الصحراء والوديان والبحار والقرى والمدن التي اغتصبوها بقوة السلاح، وهي أكثر فلسطين؟.

ومعروف للكافة أن البريطانيين حينما احتلوا فلسطين سيطروا على الأراضي الوقْفِية التي كانت تُديرها الدولة العثمانية، وهي كثيرة جدًا، وأعطوها لليهود، بل انتزعت بريطانيا الأرض من أصحابها الفلسطينيين بكافة الوسائل غير المشروعة، وأعطتها لليهود!.

ولا ننسى أن نذكر هنا أن اليهود أنشئوا صندوقًا ماليًا لجمع المال لشراء الأرض من الفلسطينيين، ولم يُفلحوا إلا في شراء مستنقعات لا مالك لها، وقد باعتها لهم أسر

لبنانية (أي غير فلسطينية)، واعترفت بهذا رئيسة وزراء إسرائيل (جولدا مائير)، قالت: وقد جرت عمليات لشراء أراض الـ (إيمك) برغم أنها كانت في غالبيتها من المستنقعات التي تحمل أمراض الملاريا والحمى، وقد أمكن شراؤها بثمن عال من عائلة عربية واحدة موسرة تعيش في بيروت! [1].

ومع هذا لم يستطع اليهود في فترة الاحتلال البريطاني شراء سوى (7٪) من الأراضي البور بفلسطين. أي أقل من مليوني دونم، ولم تكن هذه الأراضي المُباعة لليهود

---

1) راجع: حياتي.. قصة حياة جولدا مائير 127) بتصرف يسير.

أجل، ربما سمعنا أن بعض الضعفاء باعوا أرضهم لليهود قبل أن يظهر لهم هدفهم في فلسطين، وهؤلاء قلة معدودة.. وبعض العائلات التي باعت أرضها لليهود كانت عائلات لبنانية، مثل عائلات: سُرسُق والتياني والصباغ.. الخ (راجع كتابنا: القدس والوعد المفترى ط . المكتب المصري للمطبوعات) .

وفي عام 2004م نقلت صحيفة (معاريف الإسرائيلية) أن الكنيسة الأرثوذكسية باعت لليهود عقارات تملكها في القدس القديمة في منطقة باب الخليل، وتبلغ المساحة حوالي (15) دونم، ونحو (27) محلاً تجاريًا.. أي شارع بكامله، يقع به ميدان عمر بن الخطاب، والمباني المتواجدة على الطريق الذي يمتد من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، عند باب الخليل حتى السوق العربية، وبها فندق (إمبريال) وفندق (البتراء)، وتم البيع بموجب توكيل خاص منحه البطريرك (أرينوس الأول) إلى (نيكولاوس باباديميس)، وهو شاب يوناني شديد القرب من البطريرك (أرينوس) الذي أحضره إلى الكنيسة قبل بضع سنوات .. وهذا اليوناني هو الذي قام في نفس العام بتأجير أراضي من أملاك الكنيسة الأرثوذكسية عند مدخل بيت لحم (مهد المسيح عليه السلام ) للجيش الإسرائيلي ؛ ليُقيم عليها حاجزًا عسكريًا مقابل (200) دولار في الشهر.. كما باعت هذه الكنيسة اليونانية لليهود عام 1990م دير (مار يوحنا ) في حارة النصارى بالقدس الشرقية .

والواقع أن ثَمَّة تاريخًا أسودًا لبطريركية الروم الأرثوذكس في تسريب الأرض لليهود، حتى من قبل إعلان قيام دولة إسرائيل، وعرفنا هذا من خلال التسريبات التي تمت (لكيرل كيرميت).. وفي إحدى اعترافات (سوخوروفيسكي) محامي البطريركية ذكر أنه: لولا صفقات الأراضي التي تمت لما قامت دولة إسرائيل (راجع: مجلة القدس، السنة 7، عدد77 في 4/ 1426هـ 5/ 2005م ).

ملكًا لمزارعين فلسطينيين، وإنما كانت ملكًا لبعض الأسر اللبنانية، كأسرة سرسق التي اضُطرت إلى بيع ممتلكاتها التي تزيد مساحتها على (40) ألف دونم؛ نتيجة لأحكام قضائية تعسفية صدرت ضدهم في فلسطين، أو قوانين تعسفية مقصودة، أصدرتها الإدارة البريطانية لتستعين بها على مصادرة أراضيهم [1].

ولا يزال اليهود إلى اليوم يُصادرون الأراضي، والجدار العازل الذي بنوه، واغتصبوا به كثيرًا من الأراضي الفلسطينية شاهدٌ على هذا، فمن باعها لليهود؟. . ولماذا يُرابط الفلسطينيون على أرضهم إلى اليوم، ويفتدونها بأنفسهم وأموالهم؟.

قال الدكتور حسن صبري الخولي: ولعل هذا خير هادم لما أُشيع وانتشر عن قيام عرب فلسطين ببيع أراضيهم لليهود [2].

**الإشاعة الثالثة: الفلسطينيون يخونون وطنهم وأهليهم لصالح اليهود.**

وهذه إشاعة خبيثة أكْذب من أختها، وقد افتراها اليهود وروَّجوها في العالم.. والصحيح الذي أوقنه أن اليهود هم منشئو هذه الإشاعات الخبيثة ومُرِّوجُوها بين المسلمين؛ لتخذيلهم عن نُصرة إخوانهم في فلسطين.

وآية ذلك: أن اليهود في معركة فلسطين عام 1948 م أمروا عددًا من جنودهم بارتداء اللباس العربي، لإيهام المسلمين أن الفلسطينيين يقاتلونهم مع اليهود.

قال الأستاذ كامل الشريف: ولقد حدثني أحد الإخوان الذين اشتركوا في معركة (قرية اللّد) قال: إن هذه الطريقة بالذات اتبعت ضد الجيش الأردني المسلم، إذ هجمت القوات اليهودية على المدينة، والجنود اليهود يضعون على رءوسهم العقال العربي، وتعلوه شارة الجيش الأردني، فخرج الناس يقولون: إن الجيش الأردني يقاتل مع اليهود جنباً إلى جنب [3].

---

1) راجع: سياسة الاستعمار والصهيونية 1/ 503، وكتابنا (الإشاعات الخبيثة وعلاجها في ضوء القرآن والسنة)

2) راجع: سياسة الاستعمار والصهيونية 1/ 503.

( 3 ) راجع: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين 1948م .

وفي ذات الوقت كان اليهود يروِّجون بين المسلمين أن فلانًا من كبار الفلسطينيين جاسوس يعمل لحسابهم؛ لغرس الفُرقَة بين الفلسطينيين وإخوانهم المسلمين.

قال الشيخ أمين الحسيني (مفتي فلسطين الأسبق) رحمه الله: في منطقة غزة قصة طريفة قصها عليَّ السيد (عبد الرحمن الفرا) رئيس بلدة خان يونس، وخلاصتها أن دورية مصرية قبضت على رجل يرتدي ثياب بدو فلسطين بينما كان خارجًا من مستعمرة (كفار داروم) ومتجهًا إلى خان يونس، وعند سؤاله زعم أنه ينتمي إلى عشيرة عربية مجاورة، فلما سُئل عنه شيوخ العشيرة أنكروه، ولما ضيَّق المحققون عليه الخناق اعترف أنه جاسوس يهودي، وأنه يتجه إلى خان يونس؛ ليقابل فيها زميلاً له، فلما رافقُوه ليدلهم على زميله كانت دهشتهم بالغة عندما دلهم على شيخ معهم مقيم بجامع البلد، ويلبس الملابس الفلسطينية، وكان هذا الشيخ يتظاهر بالورع، ويُصلي في الصف الأول، ويُقيم في الجامع، وفي نهاية التحقيق الرسمي اعترف هذا الشيخ المعمم بأنه يهودي دينًا وجنسية، وأنه يقوم بالتجسس على حركات الجيش المصري، وأنه تظاهر بأنه مسلم فيما مضى، وانخرط في الجامع الأزهر في سلك الطلاب أمدًا غير قصير درس خلاله دروس الدين الإسلامي واللغة العربية! !. . ولقد وقع كثير من أمثال هذه الحادثة [1].

ولا يزال اليهود إلى اليوم يأمرون عددًا من جنودهم بالاستعراب، ليكونوا عيونًا لهم في أهل فلسطين، فيلبسون لباس الفلسطينيين، ويتكلمون بلسانهم، ويندسون بينهم، ويُوهمونهم بأنهم من مجاهديهم، وهم في ذات الوقت يقومون فيهم بالإشاعات الخبيثة لتخذيلهم، وإشاعة اليأس من النصر في نفوسهم، ويكشفون عوراتهم لليهود، ويُبلِّغونهم عن قادة الجهاد وتحركاتهم. . . الخ[2]

وأعجب ما في الأمر أن هذه الإشاعات اليهودية كانت تلاقى آذاناً صاغية في القيادات العربية العليا، وقبلتها عقول المسئولين على أنها حقائق واقعة لا تقبل الشك؛

---

1) راجع: أسباب كارثة فلسطين 35، 36 ط دار الفضيلة .

(2) وقد ألقت القوات المصرية القبض على اثنين منهم يلبسان ملابس العرب البدو في قطاع غزة، وكانا يضعان ميكروب الكوليرا في المياه، ثم ثبت أنهما يهوديان (راجع: جهاد شعب فلسطين 329 ).

وترتب على ذلك شعور بعدم الثقة، يتزايد لديهم يوماً بعد يوم حتى انقلب إلى هُوة سحيقة، استحال معها التعاون بين أهل البلاد والجيوش المنقذة التي جاءت لنجدتهم والذود عنهم وتحرير أرضهم [1].

ذكر الأستاذ كامل الشريف: أن الدعاية اليهودية قد أدت دورها، ونجحت أبلغ نجاح، في تخذيل المقاتلين وشعوبهم، وإضعاف روحهم المعنوية بهذا السلاح الخطير؛ مما كان له أبلغ الأثر على سير المعركة ونتيجتها السيئة [2].

ومع هذا أقول: ربما قبل بعض الفلسطينيين الضعفاء أن يخونوا أهليهم لحساب اليهود. . لكنهم في الحقيقة عدد ضئيل جدًا يُعد على الأصابع، ولا يُمثِّلون جمهور الشعب الفلسطيني المجاهد، وهؤلاء نجدهم في كل مجتمع إنساني.

هذا، فضلاً عن أن جمهور الفلسطينيين لا يزالون يُرابطون في فلسطين ويفتدونها بالغالي والرخيص لديهم، ويتعقَّبون هؤلاء الخونة، ويُعاقبونهم كلما أمسكوا بهم. . وقد قيل: إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثًا.

وجوب مقاومة الإشاعات المعادية ووسائل مقاومتها.

ولهذا يجب على المؤمنين في طريق الإعداد لمعركة التحرير أن يُجاهدوا الإشاعات الخبيثة؛ لترفضها الشعوب المسلمة ولا تقبلها. . ونوجز وسائل مجاهدتها في الآتي:

**1 ــ لزوم الصدق في القول.**

ومن الوسائل الهامة في مُجاهدة الإشاعات الخبيثة: أن يلزم المؤمنون قول الصدق واجتناب الكذب، فلا يقول أحدهم إلا ما يُوقن صدقه يقينًا، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: 119).

وَعَنْ عَبْدِ الله بن مَسْعُودٍ ﷺ أن النبي ﷺ يقول: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ

(1) راجع: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين ص 82، 83 .

(2) راجع: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين للأستاذ كامل الشريف.. بتصرف.. مع التنبيه على أن الأستاذ كامل الشريف أحد الشهود العيان الأمناء الأكْفاء في معركة عام 1948م .

حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا» (1).

**2 ــ وجوب التبين من صحة الإشاعة.**

وبجوار إشاعة الصدق يجب إشاعة التبيُّن مما يُقال ويُسمع بالبينات الصحيحة، فلا يجوز للمسلم أن ينقل قولًا أو خبرًا إلا إذا تبيَّن له صحته وصدقه، وفائدته في البناء لا في الهدم، والله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات: 6).

**3 ــ تحذير المرجفين في المجتمع من ترويج الإشاعات الخبيثة.**

وبجوار هذا وذاك يجب على الدولة المسلمة أن تأخذ على أيدي المُرجفين بالإشاعات الخبيثة في المجتمع وردعهم؛ ليكفوا عن نقلها وترويجها، يقول الله تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً * سُنَّةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً) (الأحزاب ــ 60: 62).

**4 ــ كشْف الإشاعات الخبيثة، وكشْف مُروِّجيها.**

ومن وسائل مُجاهدة الإشاعات الخبيثة: كشْفها للمؤمنين، وكشْف القائمين بها ومُروِّجيها بقدر الاستطاعة؛ فإن ذلك يئدها في مهدها. . مثلما حدث في غزوة تبوك، حيث أشاع المنافقون الإشاعات الخبيثة بين المؤمنين، وكان هدفهم تخذيل المؤمنين عن الجهاد، فأنزل الله تعالى وحيه يكشف إشاعتهم الخبيثة، ويفضح مروجيها وواجههم بها في سورة التوبة؛ ولهذا يُسميها العلماء: الفاضحة.

ومن ذلك قول أحد المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قُرائنا هؤلاء (النبي ﷺ وأصحابه ﷺ)، أرغبَ بطونا، وأكذبَ ألسنًا، وأجبن عند اللقاء (القتال).

---

(1) أخرجه مسلم 2607، وأبو داود 4989، والترمذي 1971، وغيرهم .

فقال رجل في المسجد: كذبتَ، ولكنك منافق، ولأخبرنَّ رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن يكشف إشاعتهم الخبيثة، يقول الله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) (التوبة: 65، 66).

قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقا بحَقَب ناقة رسول الله ﷺ تَنكُبُه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: (أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [1].

**5 ــ بيان الأخبار الصحيحة في موضوع الإشاعة الخبيثة إذا أمكن.**

وفي بعض الأحيان يكون بيان الخبر الصحيح للإشاعة الخبيثة إماتة لها في مهدها؛ فبه تظهر الحقيقة على وجهها [2]، وفي القرآن الكريم يُبين الله تعالى كذب إشاعة الكافرين عن النبي ﷺ بأنه شاعر أو كاهن، وأن القرآن قول بشر، فأنزل الله تعالى وحيه يُكذِّب هذه الإشاعة ببيان الخبر الصحيح؛ وأن القرآن العظيم تنزيل من الله تعالى، يقول سبحانه: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الحاقة 40: 43).

**6 ــ وجوب إرسال الإشاعات المضادة.**

وبجوار هذا يجب على الدولة (ولي الأمر ومؤسسات الدولة) أن تعمل لإرسال الإشاعات المُضادة إلى مجتمع الأعداء، وإلى داخل صفوفهم القتالية؛ لتعميتهم عن قوة المؤمنين وخططهم، ولتفكيك تماسكهم وإرباكهم، وتخذيلهم عن قتال المؤمنين، وصرف الناس عن معاونتهم؛ عملًا بقاعدة المُعاملة بالمثل، كما في قوله سبحانه: (فَمَنِ اعْتَدَى

---

( 1 ) أخرجه الطبري في تفسيره 11/ 543 تحقيق د التركي .. وابن كثير في تفسيره 4/ 171، تحت الآية الكريمة.

( 2 ) ما لم يكن في كشفها إذاعة لأسرار الدولة.

عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) (البقرة: 194).. والنبي ﷺ يجعل هذا جهادً، كما يقول ﷺ: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ » [1].

وفي غزوة الأحزاب أرسل النبي ﷺ جنديًا من جنوده، قام بغرس الإشاعات المضادة لتفريق وحدة الأعداء؛ وتخذيلهم عن نصرة بعضهم بعضًا؛ حتى فرَّق جمعهم، وخذلهم الله تعالى عن قتال المؤمنين، وردَّهم بغيظهم لم ينالوا خيرًا.

فقد أَتَى نُعَيْمُ بْنَ مَسْعُودِ الأشجعي رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي قَدْ أَسْلَمْت، وَإِنّ قَوْمِي لَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي، فَمُرْنِي بِمَا شِئْت؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

إِنّمَا أَنْت فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذّلْ عَنّا إِنْ اسْتَطَعْت، فَإِنّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ.

فَخَرَجَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتّى أَتَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَكَانَ لَهُمْ نَدِيمًا فِي الْجَاهِلِيّةِ، فَقَالَ: يَا بَنِي قُرَيْظَةَ، قَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي إِيّاكُمْ، وَخَاصّةً مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ.

قَالُوا: صَدَقْت، لَسْت عِنْدَنَا بِمُتّهَمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ لَيْسُوا كَأَنْتُمْ، الْبَلَدُ بَلَدُكُمْ فِيهِ أَمْوَالُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ تَحَوّلُوا مِنْهُ إلَى غَيْرِهِ، وَإِنّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانَ قَدْ جَاءُوا لِحَرْبِ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ ظَاهَرْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَبَلَدُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِ، فَلَيْسُوا كَأَنْتُمْ، فَإِنْ رَأَوْا نُهْزَةً (فُرصة) أَصَابُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ لَحِقُوا بِبِلَادِهِمْ وَخَلّوْا بَيْنَكُمْ وخَلَا بِكُمْ؛ فَلَا تُقَاتِلُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتّى تَأْخُذُوا مِنْهُمْ رَهْنًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِيكُمْ؛ ثِقَةً لَكُمْ عَلَى أَنْ تُقَاتِلُوا مَعَهُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُنَاجِزُوهُ. فَقَالُوا لَهُ لَقَدْ أَشَرْت بِالرّأْيِ.

ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ: قَدْ عَرَفْتُمْ وُدّي لَكُمْ وَفِرَاقِي مُحَمّدًا، وَإِنّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَمْرٌ قَدْ رَأَيْت عَلَيّ حَقّا أَنْ أُبْلِغَكُمُوهُ؛ نُصْحًا لَكُمْ فَاكْتُمُوا عَنّي. فَقَالُوا: نَفْعَلُ.

قَالَ: تَعْلَمُون أَنّ مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمّدٍ، وَقَدْ أَرْسَلُوا إلَيْهِ: إنّا قَدْ نَدِمْنَا عَلَى مَا فَعَلْنَا، فَهَلْ يُرْضِيك أَنْ نَأْخُذَ لَك مِنْ الْقَبِيلَتَيْنِ مِنْ

(1) صحيح .. أخرجه البيهقي في الكبرى 21109، وأحمد 15785، وغيرهما عن كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ.

قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ رِجَالًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَنُعْطِيكَهُمْ فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمّ نَكُونُ مَعَك عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ حَتّى نَسْتَأْصِلَهُمْ؟ ، فَأَرْسَلَ إلَيْهِمْ أَنْ نَعَمْ، فَإِنْ بَعَثْتْ إلَيْكُمْ يَهُودُ يَلْتَمِسُونَ مِنْكُمْ رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ فَلَا تَدْفَعُوا إلَيْهِمْ مِنْكُمْ رَجُلًا.

ثُمّ خَرَجَ حَتّى أَتَى غَطَفَانَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ، إنّكُمْ أَصْلِي وَعَشِيرَتِي، وَأَحَبّ النّاسِ إلَيّ وَلَا أَرَاكُمْ تَتّهِمُونِي. . قَالُوا: صَدَقْت، مَا أَنْتَ عِنْدَنَا بِمُتّهَمٍ.

قَالَ: فَاكْتُمُوا عَنّي. . قَالُوا: نَفْعَلُ فَمَا أَمْرُك؟. . ثُمّ قَالَ لَهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ لِقُرَيْشٍ..

كَانَتْ لَيْلَةُ السّبْتِ مِنْ شَوّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ من الهجرة النبوية وَكَانَ مِنْ صُنْعِ الله لِرَسُولِهِ ﷺ أَنْ أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَرُءُوسُ غَطَفَانَ إلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ، فَقَالُوا لَهُمْ إنّا لَسْنَا بِدَارِ مُقَامٍ، قَدْ هَلَكَ الْخُفّ وَالْحَافِرُ فَاغْدُوَا لِلْقِتَالِ حَتّى نُنَاجِزَ مُحَمّدًا، وَنَفْرُغَ مِمّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَأَرْسَلُوا إلَيْهِمْ إنّ الْيَوْمَ يَوْمُ السّبْتِ وَهُوَ (يَوْمٌ) لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ أَحْدَثَ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا، فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالّذِينَ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُعْطُونَا رَهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا؛ ثِقَةً لَنَا حَتّى نُنَاجِزَ مُحَمّدًا، فَإِنّا نَخْشَى إنْ ضَرّسَتْكُمْ الْحَرْبُ وَاشْتَدّ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَنْشَمِرُوا إلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرُكُونَا، وَالرّجُلَ فِي بَلَدِنَا، وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْهُ.

قَالَتْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ: وَالله إنّ الّذِي حَدّثَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقّ، فَأَرْسِلُوا إلى بَنِي قُرَيْظَةَ: إنّا وَالله لَا نَدْفَعُ إلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فَقَاتِلُوا. . فَقَالَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، حِينَ انْتَهَتْ الرّسُلُ إلَيْهِمْ بِهَذَا: إنّ الّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقّ، مَا يُرِيدُ الْقَوْمُ إلّا أَنْ يُقَاتِلُوا، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ انْشَمَرُوا إلَى بِلَادِهِمْ. وَخَلّوْا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرّجُلِ فِي بَلَدِكُمْ. . فَأَرْسِلُوا إلَى قُرَيْشٍ وَغَطَفَانَ: إنّا وَالله لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمّدًا حَتّى تُعْطُونَا رَهْنًا؛ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ وَخَذّلَ الله بَيْنَهُمْ وَبَعَثَ الله عَلَيْهِمْ الرّيحَ فِي لَيَالٍ شَاتِيَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ فَجَعَلَتْ تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ

وَتَطْرَحُ أَبْنِيَتَهُمْ [1].. يقول الله تعالى: (وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً) (الأحزاب: 25).

مقتا مقتا مقتا

1( ) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 216:218 رقم 1373: 1375 .

## 9 ـ استنهاض شعوب الأمة الإسلامية.

الخطوة القرآنية التاسعة للتحرير: استنهاض ولاة الأمر في شعوب الأمة الإسلامية؛ ليقوموا بواجبهم في التغيير والتحرير.

ويكون هذا بطريقيْن: ولاة الأمر.. وأهل العلم ومعهم القيادات الشعبية.

فإن أهل العلم في الأمة الإسلامية عقلها، وأوْعية الوحي الإلهي، ولسان بيانه.. وولاة الأمر ومؤسسات الدولة يدهم التنظيمية والتنفيذية، فإذا صلحا وقام كل منهما بمسئوليته صلح المجتمع، وازداد قوة على قوة.

وقد قيل في الأثر: صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: الأمراء والعلماء.

قال أبو حامد الغزالي: معلوم أنه لَا رُتْبَةَ فوق النبوة، وَلَا شرف فوق شرف الْوِرَائَةِ لتلك الرُّتْبَةِ [1].

هذا، ويجب على ولاة الأمر وأهل العلم اختيار الوسائل السلمية المناسبة لاستنهاض شعوب الأمة لمعركة التغيير والتحرير المُرتقبة، ونُوجزها في الآتي:

1 ــ إشاعة ثقافة التغيير والتناصر والتحرير.

2 ــ استنهاض شعوب الأمة المسلمة مهما تباعدت أقطارهم للقيام بالذوْد عن إخوانهم المؤمنين المنكوبين، ومعاونتهم لتحرير أرضهم، واسترداد حقهم.

**أولًا: إشاعة ثقافة التغيير والتحرير، ونُصرة المؤمنين المنكوبين.**

وهذا يكون بإشاعة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الداعية للتغيير، والمُحرِّضة على التناصر والتعاون؛ لنُصرة المؤمنين المنكوبيْن، وتحرير أرض الإسلام المحتلة، ثم تعريف المؤمنين بسيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه، وسيرة القادة والمؤمنين المجاهدين في التعاون والتناصر في الجهاد والتحرير.

---

(1) راجع: إحياء علوم الدين 1/ 22 ط. دار المنهاج.. السعودية.

ونذكر من آيات الجهاد قول الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: 191، 192).

وقول الله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) (النساء: 75، 76).

وقول الله تعالى: (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) (الأنفال: ٧٢).. والنبي ﷺ يقول: « إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» [1].

والله تعالى يقول: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى)(المائدة: 2).

**ثانيًا: استنهاض شعوب الأمة المسلمة مهما تباعدت أقطارهم للقيام بالتناصر والتحرير، والذوْد عن المؤمنين المنكوبين، وتحرير أرض الإسلام المحتلة.**

يقول الله تعالى لولي الأمر ولأهل العلم: (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً) (النساء: 84).

والأمر في قوله سبحانه: (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) أمر صريح يُفيد وجوب الترغيب والتحريض على الجهاد.. ومعناه: يجب على أولي الأمر وأهل العلم استنهاض المؤمنين، والاستنصار بهم وتحريضهم للقيام بالجهاد والتحرير المطلوب.

فإذا قام ولي أمر المؤمنين بهذا الاستنهاض والتحريض على الجهاد والتحرير رزقهم الله تعالى النصر والتحرير الذي يُحبونه، كما يُبشرهم الله تعالى في ذات الآية الكريمة السابقة: (عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا) (النساء: 84 ).

---

1 ) صحيح .. أخرجه البخاري 1834، ومسلم وأبو داود 2482، وغيرهم عن ابن عباس ﷺ .

أولي الأمر يستنهضون الشعوب المسلمة للجهاد والنُّصرة.

وفي تاريخنا الإسلامي نماذج كثيرة لدور أولي الأمر وأهل العلم في استنهاض شعوب الأمة المسلمة للنُّصرة والتحرير، كما كان للرعية دورها الكبير في استنهاض الحاكمين للجهاد المطلوب، نذكر منها أربعة أمثلة تكفي للبيان:

**المثال الأول:** حينما احتل الصليبيون بيت المقدس في (490هـ= 11/ 12/ 1098م)، واعتدوا على أطراف البلاد في حلب وغيرها، وكان الأمراء في الأقطار الإسلامية متفرقين، وجبناء عن مواجهة الأعداء، ومستبدين قُساة على شعوبهم، حتى كثر انتقاد الشعوب المؤمنة لدولة الخلافة العباسية، فهبت ثورتهم ضدها لحملها على الجهاد ونُصرة المؤمنين.

ذكر ابن الأثير: أن العلماء وعدد من المؤمنين جاءوا إلى بغداد لاستنهاض الحاكم الأول في الأمة (الخليفة العباسي) ليقوم بتجْييش الجيش لدفع أذى الأعداء، وتحرير أرض الإسلام، فاجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم، وقصدوا جامع السلطان واستغاثوا، ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر، فوعدهم السلطان بإنفاذ العساكر للجهاد، وسيَّر من دار الخلافة منبرًا إلى جامع السلطان، فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة، ومعهم أهل بغداد، فمنعهم حاجب الباب من الدخول، فغلبوه على ذلك، ودخلوا الجامع، وكسروا شباك المقصورة، وهجموا على المنبر فكسروه، وبطلت الجمعة أيضًا، فأرسل الخليفة إلى السلطان يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه (إصلاحه)، فتقدم حينئذ إلى من معه من الأمراء بالمسير إلى بلادهم، والتجهز للجهاد، وسيَّر الملك ولده مسعودًا مع الأمير (مودود) صاحب الموصل، وتقدموا إلى الموصل ليلحق بهم الأمراء، ويسيروا إلى قتال الفرنج.

المثال الثاني: أرسل الأمير عماد الدين زنكي (ت: 541هـ) القاضي كمال الدين الشهرزوري (ت:572هـ) إلى السلطان مسعود السلجوقي(أمير الدولة السلجوقية.. ت: 547هـ ) يطلب منه العون والنجدة، ويحثه على الخروج للجهاد ضد الصليبيين الذين أخذوا في تهديد بلاد الشام.

قال القاضي الشهر زوري: فسِرْت إلى بغداد، فلما وصلتها، وحضرت قُدَّام السلطان وأديت الرسالة بإنفاذ العساكر، وعرَّفته عاقبة الإهمال، وأنه ليس بينه وبين الروم إلا أن يملكوا حلب، وينحدروا مع الفرات إلى بغداد، فلم أجد عنده حركة.

فلما رأيت قلة اهتمام السلطان بهذا الأمر أحضرت صاحبًا لي كان ينوب عني في القضاء. وقلت له: خذ هذه الدنانير وفرِّقها في جماعة من (أوباش) بغداد، وإذا كان يوم الجمعة وصعد الخطيب المنبر بجامع القصر قاموا وأنت معهم، واستغاثوا بصوت واحد: وإسلاماه!. . وادين محمداه!.. ويشق ثيابه، ويرمي عمامته عن رأسه، ويخرج هؤلاء ومعهم الناس من الجامع، ويقصدون دار السلطان مستغيثين، ويفعلون في جامع السلطان مثله، فلما كانت الجمعة وصعد الخطيب المنبر قام ذلك الفقيه، وشق ثوبه، وألقى عمامته عن رأسه وصاح، وتبعه ذلك النفر بالصياح والبكاء، فبكى الناس وتركوا الصلاة ولعنوا السلطان، وساروا من الجامع يتبعون الشيخ إلى دار السلطان، فوجدوا الناس في جامع السلطان قد ثاروا كذلك، وأحاط أهل بغداد بدار السلطان، ومعهم العسكر يبكون ويصرخون ويستغيثون، وخرج الأمر عن الضبط، وخاف السلطان في داره، وقال: ما الخبر؟.

فقيل له: إن الناس قد ثاروا، حيث لم ترسل العساكر إلى الغزاة، فقال: أحضروا القاضي كمال الدين الشهر زوري.

قال القاضي: فحضرت عنده وأنا خائف منه، إلاَّ أنني قد عزمت على صدقه وقول الحق، فلما دخلت عليه، قال: أي فتنة أثرْت؟. . فقلت: ما فعلت شيئًا، أنا كنت في بيتي، وإنما الناس يغارون على الإسلام، ويخافون عاقبة هذا التواني.

فقال السلطان: اردد هؤلاء العامة عنا، وخذ من العساكر ما شئت، والإمدادات تلحقك، قال: فخرجت إلى العامة ومن انضم إليهم، وعرَّفتهم الحال، وأمرتهم بالعود، فعادوا وتفرقوا، وانتخبت من عسكره عشرة آلاف فارس من خيار العسكر، وكتبت إلى عماد الدين زنكي أعرفه الخبر، وإنه لم يبق غير مسير هذا الجيش إليه، فأمرني بتسييرهم، والحث على ذلك، فشرعنا في التحميل للرحيل، وحينئذ وصلني كتاب (آتابك زنكي) من

الشام يُخبر برحيل ملك الروم، ويأمرني بأن لا أستصحب العسكر [1].

المثال الثالث: في عام ( 559هـ = 1164م ) أرسل (نور الدين محمود ) إلى (فخر الدين قرا أرسلان ) أمير حصن (كيفا) يطلب منه النجدة والعون ليرد الصليبيين عن بلاد الإسلام، لكن فخر الدين تقاعس، وسأله مَن حوله على أيِّ شيء عزمت؟. . قال: على القُعُودِ، فإن نور الدين قد تحشَّف (نحف) من كثرة الصوم والصلاة، وهو يُلقي نفسه والناس معه في المهالك، فكلهم وافقه على هذا الرأي، فلما كان الغد أمر بالاستعداد للجهاد، فقال له أصحابه: ما الذي غير رأيك؟. . فارقناك أمس على حالة فنرى اليوم ضدها!. . فقال: إن نور الدين قد سلك معي طريقًا إن لم أنجده خرج أهل بلادي عن طاعتي، وأخرجوا البلاد عن يدي، فإنه قد كاتب عُبَّادها والمنقطعين عن الدنيا، يذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنج، وما نالهم من القتل والأسر، ويستمد منهم الدعاء، ويطلب أن يحثوا المسلمين على الغزاة، وقصد كل واحد من أولئك ومعه أصحابه وأتباعه، وهم يقرءون كتب نور الدين ويبكون ويلعنوني ويدعون عليَّ؛ فلابد من المسير إليه [2].

والمثال الرابع: وفي معركة رمضان (عام 1393هـ = أكتوبر 1973م) زار الرئيس المصري محمد أنور السادات المملكة العربية السعودية في نهاية شهر أغسطس عام 1973م، واستنهض ولي الأمر فيها (الملك فيصل بن عبد العزيز) وضمن ولاءه وعونه ومباركته، وكان له الأثر الكبير في سير المعركة [3].

ثم أرسل رحمه الله الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة لديه إلى الجزائر والمغرب، واستنهض أولياء الأمر فيها، وكان عونهم المالي والعسكري أحسن وأسرع، وله الأثر الحسن في المعركة [4].

---

(1 ) راجع: الكامل .. لابن الأثير 11 / 57 .... ومفرج الكروب لابن واصل 1 / 79، 71 .

(2 ) راجع: جهاد المسلمين في الحروب الصليبية 232، 233 .

(3) راجع: حرب أكتوبر . دراسة ودروس 276، الفريق أول محمد فوزي، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(4 ) راجع: حرب أكتوبر. مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلي 311: 317، ط. رؤية.. مصر.. بتصرف.

## 10 ـ دوام التذكير بالأرض المحتلة، وبوجوب تحريرها

الخطوة القرآنية العاشرة للنصر والتحرير: دوام تذكير المؤمنين بأرض الإسلام المحتلة (في فلسطين وغيرها)، ودوام التذكير بوجوب تحريرها.

وجوب التذكير بفلسطين وتحريرها.

وأقول بوجوب التذكير بالقدس وفلسطين وغيرها من أرض الإسلام المحتلة، والتذكير بوجوب نصرة أهلها، وبوجوب العمل لتحريرها؛ للآتي:

1 ــ يقول الله تعالى: (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (إبراهيم: 5).

وهذا أمر من الله تعالى يُفيد الوجوب والإلزام، ولم يصرفه عن الوجوب صارف، وهو أمر حكاه الله تعالى في خبر موسى عليه السلام؛ ليكون أمْرًا لنا نحن المسلمين أيضًا.. وهو أمرٌ لأولي الأمر ولعلماء الأمة ولعامة المسلمين.

والمراد بقوله سبحانه: (بِأَيَّامِ اللهِ) بما حدث فيها للمؤمنين من أحداث السراء والضراء.. وكل ما مضى على المسلم من خير وشر فهو من أيام الله.

ومعناه المطلوب: أن المسلم يجب عليه أن يقتدي بموسى عليه السلام، في داوم تذكير المؤمنين بالنعم المتعاقبة التي أنعم الله تعالى بها عليهم في الأيام الخوالي، وفي داوم تذكير المؤمنين ــ في كل مكان ــ بالبلايا التي ابتلاهم الله تعالى بها.. بأرضهم المحتلة (في فلسطين وغيرها).. وفي داوم تذكيرهم بوجوب تحريرها واستردادها، وبوجوب الصبر على دوام هذا التذكُّر والتذكير ومشقاته، كما يُشير إليه قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)[1].

2 ــ ويقول الله تعالى لولي الأمر المسلم، وللعلماء العاملين، ولكل مسلم يستطيع التذكير: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات: 55).

---

(1) ذكره الطبري في تفسيره (جامع البيان) 7/ 418 رقم 20581، والتفسير الوسيط 5: 464، وغيرهما.

ومعناه: داوم على تـذكير المـؤمنين بمـا يجـب علـيهم في دنيـاهم وآخـرتهم، ومنـه تذكيرهم بأرضهم المحتلة (في فلسطين وغيرها)، وبوجوب تحريرها مهما ضـعفت لـديهم الأسباب أو انقطعت، ومهما طال وقت الاحـتلال وامتـد، يقـول الله تعـالى: (فَـذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى) (الأعلى: 9، 10).

فما على المؤمنين إلا التذكير، كما يقول الله تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْـتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية: 21، 22)، ويقول سبحانه: (وَمَـا عَلَـى الرَّسُـولِ إِلَّـا الْبَلَـاغُ الْمُبِينُ) (العنكبـوت: 18)، والله غالـب علـى أمـره، وهـو وحـده يتـولى تحقيـق المثوبـة والنتائج، كما يقول سبحانه: (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) (الرعد: 40).

3 ــ وفي حديث النبي ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ^: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ» [1].

ففي قوله ﷺ: (وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ): تحريض للمسلم ليظـل قائمًـا بتـذكير نفسـه وأمته بأرض الإسلام المحتلة، وبوجوب تحريرها، ونُصرة إخوانه المنكـوبين فيهـا.. ويجـب عليه ــ في ذات الوقت ــ أن يتمنى ويتشوَّف إلى المشاركة في الجهاد والتحرير مهما طـال وقت الاحتلال.. ومن ترك هذا وذاك أو تخلف عنه فقد "أشـبه المنـافقين المـتخلفين عـن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد إحدى شعب النفاق" [2].

وألمح في أخبار بني إسرائيل أنهم تحركوا للقتال حينما تذاكروا إخراجهم من أرض سكنوها، يقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا)(البقرة: 246).

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، رقم 1910، وأبو داود، في كتاب الجهاد 2502، والحـاكم 2418، وغيرهم.

(2) راجع: شرح صحيح مسلم للإمام النووي 6/ 335، تحت الحديث المذكور.. بتصرف يسير.

وهذا درس لنا نتعلمه في التذكُّر والتذكير بأرضنا المحتلة، وبوجوب تحريرها (في فلسطين وغيرها)؛ ليكون منَّا نحن المؤمنين جيل تأخذه الحمية الإيمانية، وينهض للتحرير، والنبي ﷺ يقول: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ» [1].

قَالَ مُصعب الزبيرِي: مَا رَأَيْت أحدا أعلم بأيام النَّاس من الشَّافِعِي.

ويُروى عَنهُ: أنه قَامَ على تعلم أَيَّام النَّاس وَالْأَدب عشْرين سنة.. وَقَالَ: مَا أردْت بذلك إِلَّا الِاسْتِعَانَة على الْفِقْه [2].

4 ــ ومما يُؤكد وجوب التذكير بأرض الإسلام المحتلة (في فلسطين وغيرها): أنه من المعروف الذي يجب الأمر به، وأن تركه من المنكر الذي يجب النهي عنه، يقول الله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: 104).

و(مِنْ) في قول الله تعالى (مِّنكُمْ) للبيان والتجريد، ومعناه: ليكن المؤمنون كلهم أمة مُتجرِّدة قائمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه وجوب التذكير بأرض الإسلام المحتلة، والتذكير بوجوب تحريرها.

وأحسب أن هذا التذكير بالأرض المحتلة وبوجوب تحريرها من الجهاد الواجب باللسان، والله تعالى يأمر به في قوله: (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً) (الفرقان: 52).. أي جاهدهم بالقرآن، ولا يكون هذا الجهاد إلا باللسان، وهو جهاد كبير لأنه يُصابح المسلم ويُماسيه، ويُلازمه في إقامته وسفره.

والنبي ﷺ يجعل القيام بهذا التذكير جهادًا في سبيل الله ــ باللسان ــ، كما جاء عن عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ أن رسول الله ﷺ يقول: « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ الله فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،

---

1() أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل، رقم 3461، وغيره عن عبد الله بن عمرو.

2() راجع: كتاب الروضتين في أخبار الدولتيْن: النورية والصلاحية 1/ 23: 26، لأبي شامة.

وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ » [1].

* ــ وقد جاء وجوب الجهاد باللسان صريحًا فيما رواه أنس عن النبي ^ قال: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ» [2].

قال ابن دقيق العيد: قال العلماء: ولا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يُقبل في ظنه بل يجب عليه فعله، قال الله تعالى: (فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات: 55).. وقد تقدم أن عليه أن يأمر وينهى، وليس عليه القبول، قال الله تعالى: (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ) (المائدة: 99) [3].

**دوام التذكير بالأرض المحتلة ضرورة.**

5 ــ ومما يُوجب التذكير بالأرض المحتلة (في فلسطين وغيرها) وبوجوب تحريرها: أن إعراض المسلمين عن التذكُّر والتذكير بها يُؤدي إلى نسيانهم لها، وخاصة في زحمة مشاغلهم ومتاعبهم في حياتهم الدنيا؛ حتى يتمكن العدو من احتلالها، ولا يجد من يُجاهده، ويُحررها من احتلاله.

والنسيان إذا طال أمده عامًا بعد عام يقتل الهمم ويُوهن العزائم، وقد يُؤدي إلى الخذلان، والسكوت عن الاحتلال والهوان.. فكما كان النسيان سببًا في مخالفة آدم عليه السلام أمر ربه، كما في قول الله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) (طه: 115) فكثيرًا ما يكون سببًا في مخالفة المسلمين أمر ربهم، بترك أرض الإسلام مُحتلة؛ مما يكون سببًا في طمع عدوهم فيهم.

وكم من أقطار كانت إسلامية عامرة بأهلها المسلمين، وتحكمها شريعة الإسلام، ثم احتلها العدو، وجعلها أقطارًا غير إسلامية، ونسيها المسلمون حتى أصبحت نسيًا

---

(1) أخرجه مسلم 50، وأحمد 4379، والبيهقي في الكبرى 20178، وغيرهم .

(2) صحيح.. أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم 2504، والنسائي في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، رقم 3096، وابن حبان 4708، وأحمد 12246، وغيرهم.

(3) راجع: شرح الأربعين النووية 112، لابن دقيق العيد (ت: 702هـ)، ط. مؤسسة الريان.. مصر.

منسيًّا، ويصعب عليهم الآن تحريرها.

وآية هذا أن المسلمين كانت لهم في جزر الفلبين (دولة وشعبًا وإدارة)، فغزاها الصليبيون الأسبان بقيادة الصليبي (ماجلان) واحتلوها، وقتلوا أكثر أهلها [1]، ونسيهم المسلمون في باقي أرجاء الدولة الإسلامية، وأقام الصليبيون على أنقاضهم دولة لهم، وغيروا اسمها الوطني، وجعلوه (الفلبين)، نسبة إلى ملكهم (فيليب الثاني).

وبمرور الأيام والسنين نسي المسلمون أن لهم أرضًا إسلامية وشعبًا ودولة في هذه الجزر، ونسوا التذكير بوجوب تحريرها؛ حتى أصبحت نسيًا منسيًّا

وفي الأندلس أيضًا كانت للمسلمين دولة عامرة، وحينما ضعفوا، ونسيهم المؤمنون في باقي دولة الإسلام اعتدى عليهم أعداؤهم، واحتلوا أرضهم وديارهم.

---

(1) منذ أن وصل (ماجلان) إلى جزر (الفلبين) فاحت رائحته الصليبية حتى ملأت الجو بحقده البغيض الذي يحمل معه روائح جثث الموتى الكثيرة التي لاقى أصحابها حتفهم بأيدي الصليبية.

ففي جزيرة من هذه الجزر كان عليها سلطان مسلم يُدعى (لابو. لابو)، وبمجرد أن علم الأسبان أن الحاكم مسلم ثار حقدهم الصليبي، وصبوا جام غضبهم على سكانها المسلمين، حيث طاردوا النساء، وسطوْا على الطعام، فقاومهم الأهالي، فأضرم الأسبان النار في أكواخ السكان، وفروا هاربين.

رفض (لابو. لابو)، المسلم الخضوع لماجلان، وحرَّض سكان الجزر الأخرى عليه، ورأى ماجلان الفرصة مناسبة لإظهار قوته وأسلحته الحديثة؛ حتى يُرهب بقية الأمراء والسلاطين، وذهب مع فرقة من جنوده مُزوَّدين بأسلحتهم الحديثة لقتال (لابو. لابو) وتأديبه.

طلب ماجلان من (لابو. لابو) قائلًا: «إنني باسم المسيح أطلب إليك التسليم، ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد»، فأجابه السلطان المسلم (لابو. لابو): «إن الدين كله لله، وإن الإله الذي أعبده هو إله جميع البشر على اختلاف ألوانهم». ثم هجم على ماجلان وقتله بيده، وشتت شمل فرقته، ورفض تسليم جثته للأسبان، ولا يزال قبره هناك في جزيرة (سيبو) شاهدًا على ذلك (راجع: الكشوف الجغرافية 35، 37، لمحمود شاكر، ط. المكتب الإسلامي.. بيروت).

ويبدو أن الأسبان أكملوا طريقهم الاحتلالي في هذه الجزر حتى أصبحت غير إسلامية، وأطلقوا عليها اسم (الفلبين) نسبة إلى الحاكم الأسباني وقتئذ (فليب الثاني).

ونسي المسلمون أن يذْكُروا ويُذكِّروا بأرضهم المحتلة في الأندلس، ونسوا التذكير بوجوب تحريرها عامًا بعد عام، وعقدًا بعد عقد حتى أصبحت نسيًا منسيًا، واستساغ المسلمون تركها، وترك تحريرها، وأصبح تحريرها في نظرهم بعيد المنال، ولعل قولنا هذا يكون تنبيهًا يُعيد التذكير بها، والتذكير بوجوب تحريرها.

وشاعرنا الإمام حينما رأى اعتداء الصليبيين الصرب على دولة المسلمين في البوسنة والهرسك خشي أن ينساها المسلمون كما نسوا الأندلس فتضيع كما ضاعت الأندلس، فقال:

أفلسطينًا أم أندلسا * في البوسنة نشهدها بأسى.

(سراييفو) تبكي محنتها * كالقدس وما أغلى القدسا.

أندلس أخرى اليوم، وقد * كنا أُنسينا الأندلسا [1].

وأخيرًا في عام 1432هـ = 2011م انشق السودان، وانفصل جنوبه عن شماله، وأضحى دولة غير مسلمة، ونسيه المسلمون، ولم نعد نسمع عنه في أي قناة من قنوات الإعلام.. وحينما سمع أحد المسئولين الجنوبيين عن تمني رجوع الجنوب إلى شماله، قال بشماته: هذا كتمني رجوع الأندلس إلى العرب [2].

وإني ــ والله ــ أدق ناقوس الخطر.. فأخشى أن تنقرض الأجيال التي تعرف حقيقة احتلال اليهود لفلسطين، وحقيقة ما جرى لأهلها من إيذاء وتشريد وخذلان، وتأتي أجيال أخرى لا تعرف عن ذلك شيئًا؛ فينسى المسلمون القدس وفلسطين حتى تكون أندلسًا أخرى، وقد رأيت الإعلام الإسلامي، بعدما يُسمَّى بثورات الربيع العربي (1432هـ = 2011م) وما معه من مشاكل ومتاعب شغلت المسلمين؛ فلم يعودوا يذكرون فلسطين واحتلال اليهود لها، وتركوا الحديث عن وجوب تحريرها، ولم يعودوا

---

(1) راجع: المسلمون قادمون 99.

(2) سمعت هذا من لسانه في حواره مع الإعلامي (محمد كريشان) على شاشة قناة الجزيرة الفضائية القطرية.

يعرفون ما يجري لأهلها من اعتداء وتشريد!! [1].

أجل، إذا كان هذا التذكُّر والتذكير فرض عيْن على كل مسلم، فهو يتفاوت بتفاوت مقدار ما أوتيه كل مسلم من العلم والقوة ووسائل التذكير.. فعلى أولياء الأمر أن يرتبوا أمر هذا التذكير، وبيان الحقائق، ووضع النظم التي تقوم بواجب التذكير بالأرض المحتلة، وبالتحرير المطلوب وبالإعداد له.. ويكون على العلماء واجب التذكير في دروسهم ــ التحريرية والشفوية ــ.. ويكون واجبًا على عامة المسلمين، كل منهم في محيط وجوده وبمقدار طاقته أن يرشد وأن ينصح [2].

6 ــ وقد قلت في موضع سابق: إن مما يُعين على الأمل في النصر والتحرير: أن يظل ذِكْر فلسطين ووجوب تحريرها حيًّا في ذاكرة المؤمنين، يذكرونه ويُذكِّرون به، ولا ينسونه ليلًا ولا نهارًا، ويُعرِّفون به صغارهم وكبارهم، جيلًا بعد جيل.

وقد قالوا في الحكمة: حياة الشيء مذاكرته.. وقالوا أيضًا: أحيوا الحق بذكره.. وأميتوا الباطل بهجره.

وقيل لبعض بني أمية: ما سبب زوال ملككم؟.

فذكر منها: قلة التيقظ، وشُغلنا بلذاتنا عن التفرغ لمهماتنا... وكان زوال ملكنا استتار الأخبار عنَّا فزال ملكنا عنَّا بنا [3].

وهذا من أسباب تكرار قصص الأنبياء عليهم السلام في كثير من سور القرآن الكريم؛ حتى يظل المسلم في تلاوته للقرآن الكريم يذكر دائمًا توحيد الله تعالى، والدعوة إليه، ولا ينساه، وحتى يظل ذاكرًا جهود الأنبياء عليهم السلام في تبليغ شريعة الله تعالى، وحتى يظل ذاكرًا ما تحملوه من إيذاء في سبيل ذلك ولا ينساهم، فيثبت على التوحيد

---

(1) أذكر هنا: أن المكتبات في دول عربية عدبدة بعد ما سموه: الثورات المضادة (للربيع العربي؟!) تخشى أن تنشر كتابًا يتحدث عن القدس أو فلسطين واحتلال اليهود لها، ومظالم اليهود فيها... الخ.

(2) تعبير تصرفنا فيه بما يُناسب المقام من كلام الشيخ محمد أبي زهرة في زهرة التفاسير 3 / 1344.

(3) راجع: المحاسن والمساوئ 146، لإبراهيم بن محمد البيهقي، ط. دار المعارف.. مصر.

وشريعته، ولا تنتابه شكوك ولا نسيان، يقول الله تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ)(الإسراء: 106).

ويقول سبحانه: (وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (هود120).

قال أبو شامة: وقد اختار الله سبحانه لنا نحن المسلمين أن نكون آخر الأمم، وأطلعنا على أنباء من تقدم لنتعظ بما جرى على القرون الخالية، (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) (الحاقة: 12) [1].

وكما كتب الله تعالى على المؤمنين دوام التذكير والبلاغ كتب سبحانه أنه لا يُضيع أجر إحسانهم في قيامهم بالتذكير والبيان، يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) (الكهف: 30).

وبدوام التذكير بالأرض المحتلة، وبالإلحاح في بيان وجوب تحريرها ينتفع المؤمنون، وسنجد فيهم آذانا صاغية، وعقولًا واعية، إن لم يكن في وقت التذكير ففي وقت لاحق، وإن لم يكن في جيل بعينه فسيكون في جيل آخر، كما يقول الله تعالى في ختام الآية الكريمة: (فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات: 55).. وفي قول الله تعالى: (سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى) (الأعلى: 10).

قال الأستاذ علي الطنطاوي: والقرآن ــ الذي يجد فيه مَن يحسن فهمَه كلَّ ما يحتاج إليه في دنياه وآخرته، في فكره وسلوكه ــ علّمنا أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأنها وإن لم تُعطِهم ما ليس عندهم تضع تحت أيديهم وأعيُنهم ما بَعُد عنهم ممّا هو عندهم [2].

أمَّا إذا تركت الأمة كلها (حكومة وشعبًا) هذا الواجب، ولم ينهض به واحد منهم ــ إهمالًا أو كسلًا أو تخاذلًا ــ فقد باءت كلها بالوزر ولحقها الإثم، وخانت مسئوليتها، وتركت أرض الإسلام للاحتلال، واستسلمت لاغتصاب ديارها وحقوقها، وطمع فيهم

---

1) راجع: كتاب الروضتين في أخبار الدولتيْن: النورية والصلاحية 1/ 23: 26، لأبي شامة .

(2) راجع: ذكريات علي الطنطاوي 5/ 182، لعلي بن مصطفى الطنطاوي (ت:1420هـ)، ط. دار المنارة.. جدة.

من لم يستطع الدفاع عن نفسه.

وبعدما كتبت هذا وجدت مفتي فلسطين الأسبق الشيخ محمد أمين الحسيني قال في معرض حديثه عن معالجة قضية تحرير فلسطين: أن تعمل أبناء الأمة العربية في سائر أقطارها وأمصارها على ذِكْر فلسطين وقضيتها كذكرهم أنفسهم أو أشد ذكرًا، والدعاية الواسعة لها، وتدريس تاريخها في سائر مدارسها، وترديد اسمها وكارثتها في الصحف والمجالس والمدارس، وأن تُوزع خريطتها وصور أماكنها المقدسة في كل مكان، وأن تفعل في ذلك فوق ما فعلته فرنسا حينما انتُزعت منها (الألزاس واللورين) إذْ فرضت على جميع الفرنسيين أن يضعوا خريطتهما في بيوتهم ومتاجرهم وكنائسهم، وأن يدرسوا تاريخهما وجغرافيتهما في معاهدهم قبل سائر الولايات الفرنسية، وأقامت بالإضافة إلى ذلك نصبًا تذكاريًا رمزًا (للألزاس واللورين) في مكان خاص بالعاصمة الفرنسية؛ ليحج إليها الفرنسيون من سائر الطبقات؛ تذكيرًا لهم بهذا الجزء الذي اعتبروه مغصوبًا من الوطن الفرنسي.

وأن تُصلح الأمة العربية (والإسلامية) الخطأ الفادح، بل الخزي الفاضح الذي اقترفته بإهمالها ذكْر فلسطين، وقبولها بطمس اسمها ومحوْ رسمها من خريطة العالم، إذْ أصبح القسم الذي احتله اليهود من فلسطين يُدعى (إسرائيل)، والقسم الآخر المجاور لنهر الأردن (الضفة الغربية)، ولم يبق حاملًا اسم (فلسطين) إلا منطقة غزة...، وعلى الأقطار العربية أن تعنى كل العناية بنشر اسم فلسطين وتاريخها وقضيتها بأوسع نطاق، وإلزام جميع المدارس العربية والإسلامية بتدريسها [1].

وإذا كان هذا التذكُّر والتذكير واجبًا على كل مسلم في العالم الإسلامي فإنه أشد وجوبًا على أهل الأرض، كما قال الكاتب الفلسطيني ناصر الدين النشاشيبي: يجب على الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم أن يتواصلوا بأن يُصدروا جرائد ومجلات ونشرات فلسطينية تحمل أخبارهم، ووفياتهم ومواليدهم.. قضيتهم.. نجاحاتهم

(1) راجع: أسباب كارثة فلسطين 195، لمفتي فلسطين، الشيخ أمين الحسيني، ط. دار الفضيلة.. مصر

وفشلهم.. صراعاتهم وحوادثهم ومشاكلهم.. زيجاتهم.. تعليقاتهم ومقترحاتهم وآراءهم وطموحاتهم.. مؤسساتهم ومنظماتهم.. وكل فلسطيني يعتبر نفسه حيثما كان (مراسلًا) مُتطوعًا وصحفيًّا مُنتسبًا، ومشتركًا في كل جريدة او مجلة أو نشرة تصدر في أي بقعة من بقاع العالم، وهكذا تزيد الابتلاءات الفلسطينية تماسكًا وتعارفًا وتعاونًا وتراحمًا وتعاطفًا، ويُقدمون الأسوة الحسنة لكل العرب والمسلمين، وبهذا يكونون قوة لا تُهزم من أي عدو أيًّا كان [1].

وأذكر بكل اعتزاز صيحة شيخنا محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الأسبق، قال: يجب أن تبذل الأمة العربية والإسلامية قصارى جهدها في التذكير بقضية فلسطين، وأن تقوم وسائل الإعلام المختلفة في كل دولة ــ منها ــ بالدعاية الواسعة لها، وأن يُدرس تاريخها في المدارس والجامعات، وأن تُوزع خريطتها وصور أماكنها المقدسة في كل مكان، وبذلك تبقى نكبة فلسطين حية في القلوب والمشاعر.

إن هذا الجيل الذي عاصر مأساة فلسطين سوف ينقرض، وستأتي بعده أجيال أخرى ــ تجهلها ــ فإذا لم نُذكِّرها بهذه المأساة، ونربطها بقلوبهم دينيًّا وسياسيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا فإنها ستصبح نسيًا منسيًّا، ولن يمر وقت طويل حتى تختفي مأساة فلسطين من قلوبهم كما اختفت مأساة الأندلس بمرور الأيام وتعاقب السنين.

إن فلسطين هي من بلاد المسلمين المقدسة، ففيها المسجد الأقصى الذي كان الإسراء إليه، والذي هو أولى القبلتيْن، والذي هو أحد المساجد الثلاثة التي لا تُشد الرحال إلا إليها، ففي الحديث الشريف: لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى [2].

وفي فلسطين كثير من المعابد والمقدسات، ففيها قبور بعض الأنبياء، كإبراهيم وموسى وداود ــ عليهم الصلاة السلام ــ ، وفيها قبور عدد كبير من الصحابة، كأبي

---

(1) راجع: أسباب كارثة فلسطين 195، 196، لمفتي فلسطين، الشيخ أمين الحسيني.

(2) أخرجه البخاري 1189، ومسلم 1397، وغيرهما.

عبيدة بن الجراح وعبادة بن الصامت والفضل بن العباس وشداد بن أوس، وغيرهم من الصحابة والتابعين ﷺ، ولاشك أن بقعة من أرض المسلمين فيها كل هذه المقدسات جديرة بأن تُذكر وتُكرر مأساتها على الأسماع في كل زمان ومكان [1].

**موضوعات التذكير بالأرض المحتلة.**

ومن صور التذكير بالأرض المحتلة: قراءة خبر الإسراء والمعراج في القرآن والسنة، وأكثرها يتعلق بفلسطين.. وبقراءة تاريخ موسى عليه السلام وبني إسرائيل في القرآن الكريم، وفي سُنة النبي ﷺ.. وبقراءة تاريخ القدس وفلسطين، وما جرى عليها من وقائع الاحتلال والتحرير في التاريخ الإنساني، كأخبار الفتح الإسلامي لفلسطين، وأخبار الاحتلال الصليبي لها، ثم تحرير صلاح الدين لها، وأسباب احتلال اليهود لها في عصرنا، والعوامل التي ساعدتهم في هذا الاحتلال.. ومتابعة أخبار المؤمنين العاملين فيها، ومتابعة أخبارهم الجهادية، ومعانتهم بسبب هذا الجهاد... الخ.

والتذكير بسيرة وأخبار المجاهدين والمرابطين والشهداء في فلسطين، وإشاعة أخبارهم، مثل: عز الدين القسام، وأحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وغيرهم.

وسائل التذكير بالأرض المحتلة وصوره.

ووسائل هذا التذكير بالأرض المحتلة وبوجوب تحريرها كثيرة، وأكبرها: اللسان وما يقوم مقامه كالقلم.. وله صور عديدة، نذكر منها:

1 ــ البيان الشفهي بالخطب والدروس والمحاضرات التي تُخاطب الناس بألسنتهم (لغاتهم) المختلفة؛ لتُبيِّن لهم، وتُخاطبهم على قدر عقولهم.

2 ــ ومنها البيان التحريري المكتوب باللغات المختلفة، عن طريق الكتب والرسائل والبحوث والمقالات التي تُخاطب الناس على مختلف مستوياتهم.. وفي كتب مناهج التعليم والتربية الدراسية في دور التعليم المتعددة.

3 ــ ومنها الحوار الشفهي والمكتوب، وهو مأمور به في قول الله تعالى: (وَجَادِلْهُم

(1) راجع: بنو إسرائيل في القرآن والسنة 688، 689، د. محمد سيد طنطاوي.

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن) (النحل: 125).

4 ــ توزيع خريطة فلسطين الجغرافية، وصور أماكنها المقدسة في البيوت والمتاجر والمساجد والمدارس وأدوات الإعلام، وفي المناهج الدراسية ، وغيرها. .

الأدوات الحاملة للتذكير بالأرض المحتلة (فلسطين وغيرها).

هذا، والأدوات الحاملة لهذا الجهاد التذكيري كثيرة، يتمخض عنها كل عصر بما يُناسبه، نذكر منها في عصرنا الآتي:

1ــ الإعلام المقروء، كالكتب والرسائل والصُّحف اليومية والدورية.

2 ــ الإعلام المسموع، كالإذاعة، وغيرها.

3 ــ الإعلام المرئي، كالرائي (التلفزيون)، وشبكة (الإنترنت)، وغيرها".

4 ــ الكتابات الجدارية.. وسيلة إعلامية وتثقيفية وتذكيرية سريعة، يلجأ إليها من لم يجدوا وسيلة إعلامية ملائمة بدلًا من الإعلانات، فيشغلون ظواهر جدران البيوت والمُنشآت العامة والخاصة المُطلة على الشوارع والميادين الظاهرة، وكراسات وكتب الدراسة التعليمية.. وتذاكر المواصلات (السيارات والقطارات والطائرات والسفن)، فيكتبون عليها عبارات مختصره تُذكِّر بالاحتلال وبوجوب مجاهدته حتى يزول الاعتداء وتتحرر الأرض، مثل عبارات: (الإسلام هو الحل).. (فلسطين إسلامية).. (القدس أولى القبلتيْن).. (لبيك يا قدس).. (لبيك يا فلسطين).. (الجهاد فرض عيْن حتى تتحرر الأرض).. (فلسطين سوف تعود).. الخ.

5ــ تحية الوداع المطلوبة للتذكير: إلى اللقاء، العام القادم في القدس.

ومن الوسائل الجميلة التي تُعين على التذكُّر والتذكير بفلسطين أن يختم المسلمون لقاءاتهم في المناسبات وغير المناسبات بالدعاء بتعجيل النصر والتحرير، وأقترح أن تكون

تحية الوداع: إلى اللقاء، العام القادم نلتقي في المسجد الأقصى إن شاء الله [1].

وأن يكون دعاء المؤمن لأخيه المؤمن في كل وضوء وبعد كل صلاة: (في الأقصى إن شاء الله)، وهو دعاء بتحرير المسجد الأقصى وشد الرحال إليه، والوضوء والصلاة فيه، مثلما يقولون في الوضوء: (زمزم)، وبعد كل صلاة: (حرمًا)، وكل منهما دعاء بالسفر إلى مكة، والوضوء بماء زمزم، والصلاة في المسجد الحرام

وخلاصة القول: إن المؤمنين في إعدادهم لتحرير أرضهم المحتلة (في فلسطين وغيرها) يجب عليهم أن يداوموا على التذكير بها، ويُداوموا على التذكير بوجوب تحريرها والإعداد له مهما طال وقت احتلالها، ومهما ضعفت لديهم الأسباب أو انقطعت، فإن الله تعالى لن يُضيعهم، وسُيمكنهم مما يشتهون.. وإن غدًا لناظره قريب.. (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) (هود: 81).

---

(1) وقد عرفت أن اليهود من قديم ظلوا يتذكرون دولتهم الأولى في القدس ـــ مع صغر حجمها، وقصر عمرها ـــ، وكانت تحية الوداع لديهم في كل اجتماع لهم وفي كل مناسبة: إلى اللقاء في العام القادم سنلتقي في فلسطين، كما قال الزعيم اليهودي (ثيودور هرتزل)، وكما قالت (جولدا مائير) رئيسة وزراء إسرائيل: اختتم الحاخام = = الصلاة بقوله: إلى اللقاء العام القادم في القدس(راجع: الدولة اليهودية 49، لثيودور هرتزل، ط. دار الزهراء.. مصر.. وحياتي ص 197، لجولدا مائير) .

وحينما دمَّر البابليون دولتهم الأولى وسبوهم إلى بابل، قال أحد شعرائهم:

على أنهار بابل جلسنا وبكينا على ذكرى صهيون .....

ولئن نسيتك يا أورشليم فلتنس يميني حذقها.

وليلتصق لساني بسقف حلقي إن لم أذكرك يا أورشليم.

وإن لم تكوني لدي خيراً من أفراحي.

(راجع: قصة الحضارة 2 / 358، ويليام جيمس ديورَانت. ط. دار الجيل.. بيروت).

وأولى بالمسلمين في عصرنا أن يفعلوا هذا، ولا يملوا منه، وإن لم نتعلم من قرآننا وسنة نبينا ^ فلنعتبر بأعدائنا، والحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها ـــ ولو لدى عدوه ـــ فهو أحق بها، وقد قيل: رب جوهرة في مزبلة.

## 11 ـ تنصيب القيادة الإسلامية الواعية.

**الخطوة القرآنية الحادية عشر للتحرير: تنصيب القيادة الإسلامية الواعية.**

هذه الخطوة يصنعها الشعب المسلم، فالحاكم إفْراز شعبه، وقد قيل: كما تكونوا يُولَّ عليكم، ويقول الله تعالى: (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (الأنعام: 129).. والشعب المسلم الذي تربى في رعاية الإيمان يأبى أن يحكمه مُستبد ظالم، ولا يرضى أن يحكمه إلا مسلم حُر، يقوده بالحرية الإنسانية إلى الاستقرار والقوة والجهاد والتحرير.

والقيادة في ذات الوقت تُؤثر في شعبها وتُوجهه، حتى قال الحكيم: (الناس على دين ملوكهم).. وجاء عَن عمر بن الْخطاب رَضِي الله عَنهُ قَالَ: يَزع الله بالسلطان أعظم مِمَّا يَزع بِالْقُرْآنِ [1].

**تنصيب القيادة الإسلامية الواعية فريضة شرعية.**

ولا أحسب أن واحدًا من الناس في حاجة إلى بيان أهمية القيادة للدولة والشعب؛ فهذا أمرٌ معروف بالفطرة؛ حيث لا تنتظم الدولة ولا تستقر إلا به.

والمؤمنون ليسوا بدعًا من الناس، فلابد لهم في دولتهم من سلطان قائم، يقوم على أمرهم، ويُقيم فيهم فرائض الإسلام، ويستثمر الموارد، ويمنع الرعية من أن يظلم بعضهم بعضًا، ويُعد بهم العدة لحماية بيْضتهم، وتحرير أرضهم المحتلة، وقديمًا قال أبو منصور الثعالبي: أشرف منازل الآدميين: النبوة ثم الخلافة [2].

ولهذا اتفق الراسخون في العلم على أن القيادة الإسلامية موضوعة لتقوم مقام النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به، وعقدها لمن يقوم بها واجب شرعي بالإجماع، ودليل ذلك ما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ ثَلاَثَةٌ فِي سَفَرٍ

---

(1) راجع: الدر المنثور في التفسير بالمأثور 5 / 329، ط. دار الفكر.. بيروت.

(2) راجع: الشهب اللامعة في السياسة النافعة 62 .

فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» [1].

فإذا كان تنصيب الأمير على ثلاثة في سفر واجبًا فهو أشد وجوبًا على المؤمنين في دولتهم الإسلامية.

والصحابة رضي الله عنهم حينما أيقنوا أن رسول الله ^ قد فارق الحياة الدنيا تركوه ﷺ في بيته بغير تجهيز، وسارعوا إلى (سقيفة بني ساعدة)، واختاروا حاكمًا يرعى الدولة والإسلام.. وقال لهم أبو بكر في خطبته: (ألا وإنّ محمّدا قد مات، وأنّه لا بدّ لهذا الدّين من إمامٍ يقوم به).. فسارعوا إلى اختياره قائدًا لدولتهم، واجتمعوا على ذلك [2].. وفي ظل سلطانه قاموا بتجهيز رسول الله ^ ودفنه.

قال ابن خلدون: إن نصب الإمام واجب، قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر ﷺ وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يُترك الناس فوضى في عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام[3].

وإذا لم يُقِم المؤمنون على دولتهم قيادة إسلامية واعية ترعى الإسلام، وتحمي بيْضته فقد ارتكبوا حرامًا وإثمًا مبينًا، واختلَّ أمرهم، ووهنت قوتهم، وطمع فيهم عدوهم، وكان إيذانًا بترك فرائض الإسلام، فريضة بعد فريضة حتى لا يبقى لهم سوى الصلاة، فإذا تركوها لم يعد لهم من فرائض الإسلام شيء، كما جاء عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ رَسُولِ الله ^ قَالَ:

«لَيُنْقَضَنَّ عُرَى (فرائض) الإِسْلاَمِ عُرْوَةً عُرْوَةً فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلاَةُ »[4].

---

(1) صحيح .. أخرجه أبو داود 2608، وابن حبان 2132، وأبو يعلى 1054، وغيرهم.

(2) راجع: سيرة ابن هشام 4/ 364، رقم 2096.. وحدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار 397.

(3) راجع: مقدمة ابن خلدون 1 / 98.

(4) صحيح .. أخرجه أحمد 22160، وابن حبان 22160، والحاكم 7022، وصححه، وغيرهم.

ولهذا يُحذر النبي ﷺ المؤمنين من ترك تنصيب القيادة الإسلامية الواعية، فعَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «من مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً» [1].

قال أبو حاتم: قوله ﷺ "مات ميتة الجاهلية" أي حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرًا [2].

تنصيب القيادة الإسلامية الواعية ضرورة تُوجبها المصلحة.

ومن ناحية أخرى فإن تنصيب القيادة الإسلامية ضرورة تُوجبها المصلحة لأجل رعاية الدولة، وتعاليم الشريعة، وإعداد القوة المطلوبة، والنهوض بالجهاد والتحرير.

قال الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ: لابد للناس من إمارة بَرَّة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البَرَّة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟. . قال: يُؤمَّن بها السبيل، وتبقى بها الحدود، ويُجاهَد بها العدو، ويُقسَّم بها الفيء [3].

وقديمًا قال الشاعر الجاهلي: الأفوه الأودي:

لَا يصلح النَّاس فوضى لَا سراة لَهُم * وَلَا سراة إِذا جهالهم سادوا

وَالْبَيْت لَا يبتني إِلَّا على عمد * وَلَا عماد إِذا لم تُرس أوتاد

فَإِن تَجمَّع أَوْتادٌ وأعمدةٌ * يَوْمًا فقد بلغُوا الْأَمر الَّذِي كَادُوا [4].

وقديمًا أدرك المؤمنون بفطرتهم: أنهم لن يستطيعوا النهوض بالقتال والتحرير إلا بقيادة مؤمنة واعية تتولى قيادة أمورهم، ويُقاتلون تحت إمْرتها، يقول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي

---

(1) صحيح.. أخرجه ابن حبان 4573، وأحمد 16876، وأبو يعلى 7357، وغيرهم.

(2) راجع: صحيح ابن حبان 10/ 434، تحت الحديث المذكور رقم 4573.

(3) راجع: منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية 1/ 146 .

(4) راجع:بدائع السلك في طبائع الملك 1/ 107، لابن الأزرق، تحقيق: علي النشار،ط. وزارة الإعلام العراقي.

سَبِيلِ الله قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ الله وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) (البقرة: 246).

والمسلمون في تاريخهم لم يستطيعوا إعداد القوة، ولا النهوض بالجهاد والتحرير إلا بقيادة إسلامية واعية، قاتلوا تحت إمْرتها وسياستها، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ» [1].

قال النووي: قوله ﷺ: (الْإِمَام جُنَّة) أَيْ: كَالسِّتْرِ؛ لأنه يمنع العدو مِنْ أذى المسلمين، ويمنع الناس بَعضهم من بعض، ويحمي بَيْضَة الإسلام، وَيَتَّقِيه الناس ويخافون سَطْوَته.. وَمَعْنَى (يُقَاتَل مِنْ وَرَائِهِ) أَيْ: يُقَاتَل معه الكفار وَالْبُغَاة والخوارج وسائر أَهْل الفساد والظلم مُطْلَقًا [2].

وحينما فارق النبي ﷺ الحياة الدنيا ارتدت قبائل عربية كثيرة، ومنع بعضها الزكاة فنهض المؤمنون بقيادة أبي بكر الصديق بتجييش الجيش، وقاتلوا المرتدين ومانعي الزكاة، وانتصروا عليهم، وعادت دولة الإسلام قوية آمنة مُطمئنة كما كانت.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ عَظُمَتْ بِهِ مُصِيبَةُ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ، فِيمَا بَلَغَنِي، تَقُولُ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ ارْتَدَّتْ الْعَرَبُ، وَاشْرَأَبَّتْ الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَنَجَمَ (ظهر) النِّفَاقُ، وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ الْمَطِيرَةُ فِي اللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، لِفَقْدِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، حَتَّى جَمَعَهُمْ الله عَلَى أَبِي بَكْرٍ [3].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: لقد أقمنا بعد رسول الله ﷺ مقامًا كدنا نهلك فيه، لولا أن مّنّ الله علينا بأبي بكر[4].

وقال أبو رجاء البصري: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين، ورأيت رجلاً يقبِّل

---

(1) صحيح .. أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم عن أبي هريرة، كما في صحيح الجامع 6044 .

(2) راجع: شرح صحيح مسلم للإمام النووي 12/ 434 .

(3) راجع: سيرة ابن هشام 4 / 378 رقم 2115.

(4) راجع: خلفاء الرسول 83 لخالد محمد خالد .

رأس رجل، ويقول له: أنا فداؤك، ولولا أنت لهلكنا.

قلت: من المقبِّل ومن المقبَّل؟.

قالوا: عمر يقبل رأس أبى بكر في قتال أهل الردة، ومانعي الزكاة حتى أتوا بهم صاغرين (خاضعين) [1].

وفي تاريخنا الإسلامي لم يستطع المسلمون تحرير فلسطين من الاحتلال الصليبي البائد إلا بقيادة إسلامية واعية، عملت على توحيد الأمة، وعلى تعبئتها تعبئة جهادية، وقادتها إلى الجهاد والتحرير، وقد تمثلت هذه القيادة في عماد الدين زنكي (ت:541هـ)، ثم ولده نور الدين محمود (ت: 569هـ)، ثم ثالثهم صلاح الدين الأيوبي (ت: 589هـ)، (رحمهم الله جميعًا)، وكل منهم قام بالجهاد في سبيل الله، ونهض ثالثهم (صلاح الدين) بمعركة التحرير في حطين (22/ 4/ 583 هـ = 1/ 7/ 1187م).. وانتصر فيها المؤمنون، وحرروا القدس.

وكذلك لم يستطع المسلمون هزيمة العدو التتاري وطرده من بلاد الإسلام إلا بقيادة إسلامية واعية، تمثلت في القائد المسلم (قطز)، الذي امتلك القيادة لأجل هذا الهدف الكبير، وهيَّأ الجيش للجهاد في معركة (عين جالوت، عام 658هـ).

فقد كان الملك المنصور (علي ابن الملك عز الدين أيبك) صبي صغير السن، لا يُحسن تدبير الممالك والمعارك.. قال الأمير قُطز: وفى مثل هذا الوقت الصّعب لا بدّ أن يقوم بأمر الملك رجل شهم، يطيعه الناس، وينتصب للجهاد [2].

وتقدم (الأمير قطز) لتولي الحكم بموافقة العلماء، وخاصة بعدما قالوا له: ليس لها غيرك، وقال لهم قُطُز ــ بوضوح ــ: إني ما قصدت السيطرة على الحكم إلا أن نجتمع على قتال التتر، ولا يتأتى ذلك بغير ملك، فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم،

---

(1) راجع: عبقرية الصديق لعباس العقاد 133 ط، وزارة التربية والتعليم بمصر.. وأبو رجاء هو المصري.

(2) راجع: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 7 / 73، ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة.. مضر.

أقيموا في السلطة من شئتم [1].

وفي معركة رمضان عام 1393هـ = أكتوبر 1973م لم تستطع مصر أن تُحقق النصر على العدو إلا بقيادة إسلامية واعية تمثلت في الرئيس الشهيد محمد أنور السادات، الذي قام مع حكومته وجيشه بإعداد العدة، وخوض القتال [2].

وقد رزق الله المجاهدين النصر بقدر إخلاصهم وإعدادهم بعد نكبات طالت بالمؤمنين؛ فكسروا بهذا الانتصار شوكة اليهود المعتدين، وقهروا به استكبارهم، وأزالوا إشاعتهم عن جيشهم: الجيش الذي لا يُقْهر.

**تلاحم القيادة بالرعية سبيل الاستقرار والقوة والنصر.**

وبجوار وجوب تنصيب القيادة الإسلامية الواعية لابد لها من تلاحمها برعيتها؛ فإنه سبيل استقرار الدولة، وإعداد القوة المطلوبة، والنهوض بالجهاد والتحرير.

فالواضح من تجارب الحياة، ومن سنن الله في الخلْق: أن القيادة في الرعية بمنزلة الرأس من الجسد، ولا يحيا كل منهما ولا يستقر إلا بتلاحمه بالآخر في جسد واحد.

قال الماوردي: الراعي والرعية، والسائس والمسوس هما اسمان من أسماء الإضافة، لا بقاء لأحدهما إلا بالآخر، وليست حاجة الراعي إلى الرعية بأقل من حاجة الرعية إلى الراعي. . وليس عز القائد على أعدائه برعيته السامعة له، المطيعة المحبة له، الذابة عنه بأوْهى من قوته بأعوانه وجنوده، ولا خوفه من أعدائه الخارجين من مملكته

---

(1) راجع: قصة التتار 245 د . راغب السرجاني .

(2) الرئيس الشهيد محمد أنور السادات رحمه الله هو أكثر رؤساء مصر بعد الاحتلال الأجنبي ورد على لسانه كلمة: الإسلام.. إسلامي.. مسلم.. وهو الذي قال في مجلس الشعب المصري (29/ 6/ 1400هـ = 14/ 5/ 1980م): أنا رئيس مسلم لدولة مسلمة.. وقال عن مصر: إنها دولة العلم والإيمان.. وأطلق عليه الشعب المصري: الرئيس المؤمن. وقد صدق. . وقد استُشهد رحمه الله في يوم انتصاره (6/ 10/ 1981م).

المخالفين له في ملته بأشد من خوفه من مخالفة قلوب رعيته، بل ما يأتيه من هذه الأبواب كلها من جهة الرعية أبلغ وأرفع وأعظم وأقطع[1].

وإن القيادة الإسلامية الواعية إذا حقَّقت هذا التلاحم برعيتها استقرت الدولة وقويت، واستطاع المؤمنون أن ينهضوا بتنمية مواردهم، وأن يُعدوا العُدة، وينهضوا بالتحرير، كما كانوا في معاركهم الأولى في بدر، وحطين وعين جالوت، وغيرها.

ولهذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إذا اختار واليًا ليُوليه إمارة قطْر من أقطار الدولة يختاره ممن توفرت فيه أسباب التلاحم بالرعية، فقد روى الشَّعْبِيُّ قَالَ: قَالَ عمر: دلَوْني عَلَى رَجُلٌ أستعمله، فذكروا لَهُ جَمَاعَة، فلم يُرضْهم.. قالْوَا: من تريد؟.. قَالَ: من إذا كَانَ أميرهم كَانَ كأَنَّهُ رَجُلٌ منهم، وإذا لَمْ يكن أميرهم كَانَ كأَنَّهُ أميرهم، قالْوَا: مَا نعلمه إلَّا الربيع بن زياد الحارثي، قَالَ: صدقتم [2].

وذكر ابن تغرى بردى في فتح مصر، حيث أرسل المقوقس إلى القائد المسلم عمرو بن العاص رُسُلًا؛ ليُفاوضه في الصلح، فلما رجعت رسل المقوقس إليه سألهم: كيف رأيتموهم؟.. فقال له: (أميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد.... فقال عند ذلك المقوقس: والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد) [3].

أمَّا إذا انفصلت القيادة عن رعيتها ــ بسوء إدارتها ــ ولم تتلاحم بها فقد فقدت صفة الرشد، وكانت شرًا على المؤمنين ودولتهم؛ حيث سيضطرب أمرهم ويختل.. وإذا طال بهم هذا الحال المختل ولم يتداركوا أمرهم ضعفت دولتهم، وهزمهم عدوهم في أدنى مواجهة.

---

(1) راجع: نصيحة الملوك 356 ، 358 للما وردي .

(2) راجع: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال 5/ 763، رقم 14311، للمتقي الهندي (ت: 975هـ).

(3) راجع: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة 1/ 11، 12، ط. قصور الثقافة .. مصر.

وهذا يصب في مصلحة العدو، كما قال الجنرال الإسرائيلي (رفائيل إيتان): إن أية فوضى تدب في قيادة عربية هي لصالح إسرائيل.. وكل ما يزرع الارتباك ويهز أركان أنظمة الحكم في الدولة العربية هو لصالح إسرائيل، ولا داعي للأسف بشأنه [1].

وبالمناسبة أذكر هنا: عندما قام اليهود بحرق المسجد الأقصى في 21/ 8/ 1969م قالت جولدا مائير رئيس وزراء إسرائيل: لم أنم طوال الليل، كنت خائفة من أن يدخل العرب إسرائيل أفواجًا من كل مكان، ولكن عندما أشرقت شمس اليوم التالي أدركت أنه في مقدورنا أن نفعل ما نشاء، فهذه أمة نائمة[2].

والحقيقة أن الأمة ليست نائمة.. بل هي يقظة وواعية وغاضبة، لكنها بعد زوال دولة الخلافة الإسلامية فقدت إدارتها الواحدة، وبات يحكمها في كل قُطْر حُكام كأمراء الطوائف في الأندلس قديمًا، انفصلوا عن شعوبهم، وبات همُّ كل واحد منهم السكون والسكوت والتَّسكين والخُذْلان، والولاء لأعداء الأمة.. همُّ الواحد منهم: البقاء في الحكم إلى مماته، فأضحوا وكلاء سجانين لشعوبهم ليس إلا.

ولهذا يجب على القيادة الإسلامية المطلوبة أن تُمارس الأعمال التي تربطها برعيتها، ليكونا معًا صفًا واحدًا مُتلاحمًا في العمل للاستقرار والجهاد والتحرير.

وقد أثنى النبي ﷺ على القيادة الإسلامية التي تتلاحم برعيتها، وذم ^ التي تنفصل عنها، كما قال عَوْفُ بن مَالِكٍ الأَشْجَعِيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟.

---

(1) راجع: حرب أكتوبر.. شهادات إسرائيلية 122، لوجيه أبو ذكرى.. ط. كتاب أخبار اليوم (274).. مصر.

(2) راجع: حياتي.. جولدا مائير قصة حياة رئيسة وزراء إسرائيل 13، 33، إعداد خليل حنا تادرس.

فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ» [1].

قال الماوردي: هذا صحيح، فإن الإمام إذا كان ذا خير أحبهم وأحبوه، وإذا كان ذا شر أبغضهم وأبغضوه، وأصل ذلك أن خشية الله تبعث على طاعته في خلقه، وطاعته فيهم تبعثهم على محبته، فلذلك كانت محبته دليلًا على خيره، وبغضهم له دليلًا على شره وقلة مراقبته اهـ [2].

## أسباب تلاحم القيادة برعيتها.

وإنما يتحقق التلاحم المنشود بين القيادة والرعية بأسباب كثيرة، نذكر منها الآتي:

**السبب الأول: اختيار الرعية قيادتها برضاها.**

ومعناه: أن تختار الرعية قيادتها برضاها في بيْعة أو انتخابات حُرَّة عادلة، ولأجل هذا فارق النبي ﷺ الحياة الدنيا ولم يُعين قائدًا لدولة الإسلام، وترك المؤمنين يختارون قائدًا لها، فاختاروا بعد موته ﷺ أبا بكر الصديق في بيْعة حُرَّة.

والحاكم الذي يجعل نفسه بالحديد والنار حاكمًا على رعية لا تريده ولا ترضاه لا يقبل الله تعالى منه عبادة، كما بيَّن رَسُول الله ﷺ هذا في قوله:

ثَلَاثَة لَا ترْتَفع صلَاتهم فَوق رؤوسهم شبْرًا: رجل أم قوما وهم لَهُ كَارِهُون [3].

---

(1) صحيح .. أخرجه مسلم 1855، وأحمد 23981، وابن حبان 4589، وغيرهم..

(2) راجع: فيض القدير 3/ 463 تحت رقم 5569.

(3) صحيح.. أخرجه ابن ماجة رقم 971، وابن حبان 1757، وغيرهما عن ابن عباس، كما في مصباح الزجاجة، رقم 354.. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (1/ 119): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.. قلت: إسناده حسن؛ من أجل: يحيى الأرحبي وعبيدة بن الأسود، وباقي رجاله ثقات.. .وتتمة الحديث: وَامْرَأَة باتت وَزوجهَا عَلَيْهَا ساخط وَأَخَوَانِ متصارمان.
قال الترمذي: قد كره قوم من أهل العلم أن يؤم الرجل قوما وهم له كارهون، فإذا كان الإمام غير ظالم فإنما الإثم على من كرهه (راجع: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة 2/ 93، للإمام البوصيري).

فإذا كان هذا في الإمامة في الصلاة، وهي الإمامة الصغرى فكيف بالإمامة الكبرى في الدولة؟!.

**السبب الثاني: رعاية الحرية الإنسانية بين الرعية.**

وهذا من واجبات القيادة الإسلامية الواعية، فتُشجع على التناصح والتواصي بالحق في حرية إنسانية، لا تعرف الفوضى ولا الاستبداد، كما يقول الله تعالى:

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)(العصر: 3 ).

ولهذا يأمر الله تعالى رسوله ^ باعتباره حاكم الدولة، أن يستشير المؤمنين معه في أمورهم، كما يقول الله تعالى: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران: 159).

وأطاع النبي ﷺ أمْر ربه، فكان كثيرًا ما يقول: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ[1].

وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ[2].

**السبب الثالث: العدل بين الرعية.**

والعدل فريضة إسلامية، وسنة إلهية لا تتبدل ولا تتخلف، يقول الله تعالى:

(وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (النساء: 58)، وهو ضرورة لبناء الإنسان، وبناء الدولة واستقرارها، وتلاحم قاعدتها بقمتها.

**السبب الرابع: تولية الأعمال للأكْفاء.**

والقيادة الواعية التي تتلاحم برعيتها تختار لإدارة أعمال الدولة الأكفاء من رعيتها، مثلما اختار ملك مصر يُوسف عليه السلام ليُشاركه في إدارة أعمال الدولة حينما تبين له أنه مكين أمِّين، ولم يكن له عليه السلام في مصر عِرق ولا نسب، يقول الله تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)(يوسف: 54).

وبسبب هذا نجت مصر وما حولها من خطر المجاعة التي حطَّت عليهم.

---

(1) راجع: سيرة ابن هشام، تحقيق السقا 1 / 615 .

(2) راجع: صحيح ابن حبان 4872، والبيهقي في الكبرى 20301، والشافعي في مسنده 626، وغيرهم .

وحينما أسلم عمرو بن العاص ﷺ وخالد بن الوليد ﷺ في (عام 8هـ ) احتفي بهما رسول الله ﷺ وولاَّهما قيادة الجيوش، لما تميَّزا به من الأهلية في قيادة الجيوش.

وحينما أرسل رسول الله ﷺ جيش ذات السلاسل في ذات العام جعل عمرو بن العاص قائدًا له، وتحت إمرته كبار المؤمنين، مثل: أبي بكر وعمر وغيرهما.

وظهر هذا حينما نهى عمرو الجنود أن يوقدوا نارًا؛ للتدفئة بها في ليلتهم الباردة؛ فغضبوا وكلمه بعضهم، فقال له عمرو: أنا القائد لا أنت، فاسمع وأطع، قال أفعل.

وهمَّ عمر بن الخطاب أن يأتيه؛ لينهاه عما أراده به، فنهاه أبو بكر، وقال له: إن رسول الله لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب. . فهدأ عنه [1].

---

(1) راجع: سبل الهدى والرشاد 6/ 262، والحاكم 3/ 264، موسوعة السيرة النبوية 2/ 122.

وفي ذات الوقت منع رسول الله ^ صاحبه أبا ذر من تولي الإمارة؛ لضعفه فيها، كما جاء عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟.. قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» (أخرجه مسلم 1825، وغيره).

الأمم تضعف وتسقط بالضعفاء والمهازيل.

وكما تقوى الأمم وتنتصر بالكفاءات تضعف وتسقط بالقيادات غير الأكفاء.

واعتراض بني إسرائيل على القائد الذي اختاره الله لهم، وقولهم: (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ)(البقرة: 247) يُبيِّن: أنهم بفسادهم اعتادوا أن يُولوا إدارة أعمالهم أغنياءهم ووجهاءهم، وإن كانوا غير أكفاء؛ مما كان سببًا في ضعف قوتهم، وهزيمتهم وإخراجهم من الديار.

و لهذا قال النبي ﷺ للأعرابي الذي سأله: مَتَى السَّاعَةُ؟.. قَالَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». . قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟. . قَالَ: « إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(أخرجه البخاري 59، وغيره).

والساعة كما تكون نهاية الحياة الدنيا (يوم القيامة) تكون نهاية الأمة والدولة وزوالها، فلكل مخلوق أو جماعة أو دولة ساعة، كما يقول الله تعالى: (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) (يونس: 49).

قال الإمام محمد عبده: إن المراد بالساعة في هذا الحديث ساعة الأمة التي تقوم فيها قيامتها، أي: تدول دولتها على حد قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ» (ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة 1183، والألباني في الضعيفة 1166، وغيرهم عن أنس).

وفي (إحياء علوم الدين): أن القيامة قيامتان: القيامة الصغرى، وهي قيامة أفراد الناس بالموت، والقيامة الكبرى وهي: قيامتهم كلهم بانتهاء الحياة الدنيا.

وقد يقال: إن قيامة الجماعات كقيامة الأفراد، والتجوز بالساعة في هذا المقام أقرب إلى اللغة من التجوز بلفظ القيامة؛ فإن القيامة من القيام، وهي: (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (المطففين: 6)، وأما الساعة فهي الوقت المعين مطلقا، ولا يزال الناطقون بالعربية يقولون: جاءت ساعة فلان، أو جاء وقته، والقرينة تعين المراد بذلك الوقت وتلك الساعة، وإن خروج أمر الناس من يد أهله ـــ القادرين على القيام به كما يجب ـــ سبب لفساد أمرهم، ومُدنٍ (أو مُقرِّبٍ) للساعة التي يهلكون فيها بالظلم، أو بخروج الأمر من أيديهم.

وهذا هو سبب سقوط تلك الممالك الواسعة، وذهاب تلك الدول العظيمة، ووقوع ما بقي في أيدي المسلمين تحت وصاية الدول القوية، التي لم تعتز وتقوى إلا بجعل أمرها بيد الأمة، وتوسيد هذا الأمر إلى أهله.

وهو هو الذي تركه المسلمون من إرشاد دينهم، وما تيسر لهم ترك أصول الشورى وتقديس الملوك والأمراء المستبدين إلا في الزمن الطويل بعد أن حجبوا الأمة عن كتاب ربها وسنة نبيها؛ فجهلت حقوقها، ثم أفسدوا عليها بعض أولي الأمر منها، وأسقطوا قيمة الآخرين بضروب من المكايد الدينية والدنيوية (تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا 5/ 174، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.. مصر).

ويُؤكد هذا أن أمريكا في عصرنا استطاعت أن تُزيل من طريقها أكبر إمبراطورية للإلحاد في الأرض، وهي دولة (الاتحاد السوفيتي) التي كانت تُنافسها وتُشاركها في القوة والسيطرة على الدول الصغيرة بغرس الضعفاء والمهازيل في قيادتها، وإدارة أعمالها حتى أنهكتها وأسقطتها إلى غير رجعة.

وهاكم الخبر كما نقله العالم الأزهري الدكتور عبد الودود شلبي رحمه الله، قال: علم الرئيس السوفيتي (أندربوف) أن أحد رجاله يعمل لحساب المخابرات الأمريكية؛ فاستدعاه وسأله عن المعلومات التي قدمها إلى المخابرات الأمريكية؟.. فقال له: إنني لم أقدم أية معلومات إلى أمريكا أبدًا! !. =

بهذه الأسباب تتلاحم القيادة برعيتها، وتستقر الدولة وتقوى.

الحذر من مكائد الأعداء ودسائسهم.

وفي ذات الوقت يجب على المؤمنين الحذر من مكائد الأعداء ودسائسهم، فإنهم يُدركون أن المسلمين في عصرنا لا ينقصهم إلا حاكم مسلم، يحكمهم بالإسلام، وإنهم إذا وُجدوه فسريعًا ما يلتفون حوله، ويندفعون معه إلى الجهاد والتحرير.

* ــ ففي القديم قال ملك فرنسا لويس التاسع بعدما أسره المسلمون في دار ابن

---

فأعاد ( أندربوف ): لماذا دفعوا إليك كل هذه الأموال إن لم تكن قدمت لهم شيئًا؟!. . فأجاب المسئول الخائن قائلاً: إن كل ما طلبه مني الأمريكيون كان ينحصر في منع أي شخص كفء يصل إلى السلطة، والحيلولة بينه وبين الصعود إلى القمة (راجع: الأزهر إلى أين.. ص 145، لعبد الودود شلبي).

وفي عالمنا الإسلامي يُطبق المُستبدون هذه الخطة الخبيثة في شعوبهم ودولتهم؛ حيث يعملون لاستبعاد الكفاءات عن إدارة أعمال الدول، وتوليتها لذوي الثقة لديهم من غير الأكْفاء؛ ولهذا بقينا ضعفاء.

قال أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي رحمه الله رئيس تحرير مجلة الأزهر، في مقدمته لمجلة الأزهر (في 5/ 1428 هـ = 6/ 2007م): ولا ننسى هنا أن نذكر حقيقة أليمة هي: أن الارتقاء إلى المناصب القيادية المصرية منذ قامت الثورة (1952)، وكذلك التعيين في كثير من الوظائف، لا يخضع إلى الكفاءة الذاتية، بل إلى (تقارير وزارة الداخلية)، فكم من كفاءات أهدرت في الترقية وفي التعيين، وتقدم مكانها من لا يبلغ مبلغها من الدراية والإخلاص، لأن تقريراً مغرضاً كاذباً، قال عن المرشح المسكين: إنه وفدى أو إخواني أو شيوعي، فألغى كل مؤهل دراسي، وعصف بكل تقدم علمي؛ وهكذا أخذت القيادات تمتلئ بالإمعات ممن لا يشتهرون بنباهة أو كفاءة، فإذا رأينا ظواهر التفاهة والوصولية تنتشر في كل مجال، فقد عرفنا علة العلل، وهي سوء الاختيار .

ومن المناسب أن نذكر هنا أن من الأسباب الأساسية لنكبة العلمانيين العرب أمام اليهود، عام 1948م، 1956م، 1967م، وغيرها: تولية غير الأكفاء، وقد قيل في القواعد العسكرية: ليس هناك وحدات رديئة، ولكن هناك ضُبَّاطًا تعوزهم الكفاءة (راجع شهادة الفريق: صلاح الدين الحديدي في كتابه: شاهد على حرب 1967م، مثل: ص 13: 17، 61، ط. دار الشروق.. مصر).

لقمان بالمنصورة في وصيته للصليبيين: إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة باتباع الآتي ــ وذكر منها ــ:

1 ــ عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية من أن يقوم فيها حُكْم صالح.

2 ــ إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء؛ حتى تنفصل القمة عن القاعدة [1].

ومن قريب حذَّر المستشرق البريطاني (مونتجمري وات) الصليبيين من هذا، فقال في جريدة (التايم) اللندنية في آذار عام 1968م: إذا وُجد القائد المُناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كإحدى القوى السياسية العظمى في العالم مرة أخرى[2].

* ــ وقال الزعيم الإسرائيلي (ابن جوريون ): إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد من جديد[3].

* ــ قال (آفيف كوخاف) رئيس هيئة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية قال: إن انتشار التيارات الإسلامية ووصولها إلى الحكم هو خطر داهم على إسرائيل [4].

ولهذا يعمل الأعداء في عصرنا بكل مكائدهم ودسائسهم إلى منع هذا القائد المسلم من تولى القيادة في الأقطار الإسلامية.

وذكر الجاسوس البريطاني (لورانس): هدفنا إقامة حكومة عربية ثابتة على قواعد متينة ووطنية تصلح لأن تُستخدم لأهداف سلمية، حماسة الثورة وتجردها [5].

---

(1) راجع: قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله 34، 44 .. ط. دار السلام.. مصر.

(2) راجع: الغرب والإسلام وفلسطين 208، لمحمود طلب النمورة، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

(3) راجع: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله 30 .عن جريدة الكفاح الإسلامي لعام 1955م .

4 ) راجع: جريدة عداء اليهود للحركة الإسلامية 64.

(5) راجع: أعمدة الحكمة السبعة 440، للجاسوس البريطاني توماس أرنولد لورانس.

وحينما مات الجاسوس الأسباني (كونزاليز ماتا) نُشرت وثيقته التي يُحدثنا فيها عن التنظيم الذي يحمل اسم نادي (بليد بيرج) وأحد مهامه: إنشاء القيادات ودفعها إلى مواقع السلطة، حيث تصير أدواته الثابتة؛ لتحقيق أهدافه [1].

وفي إحدى جلسات الكنيست اليهودي احتدم النقاش بين نائب من حزب المتدينين المتطرفين وبين مناحيم بيجن رئيس الوزراء الإسرائيلي حول اتفاقية (مخيم داود)، فهاجم النائب المتطرف بيجن متسائلًا عما إذا كانت الحكومة قد وضعت في حسابها إمكانية وصول المُتعصبين المسلمين إلى الحكم في مصر.

فأجابه (بيجن) مُطمْئنًا أن ذلك لن يحدث مطلقًا، لأن دولًا وجهات عديدة بالإضافة إلى إسرائيل لن تسمح بذلك [2].

وذكر الدكتور جمال عبد الهادي: أن الصليبيين واليهود في عهد (هربرت صموئيل) المندوب السامي البريطاني على فلسطين أنشأوا دولة (شرق الأردن، ونصَّبوا عليها الأمير عبد الله، ونصَّبوا على جيشه ــ في الأكثر ــ قادة عسكريين بريطانيين؛ لأجل منع أي محاولة عربية وإسلامية تتسلل لإنقاذ الشعب الفلسطيني عن طريق هذه الجهة .. أي أن مهمة حكومة الأردن حماية اليهود في (إسرائيل) [3].

وآية هذا أن واحدًا من المسلمين رأى هذه المكيدة رأْي العين، ويُدعى عبد القادر الجزائري، فحشد رجاله، وخطب فيهم مُعلناً بأن رجال الحكم ليسوا سوى صنائع بريطانية، ودعا إلى القضاء على حكمهم في المهد؛ خدمة للدين وللخلافة.. قال الجاسوس البريطاني: وبما أن جنوده كانوا معتادين على الطاعة دون مناقشة فقد اعتبروا كلامه منزلًا، وهبوا لمحاربتنا.

وفي صباح اليوم التالي جاء لإيقاظي مواطن يرتجف من الخوف، وأبلغني بأن عبد

---

(1) راجع: كيف تُفكر إسرائيل 136، سلسلة قراءة في فكر علماء الاستراتيجية، كتاب 3، جزء 2.

(2) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 59، 60.

(3) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 210.

القادر قد أعلن الثورة على الحكم الذي أقمناه في الأمس [1] (!).

وما نجح اليهود في قتل أهل فلسطين في الجنوب اللبناني إلا بصناعة قيادات مسيحية تتبعهم، فقد كتب اليهودي (موسى شاريت) أحد رؤساء الوزارة الإسرائيلية في يومياته في 16/ 6/ 1956م: وفقًا لـ (ديان) فالأمر الضروري الوحيد هو العثور على ضابط صغير الرتبة، إمَّا أن نتوصل إلى إقناعه، أو أن نشتريه بالمال، من أجل أن يقبل بإعلان نفسه مُنقذًا للسكان الموارنة (المسيحيين)، وعندئذ يدخل الجيش الإسرائيلي لبنان، فيحتل المنطقة اللازمة، ويُقيم نظامًا مسيحيًّا، يكون حليفًا لإسرائيل.....

ثم ذكر بعد بضعة أيام: استحسن رئيس هيئة أركان الحرب فكرة شراء ضابط لبناني يقبل بأن يكون دُمْية بيدنا، بطريقة تجعل الجيش الإسرائيلي يبدو وكانه مُستجيب لنداء من أجل تحرير لبنان من مضطهديه المسلمين. اهـ.

مما سبق يتبيَّن لنا سبب الحرب الأهلية في لبنان أكثر من عشر سنوات، وبروز الدمى العميلة القميئة، أمثال الهالك: (سعد حداد، وأنطوان لحد)، وما يُسمى بجيش لبنان الجنوبي المتواطئ مع إسرائيل علانية، ويُفسِّر لنا دور (بشير الجميل) وحزب الكتائب، وعقده معاهدة التحالف مع إسرائيل، وتعيينه رئيسًا للبنان على أسنة الحراب الإسرائيلية، وبدء نشوء الكيان المسيحي المستقل المتحالف مع إسرائيل، لولا أن عاجله الله بما قضى عليه قبل أن يُنفِّذ المُخطط اللئيم.

ثم يُفسِّر لنا الحرب ــ الأهلية ــ في بيروت الشرقية؛ لحسم الصراع حول تمثيل المارون، وكذلك قيام ما يُسمَّى بمنطقة (حزام الأمن) في جنوب لبنان المحتل حتى نهر الليطاني، ومحاولة فرض الأمر الواقع تمهيدًا لضمه إلى إسرائيل [2].

---

(1) راجع: أعمدة الحكمة السبعة 441، للجاسوس البريطاني توماس أرنولد لورانس.

(2) راجع: صراع الوجود والبقاء.. فلسطين 114، د. أبو بكر خليل.

## 12 ـ إعداد القوة المطلوبة للتحرير.

**الخطوة القرآنية الثانية عشر للتحرير: إعداد القوة المطلوبة للتحرير** [1].

هذه الخطوة سُنة من سُنن الله تعالى الضرورية للنصر والتحرير؛ فإن الجندي مهما كانت قوة تدريبه وشجاعته وثباته لا يُقاتل بغير سلاح مناسب، يُغالب به سلاح عدوه، والله تعالى يقول: (وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) (النساء: 102).

وقديمًا قيل: الإعداد للمعركة لا يقل أهمية عن المعركة ذاتها، بل هو أهم منها، فهو يُوفر كثيرًا من الدماء، ويُحقق النصر والتحرير بأقل الخسائر.

وجوب إعداد القوة المطلوبة بقدر الاستطاعة.

وما دام تحرير الأرض المحتلة واجبًا شرعًا فإن إعداد القوة اللازمة لذلك يكون واجبًا شرعًا، وقد قال الفقهاء: ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.

فلا يجوز للمؤمنين ترك هذه الخطوة ــ إهمالًا أو كسلًا أو تهاونًا أو غفلة ــ ، والله تعالى يقول: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (الأنفال: 60).

الأمر في قوله سبحانه: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ) يُفيد الوجوب، ولم يصرفه عن الوجوب صارف.. وجاءت كلمة: (قُوَّةٍ) بصيغة التنكير لتشمل كل أنواع ومفردات القوة المطلوبة للتحرير.. وجاءت كلمة (مِنْ) قبل كلمة (قُوَّةٍ) لتأكيد هذا العموم.. وقوله سبحانه: (مَا اسْتَطَعْتُمْ) يُوجب بذل الجهد في إعداد القوة بقدر الاستطاعة، فلو كان في

---

(1) وهذا لا يُنافي التوكل على الله تعالى، بل هو عيْن التوكل عليه سبحانه، كما جاء عَنْ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أُرْسِلُ رَاحِلَتِي وَأَتَوَكَّلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ قَيِّدْهَا وَتَوَكَّلْ» وفي رواية: «اعقِلْهَا وَتَوَكَّلْ» (صحيح.. أخرجه الحاكم 6616، وابن حبان 731، وغيرهما).

استطاعة المؤمنين التفوق على عدوهم في القوة فيجب عليهم وجوبًا عيْنيًّا أن يتفوقوا عليه، وإذا لم يفعلوا فقد ارتكبوا حرامًا وإثمًا مبينًا، وعاقبهم الله تعالى.

هذا، وقد لاحظت من قراءة وقائع التاريخ أن المؤمنين إذا بذلوا جهدهم في إعداد القوة ثم عجزت قوتهم أو انقطعت لديهم الأسباب؛ فلم يستطيعوا مساواة عدوهم في القوة أو التفوق عليه أكمل الله تعالى لهم نقصهم، وقوَّى عجزهم، ورزقهم النصر الذي يُريدون، كما رأينا في غزوة بدر؛ حيث أمدهم الله تعالى بمدد من عنده بعدما بذلوا جهدهم في استخدام الأسباب في إعداد القوة.. الخ[1].

وفسر النبي ﷺ القوة بأنها الرمي، فقال: «أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[2]، لأن الرمي في حقيقة الأمر أصل كل قوة، ومعظم عملها.

* ــ ومن مفردات القوة المطلوبة: صناعة الحديد، يقول الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ)(الحديد: 25).

فقوله سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) إشارة إلى الصناعات الحربية. . وقوله سبحانه: (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) إشارة إلى الصناعات المدنية.. وقوله سبحانه: (وَلِيَعْلَمَ

---

(1) وقبل هذا سيدنا موسى عليه السلام بعدما استخدم الأسباب في نجاة قومه من بطش فرعون ثم انقطعت لديه الأسباب، وعندئذ (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) (الشعراء ــ 61: 63)، ونجا موسى عليه السلام وقومه.

ورسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة استخدم كل أسباب النجاة التي استطاعها، وكان في مقدمتها: اليقين بمعية الله تعالى له، وقال لصاحبه أبي بكر: (لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا) (التوبة: 40)، وعندئذ (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: 40).

(2)صحيح.. أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد وغيرهم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، كما في صحيح الجامع 2633 .

الله مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) إشارة إلى أنه يجب على المؤمنين أن يستخدموا هذه الصناعات الحديدية (المدنية والحربية) لنُصرة الإسلام، وتحرير أرضه المحتلة.

قال علماء الأزهر: وفي تخصيص الحديد بالذكر، مقرونًا بالبأس والمنفعة لمحة إلى أن فيه من معدات القوة ما يحرس الأمن، ويحفظ التوازن بين الأفراد والجماعات والأمم، والحديد أصل وأساس لكل تقدم صناعي وحضاري؛ ولذا كان جديرًا أن تسمى به السورة دون غيره من الأمور التي ذكرت فيها أو عرضت لها [1].

وقد علَّم الله تعالى نبيه داود عليه السلام صناعة السلاح الحربي؛ ليستخدمه المؤمنون في حروبهم للدفاع عن أنفسهم وحُرماتهم، كما يقول سبحانه: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) (الأنبياء: 80).

والنبي ﷺ يقول: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَمُنْبِلَهُ...» [2].

* ــ ومن مفردات القوة المطلوبة للنصر والتحرير: الدبابة والطائرة، ويُقْسم الله تعالى بها، فيقول: (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً) (العاديات: 1).

والعاديات هي الخيل التي تعدو في الحرب ولها صوت الضُباح.. وهي آلة القتال وقتئذ، ويُساويها في عصرنا الدبابة والعربة المُجنزرة والطائرة وغيرها.

وقد أقسم الله تعالى بها ليُنبه المؤمنين إلى أهميتها في جهادهم، وإلى وجوب العناية بها في الإكثار من عددها وإعدادها (إذا كانت دابة)، وتجويدها وتطويرها (إذا كانت آلة)، والتدريب على استخدامها، كما جاء عن أبي هريرة رضيَ الله عنه قالَ: قالَ النبي ﷺ «مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ الله إِيمَانًا بِالله وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» [3].

---

(1) راجع: التفسير الوسيط 9 / 1305.

(2) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ .. وفي سنده ضعف، وذكره الألباني في ضعيف السنن .. وأن قوله: ( ليس من اللهو ) صحيح .. ومع هذا فإن متْنه مقبول.

3) أخرجه البخاري 2853، والنسائي في الكبرى 4407،وأحمد 8866، وابن حبان 4673، وغيرهم .

* ــ والنبي ﷺ في سيرته الجهادية اشتغل بإعداد القوة المطلوبة للجهاد في عصره بقدر استطاعته، فكان ﷺ في كل غزوة يزيد في عدد الجيش وفي عُدَّته، وفي تطوير أسلحته، ولم يفتر عن ذلك لحظة من حياته ﷺ، فبينما كان الجيش في غزوة بدر أربعة عشر وثلاثمائة جنديًّا، فيهم فارسان، وظل ﷺ يُكثر في عدد الجيش، وفي عُدته حتى بلغ في غزوة تبوك ثلاثين ألفًا من المجاهدين، فيهم عشرة آلاف فارس.

وفي غزوة الأحزاب استشار النبي ﷺ المؤمنين معه في طريقة مقاتلة العدو، فقال سلمان الفارسي ﷺ: إنَّا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا على أنفسنا.

فاستحسن رسول الله ﷺ ــ باعتباره ولي الأمر ــ هذا السلاح الجديد، وسارع بتنفيذه. . وحفر المؤمنون الخندق كاملاً في شهر، وكان طوله لا يقل عن خمسة آلاف ذراع، بعمق لا يقل عن سبعة أذرع، وعرض لا يقل عن سبعة أذرع.

وفوجئ الأعداء بهذا السلاح الجديد الذي لم يعرفوه من قبل، وحاروا في أمره، وعجزوا عن اختراقه، ووقفوا على مشارفه مشدوهين عاجزين، وقالوا: إِن هَـذِه المكيدة مَا كَانَت الْعَرَب تكيدها [1].

وحينما علم رسول الله ﷺ أن في اليمن تقدمًا وتطورًا في صناعة الأسلحة الحربية ــ وكانت اليمن يومئذ واقعة تحت الحكم الفارسي ـــ أرسل ^ صاحبيه: عروة بن مسعود، وغيلان بن سلمة إلى (جرش) باليمن فتعلما صناعة الدبابات والمنجنيقات والعرَّادات، وغيرها من آلات الحرب المتطورة، ورجعا إلى المدينة، وصنعا هذه الآلات الحربية في المدينة صناعة وطنية.

وفي غزوة (الطائف) استخدم رسول الله ﷺ والمؤمنون هذه الأسلحة الوطنية الجديدة التي صنعها المسلمون وطوروها بأيديهم، ولم يعرفها العرب من قبل، مثل:

1 ــ المنجنيق. . وهو من أسلحة الحرب الثقيلة التي تنال من الأعداء منالاً كبيرًا، فحجارته ثقيلة تهدم الحصون والأبراج، وقنابله تحرق الدور والمعسكرات.

(1) راجع: الدرر في اختصار المغازي والسير 1 / 174، وموسوعة غزوات الرسول 3/ 155:157 .

ذكر ثور بن يزيد: أن النَّبِيَّ ﷺ نَصَبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ [1].

2 ــ الدبابة. . وكانت يومئذ عبارة عن حجرة صغيرة من الخشب يختبئ فيها الرجال من سهام الأعداء، ويتقدمون بها لنقض الجدران والحصون.

3 ــ الحسك الشائك. . ( سلاح الألغام ) وهو عبارة عن خشبتين مُتقاطعتيْن على شكل صليب، وتبرز فيهما المسامير، وتُدفن في سطح الأرض، وتبقى المسامير بارزة؛ لتتعثر بها أقدام المقاتلين وخيولهم، فتجرحهم وربما تُميتهم بصدئها، وتعوقهم عن التقدم، حتى يتمكن المؤمنون منهم، وربما يموت من يُصاب بها. وهذا أصل سلاح الألغام، وقد استخدمه النبي ﷺ في وقت مبكر.

ذكر أصحاب المغازي: أن رسول الله ﷺ استخدم هذا السلاح لأول مرة في حصار الطائف، حيث أمر جنوده بنشر الحسك الشائك حول الطائف [2].

* ــ ومن مفردات القوة المطلوبة: التطوير الدائم في نظام القتال، وترتيب عمل أسلحته، وقد أحدث النبي ﷺ تطورًا كبيرًا في نظام القتال لدى العرب وقتئذ، فقد كان القتال لديهم فرديًا، وكرًّا وفرًّا دون تنظيم وتعاون بين أنواع الأسلحة، فأدخل النبي ﷺ قتال الصف أو الكتائب والأسلحة، وأدخل التعاون والتكامل بين أنواع الصفوف أو الكتائب والأسلحة، فجعل ﷺ كتيبة للرماة، وكتيبة أخرى لحملة الرماح، وكتيبة أخْرى لحملة السيوف. . . الخ.

وجعل رسول الله ﷺ لكل كتيبة عمل يُكمل عمل الكتيبة الأخرى، فكان الرماة من حملة النبال يرمون الأعداء من بعيد (المدفعية الآن)، فإذا دنوا منهم تناولهم حملة الرماح برماحهم وطعنوهم، حتى إذا اختلط الناس ضربوا بسيوفهم.

---

(1) أخرجه الترمذي 292، وابن ماجة 2810، وغيرهما .

(2) راجع: السيرة النبوية للصلابي 2/ 1212،1211 .

ووضع رسول الله ﷺ في غزوة أحد كتيبة من الرماة (المدفعية الآن) خلف الجيش لحماية ظهره من التفاف الأعداء عليه من الخلف؛ لإرغام العدو على الاستسلام أو الهزيمة بأقل الخسائر في صفوف المؤمنين [1].

وفي هذه الأخبار يجب أن يتعلم المؤمنون أمريْن في إعداد القوة المطلوبة للجهاد:

الأول: وجوب الانتفاع بكل علم مفيد، وكل سلاح جديد، وإن كان من اختراع غير المسلمين، فالعلم التجريبي سُنَّة كوْنيَّة، ولا دين له ولا جنسية. . والحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها.

الثاني: أن يُعنى المسلمون بالصناعة الوطنية، فيصنعون أسلحتهم بأنفسهم، ويُطوِّرونها في مصانعهم بقدر الاستطاعة، كما جاء عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَمُنْبِلَهُ» [2].

وعَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب ﷺ قَالَ: كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ الله ﷺ قَوْسٌ عَرَبِيَّةٌ، فَرَأَى رَجُلاً بِيَدِهِ قَوْسٌ فَارِسِيَّةٌ فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟. . أَلْقِهَا، وَعَلَيْكُمْ بِهَذِهِ وَأَشْبَاهِهَا وَرِمَاحِ الْقَنَا (الرمح) فَإِنَّهُمَا يَزِيدُ الله بِهِمَا فِي الدِّينِ، وَيُمَكِّنُ لَكُمْ فِي الْبِلاَدِ » [3].

---

(1) راجع: المدرسة العسكرية 219، 220 . بتصرف .

(2) حسن.. أخرجه أحمد 17300، وابن ماجة في كتاب الْجِهَادِ، بَابُ الرَّمْيِ فِي سَبِيلِ الله، رقم 2811، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 295، وغيرهم.

(3) أخرجه ابن ماجة في كتاب الْجِهَادِ، رقم 1810، وغيره.. وفي إسناده: أشعث بن سعيد.. وشيخه عبد الله بن بسر، وأولهما أشد ضعفًا من الثاني (راجع: الأحاديث الضعيفة 4499).. وذكره أبو داود في المراسيل، رقم 331، وقال: قد أسند هذا الحديث، وليس بالقوي.. وعبد الله بن بسر هذا ليس بالقوي.

قلت: لكن متنه صحيح، وقد ذكرناه للاستئناس به ليس إلا.

وتظهر أهمية تصنيع السلاح الوطني حينما طلب ضباط ثورة يوليو 1952م في مصر من أمريكا تسليح الجيش المصري فسوَّفت في الرد وماطلت؛ خشية أن يصل السلاح للجيش المصري،

* ــ واقتدى المسلمون برسول الله ﷺ في ابتكار وسائل جديدة لسير القتال، فخالد بن الوليد فاجأ العدو الرومي في معركة اليرموك بنظام الكراديس (مفرده كردوس)، وهي: المجموعات من الجنود، وهو أشبه بقتال الكتائب أو العصابات .

وفي معركة الزلاقة فاجأ يوسف بن تاشفين الصليبيين بنظام الكمائن التي دخلت ساحة المعركة في الوقت المناسب [1].

وممن اقتدى بالنبي ﷺ في صناعة السلاح الوطني: السلطان القائد: صلاح الدين الأيوبي رحمه الله ، فقد ذكر المؤرخون أنه أراد أن يُكافئ شابًا مسلمًا دمشقيًا، اسمه (علي) ــ وكان خبيرًا بصناعة النحاس وعمل الكيمياء، ويعمل في الأسطول الحربي الإسلامي ــ، وقد صنع آلات قتالية كانت قوة للمؤمنين في معركة التحرير، وأحرق

---

وتتعرض دولة إسرائيل للخطر (راجع: الطريق إلى فلسطين 420، نقلًا عن لعبة الأمم وعبد الناصر 145، 147، 156، 157).

ومن يقرأ كتاب (البحث عن الذات ) للرئيس محمد أنور السادات يرى أهمية العناية بالتصنيع الوطني اللازم للمعركة، فقد كانت مصر تعتمد في سلاحها على (الاتحاد السوفياتي) ــ صديق مصر يومئذ ــ .. وكان الرئيس المصري يطلب من هذه الدولة بإلحاح أن تبيع لمصر السلاح المطلوب، ولكن هيهات، فالعدو هو العدو وإن لبس لباس الصديق .. ففي ص270 ذكر الرئيس السادات: أن هذه الدولة باعت لمصر كباري من كباري الحرب العالمية الثانية، يعني قد تجاوزها الزمن، وأبت أن تبيع لمصر كباري حديثة الصناعة يومئذ (بِ . إم . ب)، وقال رحمه الله: كل المعدات الحربية التي باعها الاتحاد السوفياتي لمصر وضعت مصر وراء عدوها (إسرائيل) عشر خطوات، أي في معركة العاشر من رمضان 1393هـ = 6/ 10/ 1973م (بتصرف).

وقال: آه، لو أعطوني مائة دبابة فقط قبل وقف إطلاق النار لتغيَّر وجه التاريخ، نعم، لتغيَّر وجه التاريخ، ولتمكَّنت قواتنا المسلحة أن تدفع اليهود إلى حدود عام 1967م، ما في ذلك شك (راجع: من أوراق السادات 249، لأنيس منضور، ط. دار المعارف.. مصر).

ترى لو أن قادة مصر أقاموا الصناعة الوطنية التي تلزمهم في دفاعهم، هل كان يُمكن لعدوهم أن يتحكم فيهم؟!.

(1) راجع: عوامل النصر عبر تاريخنا الإسلامي 24، ط. دار الفكر.. بيروت.

بصناعته التي اخترعها أبراجًا حربية ضخمة للأعداء (الفرنج) من داخل أسوار (عكا)، وفاجأ بها الأعداء لأول مرة.

لكن الشاب الدمشقي أبى أن يأخذ أجرًا لقاء عمله في سبيل الله [1].

ومثله: السلطان محمد بن مراد الفاتح فاتح القسطنطينية (استانبول).. حينما جاءه المهندس المجري (أوربان ) ــ وهو أمهر صانعي المدافع في زمانه، وكان محبًا للمال وجمعه.. فاحتفى به السلطان وفتح له خزائن المال والعطايا، ثم سأله : هل يُمكن أن تصنع مدافع أكبر من التي صنعتها حتى الآن؟ .. فأجاب أوربان: في استطاعتي أن أصنع لك مدفعًا يدك أسوار القسطنطينية ولو كانت في مناعة أسوار بابل، غير أني مهندس ولست جنديًا ؛ فلا أعرف أين تُوضع المدافع، فبادره الفاتح ضاحكًا بقوله: أنا الجندي ، وما عليك إلا أن تصنع المدافع التي أريدها ، أما أين توُضع؟.. وكيف تُصوَّب؟.. فدع ذلك لي.. وصنع أوربان المدافع التي طلبها منه الفاتح، وعاونه في هذا مهندسان تركيان، وانتفع بها الجيش التركي أيما انتفاع، وحقق بها النصر ، وفتح الله تعالى مدينة القسطنطينية (استانبول) [2].

* ــ ومن أسلحة القوة المطلوبة للتحرير: أخْذ الحذر المُستمر، والانتباه الدائم لمكائد الأعداء ومكرهم، ولو كان المؤمنون قائمين بالصلاة، والله تعالى يقول: (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذىً مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً)(النساء: 102).

قال القرطبي: وفي الآية أدل دليل على تعاطي الأسباب، وحمل السلاح باستمرار، واتخاذ كل ما ينجي ذوي الألباب، ويوصل إلى السلامة، ويبلغ دار الكرامة.

---

(1) راجع: أيام صلاح الدين، لعبد العزيز سيد الأهل 156، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.. مصر.

(2) راجع: بين العقيدة والقيادة 398، 399، لمحمود شيت خطاب، ط. دار القلم.. دمشق.

وقد تكرر الأمر بأخذ الحيطة والحذر والأهبة في قوله تعالى: (وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ.. وَخُذُوا حِذْرَكُمْ)، وهو يُفيد الوجوب، ويجعل الحذر آلة قتالية يتحصن بها المقاتل، فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ بالحذر؛ ليدل على تأكيد وجوب اليقظة والتأهب والحذر من العدو في كل الأحوال، واجتناب الاستسلام للعدو، فإن الجيش ما جاءه مصاب قط إلا من تفريط في حذر [1].

وقوله سبحانه: (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً)، هذا نهي عن الغفلة عن إعداد (أَسْلِحَتِكُمْ) القتالية، وعن إعداد (أَمْتِعَتِكُمْ) أي قوتكم الاقتصادية، التي بها قوام حياة الأمة في الداخل، وقوام القتال في المعركة، ولا تجعلوا لأعدائكم سبيلًا عليكم، وهذا الخطاب عام للمؤمنين.

ذكر محمد رشيد رضا: (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً)، أي بما هداكم إليه من أسباب النصر، كإعداد كل ما يستطاع من القوة وأخذ الحذر، والاعتصام بالصلاة والصبر، ورجاء ما عند الله من الرضوان والأجر، فالظاهر أن عذاب الإهانة في قوله تعالى: (عَذَاباً مُهِيناً) هو عذاب الغلب، وانتصار المسلمين عليهم إذا قاموا بما أمرهم الله ــ تعالى ــ به من الأسباب النفسية والعملية [2].

**دوام التدريب على استخدام السلاح.**

* ــ ومن مفردات القوة المطلوب إعدادها للجهاد: استمرار التدريب على السلاح؛ ليبقى العلم به وباستخدامه حيًّا وحاضرًا في عقول الجنود، ولينًا سهلًا على أيديهم؛ فإذا باغتهم عدوهم كانوا أقدر على استخدامه، وأسْرع في رد العدوان، حتى يُيسِّر الله لهم النصر في أقصر وقت، وأقل الخسائر، وقد قال خبراء الحروب: إن العرق في التدريب يُوفر الدم في الحروب.

---

(1) راجع: تفسير القرطبي 7 / 108، 109.

2) راجع: تفسير المنار 5 / 306.

وكان النبي ﷺ يُحرِّض المؤمنين على استمرار التدريب على الرمي، ولو بقصد اللهو وملء فراغ الوقت؛ حتى تظل مهارتهم في استخدامه حيَّة وحاضرة، والنبي ﷺ يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمُ الله، فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ»[1].

وقَالَ سَلَمَةَ بْنَ الأَكْوَعِ ﷺ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ (يتسابقون في الرمي) فَقَال: «ارْمُوا بَنِى إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا، ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِى فُلاَنٍ».

قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ.

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ »؟. قَالُوا: كَيْفَ نَرْمِى وَأَنْتَ مَعَهُمْ؟.

وفي رواية أخرى: قالوا: من كنت معه فأنَّى يُغْلَب؟!. . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلُّكُمْ »، «فرموا عامة يومهم، فلم يسبق أحدهم الآخر»[2].

وفي ذات الوقت ينهى النبي ﷺ أن يغفل المؤمنون عن التدريب على أسلحتهم، خشية أن ينسوا استخدامها، كما يقول ﷺ: «من علم الرمي ثم تركه فليس منا»[3].

ويقول ﷺ: « من ترك الرمي بعدما علمه، رغبة منه فإنها نعمة كفرها»[4].

ويَقُولُ ﷺ: «ارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، لَيْسَ مِنَ اللَّهْوِ إِلاَّ ثَلاَثٌ: تَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمُلاَعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْىَ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا»، أَوْ قَالَ: «كَفَرَهَا »[5].

---

(1) صحيح .. أخرجه مسلم 4924، وأحمد 17433، وغيرهما عن عقبة، كما في صحيح الجامع 3607 .

(2) صحيح .. أخرجه البخاري 2899، والدار قطني والحاكم وغيرهم، كما في صحيح الترغيب 1280 .

(3) صحيح . . أخرجه مسلم 4926، وغيره وهو في صحيح الجامع 6395 .

(4) صحيح . . أخرجه وأبو داود والنسائي وأحمد، وغيرهم عن أبى هريرة، كما في صحيح الجامع 6142 .

(5) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ .. وفي سنده ضعف، وذكره الألباني في ضعيف السنن .. وأن قوله: ( ليس من اللهو ) صحيح .. ومع هذا فإن متْنه مقبول.

وقد استجاب الصحابة ﷺ لهذا التوجيه النبوي، فكانوا أحرص الناس على استمرار التدريب على الرمي وركوب الخيل ولو كانوا في حال اللهو والتسلية.

قَالَ عَطَاءُ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ: رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَنْصَارِيَّيْنِ يَرْمِيَانِ قَالَ: «فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَجَلَسَ». . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: «أَكَسِلْتَ؟ ». . قَالَ: «نَعَمْ». . فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ الله فَهُوَ لَعِبٌ، لَا يَكُونُ أَرْبَعَةٌ: مُلَاعَبَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَتَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ (الهدفيْن) وَتَعَلُّمُ الرَّجُلِ السَّبَّاحَةَ [1].

وكان عقبة بن عامر على كبر سنه يتدرب على الرمي، فقال له فُقيم اللخمي: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَدَيْنِ الْغَرَضَيْنِ وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ؟. . قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلاَ كَلاَمٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ أُعَانِهِ.. قَالَ الْحَارِثُ بن يعقوب: فَقُلْتُ لعبد الرحمن بن شُمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟.. قَالَ: إِنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا أَوْ قَدْ عَصَى» [2].

التخطيط للمعركة، وترتيب أعمالها.

* ــ ومن مفردات القوة المطلوب إعدادها للجهاد والتحرير: التخطيط الجيد للمعركة، والتخطيط لترتيب أعمالها، وتطويرها عند اللزوم.

والتخطيط والترتيب سنة من سنن الله تعالى في الخلْق، كما يقول الله تعالى: (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) (نوح: 14)؛ وأعمالهم لا تُؤتي أكلها إلا بالتخطيط والترتيب.

فإذا كانت المعركة بإعداد مُحكم، وتخطيط مدروس، يُحدد ترتيب أسلحتها ترتيبًا يُؤدي إلى تكاملها كان النصر أقْرب وأيْسر، بخلاف ما لو كانت المعركة عشوائية بغير إعداد ولا تخطيط؛ فإن الهزيمة تكون أسرع.

---

(1) صحيح .. أخرجه النسائي في الكبرى 8889، وغيرها، كما في صحيح الترغيب 1282.

(2) صحيح أخرجه مسلم 4926، وغيره عن عقبة بن عامر، كما في صحيح الترغيب 1293.

والإسلام يُوجب التخطيط والإعداد، ويُحرِّم الارتجالية والعشوائية.. ويُوجب النظام والترتيب، ويُحرم الفوضى والاعتباطية، والله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً) (النساء: 71).

والأمر بأخذ الحذر أمْر بالإعداد والتخطيط والترتيب لخوض القتال، هل يكون النفير (ثُبَاتٍ) أي بطريق العصابات المُنظمة، وحرب الاستنزاف، أو يكون (جَمِيعاً ) أي بطريق الكتائب والجيوش النظامية؟.

والنبي ﷺ في سيرته أقام أعماله السلمية والحربية على التخطيط والإعداد.

* ــ ففي غزوة بدر مثلاً أعدَّ رسول الله ^ جيش المؤمنين في صفوف وأسلحة وكتائب، وخطَّط لسير القتال وتكامل أسلحته على النحو الآتي:

أولًا: قام ﷺ باختيار المكان الذي يُعسكر فيه الجيش.

قال الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَمُوحِ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَنْزَلَكَهُ الله، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ؟. . أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟.

قَالَ: بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ نُغَوّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ (الآبار)، ثُمّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ.. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرّأْيِ.... فَنَهَضَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ النّاسِ ونفذوا رأي الْحُبَابَ [1].

ثانيًا: ثم بنى المسلمون للنبي ﷺ مقر القيادة أو حجرة العمليات العسكرية، كما أشار عليه خبير آخر بالحروب، وهو سعد بن معاذ ﷺ، قَالَ: يَا نَبِيّ الله، أَلَا نَبْنِي لَك عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ، وَنُعِدّ عِنْدَك رَكَائِبَك، ثُمّ نَلْقَى عَدُوّنَا، فَإِنْ أَعَزّنَا الله وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْت عَلَى رَكَائِبِك، فَلَحِقْت بِمَنْ

1) راجع: سيرة ابن هشام 2 / 278 رقم 735، وتاريخ الطبري 2 / 440، والبيهقي في الدلائل 3 / 35.

وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْك أَقْوَامٌ يَا نَبِيّ الله مَا نَحْنُ بِأَشَدّ لَك حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنّوا أَنّك تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلّفُوا عَنْك، يَمْنَعُك الله بِهِمْ يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَك. . ثُمّ بُنِيَ لِرَسُولِ الله ﷺ عَرِيشٌ فَكَانَ فِيهِ يُشرف على أرض المعركة، ويُتابع سير القتال.. ثم اختار النبي ﷺ فرقة من الشباب بقيادة سعد بن معاذ ﷺ لحراسة مقره [1].

ثالثًا: وفي الليل وقبل ابتداء المعركة اختار رسول الله ^ موقفًا قتاليًا لجيشه يُعينه على التفوق القتالي والاستمرار فيه حتى نهاية القتال، حيث جعلهم يتجهون إلى الغرب لتكون الشمس خلفهم؛ حتى لا تُؤثر على أعينهم بشعاعها أثناء القتال.

وبهذا وضع رسول الله ﷺ أعداءه في موقف قتالي لا يحسدون غيره، بأن يكونوا في مواجهة الشمس أثناء القتال؛ فتُشغلهم بشعاعها؛ مما يُضعف رؤيتهم وحركتهم [2].

رابعًا: صَفّ النبي ﷺ جيشه صفوفًا وكتائب متراصة بعضها خلف بعض بانتظام محكم، حسب عمل الأسلحة وترتيبها وتكاملها في القتال، فأوقف الرماة وأصحاب الرماح في الصفوف الأولى؛ ليصدوا هجمات الفرسان. . وهذا التخطيط يُسميه خبراء الحروب في عصرنا بـ: العمق الاستراتيجي.

خامسًا: ووضع ﷺ خطة سير المعركة، وعمل الأسلحة فيها؛ ليُكمل بعضها بعضًا أثناء القتال.. قَالَ أَبوأُسَيْدٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ صَفَفْنَا لِقُرَيْشٍ وَصَفُّوا لَنَا: «إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَعَلَيْكُمْ بِالنَّبْلِ» [3].

وفي رواية أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَكْثَبُوكُمْ - يَعْنِى إِذَا غَشُوكُمْ - فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ» [4].

وفي رواية أخرى لأبي داود أن رسول الله ^ قال: «إِذَا أَكْثَبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ بِالنَّبْلِ، وَلاَ تَسُلُّوا السُّيُوفَ حَتَّى يَغْشَوْكُمْ» [1].

---

1) راجع: سيرة ابن هشام 2 / 279، رقم 736، سبل الهدى والرشاد 4 / 49، وعزاه لمسلم وغيره .

2) راجع: سبل الهدى والرشاد 4 / 54 .

3) صحيح .. أخرجه البخاري 2900، والبغوي في شرح السنة 2704.

4 ) صحيح .. أخرجه البخاري3985، وأبو داود 2663، وهو في صحيح الجامع 376 .

ويظهر في هذه الرواية أن النبي ^ خطط لسير القتال على مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة القتال الدفاعي، وتكون عندما يقوم العدو بالهجوم القتالي، ويقترب من مرمى نبال المؤمنين وسهامهم، وعندئذ يرميهم المؤمنون بنبالهم ورماحهم؛ فينالون منهم ويُفرِّقونهم، وبهذه الطريقة يُحقق المؤمنون أمرين اثنين:

1 ــ إنهاك القوة الجسدية للعدو، حيث يكون في أول هجومه أكثر نشاطًا، ويبذل كل ما لديه من قوة وذخيرة، حتى يستهلكها بالتدريج، ويكون بعد ذلك أقل نشاطًا وأضعف قوة، وأقل في امتلاك الذخيرة.

2 ــ استبقاء المؤمنين ذخيرتهم حتى يقترب العدو منهم، ويكون في مرمى سهامهم ونبلهم، ليكون إصابتهم للهدف المطلوب أوكد، لأن المطلوب النكاية في العدو، وليس إضاعة الذخيرة بعيدًا عنه، كما يقول النبي ﷺ (وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ ).

قال الحافظ ابن حجر أَنَّ قَوْله: المعنى اِسْتَبْقُوا نَبْلكمْ فِي الحالة التي إذا رَمَيْتُمْ بها لَا تُصِيب غالِبًا، وإذا صاروا إِلَى الحالة التي يُمْكِن فيها الْإِصَابَة غَالِبًا فارموا [2].

وهذا يُحقق أمْرًا في غاية الأهمية، وهو الاقتصاد في الذخيرة، والتأكد من نكايتها بالعدو، ويُحافظ على القوة القتالية للجيش، بما يجعله يستمر في القتال أكبر وقت ممكن، وهو ما يُسميه الخبراء العسكريون: (كبت النيران).. أو (الاقتصاد في القوى).. وتحقيق الأهداف بأعلى قدر من الكفاية، وأقل قدر من التكاليف.

المرحلة الثانية: مرحلة القتال الهجومي، وتكون بعدما يكون العدو قد أنهك قواه، وأتلف كثيرًا من ذخيرته بغير أن يُحقق شيئًا، ويكون الاهتمام غالبًا بالسلاح الفردي كالبندقية، والسلاح الأبيض، ولا يسلوا السيوف حتى يغشوهم أو يهجموا عليهم.

قال الأستاذ محمد فرج: ولقد وضع رسول الله ^ مبدءًا هامًا في كيفية استخدام السلاح الأبيض، وهو السيف عند المسلمين.

---

1) صحيح .. أخرجه أبو داود 2664، وغيره .

2) راجع: فتح الباري لابن حجر 7 / 357 رقم 3985 .

والسلاح الأبيض هو سلاح القتال وجهًا لوجه، ولا يُستخدم إلا وقت الالتحام وتداخل قوات الجيشيْن، فعندما يتم التلاحم يُلجأ إلى السلاح الأبيض [1].

* ــ وفي غزوة أُحُد بدأ النبي ﷺ التخطيط لها بالشورى، هل ينتظرهم المؤمنون في المدينة، ويُقاتلونهم في شوارعها؟.. أم يخرجون إليهم، ويُقاتلونهم خارجها بجوار جبل أحُد؟، فكان اختيار النبي ﷺ: البقاء في المدينة، ومقاتلة العدو في شوارعها.

وقال الذين لم يشهدوا غزوة بدر: يَا رَسُولَ الله، أُخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ وَضَعُفْنَا؟. . وألحُّوا على رسول الله ﷺ حتى لبس لأْمته (لباس الحرب).

1 ــ فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله: اسْتَكْرَهْنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فَاقْعُدْ صَلَّى الله عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ [2].

2 ــ ثم أمر النبي ﷺ أن يسير جيش المؤمنين بعيدًا عن رؤية أعدائهم؛ إمعانًا في سرية حركته، وإخفاء قوته عن عيون المشركين، فقال ﷺ لِأَصْحَابِهِ:
مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثَبٍ: أَيْ مِنْ قُرْبٍ، مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ؟.. فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَنَفَذَ بِهِ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ، حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ لِمِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيٍّ. . . الخ [3].

3 ــ قَالَ: وَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى نَزَلَ الشِّعْبَ مِنْ أُحُدٍ... فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أُحُدٍ، وَقَالَ ﷺ: لَا يُقَاتِلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ حَتَّى نَأْمُرَهُ بِالْقِتَالِ [4].

---

1 ) راجع: العبقرية في غزوات الرسول 276 .

2) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 7 رقم 1084، 1085.

3) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 10 رقم 1088.

4) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 10، 11 رقم 1089، 1090.

4 ــ ثم أوْقَفَ رسول الله ﷺ الرماة على جبل (عينيْن) المقابل لجبل (أحد) خلف الجيش الإسلامي ليمْنع المشركين من طعنه من خلفه، وَأَمَّرَ عَلَى الرُّمَاةِ عَبْدَ الله بْنَ جُبَيْرٍ، وَالرُّمَاةُ خَمْسُونَ رَجُلًا، فَقَالَ: انْضَحْ [أي ادفع] الْخَيْلَ عَنَّا بِالنَّبْلِ، لَا يَأْتُونَا مِنْ خَلْفِنَا، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، فَاثْبُتْ مَكَانَكَ، لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ [1].

وقال ﷺ للرماة: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ»[2].

5 ــ وبعدما أحسن رسول الله ﷺ تعبئة جيشه جعل كلمة السر التي يتعارفون بها أثناء القتال: (أمُت. . أمُت).

وبهذا التخطيط المُحكم، والترتيب المدروس رزق الله تعالى المؤمنين النصر والتحرير والتمكين.

* ــ وفي معركة رمضان 1393هـ = 6/ 1973م شهد العدو اليهودي ببراعة الإعداد والتخطيط المصري، قال أحد جنرالات العدو: لابد أن نشهد لجهاز التخطيط المصري بالبراعة، لقد كانت خططهم دقيقة، وكان تنفيذها أكثر دقة، لقد حاولنا بكل جهدنا عرقلة عملية العبور، وصدها بالقوة، وردها على أعقابها، ولكننا ما كدنا نتمثل ما حدث إلا وقد تحققت لهم نتائجه، كأننا أغمضنا أعيننا وفتحناها فإذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة إلى شرقها، وفاجئونا صباح يوم السابع من أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الصفة الشرقية من القناة [3].

---

1) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 10، 11 رقم 1089، 1090.

(2) راجع: سيرة ابن هشام 3 / 11 رقم 1090 .. وتاريخ الطبري 2 / 507 .

(3) راجع: فضائل مصر ومزايا أهلها 280، د. محمد بن موسى الشريف.

وقال قادة اليهود: إن أكثر من طيار إسرائيلي كان يُصاب بالدهشة حين تسقط طائرته بواسطة حزام من الصواريخ المصرية، ويقول لنا: إنني أفهم وأعلم تمامًا أن معدات التشويش والوسائل المضادة في طائرتي لن تسمح بإصابتها.. هكذا أفهمونا في إسرائيل [1].

ولأجل هذا التخطيط المُحكم أمد الله تعالى جنود مصر بمدد من عنده بقدر إخلاصهم، ومنحهم كرامات إيمانية لم يكونوا يتوقعونها [2].

وثمة سبيل آخر في طريق إعداد القوة: وهو إشراك أهل الأرض المحتلة في تحرير أرضهم، فهم أعرف بمدنها وقراها، وأدرى بشعابها ووديانها ومسالكها، وأحرص الناس على تحريرها.. ويكون هذا بإدراجهم في الجيوش العربية؛ لتدريبهم على استخدام

---

(1) راجع: مجلة الهلال المصرية عدد تذكاري في أكتوبر 1976م ص 128، 130، 134، 135.

(2) فمثلًا: اللواء الفاتح كريم قائد اللواء الثاني (مشاة مدرع)، وكان في المعركة المذكورة برتبة (عقيد)، وكانت مهمته السيطرة على جبل (المر)، وسط سيناء، وهو جبل صعب، وقد استطاع بمن معه من الجنود السيطرة عليه في وقت صعب من المعركة، وكان يصيح: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الله أكبر، والعزة لله، والنصر لنا، سيروا على بركة الله. . . وكان يقول لجنوده: إني ذاهب لملاقاة الله عز وجل، ومن يُرد أن يلحق بي فليلحق.. وكان هذا اللواء يقول: يُحاسبني الله عز وجل على ما أقوله، فقد شاهدت بعيني قوات تُحارب في صفنا، وأعدادًا غفيرة ليست قليلة، وكانت ترتدي ثيابًا بيضاء، ولست وحدي الذي شاهدهم، بل كان معي جنودي، وعندي الدليل على ذلك. . حيث كنا نُشاهد جنود العدو يتساقطون قتلى وجرحى، ولا نعرف من الذي يضربهم، إنها الملائكة التي حاربت معنا، كما حاربت مع نبينًا في غزوة بدر، وهو الموقف الذي تكرر بعد ذلك أثناء وجودنا في الجبل وقت الثغرة.. قلت: يقول الله تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ )(الأنفال: 12).

وذكر اللواء المذكور: أن اليهود حفروا آبارًا في المنطقة، لكنهم لما لم يجدوا فيها ماء؛ فردموها، فقام الجنود المصريون وحفروا كل الآبار التي ردمها اليهود فوجدوها ملآى بالماء (راجع: فضائل مصر ومزايا أهلها 270: 272).

الأسلحة القتالية المتنوعة، ومعاونتهم بالقوة الحربية المطلوبة.. وقد ثبت أنهم جنود أشداء كما وصفهم اليهود (قومًا جبارين)، ولا ينقصهم غير السلاح والتدريب عليه.

ولقد أثبتت التجارب أن فلسطين وهي في أيدي أهلها كانت مصونة، عزيزة الجانب إلى أن استطاعت المؤامرات الصليبية أن تنزعها منهم بالتأثير على بعض الدول العربية؛ فحرمتهم بذلك من الاشتراك الوافي في الحرب للذوْد عنها، ولا تزال هذه السياسة الصليبية اليهودية قائمة حتى اليوم [1].

ونحن لسنا أقل من بريطانيا الصليبية التي أدرجت الشباب اليهودي في جيشها، ودرَّبتهم على استخدام صنوف الأسلحة القتالية، وهم الذين تألفت منهم العصابات اليهودية، ثم تكوَّن منهم الجيش اليهودي فيما بعد.

**الحذر من دسائس الأعداء.**

ومما يجب تنبيه المؤمنين عليه: الحذر من كيد أعدائهم ودسائسهم، فإنهم بمكائدهم ودسائسهم يعملون لمنعهم من إعداد القوة المطلوبة للتحرير؛ حتى لا يكون عندهم صناعة حربية، ولا علماء في التصنيع؛ ليظلوا ضعفاء لا يقدرون على حماية أنفسهم، ولا على تحرير أرضهم، يقول الله تعالى: (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ)(البقرة: 105).

فالأعداء يُوقنون أن رافد قوتهم هو ضعف المؤمنين كما قال الزعيم اليهودي (موشيه ديان) في خطابه في 9/ 8/ 1973م: إن تفوقنا العسكري هو نتيجة مزدوجة: لضعف العرب وقوتنا، وضعفهم يتجسَّد في مستوى جنودهم الضعيف، والانشقاق بين الدول العربية [2].

ولهذا يسعى الأعداء بكل جهدهم ليبقى المؤمنون ضعفاء في التصنيع الحربي؛ حتى لا يكون لهم قوة ولا سلاح يُدانيهم.

---

1) راجع: أسباب كارثة فلسطين 198، لمفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني.

2) راجع: مجلة الهلال المصري 87، عدد تذكاري في أكتوبر 1976م.

قال أحدهم (مكسيم رودانسون): إن المُعاهدات التي فرضت على الدولة العثمانية كانت في واقعها تقطع الطريق على أي محاولة محتملة لبناء صناعة عثمانية.

وقال: هذه المعاهدات التي فرضها بالمرستون والأسطول البريطاني على مصر، واضطر محمد علي أن يُعلن أمام معبد حرية التجارة ندامته وتوبته النصوح عن محاولة التصنيع.

وقال: ومن الواضح أن مثل هذه الظروف كانت تجعل أي جهد للتصنيع المستقل أمرًا مستحيلًا، حيث كانت قوة الرأسماليات الغربية اقتصاديًّا وعسكريًّا تجعل من العسير جدًا عليهم ــ إذا لم نقل من المستحيل ــ أن يُحققوا التصنيع [1].

وقال مسئول في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952م: إن الخطر الحقيقي الذي يُهددنا تهديدًا مُباشرًا عنيفًا هو الخطر الإسلامي، فلنُعط هذا العالم ما يشاء، ولنُقوِّي في نفسه عدم الرغبة في الإنتاج الصناعي والفني، فإذا عجزنا عن تحقيق هذه الخطة، وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفني والصناعي أصبح خطر العالم العربي وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطرًا داهمًا ينتهي به الغرب، وينتهي معه دوره القيادي في العالم [2].

وإذا رأى الأعداء في المؤمنين علماء وخبراء في التصنيع سينهضون ببلادهم استدرجوهم إلى بلادهم ــ رغبًا أو رهبًا ــ ليعملوا في مصانعهم، فيما سماه العلماء: (نزف العقول البشرية) [3]، وإذا لم يستجيبوا لهم قتلوهم، مثلما قتلوا عالمة الذرة المصرية (د. سميرة موسى)، فقتلوها في أمريكا في 15/ 8/ 1952م.

---

1) راجع: طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية 55، 56، لمحمد جلال كشك، ط. دار المختار الإسلامي .. مصر.

2) راجع: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي 19، د. محمد البهي، ط. مكتبة وهبة.. مصر.

3) ذكرت جريدة الأهرم المصرية في الأحد 25/ 2/ 1424هـ = 27/ 4/ 2004م عن المشروع القومي المصري للتنمية أن هناك 824 ألف عالم وخبير مصري يعملون خارج العالم الإسلامي، منهم

وفي مارس 1963م أرسل اليهود طردًا بريديًّا مملوءًا بالمتفجرات لأحد مراكز البحوث العلمية في مصر؛ فقتلوا ستة من العلماء المصريين [1].

وفي يونيو 1980م قتل اليهود في فرنسا عالم الذرة المصري (د. يحي المشد) الذي كان يعمل في المفاعل النووي العراقي [2].

وفي عام 1981م قام اليهود برعاية أمريكا بتدمير المفاعل النووي العراقي.

وفي عام 1990م قام الأعداء بتدمير مصنع (الرابطة) الليبي.

وحينما احتلوا العراق المسلم عام 2003م بادروا وقتلوا قريبًا من خمسة عشر ألف عالم عراقي في تخصصات علمية دقيقة، غالبًا ما يكونوا أبوا التعاون معهم.

ولهذا يجب على المؤمنين السبق لامتلاك القوة، والتمكين في الأرض، ويُوقنوا أن الله تعالى يُعطي من علمه للذي يسعى إليه، وقد قيل: من جدَّ وجد.. ومن زرع حصد، والله تعالى لن يُضيع عملهم، كما يقول سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً )(الكهف: 30).

---

318 ألف في أمريكا، و110 ألف في كندا، و70 ألف في استراليا، و336 ألف في دول أوربا، منهم 2455 في تخصصات علمية هامة، في الهندسة النووي وغيرها.. هذا عن علماء مصر وحدها، فكيف بعلماء الأقطار الإسلامية الأخرى؟.

1) راجع: اليهودية 320، د. أحمد شلبي.

2) راجع: الموساد واغتيال المشد 237، لعادل حمودة، ط. دار سفنكس للطباعة والنشر .. مصر.

## 13 ـ توحيد الأقطار الإسلامية.

الخطوة القرآنية الثالثة عشر للنصر والتحرير: توحيد الأقطار الإسلامية في دولة واحدة، ولو في حدود بلاد الطوق (المحيطة بفلسطين).

فإن توحيد الأقطار الإسلامية في دولة واحدة خطوة هامة وضرورية لإعداد القوة المطلوبة للنصر والتحرير، ولو كانت وحدة جزئية في حدود بلاد المُواجهة التي تحيط بفلسطين (مصر وسوريا ولبنان والأردن).

هذه الوحدة ــ وإن كانت جزئية ــ يُمكن تحقيقها في عصرنا باتحاد الأنظمة الحاكمة في هذه الأقطار (كما حدث في معركة حطين 22/ 4/ 583هـ = 1/ 7/ 1187م)، أو بالتعاون والتناصر في دفاع مُشترك تحت قيادة واحدة، كما حدث شيءٌ من هذا في معركة العاشر من رمضان (1393هـ = السادس من أكتوبر 1973م) بين مصر واليهود وقد قيل: إذا صدق العزم وضح السبيل.

**الوحدة الإسلامية ضرورة وطنية.**

الثابت لكل ذي عقل أن الأقطار الإسلامية بتفرقها ضعفاء، وأن المسلمين في القُطر الواحد لا يستطيعون تحرير أرضهم المُحتلة (في فلسطين وغيرها) إلا بوحدتهم وتلاحمهم بإخوانهم في الأقطار الإسلامية، فالمؤمن بمفرده ضعيف، قوي بإخوانه، وإن آلاف الحجارة المتناثرة هشة بتفرقها، لكنها في انتظامها وتماسكها في جدار واحد، يشد بعضها بعضًا، وتكتسب قوة بعد ضعف، وصلابة بعد هشاشة؛ وبالتالي يصعب كسرها وكسر جدارها، وقد قال أبٌ لأولاده:

كونوا جميعًا يا بني إذا اعترى * خَطْبٌ ولا تتفرقوا آحادَا
تأبى العصي إذا اجتمعن تكسُّرًا * وإذا افترقن تكسرت آحادَا

وقد بيَّن النبي ﷺ هذا في قوله:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ». . وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ» [1].

ومن قريب قال السلطان العثماني عبد الحميد الثاني: يجب تقوية روابطنا ببقية المسلمين في كل مكان، يجب أن نقترب من بعضنا البعض أكثر وأكثر، فلا أمل في المستقبل إلا بهذه الوحدة. . وإن الدولة العثمانية تضم أجناسًا متعددة من أتراك وعرب وألبان وبلغار ويونانيين وزنوج وعناصر أخرى، ورغم هذا فوحدة المسلمين تجعلنا أفراد أسرة واحدة.

وسيأتي اليوم الذي يتحد فيه كل المؤمنين، وينهضون فيه نهضة واحدة، ويقومون قومة رجل واحد، ويُحطمون رقبة الكفار[2].

النصر والتحرير في الوحدة.. والهزيمة والاحتلال في التفرق.

والثابت في سنن الله تعالى، وفي ثوابت الوحي الإلهي، وفي وقائع التاريخ الإسلامي: أن المؤمنين كلما أقاموا وحدتهم ــ ولو كانت محدودة ـــ قويت شوكتهم وانتصروا، وهدى الله بهم العباد، وفتح بهم البلاد.

والله تعالى بعدما يأمر المؤمنين في سورة آل عمران بالوحدة والاعتصام بحبله في قوله سبحانه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: 103) يُبشرهم سبحانه في ذات السياق بالنصر على اليهود، في قوله سبحانه: (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذىً وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ) (آل عمران: 111).

وبعدما يُوجب الله تعالى على المؤمنين في أول سورة الصف الاتحاد صفًا واحدًا في القتال، في قوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) ( الصف: ٤) يُبشرهم سبحانه في نهايتها بالنصر والفتح، يقول الله تعالى:

(وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ الله وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (الصف: 13).

وقد سأل رسول الله ﷺ وفد بني الحارث بن كعب (من نجران): بم كنتم تغلبون مَن

---

1) أخرجه البخاري كتاب الصَّلاَةِ 481، ومسلم في كتاب البر والصلة، رقم 2585، وغيرهما عن أبي موسى.

2) راجع: مذكرات: السلطان عبدالحميد ص 24، ترجمة د. محمد حرب، ط. دار القم.. دمشق.

قاتلكم في الجاهلية؟.. قالوا: كنا نغلب مَن قاتلنا يا رسول الله، أن كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحدًا بظلم. . قال ﷺ: صدقتم [1].

وقال الحاخام اليهودي (ألمر بيرجر): إن وحدة العرب متى وُجدت أصبحت قوة هائلة مُخيفة، ومتى أُدمجت أضحت قوة عالمية باطشة، تُقيم حول بلادها وشعوبها ستارًا حديديًا لا يخترقه المدفع الإسرائيلي الصدئ، ولا يقوى على هدمه الدولار الأمريكي الذي يُرسله يهود أمريكا [2].

* ــ وفي مقابل هذا نجد أن المؤمنين إذا اختلفوا وتفرقوا وتركوا وحدتهم أثموا جميعًا، وضعُفت قوتهم، وهزمهم عدوهم، واحتل أرضهم.

وآية ذلك: أن المؤمنين حينما دب بينهم الخلاف، وافترقوا جماعتيْن لأول مرة في تاريخهم، جماعة مع علي بن أبي طالب ﷺ وأخْرى مع معاوية بن أبي سفيان ﷺ، واشتغلت كل جماعة بمقاتلة الأخرى؛ فتوَّقفت فتوحاتهم، وطمع فيهم عدوهم.

قال ابن كثير: لما كان من أمر معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وأمر أمير المؤمنين علي ما كان، لم يقع في تلك الأيام فتح بالكلية، لا على يديه ولا على يدي علي بن أبي طالب ﷺ، وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم (أي هزمهم وأخرجهم بعيدًا عن بلاد المسلمين).

ولما رأى ملك الروم اشتغال معاوية ﷺ بحرب علي بن أبي طالب ﷺ اعتدى على بعض البلاد الإسلامية في جنود عظيمة، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنَّك من جميع بلادك، ولأضيِّقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة [3].

وفي ظل تفرُّق الدولة العباسية إلى دول صغيرة، يحكمها أمراء ضعفاء مُختلفين

---

(1) راجع: موسوعة الغزوات الكبرى 10/ 171 .

(2) راجع: صراع الوجود والبقاء 110 .

3) راجع: البداية والنهاية 8 / 119.

ومتعادين اعتدى الصليبيون على المؤمنين قُطْرًا بعد آخر حتى احتلوا القدس عام 492هـ = 1099م. . وبكاها المسلمون في كل قُطْر إسلامي، ولم يتقدم واحد من حكام الأقطار لنجدتها؛ لاختلافهم وتفرقهم وتعاديهم.

ثم تدارك المؤمنون الأمر، وقيض الله لهم حُكَّاماً مُجدّدين، جدَّدوا لهم وحدتهم (ولو في حدود الطوق)، وجهادهم في سبيل الله، مثل: عماد الدين زنكي (ت: 541هـ)، ثم ولده نور الدين محمود (ت: 569هـ)، ثم ثالثهم صلاح الدين الأيوبي (ت: 589هـ)، رحمهم الله جميعاً، فازدادت قوتهم وشوْكتهم؛ وانتصروا بعد هزيمة، وحرروا أرضهم بعد احتلالها (في معركة حطين).

## التاريخ يُعيد نفسه

ودارت السنون دورتها، وأعاد التاريخ نفسه، وتفرَّقت الدولة الإسلامية الواحدة لأول مرة في تاريخها، (دولة الخلافة العثمانية عام 1343هـ = 1924م)؛ فاستطاع الصليبيون واليهود أن يحتلوا فلسطين.

وفي ظل هذه التفرقة قاتل العلمانيون العرب في معركة 1948م، فهزمتهم عصابات اليهود، لأن العلمانيين العرب كانوا سبع دول متفرقة، وقيادات سبعة جيوش متنازعة، وليست دولة واحدة وقيادة واحدة.

قال أحد الباحثين في الاستراتيجية: إن الذي مكَّن اليهود من احتلال فلسطين هو المتغيرات التي طرأت على الأمة المسلمة، ومنها: أن القوى العربية غير مُتماسكة، وغير متساندة في الصراع ضد إسرائيل، بل هناك من القوى العربية من يعمل لصالح إسرائيل ــ الرجعية العربية، والحركات الطائفية، بل وكثير من القوى الجديدة ـــ تارة بوعي، وتارة دون وعي حقيقي.

هذا في الوقت الذي استطاعت الدولة الإسرائيلية أن تُكتِّل خلفها المجتمع الإسرائيلي والقوى اليهودية المتعاطفة مع الصهيونية في جميع أنحاء العالم [1].

---

(1) راجع: إدارة الصراع العربي الإسرائيلي 20، د. جمال عبد الهادي، وزميله، بتصرف يسير.

**وجوب وحدة المؤمنين، وتحريم تفرُّقهم.**

ولهذا فالوحدة الإسلامية ــ ولو في أدنى حالاتها ـــ ضرورة تُوجبها المصلحة الإسلامية، وقد قال العلماء: ما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب.

والإسلام يُوجب على المؤمنين أن يتحدوا في دولة واحدة، وينهاهم عن التفرق، يقول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) (آل عمران: 103).

ويقول سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ) (الأنعام: 159).

ويقول سبحانه في سياق الحديث في القتال: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: 46).

والنبي ﷺ يقول: «لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» [1].

وعن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ يقول: « وَآمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، الله أَمَرَنِى بِهِنّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ (جماعة) جَهَنَّمَ».. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى؟.. قَالَ: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ» [2].

ويقول ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ» [3].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا، وَفَاجِرَهَا لَا يَتَحَاشَى مِنْ

---

(1) صحيح .. أخرجه البخاري 3476، والنسائي 8094، وغيرهما عن ابن مسعود ﷺ..

2) صحيح .. أخرجه أحمد 17170، والترمذي 3035، وغيرهما .

3) صحيح .. أخرجه الترمذي 2268، وابن ماجة 2363، والحاكم390، وغيرهم عن عمر ﷺ .

مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدِهَا فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَدْعُو إِلَى عَصَبِيَّةٍ، أَوْ يَغْضَبُ لِعَصَبِيَّةٍ فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ» [1].. وغير ذلك كثير.

قال ابن تيمية: كل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية، ولما اختصم رجلان من المهاجرين والأنصار فقال المهاجري: يا للمهاجرين. . وقال الأنصاري: يا للأنصار قال النبي ﷺ: أبدعوي الجاهلية وأنا بين أظهركم؟، وغضب لذلك غضبًا شديدًا [2].

وخلاصة القول: أن الإسلام كما يُوجب توحيد المعبود ــ وهو الله تعالى ــ يُوجب توحيد العابدين في أمة واحدة، كما يقول الله تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)(الأنبياء: 92).

الوحدة في الشدائد والأزمات أولى وأوجب.

وإذا كانت الوحدة واجبة على المؤمنين في رخائهم وسرائهم، فإنها في وقت الشدائد والحروب أشد وأوجب، وقد قيل: بالضغط والتضييق تجتمع الأجزاء المبعثرة، والله تعالى يقول: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) (الصف: ٤). . ومعنى قوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ): أي يُوجب.

ويقول سبحانه في سياق الحديث عن معركة بدر: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: ٤٥، ٤٦).

وَقَالَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ».. قال الراوي: فَلَمْ يَنْزِلوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالُ: لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ [3].

---

1) صحيح .. أخرجه النسائي 4114، وابن ماجة 3948، وغيرهما.

2) راجع: مجموع الفتاوى 28 / 329.

3) صحيح .. أخرجه أبو داود .والنسائي وغيرهم، كما في صحيح الترغيب 3127 .

ولنا في معركة اليرموك (عام 13هـ) عبرة واضحة، ففيها كانت فصائل الجيش الإسلامي متفرقة، كل جند وأميره، لا يجمعهم أحد، حتى قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق، ووجدهم خالد جيوشًا متفرقة، فجيش أبي عبيدة وعمرو بن العاص في ناحية، وجيش يزيد وشرحبيل في ناحية أخرى، فقام خالد في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، وأمرهم بالاجتماع، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، فاجتمع الناس وتصافوا، وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأريدوا الله بعملكم... ولا تقاتلوا قوما على غير نظام وتعبئة، وعلى غير تساند وانتشار، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن مَنْ وراءكم لو يعلم عملكم حال بينكم وبين هذا...

قالوا: فهات، فما الرأي؟.. قال: إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر، ولو علم بالذي كان ما جمعكم، إن الذي أنتم فيه (من الفُرقة) أشد على المسلمين مما قد غشيهم، وأنفع للمشركين من أمدادهم، ولقد علمت أن الدنيا فرَّقت بينكم، فالله الله... وإن هذا يوم له ما بعده، إن رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم، وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبدا، فتعالوا فلتتعاور (فلتتبادل) الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدا، والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم، ودعوني اليوم (أميرًا) عليكم. فأمَّروه عليهم.

وخرجت الروم في تعبئة لم ير الراءون مثلها قط، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك.. وكتب الله تعالى النصر للمؤمنين بطاعتهم لله تعالى في توحُّدهم في جيش واحد، وتحت قيادة عسكرية واحدة، وجهادهم وثباتهم في سبيله سبحانه [1].

**المعاملة بالمثل تُوجب الوحدة.**

ومما يجعل الوَحدة أشد وجوبًا على المؤمنين: مواجهة الأعداء بالمثل. . فالثابت أن الأعداء على اختلاف أديانهم وطوائفهم ومذاهبهم ومصالحهم يُؤجلون خلافاتهم، ويتَّحدون في مقاتلة المؤمنين، كأنهم أهل ملة واحدة، وقد رأينا اليهود مع اختلافهم مع الصليبيين في الدين، اتحدوا معًا في محاربة المسلمين حتى اغتصبوا فلسطين.

---

1) راجع: وقائع موقعة اليرموك في: تاريخ الرسل والملوك 3/ 395، للطبري، ط. دار المعارف.. مصر.

وفي الاعتداء الثلاثي على مصر المسلمة عام (1956م) اتحدت صليبية بريطانيا وفرنسا مع اليهود.. واليهود إلى اليوم يجمعون معهم صليبية أمريكا وروسيا وحلف الأطلنطي، والتجمعات اليهودية، والصهيونية المتعاطفة.

وقد أدرك هذا السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، فقال: المُشاهد أن هذه الدول ــ الصليبية ــ الكبرى ينهش بعضها في بعض، لكنه سرعان ما تتفق وتتحالف إذا ما تعلق الأمر بمقاتلة العثمانيين أي المسلمين [1].

ولهذا يجب على المؤمنين أن يتحدوا في مجاهدة الأعداء، بمقتضى إيمانهم وطاعتهم لله تعالى، وبمقتضى مصلحتهم، وبمقتضى معاملة الأعداء بالمثل، والله تعالى يقول: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) (التوبة: 36).

فإذا كان الأعداء يُقاتلون المؤمنين (كَافَّةً) أي متحدين، فيجب على المؤمنين أن يُقاتلوهم (كَافَّةً ) أي متحدين؛ مقاتلة بالمثل، وإلا أثموا جميعًا، وحقت عليهم لعنة الله تعالى، وهزمهم أعداؤهم، والله تعالى يقول: (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (الأنفال: ٧٣).

قال كبار علماء الأزهر: أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من الاتحاد والتناصر والتعاون تحصل فتنة في الأرض وفساد كبير، لظهور الكفر وغلبَته، لأن المسلمين ما لم يصيروا يدًا واحدة على أعدائهم، طمع فيهم أولئك الأعداء واستولوا على ديارهم، كما حدث في الحقبة التي غفل فيها المسلمون عن الاتحاد وموالاة بعضهم لبعض [2].

وقديمًا قال عمر بن الخطاب ﷺ: للمثنى بن حارثة ﷺ قائد الجيش في حرب الفرس: احملوا العرب على الجد إذ جد العجم؛ فلتلقوا جدهم بجدكم [3].

قال مفتي فلسطين الأسبق الشيخ أمين الحسيني في معرض حديثه عن معالجة قضية

---

(1) راجع: مذكرات السلطان عبد الحميد 131.. ط. دار القلم.. بيروت.

(2)راجع: التفسير الوسيط لكبار علماء الأزهر 3/ 1651، ط. مجمع البحوث الإسلامية .. مصر، بتصرف .

3 ) راجع: تاريخ الرسل والملوك 2 / 246 .

تحرير فلسطين: توحيد القوى، وجمع الكلمة، والوقوف صفًا واحدًا تجاه التيارات الاستعمارية والأخطار العسكرية والسياسية والاقتصادية، وتوثيق التعاون بين الدول العربية؛ ليكون لها وزن يُعتد به في الميزان الدولي [1].

**سبيل الوحدة الإسلامية.**

وإعادة الوحدة بين المؤمنين سهل المنال إذا خلصت النوايا، وصدقت العزائم وضح السبيل، وعوامل إعادة هذه الوحدة في أمريْن اثنيْن:

1 ــ الاعتصام بالقرآن والسنة..

2 ــ وَحدة الهدف.. وهاكم بيانها بإيجاز:

**العامل الأول: الاعتصام بالقرآن والسنة.**

وسبيل سبك المسلمين في دولة واحدة (أو في دفاع مشترك) هو الاعتصام بالقرآن والسنة، يقول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)(آل عمران: 103).

ودين الله واحد لا يتعدد، واعتصام المؤمنين به يجمعهم ويُوحِّدهم، والجاهلية [2] أحزاب وخطوط منحرفة ومختلفة ومتفرقة، تُفرِّق الذين يتبعونها، وقد قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ ثُمَّ خَطَّ خُطُوطاً عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ »، ثُمَّ قَرَأَ قول الله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام: 153) [3].

**العامل الثاني: وحدة والهدف وإن تعددت الوسائل.**

ومما يُيسر وحدة المؤمنين أن يتفقوا على هدفهم المُشترك الذي ينشدونه، وهو تحرير أرضهم المُحتلة، وتمكينهم في الأرض، ويعملوا جميعًا لتحقيقه، ولا يُشغلهم عنه شاغل

---

1) راجع: أسباب كارثة فلسطين 203، 204، لمفتي فلسطين الأسبق، ط. دار الفضيلة.. مصر.

2) من الجاهلية الحديثة: العلمانية وذريتها كالاشتراكية والليبرالية، وغيرهما.

3) صحيح .. أخرجه أحمد 4142، والنسائي في الكبرى 11174، وابن أبي عاصم في السنة 17، والبغوي في شرح السنة 97، وغيرهم.

آخر؛ فإن وحدة الهدف وتوحيد الجهود إليه يجعل في العمل قوة دافعة، تُيسر الوصول إليه في وقت أقرب.

ولا مانع مع وحدة الهدف من تعدد الوسائل المطلوبة للوصول إليه، فإن اختلاف الوسائل سُنَّة كونية ثابتة، وحقيقة قرآنية قائمة، كما يقول الله تعالى: (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (هود: 118، 119). . أي لأجل الاختلاف في الوسائل والفروع خلقهم.

فإذا جعل المؤمنون هدفهم المُشترك: تحرير أرضهم المحتلة، فمن المشروع أن تتعدد وتتنوع وسائلهم للوصول إلى هذا الهدف، فمثلاً: جماعة من المؤمنين يعملون في التربية والتعليم، وجماعة تعمل في تنشيط العمل الاقتصادي، وجماعة تنهض بترشيد العمل السياسي، وأخرى تعمل لقيام الوحدة المطلوبة، وهكذا.. وكل جماعة تشتغل بعملها، وتلين للأخرى وتقترب منها وتُعاونها، ولا تجرحها ولا تعاديها .

قَالَ الإمام النَّوَوِيّ رحمه الله: هَذِه الطائفة العاملة لرفْعة الإسلام مفرقة من أنواع الْمُؤمنِينَ، فَمنهمْ شجعان مُقَاتِلُونَ، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد، ومنهم آمرون بالمعروف وناهون عَن الْمُنكر، ومنهم أنواع أخرى من أهل الْخَيْر، ولا يلْزم أَن يكونوا مُجْتَمعين بل قد يكونوا مُتَفَرّقين فِي أقطار الأَرْض [1].

هذا الاختلاف في تعدد وسائل العمل المشروع يُسميه العلماء: اختلاف تنوع وتخصص، وهو اختلاف مشروع، بينما الاختلاف في الهدف يسمونه: اختلاف تضاد وتنافر وتشاحن، وهو مُحرَّم شرعًا، وخطر كبير على الدولة والأمة.

ولهذا يجب على المؤمنين في عملهم لهدفهم المشترك أن يلين بعضهم لبعض، وأن يتطاوعوا ولا يختلفوا، ففي غَزْوَة ذَاتَ السّلَاسِلِ مِنْ أَرْضِ بَنِي عُذْرَةَ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرّاحِ فِي مدد من الْمُهَاجِرِينَ الْأَوّلِينَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ إلى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ــ قائد الجيش وقتئذ ــ، وَقَالَ لِأَبِي عُبَيْدَةَ حِينَ وَجّهَهُ: لَا تَخْتَلِفَا.

(1) راجع: شرح النووي لصحيح مسلم 13/ 69 تحت رقم4927 .. وعمدة القاري 16 / 164.

فَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَتّى إذَا قَدِمَ عَلَيْهِ أراد أن يؤم الناس في الصلاة ويتقدم على عمرو.. فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: إنّمَا جِئْتَ مَدَدًا لِي، وليس لك أن تؤمَّني، وأنا الأمير.

قال المهاجرون لعمرو: كلا، بل أنت أمير أصحابك، وهو أمير أصحابه.

فقال عمرو: لا، أنتم مدد لنا. . فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف، وكان رجلا لينا حسن الخلق، سهلًا هينًا عليه أمر الدنيا، يسعى لأمر رسول الله ﷺ وعهده قال: لتطمئن يا عمرو ولتعلمن أن آخر شيء عهد إليَّ رسول الله ﷺ أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا، وإنك والله إن عصيتني لأطُيعنَّك.

قَالَ عمرو: فَإِنِّي الْأَمِيرُ عَلَيْك، وَأَنْتَ مَدَدٌ لِي.

قَالَ: فَدُونَك، فَصَلّى عَمْرٌو بِالنّاسِ[1].

وبذلك التأم الجيش الإسلامي، واتحد صفًا واحدًا كما يُوجب الإسلام.

وذكرت مجلة لواء الإسلام القاهرية أن أحد العلماء سئل يومًا: ما الفرق بينكم وبين الجمعية الشرعية؟.

فأجاب قائلاً: نحن في الدرب الأحمر، وهم في المغربلين (مكانيْن في القاهرة). . فقال البعض: إنهم يبنون المساجد، فماذا أنتم تفعلون؟.

فأجاب قائلاً: هم يبنون المساجد ونحن نصلي فيها [2].

والإمام المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان: سئل عن رأيه في جماعة التبليغ، فأجاب قائلاً: إنهم يسدون عنا ثُغرة، لا نستطيع سدها، وإننا لا ننتقدهم [3].

ولهذا أقول للمؤمنين العاملين: أنْ تحابوا ولا تتباغضوا، واجعلوا الاختلاف بينكم في الوسائل لا في الهدف، وليعمل كل منكم في مجاله الذي يسره الله له لإنجاز الهدف المشترك، وقد قال النبي الكريم ^: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» [1].

---

(1) راجع: السيرة النبوية لابن هشام 4/ 320، فقرة رقم 2033.. وسبل الهدى والرشاد 6 / 262 .

(2) راجع: المسلمون وداء التفرقة .. د. طلعت عفيفي 224 ، ط. دار السلام.. مصر.

(3) راجع: وحدة العمل الإسلامي ص 51 د . البيانوني .. والمسلمون وداء التفرقة د . طلعت عفيفي 224 .

**الحذر من دسائس الأعداء ومكائدهم.**

وبجوار هذا يجب على المؤمنين: أن يحذروا دسائس أعدائهم؛ فإن أعداءهم مهما سالموهم ووادُّوهم يعملون بغير كلل ولا ملل لغرس بذور الخلاف والفتنة بينهم، وتفريقهم شيعًا متعادية، ودولاً متفرقة؛ ليتمكنوا من إضْعافهم وهزيمتهم، واحتلال أرضهم، وقد جاء عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» [2].. أي ينجح في تفريقهم بالشحناء.

ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانُ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تُحَاقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ» [3].

وقد حدث هذا في عهد النبي ﷺ حينما رأى شيخُ اليهود وقتئذ (شاس بن قيس) قبيلتي الأوس والخزرج بعد إسلامهم، إخوة متحابين بعدما كانوا في جاهليتهم أعداء متقاتلين؛ فامتلأ غيظًا وحقدًا، وقال في نفسه: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار. . وعمل لتفريقهم وتعاديهم كما كانوا في جاهليتهم، فدس فيهم شاباً من يهود، يُذكِّرهم بحروبهم التي كانت بينهم في جاهليتهم، وظل يُذكِّرهم بقتلاهم فيها حتى تجاوب معه الفريقان وتواثبا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، وقال: «يا معشر المسلمين، الله الله. . . أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، أبعد إذْ هداكم الله إلى الإسلام، وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألَّف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟».

---

(1) صحيح .. أخرجه أحمد 19، وغيره عن أبي بكر الصديق ﷺ.

(2) صحيح .. أخرجه ابن حبان 5941، والترمذي 1937، ومسلم 2812، وغيرهم.

(3) صحيح .. أخرجه الحاكم 318، وأحمد 8810، والبزار كما في الكشف، رقم 2850، وغيرهم عن ابن عباس.

فعرف القوم أنها نزْغة هذا الشيطان اليهودي، فألقوا السلاح، وعانق بعضهم بعضاً، وانصرفوا مع رسول الله ﷺ، أخوة متحابين كما كانوا. . وأنزل الله قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران ـــ 100: 105) [1].

وفي هذه الحادثة عِبَرٌ ودروس للمؤمنين، ينتفعون بها:

1 ـ يصف الله تعالى وحدة المؤمنين بالإيمان، ويصف تفرقهم بالكفر، كما في قوله سبحانه: (يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ): أي: يردوكم بعد وحدتكم متفرقين.. والنبي ﷺ ينهى المؤمنين عن هذا، يقول: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» [2].

2 ـ الأمر بالوحدة، والنهي عن التفرقة في قوله سبحانه: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)، والله تعالى يقول: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).

ويقول سبحانه: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: 46).

---

(1) راجع: الدر المنثور للسيوطي، وعزاه لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ .

(2) أخرجه البخاري ومسلم، وغيرهما عن ابن عمر، كما في صحيح الجامع 7131 .

والنبي ﷺ يقول: «لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» [1].

**شاس بن قيس المعاصر.**

وشاس بن قيس ليس شخصًا قد مات، إنما هو منهج شيطاني، وفكْر متأصل في الشخصية اليهودية والصليبية، يُلازمها ولا يُفارقها، ويظهر في كل عصورها وأماكنها بأسماء متعددة. . قد يكون فردًا وقد يكون دولة. . وقد قال العلماء: العبرة بالمعاني والمضامين، وليست بالأسماء والعناوين.

ونذكر من تصريحات شاس بن قيس المعاصر الآتي:

* ــ لويس التاسع ملك فرنسا بعدما هزمه المسلمون، وأسروه في دار ابن لقمان بالمنصورة في مصر ترك لقومه وصية، لا زالت محفوظة في (دار الوثائق القومية في باريس. . فرنسا) قال فيها: إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب، وإنما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة، باتباع الآتي:

1 ــ إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين، وإذا حدثت فليعمل على توسيع شقتها ما أمكن حتى يكون هذا الخلاف عاملاً في إضعاف المسلمين.

2 ــ عدم تمكين البلاد الإسلامية والعربية من أن يقوم فيها حكم صالح.

3 ــ إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء؛ حتى تنفصل القمة عن القاعدة.

4 ــ العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة.

5 ــ العمل على قيام دولة غريبة في المنطقة العربية تمتد ما بين غزة جنوبًا، وانطاكية شمالاً، ثم تتجه شرقًا وتمتد حتى تصل إلى الغرب [2].

---

(1) صحيح .. أخرجه البخاري 3476، والنسائي 8094، وغيرهما عن ا بن مسعود ﷺ .

2) راجع: قادة الغرب يقولون 34، 44 عن مجلة آخر ساعة عدد 2106 في 5 آزار عام 1975م من خطبة أمير الحج المصري عام 1975م الوزير أحمد كمال أبو المجد وزير الري.

* ــ قال السلطان عبد الحميد العثماني: الدول الكبرى (الأوربية) كانت ترتعد من سلاح الخلافة، وخوفهم من الخلافة جعلهم يتفقون على إنهاء الدولة العثماني. . فقد وجدوا من مصلحتهم تقسيم الدول العثمانية وتفتيتها [1].

* ــ وقال القس (لورانس براون): إن أهدافنا الرئيسية تفتيت الوحدة الإسلامية، ودحر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها [2].

وقال: يجب أن يبقى العرب والمسلمين متفرقين؛ ليبقوا بلا قوة ولا تأثير [3].

* ــ ومصطفى كمال أتاتورك مؤسس دولة تركيا أرسل زميله (عصمت أينونو) مع الحاخام اليهودي (حاييم ناحوم) (!)؛ ليقول للبريطانيين: لماذا تُقاتلوننا مرة أخرى؟.. لقد كنا إمبراطورية كبيرة، وكنتم تخشون جانبنا، فانسلخت عنا أكثر البلاد، ولم يبق إلا العنصر التركي في الأناضول، وأصبحنا لا يُخشى جانبنا، فاتركونا متمتعين باستقلالنا كعنصر تركي وحده!.

فقال البريطانيون في ردهم عليه: إننا نخشى أن تعودوا فتصبحوا مركز تجمع المسلمين، ونواة لوحدتهم مرة أخرى.

وحينما فاوضت بريطانيا الصليبية تركيا لأجل استقلالها فرضت شروطها في اتفاقية وزير خارجيتها (كرزون) في (لوزان)، وهي:

1 ــ إلغاء الخلافة الإسلامية نهائيًا من تركيا.

2 ــ أن تقطع تركيا كل صلة لها مع الإسلام.

3 ــ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.

4 ــ أن يستبدلوا الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت [4].

---

(1) راجع: مذكرات السلطان عبد الحميد 24، 131.. ط. دار القلم.. بيروت.. بتصرف يسير.

(2) راجع: حاضر العالم الإسلامي 72 د . على جريشة .. والمسلمون وداء الفرقة 102 .

(3) راجع: جذور البلاء 202 لعبد الله التل، ط. المكتب الإسلامي .. بيروت .

4 ) راجع: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام 127، 128ويقصدون بالدستور المدني: غير إسلامي.

وأذعن (أتاتورك) لهذه الشروط، ونهض بتنفيذها، فقام بإلغاء دولة الخلافة الإسلامية عام (1393هـ =1924م)، وفكَّك أقطارها؛ فزالت الدولة الإسلامية الواحدة، وتفرقت إلى دول صغيرة ضعيفة لأول مرة في تاريخها.

* ــ وقال مور بيرجر في كتابه (العالم الإسلامي): إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجًا عن وجود البترول بغزارة عند العرب، بل بسبب الإسلام.. يجب محاربة الإسلام والحيلولة دون وحدة العرب التي تُؤدي إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تتصاحب دائمًا مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره [1].

**وسائل غرس الاختلاف والتفرق في الأمة الإسلامية.**

وكان من أكبر وأهم الوسائل التي فرَّقوها بها الدولة الإسلامية الواحدة:

1 ــ غرس القوميات القطرية..

2 ــ إحياء الجاهليات القديمة لكل قطر.

3 ــ المذاهب الجاهلية الحديثة.. وهاكم بيان هذه الوسائل بإيجاز:

1 ــ غرس القوميات القُطْرية.

* ــ ومن الوسائل التي استخدمها الصليبيون لتفكيك دولة الإسلام وتفريقها: غرس القوميات القُطْرية الجاهلية في أقطارها، بتشجيع كل قُطْر من أقْطارها على الاستقلال عنها؛ ليكون دولة صغيرة ضعيفة مستقلة، فمصر تستقل لتكون دولة بذاتها، وسوريا تستقل لتكون دولة بذاتها، والجزائر تستقل لتكون دولة لها حدودها. . وهكذا حتى تفككت الدولة الإسلامية، وزالت وحدتها.

وفي كانون الثاني عام 1916م أسس الكولونيل (جلبير كلينون) المكتب البريطاني في القاهرة، وعكف مع عدد من ضباط الاستخبارات البريطانية على إعداد مخطط عملي لتطويع حركة القومية العربية في خدمة الأهداف البريطانية [2].

---

(1) راجع: المسلمون وداء الفرقة 174 عن حاضر العالم الإسلامي .. مرجع سابق .

( 2 ) راجع: لورانس العرب لزهدي الفاتح 64 .

وفي عام 1917م اقترح الجاسوس البريطاني (توماس إدوارد لورانس) صديق العرب على حكومته، قال: إذا نجحنا في تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة وبالعنف لقضينا على خطر الإسلام إلى الأبد، ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على أنفسهم، فنمزقهم من داخلهم وفي عقر دارهم [1].

وثقافة المسلم تمنعه أن يقبل هذه التفرقة أو يكون أداة لها؛ ولهذا وجدنا القائمين بفتنة القوميات الجاهلية من المسيحيين واليهود وعبيدهم من العلمانيين المسلمين !!. . ففي تركيا كان القائمون بها يهود (الدونمة) ولا سيما أعضاء المحفل الماسوني.

ويُشير مُعرِّب كتاب (لعبة الأمم) إلى أن أكثر من تسعين بالمائة من قادة حركة القومية العربية هم من المسيحيين، خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت، مثل:

1 ــ قائد حزب البعث في سوريا والعراق هو: (ميشيل عفلق) المسيحي.

2 ــ وزعيم العرب القوميين السوريين هو: أنطون سعادة ــ المسيحي المعروف.

3 ــ وزعيم القوميين العرب هو: جورج حبش ــ المسيحي المعروف.

4 ــ وقسطنطين رزيق (المسيحي المعروف) أحد زعماء القومية العربية[2].. الخ.

وكان أول كتاب عربي للترويج للقومية العربية صدر عام 1933م باسم (يقظة العرب)، كتبه اللبناني المسيحي: (نجيب عازوري).

وقرأنا للشاعر المسيحي رشيد سليم الخوري، قال:

بلادك قدِّمها على كل ملة * ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

هبوني دينًا يمنح العرب وحدة * وسيروا بجثماني على دين جرهم

سلام على كفر يُوحد بيننا * وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم.

وبعدما فرَّق الصليبيون أقطار الإسلام عن بعضها، وجعلوا لكل قُطْر منها حدوده المكانية (في اتفاقية: سايكس. بيكو) لا يزالون إلى اليوم يعملون لتفريق المُفرَّق وتجزأة

(1) راجع: لورانس العرب على خطى هرتزل 74.. ومجتمع الكراهية 88، للوزير الأردني سعد جمعة.

(2) راجع: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي 76، د.علي جريشة وزميله، ط. دار الاعتصام .. مصر.

المُجزَّأ، فعملوا بالدسائس لفصل جنوب السودان عن شماله حتى تحقق لهم عام 1432هـ = 2011م، ولا زالوا يعملون لفصل الأكراد عن العراق، كما قال أحد خبراء الاستراتيجية: إن المخطط العام الذي يُسيطر على القيادات اليهودية هو تجزئة المنطقة العربية وتحويلها إلى كيانات صغيرة يُسيطر عليها مفهوم الدولة الطائفية [1].

**2 ــ إحياء الحضارات الجاهلية القديمة لكل قُطْر.**

ومن الوسائل الصليبية لتفرقة الدولة الإسلامية: إحياء الحضارات الجاهلية القديمة لكل قطر إسلامي، مثل: الطورانية في تركيا، والفرعونية في مصر، والآشورية والبابلية في العراق، والفينيقية في سوريا ولبنان، والكنعانية في فلسطين!.

قال أحد المستشرقين: إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وتلك الحضارات [2].

وقال د. محمد حسين في حاشية كتابه (في وكر الهدَّامين ص 27): إن المليونير اليهودي الأمريكي المتستر تحت النصرانية (روكفلر) أوفد سنة 1926م الأديب الأمريكي (برستد) ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية يُعين على سلْخ مصر من عروبتها وإسلامها [3].

**3 ـ غرس التفرقة عن طريق تفريق القادة المهازيل.**

ذكرت جريدة (المدينة) السعودية الصادرة في: 3/ 2/ 1399هـ = 1/ 1/ 1979م وثيقة تتضمن سُبل القضاء على العمل الإسلامي، ومما جاء فيها:

ا ــ بث بذور الشقاق بين قادة العمل الإسلامي، لينشغلوا بها عن النشاط المثمر.

---

(1) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 602، 603، 604.

2) راجع: حاضر العالم الإسلامي 1/ 182، د. جميل المصري.. والمسلمون وداء التفرقة 122 .

(3) راجع: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام 141، 142 لمحمد الصواف ط . دار الاعتصام .

ب ــ تعميق الخلافات المذهبية والفرعية وتضخيمها في أذهان الشباب. . وتفتيت الجماعات الإسلامية والجمعيات المختلفة، وبث التنازع داخلها وفيما بينها [1].

وحينما قام الغافلون في العراق وإيران بالتقاتل في معركة طالت قريبًا من تسع سنوات كان شاس بن قيس الأمريكي يُشجع الطرفيْن، ويمد كلًا من الطرفيْن بالسلاح اللازم؛ لإنهاك قوة الطرف الآخر، وقد دافع الرئيس الأمريكي (نيكسون) عن هذا التصرف الأمريكي، قال: هناك العديد من المراقبين الذين يدينون السياسة الأمريكي خلال الحرب الإيرانية. إنهم يُعربون عن صدمتهم إزاء التصرف الأمريكي بالوقوف حينًا إلى جانب طرف، وحينًا إلى جانب الطرف الآخر، حسب تطور القتال، إنهم على حق جزئيًا، ذلك أن مصالحنا تقتضي أن لا يبرز أيٌ من الطرفيْن كمنتصر نهائي.. وقد تصرفت إدارة الرئيس ريجان بحنكة عندما استخدمت الطرفيْن لهذا الغرض، وعندما تم بيع السلاح إلى العراق.

وأكد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق (هنري كيسنجر) سوء نية أمريكا تجاه كلٌ من إيران والعراق إثر قيام وانتهاء الحرب الإيرانية العراقية، وتصميمها على تحطيم قوة العراق، فقال: لا نُريد مهزومًا واحدًا في هذه الحرب، إنما نُريد مهزومين اثنيْن، وحينما انتصرت العراق على إيران فعلينا نحن تقع مسئولية هزيمة العراق وتحطيم آلته العسكرية [2].

هذا التقسيم والتفرقة الخبيثة خطط لها اليهود في مخططاتهم، قالوا: لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً. ومن هذا كله تتقرر حقيقة: هي أن أي

(1) راجع: المسلمون وداء الفرقة 107، 108 .

(2) راجع: الغرب والإسلام وفلسطين 317، 318، لمحمود النمورة، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

حكومة منفردة لن تجد لها سنداً من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا، لأن كل واحدة منها ستظن ان أي عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتي [1].

وقال (ديفيد ابن جوريون) أول رئيس لإسرائيل: إننا نعيش في محيط سنى، ولذلك على الصهيونية أن تتعاون، بل وتُجند الأقليات العرقية والمذهبية في المنطقة المحيطة لخدمة المصالح الصهيونية [2].

وقال اليهودي (أوسكار ليوي): نحن أوجدنا النُّعرات العنصرية والطائفية... أفسدنا كل شيء فيهم [3].

وفي المؤمنين سمَّاعون لهم!.

والذي يُحزنني أن في المؤمنين سمَّاعين لهذا الشيطان الصهيوني والصليبي؛ مما أدى إلى تفرق الأقطار الإسلامية وتعاديها، حتى سماهم الأستاذ سعد جمعه في عنوان كتابٍ له: (مجتمع الكراهية)، وحينما سأل أحد الصحافيين رئيس وزراء مصر: ماذا أعددتم لقضية فلسطين؟.

فأجاب: أنا رئيس وزراء مصر، ولست رئيس وزراء فلسطين [4].

وتبنى بعض القادة العسكريين في البلاد العربية القومية الجاهلية ــ المُشار إليها ــ، مثل الرئيس المصري جمال عبد الناصر، الذي سمَّوه قائد القومية العربية، ووصفوا مصر بأنها زعيمة القومية العربية، كما قال المسيحي ساطع الحصري: لقد زودت الطبيعة مصر

---

(1) راجع: الخطر اليهودي = بروتوكولات حكماء صهيون. ص: 134، في البروتوكول الأول، ترجمة محمد خلفة التونسي، ط. دار الكتاب العربي.. بيروت.

(2) راجع: الانتفاضة المباركة.. بشائر وانتصارات 278.

( 3 ) راجع: الخطر المحيط بالإسلام لجواد رفعت 102 .

4) راجع: صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني 89، 90، لعوني جدوع العبيدي، ط. مكتبة المنار.. الأردن.

بكل الصفات والمزايا، التي تحتم عليها أن تقوم بواجب الزعامة والقيادة في إنْهاض القومية العربية [1].

والمُريب في الأمر أن الفلسطينيين المنكوبين الذين يُفترض فيهم الوَحدة صفًا واحدًا، والاشتغال بتحرير فلسطين باض فيهم شاس بن قيس وفرَّخ، حتى اختلفوا وتفرقوا، وتعادوا حتى ذاق بعضهم بأس بعض، كما حدث بين فصائل المقاومة الفلسطينية في فلسطين وفي لبنان.

كتب صديق للعرب ( توم ليتل) في دراسته ( العرب المتطرفون الجدد) يُعدِّد أربع عشرة منظمة فدائية بقيادتها وأيديولوجيتها، قال: من سنة 1948م إلى سنة 1967م كان الصراع في الشرق الأوسط يدور حول شعار واحد هو: هل يجب إنقاذ فلسطين أولاً . أو الانصراف إلى الصراعات الأيديولوجية؟.

وقال: تفاقمت الخلافات بين المنظمات الفدائية لأسباب أيديولوجية تتعلق بطبيعة ولون الحكم الذي سيقررونه لفلسطين بعد النصر.

وكتب أحد الأعاجم من أصدقاء العرب متألمًا في صحيفة (الصنداي تايمز) في 30/ 11/ 1969م قال: إن مصيبة العرب هي فرديتهم (أي تفرقهم) فأنت لو جمعت خمسة منهم في غرفة مغلقة لخرجت بستة أحزاب سياسية.

والرئيس الليبي (القذافي)، قال في (31/ 3/ 1971م): إن المنظمات الفدائية قد وصلت الآن إلى أربعين منظمة، وتُثبت آخر التقارير التي تصل إلينا: أن عشرة في المائة من العمل الفدائي يُوجه نحو العدو، وتسعين في المائة يُوجَّه إلى الداخل في تضارب المنظمات مع بعضها بعضًا، وفي تناقضها الواضح مع الأنظمة العربية [2].

---

(1) راجع: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا 169 د . يوسف القرضاوي .

حتى أن أمير الشعراء أحمد شوقي انخدع بهذه القومية الجاهلية، فقال مخدوعًا ــ ويا سوء ما قال ــ:

وجه الكنانة ليس يُغضب ربكم * أن تجعلوه كوجهه معبودا.

ولُّوا إله في النهار وجوهكم * وإذا فرغتم فاعبدوه هجودا.

(2) راجع: مجتمع الكراهية 160 لسعد جمعة.

ولم نعد نعرف في زحمة هذه الاختلافات الفلسطينية من الذي يتكلم باسم الشعب الفلسطيني؟. . ومن الذي يعمل لتحرير أرض فلسطين بصدق؟.

ولهذا هزمنا حفنة من اليهود، واحتلوا أرضنا في القدس وفلسطين؛ حتى تعجَّب العقلاء في العالم الإنساني، وقد سُئِل أحد العرب سنة 1967م: كيف هُزِمْتم أمام إسرائيل وأنتم عشرون دولة؟.

فقال: هُزِمْنا لأننا عشرون دولة أمام دولة واحدة.

وسأل المسلمون: كيف انهزمت ملايين العرب أمام (مليونيْن من اليهود)؟.

فقال المسئول العربي: لأن المليونيْن من اليهود عبَّأوا قواهم، والعرب ـــ على كثرتهم ـــ لم يُعبئوا قواهم [1].

وللألم الشديد افترق الفلسطينيون في السنوات الأخيرة افتراقًا آخر لم يكن في الحسبان، فأهل (غزة) في ناحية، وإخوانهم في (رام الله) في ناحية أخرى، والواجب عليهم جميعًا أن يتحدوا ويتلاحموا كما كانوا، وقد علموا أن افتراقهم يُحقق فيهم هدف العدو.

وحينما ظهرت بوادر رجعتهم إلى التلاحم بعد (21/ 2/ 1432هـ = 25/ 1/ 2011م) سمعت شاس بن قيس المُعاصر من قادة اليهود والصليبيين، وهو: (باراك أوباما) يذكر: أن رجوع جماعة حماس وحكومة فلسطين في رام الله إلى وحدة دولتهم الفلسطينية كما كانت عملٌ ضد السلام!.

وخلاصة القول: إن السبيل الكبير والهام للقيام بالتحرير هو: عودة المسلمين إلى فريضة الوحدة والترابط والتعاون والتآزر، ولو في حدود بلاد الطوق والمواجهة (مصر وسوريا والأردن ولبنان).. والله وحده المستعان.

ﷺ ﷺ ﷺ

(1) راجع: درس النكبة الثانية.. لماذا انهزمنا؟.. وكيف ننتصر 70.

## 13 ـ أسلمة المعركة فريضة وضرورة .

**الخطوات القرآنية الثالثة عشر: أن يجعل المسلمون معركتهم المُرتَقبة إسلامية.**

وأسلمة المعركة معناه: أن تكون المعركة في منطلقها والإعداد لها وغايتها؛ قيامًا بفريضة الجهاد؛ لتكون كلمة الإسلام هي العليا، بتحرير أرضه المحتلة، ورد العدوان عن أهله، أو بتعبير المصطلح الإسلامي: (في سبيل الله).

قَالَ أَبُو مُوسَى ﷺ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ الله؟.. فَقَالَ ^: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله» [1] .

هذا هو الأصل الذي أقام به المؤمنون الأولون معاركهم، وحققوا به النصر والتمكين، ويجب على المؤمنين في كل مكان إلى يوم القيامة أن يُقيموا به معاركهم، ولن يُحققوا النصر وتحرير أرضهم المحتلة إلا به.. للأسباب الآتية:

**السبب الأول: وجوب إسلامية معركة التحرير.**

والإسلام في قرآنه وسنته يُوجب على المؤمنين أن يكون إعدادهم للمعركة، وخوضهم للقتال لرد الاعتداء، وتحرير أرضهم المحتلة إسلاميًا في منطلقه وغايته إعلاءً لكلمة الإسلام، أو بتعبير المصطلح الإسلامي: (في سبيل الله)، لقول الله تعالى: (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ الله ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) (التوبة:41).. ورسول الله ﷺ: «اغْزُوا فِي سَبِيلِ الله» [2] .

**السبب الثاني: القدس وفلسطين أرض إسلامية.**

ومما يُوجب أسلمة معركة التحرير المُرتَقبة: أن القدس في الإسلام بُقْعة مقدسة، ولن يُحررها إلا المؤمنون المُجاهدون في سبيل الله، وقد جاء عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ يقول: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى

---

1) صحيح .. أخرجه البخاري 2810 ومسلم 1904، وغيرهما عَنْ أَبِي مُوسَى .

2) صحيح .. أخرجه أحمد 10786، والحاكم 2382، والبيهقي في الكبرى 18503، وغيرهم عنن أبي هريرة.

يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ» [1].

هذا الحديث إن جاء في صورة الخبر إلا أنه يحمل في طيِّه أمرًا يُوجب على المؤمنين تحرير أرضهم المحتلة (في فلسطين وغيرها)، ويُوجب عليهم أن يجعلوا معركتهم إسلامية، ويُلقوا عن كواهلهم أفكار ومناهج ورايات الجاهلية، (كالعلمانية وذريتها: الاشتراكية والليبرالية وغيرها) التي أوْهنتهم دهورًا، وكانت من أسباب هزائمهم!.

وفي الحديث المذكور نرى أن الحجر والشجر يُنادي المجاهدين بوصفهم مسلمين، فيقول: (يَا مُسْلِمُ.. يَا عَبْدَ الله) ولا يقول: يا عربي، ولا يا مصري، ولا يا سوري، ولا يا اشتراكي ولا يا ليبرالي ..الخ.

وقد أدرك هذا القادة العسكريون المؤمنون، كالقائد عبد الله التل الذي قاتل في معركة 1948م، قال: ويتناسى دعاة العلمانية الذين يُسقطون من حسابهم العامل الديني في قضية فلسطين، إنها القضية الوحيدة في العالم التي قامت منذ ثلاثين قرنًا ــ وما زالت تقوم ــ على أُسس دينية روحية، وأنه إن صحت معالجة أيَّة مشكلة على أسس مادية فإن قضية فلسطين لا تُعالج إلا على أسس دينية بالدرجة الأولى، وأسس مادية بالدرجة الثانية، ويتناسى قادة الأحزاب والحركات العربية العلمانية أن جميع المعارك الحاسمة في

(1) صحيح ... أخرجه البخاري 2926، ومسلم 7268،، وأحمد 9398 وغيرهم.. وهل ينطق الحجر والشجر بلسان الحال أو بلسان المقال؟.. آية من آيات الله، وما ذلك على الله بعزيز.. أو ينطق الحجر والشجر بلسان الحال بمعني: أن كل شيء يدل على اليهود ويكشف عنهم .. على أن هذه الآية سُنَّة إلهية من سنن الله تعالى، يمنحها الله تعالى المؤمنين المجاهدين كلما جعلوا معركتهم إسلامية، واستجمعوا فيها شروط النصر .. وليس في الحديث ما يُشير إلى أنها من علامات قيام الساعة (راجع كتابنا: حتمية زوال إسرائيل في ضوء القرآن والسنة والتاريخ .... ط. مركز الإعلام العربي للنشر .. عام 2012م.. مصر ) .

تاريخ العروبة والإسلام من القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت إلى بور سعيد والجزائر كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة: الله أكبر [1].

**السبب الثالث: المماثلة في التعبئة والمواجهة الدينية .**

ومما يُؤكد وجوب أسلمة المعركة المُرتقبة للتحرير: أن أعداءنا يُقاتلوننا من منطلقاتهم وأحلامهم الدينية، وتصريحاتهم في ذلك صريحة ومُعلَنة ــ كتابة وشفاهة ــ ونذكر هنا بعضًا منها للبيان لا للحصر:

1 ــ ففي الجانب الصليبي: قال (يوجين روستو) مستشار الرئيس الأمريكي (جونسون): إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وإن قيام إسرائيل هو جزء من هذا المخطط، وإن ذلك ليس إلا استمرارًا للحروب الصليبية [2] .

وحينما احتفل الصليبيون باحتلال فلسطين عام 1917م، وتسلّم اللورد (اللنبي) قائد الجيش الإنجليزي مفتاح مدينة القدس قال: الآن انتهت الحروب الصليبية.. وحينما دخل الجيش الفرنسي سوريا ذهب قائده (غورو) إلى الجامع الأموي، وركل قبر صلاح الدين الأيوبي بقدمه، وقال: ها قد عدنا يا صلاح الدين.

ونشرت مجلة (بنش) الإنجليزية رسمًا للقائد الصليبي ريتشارد قلب الأسد (ت: 1199م) الذي انتصر عليه القائد المسلم صلاح الدين (589هـ)، وكتبت على لسانه تحت الرسم: (أخيرًا تحقق حلمي)، وفوق الرسم عنوان: (آخر حملة صليبية) [3].

* ــ وقال رئيس الوزراء البريطاني (ونستون تشرشل) بعد نكبة (1917م): لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء، إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين، وقد

---

1 ) راجع: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية 9، 10، لعبد الله التل، ط. دار القلم.. مصر.

(2) راجع: كيف ننصر فلسطين 36، لنبيل المعاذ.

(3) راجع: في فقه الصراع على القدس وفلسطين 44، 45، د. محمد عمارة، ط. دار الشروق.. مصر.

أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية، ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة بين المسلمين واليهود [1].

وحينما جيَّش الصليبي (جورج بوش 2) الجيش الصليبي ضد أفغانستان المسلمة سمَّاها: حملة (صليبية).. ولما انزعج المسلمون لهذا الوضوح سماها: حملة (العدالة المطلقة).. وثار المسلمون لهذه التسمية فسماها: حملة (النسر النبيل)، وهي الأخرى تسمية دينية ــ وإن كانت مجهولة لدى المسلمين ــ؛ فهي مُقْتبسة من سفر (الرؤيا 12: 13)، قال: فأعطيت المرأة جناحي النسر العظيم لكي تطير إلى البرية [2].

---

(1) راجع: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله 26 .. كيف ننصر فلسطين 40، لنبيل المعاذ.

(2) راجع: كتابنا: فتنة (هرمجدون) بين ضعف الدليل وتعسف التفسير 123، ط. دار القلم للتراث.. مصر.

(الانتفاضة المباركة.. انتصارات وبشائر 252، لحسن محمد.. ط. مركز الإعلام العربي.. مصر).

وفي الحرب العدوانية على دولة البوسنة والهرسك المسلمة، نشر الصليبيون الصرب منشورات في (سراييفو) والمدن التي حولها تقول للمسلمين: عودوا إلى حظيرة الرب حتى لا يسري عليكم الأمر المقدس. أي الذبح (راجع: البوسنة والهرسك.. أمة تُذبح وشعب يُباد 44، ط. دار الدعوة الإسكندرية.. مصر).

وسألت جريدة (دير اشبيجل) الألمانية (فوشتيك) قائد القوات الصربية عن الهدف من الحرب على دولة البوسنة (المسلمة).. فقال (فوشتيك): القضاء على المسلمين، فالمسلمون في أوربا يجب أن يختفوا كأمة، إن على المسلمين في البوسنة إعلان تحولهم عن الإسلام، وأن يُصبحوا صربيين أو كروات (أي مسيحيين)، أما الخيار الثالث فهو الموت (راجع: جريدة الجمهورية القاهرية 16/ 10/ 1992م .. والمسلمون وداء الفرقة 91).

وكرر (فوشتيك) إعلان هدفه من هذه الحرب الصليبية، فقال: إن هدفنا الوحيد بصراحة هو القضاء على أمة المسلمين في البوسنة والهرسك، وإذا أراد المسلمون البقاء على قيد الحياة فعليهم إعلان الانتماء، إمَّا إلى القومية الصربية (الأرثوذكس) أو الكرواتية (الكاثوليك) (راجع: الصربيون خنازير أوربا. يُحاولون إبادة الوجود الإسلامي في البلقان 9).

هذا الصليبي ــ كما قال الأب (يوحنا قلته) ــ: يقصد تمامًا معنى عبارة (حرب صليبية)، ولم تكن أبدًا زلة لسان [1] .

ونقل نبيل شعث وزير الحكومة الفلسطينية عن (بوش الابن) نفسه في اجتماع عقد له في (شرم الشيخ.. مصر) في يونيو 2003م، قال: إن ما يُحركني هو تكليف من الرب، كأن الرب يقول لي: جورج، اذهب وحارب أولئك الإرهابيين في أفغانستان، وقد فعلت.. ثم قال لي: اذهب وأنْهِ الطغيان في العراق، وقد فعات.. والآن مرة أخرى أشعر بكلمات الرب وهي تصل إلي: واذهب واعط الفلسطينيين دولتهم، واحصل للصهاينة على أمنهم، وحقق السلام في الشرق الأوسط، وأقسم بالله إنني سأفعل [2] .

2 ــ وفي الجانب اليهودي: قالت دائرة المعارف البريطانية: إن اليهود يتطلعون إلى افتداء (إسرائيل)، واجتماع الشعب (اليهودي) في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء الهيكل، وإقامة عرش (داود) في القدس ثانية، وعليه أمير من نسل (داود) [3] .

---

(1) راجع: حول الحرب الدينية 53 د. محمد عمارة عن صحيفة العربي القاهرية في 16/ #/ 2003م .

(2) راجع: الانتفاضة المباركة.. انتصارات وبشائر 252، لحسن محمد.. ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

وفي حرب الخليج 1991م ضد العراق والكويت المسلمة وقع اختيار القائد العسكري الأمريكي (شوار سكوف) على تسمية هذه الحرب العدوانية (المجد للعذراء)، وقال: قبل الحرب بنصف ساعة جمعت ضباط القيادة العليا، وأتينا بقسيس، وقضينا عشرين دقيقة في صلاة، ثم أعطيت الأوامر بالحرب.. وذكر أن أمه قالت له: إن العناية الإلهية تُريد أن تجعل منك إنسانًا مُتميِّزًا (راجع: كيف ننصر فلسطين 25، لنبيل المعاذ).

(3) راجع: أسباب كارثة فلسطين 127، 128، الحاج أمين الحسيني، ط، در الفضيلة.. مصر، نقلًا عن: دائرة المعارف البريطانية (انسكلوبيديا بريتانيكا) طبعة عام 1926م، المجلد 27، 28 في الصحيفة 986، 987.

وقال القائد اليهودي (موشى ديـان): إن جيشـنا ليسـت مهمتـه الأساسـية حمايـة الصناعات، وإنما رسالته حماية المقدسات، وعلى هذا الأساس يتدرب ويُقاتل [1] .

واليهود اعتدوا على العرب في (صباح الاثنين 5 يونيو 1967م)، وسمُّوه: حـرب الأيام الستة ، رغم أنها لم تكن ستة أيام، لأن نبيهم يوشع شـن حـرب السـتة أيـام علـى أعدائه يوم الاثنين، وظل يُحارب إلى أن حل مساء الجمعة، فطلب من الله أن يُؤخر غروب ذلك اليوم حتى يُجهز على أعدائه قبل أن يبدأ يوم السبت [2].

وفي هذا العدوان كانت كلمة السر لدى الجنود اليهود: (خيبر)؛ وهي كلمـة تشـير إلى تاريخ ديني لليهود مع رسول الله ^ والمؤمنين منذ أكثر من أربعمائة وألف سنة.

وقال (موشى ديان) وزير الإرهاب الإسرائيلي: هذا يوم بيوم خيبر.. يا لثـارات خيبر.. وقال الجنود اليهود وشعبهم: محمد مات، وخلف بنـات.. حُطُّـوا المشـمش علـى التفاح دين محمد ولى وراج

وقال (موشى ديان) يوم احتلال القـدس في يونيـو 1967م: لقـد اسـتولينا علـى القدس ، ونحن في طريقنا إلى يثرب. أهـ [3].

وحينما وقفت رئيسة الوزراء (جولدا مائير) على شاطئ خليج العقبة (إيـلات أو أم الرشراش) وأخذت تستنشق الهواء، وتقول: إني أشم رائحة أجدادي في خيبر [4].

---

(1) راجع: القدس والوعد المفترى لمحمد السـيد الشـناوي.. والصـراع العربـي الإسـرائيلي 14، لهـادي المدرسي .

(2) وقد تشرّب جنودهم هذه الروح الدينية، ويُقاتلوننا من منطلقاتها .. وقد ذكرت جريدة العـرب: أن القنابل الأمريكية التي كان يُطلقها الجيش الأمريكي على الشعب العراقي في تلك الحرب العدوانية على العراق المسلم كان الجنود يكتبون عليهـا: إلى صـدام حسـين، خـذ هـذا، وإذا لم يُسـعفْك الله بتاعك فاطلب النجدة من المسيح (راجع: الجنازة حارة 205 .. لمحمد جلال كشك رحمه الله ).

( 3 ) راجع المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح ص 97،

(4) راجع: واقدساه 1 / 469، 490، د. سيد العفاني، ط. مكتبة معاذ بن جبل.. مصر.

وقالت (جولدا مائير) رئيس الوزراء: لقد نصرْنا السبت فنَصَرَنا السبت[1].
هذا الدافع الديني هو الذي تربى عليه اليهود، وهو الذي جعل جنودهم ينزلون من دباباتهم، ويُقبلون سيناء (المصرية) في أول شبر احتلوه منها.. وهو الذي جعلهم يضعون التوراة على مقدمة أول دبابة دخلت القدس القديمة في 1967م[2].

وذكرت جريدة الأخبار المصرية: أن فتاوى يهودية تبيح للجيش الإسرائيلي قتل النساء والأطفال وهدم المنازل على سكانها، وأن الحاخام (أفي رونتسكي) أفتى بأن أحكام التوراة تبيح قصف البيوت الفلسطينية من الجو على من فيها [3] .

---

(1) راجع: اليهود المعتدون ص 128، للعلامة محمد الغزالي. ط. دار القلم.. دمشق .

(2) راجع: الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي 322، ماجد كيلاني، ط. الدار السعودية للنشر.. جدة.. نقلًا عن مقال للأستاذ محمد جلال كشك رحمه الله في مجلة الوعي الإسلامي عدد 34، عام 1387هـ = 1968م.

(3) راجع: جريدة الأخبار المصرية في 18/ 1/ 2009م .
والجندي الإسرائيلي موشي الذي خدم في الجيش الإسرائيلي عام 1967م سأل الحاخام (شمعون وايزر): هل نعامل العرب مثل العماليق، يعني نقتلهم حتى نستأصل ذِكْرَاهم من الأرض: (ولتمح ذِكْرَى العماليق من تحت السماء)؟، أم نقوم بما يحدث في الحرب العادلة التي يقتل فيها الإنسان الجنود فقط؟، وهل يجوز لي تقديم الماء لعربي يستسلم؟! .
فأجابه الحاخام المذكور، قائلًا: سأنقل بعض أقوال الحكماء، وأفسرها لك: الحرب لدى غير اليهود ذات قوانين خاصة، مثل قوانين اللعب، كرة القدم أو السلة، لكن الحرب كما يقول حكماؤنا: لا تعني بالنسبة لنا لعبة، بل ضرورة حيوية، واستنادًا إلى هذه المقاييس فقط ينبغي التفكير حول كيفية القيام بها: أفْضَل غير اليهود اقتلوه، وأفْضَل الأفاعي هشموا رأسها.. هذه هي قاعدة: طهارة السلاح سبب الهالاكاه (الشريعة).
فكتب الجندي الإسرائيلي ردًا على رسالة الحاخام قال: تلقيت رسالتك وفهمتها على النحو الآتي: لا يُسمح لي في وقت الحرب بقتل كل عربي أو امرأة أصادفها وحسب، بل من واجبي أيضًا القيام بذلك (راجع: حول الحرب الدينية 30، 31 .. عن الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود 136: 140).

ولهذا قال الزعيم اليهودي (إبراهام بورغ) رئيس الكنيست اليهودي: إن إسرائيل حولت الصراع مع الفلسطينيين من صراع سياسي إلى صراع ديني، وإنه لا يُمكن حل صراع ديني بالطرق السياسية [1]

قال شيخنا محمد الغزالي: أذكر أني كنت أتحدث مع مقاتل شهد معركة (الصبحة) في الخمسينات (من القرن العشرين) فقال لي: والله لقد قاتلنا بشدة وعزم.

فقلت له : لكن اليهود استولوا على الموقع !.

فقال: إننا والله كبَّدناهم خسائر جسيمة، غير أننا ما كنا نحصد منهم صفًا بمدافعنا حتى ينبت مكانه صف آخر وهو يُرتل الأناشيد الدينية !.

وهززت رأسي عجبًا وأنا أسمع هذا الكلام، ثم تساءلت بيني وبين نفسي: كم نشيدًا دينيًا يحفظه أبناؤنا ؟!.. كم آية قرآنية تُغْرِي بالاستشهاد يُردِّدُونها؟!.

ثم قال : أعرف أن هناك من يعترض تفكيري هذا ويستنكره ، إنه الصنف المسكين الذي تخرَّج وفقًا للبرامج الدراسية التي خلَّفها الاستعمار في بلادنا .

قال لي أحد هؤلاء: تُريد حربًا دينية؟.. إن هذا اللون من الحروب انتهى مع العصور الوسطى ، سيروا مع الزمن ، واطلبوا حربًا تحريرية معقولة؟.

قلت لمُحدثي: إنني لا أطلب حربًا دينية، إنه قد فُرضت عليَّ حربًا دينية، أتسمع؟ .. إن الدولة التي تسمَّت باسم نبي قديم وألغت كل القوميات الحديثة، وصهرت يهود اليمن مع يهود نيويورك في أخوة دينية شاملة، وألهبت المشاعر الدينية عند النصارى المؤمنين بالعهد القديم، وحرَّكت ذكرياتهم الصليبية الدفينة ليهجموا على المسلمين معها، هذه الدولة تُعلن علينا أي نوع من الحروب أيها الإنسان الذكي؟[2].

---

(1) راجع: حتمية الصراع الديني على أرض فلسطين د. سامي الصلاحات.. بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية (الكويت) العدد 65 ص 330، نقلًا عن جريدة القدس العربي في 27 / 3 / 2004م.

(2) راجع: اليهود المعتدون ودولة إسرائيل 12، 22 ط. دار القلم .. دمشق.

ومن الممقوت والمرذول أن تذكر الأديبة الفلسطينية (فدوى طوقان): أنها تُنكر وجود الله (!).. فردت عليها كاتبة إسرائيلية بلطمة آلمتنا وأحزنتنا، قالت: لهذا بنينا وهدمتم، وغلبنا وانهزمتم ! (راجع: مجتمع الكراهية 94، سعد جمعة).

وفي لطمة مُماثلة عقدت جامعة تل الربيع (تل أبيب) في 19/ 12 1980م ندوة عن علاقة السلام بين مصر وإسرائيل، وفيها قال. د. (مصطفى خليل) رئيس وزراء مصر: أود أن أطمئنكم أننا في مصر نُفرِّق بين الدين والقومية، ولا نقبل أبدًا أن تكون قيادتنا السياسية مرتكزة إلى معتقداتنا الدينية

وما إن أنهى (مصطفى خليل) كلامه حتى وقف البروفسور اليهودي (دافيد فيتال) يرد عليه قائلًا: إنكم أيها المصريون أحرار في أن تفصلوا بين الدين والسياسة، ولكنني أحب أن أقول لكم: أننا في إسرائيل نرفض أن نقول: إن اليهودية مجرد دين فقط. بل إننا نُؤكد لكم أن اليهودية دين وشعب ووطن (راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 96، لزياد أبو غنيمة، ط. دار الفرقان.. الأردن).

وجاء في جريدة النهار الأردنية في 3 / 12/ 1970م: إن مؤلفًا مسرحيًا اسمه (بكر الشرقاوي) ألَّف مسرحية بعنوان: (أصل الحكاية)، وعُرضت في مسارح القاهرة سنة 1967م، أي سنة النكبة، قال المؤلف: إن الجديد الذي تضمنته هذه المسرحية الميتافيزيقية التاريخية الواقعية، إنها أول مسرحية = = عربية بطلها: الله!.. وقال: إنه استمد مسرحيته من وثيقة فرعونية مهملة في المتحف المصري، تقول بأن الإنسان خُلق قبل الله (؟!).

في نفس الصفحة من الجريدة، قالت: إن الأحزاب الدينية في (إسرائيل) قد هاجمت بشدة في مجلس النواب مسرحية غير أخلاقية داعرة خطرة على التربية القومية (!) (راجع: مجتمع الكراهية لسعد جمعة 101).

وتمتد السخرية اليهودية بالعلمانيين العرب إلى حد القرف والتَّقزُّز، فحينما احتلوا العريش في نكبة 1967م وجدوا لوحة من الرخام في بعض الميادين تُمجد الزعيم الخالد والقومية العربية فأسقطوها، ووضعوا لوحة بجوارها وكتبوا فيها قول الله تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ) (الأعراف: 137) !!.

ولما دخلوا مدينة (القُنيطرة) في الجولان السورية في نفس النكبة وجد لوحة مكتوبًا عليها: (لا تسل عن ملتي أو مذهبي، أنا بعثي عربي اشتراكي)، فأزالوها ووضعوا أخرى مكانها، وكتبوا عليها: (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة249)!! (راجع: كيف ننصر فلسطين 45، نبيل حامد المعاذ).

وقد أدرك سلف الأمة من قديم أن أهل الكتاب يُقاتلونهم ويعتدون عليهم بذرائعهم الدينية، فكانوا ينشطون ويُسارعون إلى مقاتلتهم، ورد عدوانهم بدوافع إسلامية، وقد قالوا: إن عبد الله بن المبارك كان يأتي من مرو (خراسان) ليُقاتل الروم، فلما سئل عن سبب قتاله ذلك؟.. فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينٍ [1].

ولهذا يجب على المؤمنين أن يجعلوا معركتهم المُرتقبة للتحرير إسلامية في منطلقها وغايتها؛ معاملة بالمثل.. فإذا اعتدى علينا اليهود أو الصليبيون تحت راية دينهم فيجب علينا أن ندفع اعتداءهم تحت راية الإسلام، وإذا تذرعوا بالتوراة أو بالإنجيل يجب علينا أن نتذرع بالقرآن.. وإذا قالوا: التلمود يجب علينا أن نقول: سنة النبي محمد ^، ولا يفل الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقْوى، والله تعالى يقول: (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) (البقرة:194).

ولهذا وقف وكيل الخزانة في القاهرة يقول في أحد المؤتمرات: لابد من إدخال الدين في المعركة، فإن اليهود يُقاتلوننا انتقامًا لهزيمتهم في خيبر وغيرها [2].

وكتب مسيحي عربي صارخًا: لقد حان الوقت لكي تُركِّز الدعاية العربية ضد الصهيونية على المشاعر الدينية، بعدما ظلَّت إلى الآن مُركزة على نواح كثيرة أخرى ما عدا الدين [3].

## السبب الرابع: المسلمون لا ينتصرون إلا بأسلمة معركتهم .

ومما يُوجب إسلامية معركة التحرير: أن المسلمين لا ينتصرون إلا بإسلامية المعكرة، وأن سلفنا الصالح حينما جعلوا معاركهم إسلامية في المنطلق والغاية اكتسبوا بها قوة دافعة؛ وانتصارات مشهودة، كغزوات النبي ^ ثم معارك المؤمنين من بعده ^ في القادسية وحطين وعين جالوت وغيرها.

---

(1) راجع: المغني لابن قدامة 13 / 13 رقم 1621 تحقيق د . عبد الله التركي .

(2) راجع: درس النكبة الثانية، لماذا انهزمنا.. وكيف ننتصر ؟ 91، 92، د. يوسف القرضاوي، ط. مكتبة وهبة.

(3) راجع: درس النكبة الثانية، لماذا انهزمنا.. وكيف ننتصر ؟ 93.

ومن قريب قال السلطان العثماني عبد الحميد الثاني: إن الإسلام هو القوة الوحيدة التي تجعلنا أقوياء. ونحن أمة حية قوية، ولكن شرط أن نصدق في ديننا العظيم، ومن البديهي أننا في حاجة إلى الإيمان الصادق الخالص بعظمة الله [1] .

فمثلًا: معركة ( حطين ) .

وهي المعركة التي حرر بها المؤمنون القدس وفلسطين من الاحتلال الصليبي عام: 583 هـ = 1187م).. قال ابن شداد: كان ــ قائدها صلاح الدين ــ كالوالدة الثكلى، يجول بفرسه من طلب إلى طلب، ويحث على الجهاد، ويطوف بين الجنود بنفسه، ويُنادي: يا للإسلام.. يا للإسلام.. ويكرر النداء، وعيناه تذرفان الدموع[2].

وكان رحمه الله في هذه المعركة يمشي بين الجنود وبين يديه عدد من العلماء يتلون عليهم آيات القرآن للترغيب في الجهاد والاستشهاد، والتحذير من الفرار.. والحث على التكبير في القتال؛ ليُقوِّي فيهم الروح الجهادية [3] .

في هذه المعركة اعتاد جنود صلاح الدين على المداومة على قراءة القرآن الكريم في وقت راحتهم، وخاصة بعد صلاة العشاء، يتحلقون أمام خيامهم يتلون كتاب الله، فلا تسمع من خيامهم إلا دويًّا كدوي النحل، وذات ليلة مرَّ صلاح الدين بالمعسكر فرأى الخيام كلها مستغرقة في تلاوة كتاب الله إلا خيمة واحدة؛ فأشار إليها في أسى، وقال: الآن أعرف من أين نُؤتى.. أي أن الهزيمة تأتي من هؤلاء الغافلين [4].

وتظهر منطلقاته الإسلامية في رده على رسالة قائد الجيش الصليبيين (ريتشارد قلب الأسد).. قال: القدس إرثنا كما هي إرثكم، من القدس عرج نبينا إلى السماء، وفي القدس تجتمع الملائكة، لا تُفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنها كأمة مسلمة .

---

1) راجع: مذكرات السلطان عبد الحميد 31، ترجمة د. محمد حرب، ط. دار القلم.. دمشق.

(2) القاضي ابن شداد: صاحبه ومرافقه .. راجع: صلاح الدين الأيوبي 105 عبد الله ناصح علوان .

( 3 ) راجع: جيش مصر في أيام صلاح الدين 42، 43 بتصرف.

4) راجع: أمة المقاومة 53، 54، د. علاء الدين محرم. ط, مركز الإعلام العربي.. مصر.

أما بالنسبة إلى الأرض فإن احتلالكم فيها كان شيئًا عارضًا، أو حدث لأن المسلمين الذين عاشوا في البلاد حينها كانوا ضعفاء، ولن يُمكنكم الله أن تُشيدوا حجرًا واحدًا في هذه الأرض طالما استمر الجهاد [1] .

## معركة (عين جالوت ) .

وكذا: معركة (عين جالوت) التي قادها السلطان (قطز).. وقد اشتغل هو الآخر بأسلمتها منذ بدايتها، وأدار رحاها بعد طلوع شمس يوم الجمعة في رمضان 658هـ.. وعندما حمي وطيسها واشتد سعارها كان (قطز) رحمه الله ينتقل بين جنوده من مكان إلى آخر، راكباً وراجلاً (أي ماشيًا على رجليه)؛ يحثهم على الجهاد والثبات والصبر، ولما رأي اضطراباً في جناحهم الأيسر ألقي بخَوْذَتِه على الأرض، وصرخ فيهم بأعلى صوته: وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. يا الله انصر عبدك قطز.. واقتحم بنفسه صفوف القتال يسد الثغرة، ويُقيل العَثْرة، ولما قُتل فرسه قاتل راجلاً؛ حتى أقبل المُدْبر، وتشجع الجبان، وأقدم الشجاع، وتماسك الجيش، وحقق الله وعده للمؤمنين، ورزقهم النصر على التتار، فريقاً يقتلون ويأسرون فريقاً [2] .

وبعد المعركة والانتصار عاتبه بعض أمرائه لمجازفته بالقتال راجلاً (ماشيًا على رِجْلَيْه)، قال: لو صادفك ــ والعياذ بالله ــ بعض التتار، وأنت راجل كنت رحت (أي مت) وراح الإسلام.

فقال السلطان قطز: أما أنا كنت رحت إلى الجنة إن شاء الله، وأما الإسلام فما كان الله ليُضيِّعه، فقد مات الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقُتل بعده ابنه الملك المُعظم

---

(1) راجع: صحيفة الحياة اللندنية في 27/ 1/ 1996م.. إسلامية الصراع حول القدس 9. د. محمد عمارة.

( 2 ) راجع: بين العقيدة والقيادة 369 للواء الركن شيت محمد خطاب، ط. دار القلم .. دمشق.

(توران شاه)، وقُتل الأمير فخر الدين ابن الشيخ مقدم العساكر يوم ذاك (أي يوم الاعتداء الصليبي على مصر)، ومع ذلك نصر الله الإسلام بعد اليأس من نصره [1].

معركة رمضان 1393هـ = أكتوبر 1973م.

وفي هذا الشأن لا ننسى ــ ولا يجوز أن ننسى ــ معركة رمضان عام 1393هـ = 10/ 1973م، بين مصر واليهود، فقد كان الدافع الديني لدى القادة والجنود المصريين ظاهرًا، حتى أنهم سموها: عملية: (بدر).. واختارت القيادة المصرية هذا الاسم لتُذكِّر الجنود بغزوة بدر؛ لتتفجَّر فيهم الشجاعة والثبات[2]، وكانت صيحتهم الإيمانية، التي رفعوها بصوت جماعي مُؤثر: (الله أكبر)؛ مما كان له الأثر الإيماني في الدفع بالجنود إلى الإقدام والثبات والاستشهاد[3] [1].

---

(1) راجع: معارك العرب ضد الغزاة ص 115 د. محمد عمارة، نقلاً عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى.

( 2 ) راجع: سيدة من مصر 341، لجيهان السادات.. ومذكرات المشير محمد عبد الغني الجمسي 302.

(3) يبدو أن الذي غرس هذه الصيحة الإيمانية وأشاعها في الجيش المصري هو الفريق سعد الدين الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية وقتئذ؛ فلم أر غيره تحدث عنها وعن نشأتها، قال رحمه الله في مذكراته: في صباح يوم الجمعة السابق لـ (9/ 9/ 1393 هـ = 5 / 10/ 1973م) تحركت إلى الجبهة؛ لكي أتأكد بنفسي من أن كل شيء كان يسير على ما يُرام، فدخلت على اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث في مركز قيادته، فوجدته يُراجع الكلمة التي سوف يُلقيها على جنوده عند بدء القتال، فعرضها علي، وطلب رأيي فيها.. كانت كلمة قوية ومُشجعة حقًا.. قلت له: إنها ممتازة، ولكني لا أتصور أن أحدًا سوف يسمعها؛ إن هدير المدافع والرشاشات وتساقط القتلى والجرحى لن يسمح لأحد أن يستمع أو يُنصت لأحد، فما بالك بهذه الخطبة الطويلة؟.. ثم لمعت في ذهني فكرة بعثها الله تعالى لتوها ولحظتها، قلت: إن أفضل شيء يُمكن أن يبعث الهمم في النفوس هو نداء (الله أكبر)، لماذا لا نقوم بتوزيع مكبرات للصوت على طول الجبهة، ونُنادي فيها: الله أكبر.. الله أكبر، سوف يُردد الجنود بطريقة آلية هذا النداء، وسوف تشتعل الجبهة كلها به؟.. إن هذه أقصر خطبة وأقواها، فوافق على الفور، ولكنه أخبرني بأنه ليس لديه العدد الكافي من مكبرات الصوت التي يستطيع بها أن يُغطي واجهة الجيش الثالث .. ومن مكتب اللواء عبد المنعم واصل اتصلت بمدير إدارة الشئون العامة، وقلت له: أريد منك أن تُدبر

قال المشير: محمد عبد الغني الجمسي رحمه الله، وهو أحد قادة الجيش الكبار: وكان أشد ما يُسعدنا في ذلك الوقت هو الروح المعنوية العالية لكل القوات المُسلحة، والإصرار على تنفيذ المهام، وكان العنصر المعنوي الأول للنجاح هو الإيمان بالله، الذي عبَّر عنه الجنود المُقاتلون بنداء: الله أكبر.

وقال: وهو دعاء صادر عن القلوب، له معنى عميق.. فقد كان هذا الشعور ـــ كما قال أحمد بهجت ـــ يعني أن الله أكبر من الخوف والموت والحياة [2].

---

(50) مُكبر صوت ترانزستور، وأن تُسلم (20) منها إلى الجيش الثالث، و(30) للجيش الثاني على أن يتم ذلك قبل الساعة العاشرة صباح غد، حتى لو تَطَلَّب تنفيذ هذا الأمر سحب مُكبرات الصوت جميعها من وحدات القوات المسلحة التي ليست ضمن تنظيم الجيش الثاني والثالث، وطلبت منه أن يُعاود الاتصال بي بعد حوالي ساعتين في قيادة الجيش الثاني.. وبينما كنت مع سعد مأمون اتصل بي مدير إدارة الشئون العامة، وأعلمني بأنه سوف يكون قادرًا على تنفيذ التعليمات التي أصدرتها بخصوص تدبير مكبرات الصوت، وتسليمها في التوقيتات التي حددتها له، فشكرته على ذلك، وأخبرت اللواء سعد مأمون (قائد الجيش الثاني) بموضوع مكبرات الصوت التي سوف تُسَلَّم له، وهتف الجنود في أثناء اقتحام القناة بـــ (الله أكبر) . اهـ (راجع: مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلي 367، 368 ط. رؤية للنشر .. مصر).

(1) ومن طريف ما ذكره التاريخ في تأثير هذه الصيحة الإيمانية: أن صلاح الدين حاصر حصنًا للأعداء، وصعد المسلمون بعض جوانب الحصن، فصعد الأعداء إلى أعلاه، ومعهم الأسرى من المسلمين في القيود، فلما سمع الأسرى تكبير إخوانهم المسلمين خارج الحصن كبروا معهم، فدُهش الصليبيون، وظنوا أن المسلمين خالطوهم، وولوا هاربين، فأسرهم المسلمون واستباحوهم (راجع: جيش مصر في أيام صلاح الدين: 43).

وذكر المؤرخون أن الفقيه (أسد الفرات) قائد الجيش الإسلامي في فتح (صقلية): كان يبدأ المعركة بصيحات التكبير؛ لتُذكِّر أصحابها حسًا ونفْسًا بأن (الله أكبر) من كل عدو، وأكبر من كل شيء (راجع: مجلة الهلال المصرية، عدد التذكاري 6/ 10/ 1976م، مقال: أكتوبر وصيحة التكبير. ص. 301، د. أحمد الشرباصي).

(2) راجع: مذكرات المشير محمد عبد الغني الجمسي 306، 319.

وذكر اللواء سعد الدين مأمون قائد الجيش الثاني الميداني في هذه المعركة: لقد كانت مشاعر الأهالي المدنيين في أرض المعركة مدعاة للفخر والثناء، فبمجرد أن هدرت نيران المدفعية في الجبهة، واستمع المواطنون إلى الجنود وهم يُهللون بأعلى صوت: (الله أكبر. الله أكبر) هبَّ الشباب والشيوخ والأطفال ذكورًا وإناثًا يُقدمون المساعدة قدر طاقتهم، ويُشاركون بوجدانهم وأجسامهم في القتال المحتدم.

وهذا يدل بوضوح على أن المسلمين إذا وثقوا بإسلامية المعركة ونقائها أقبلوا يُضحون ويبذلون على وجه جليل رائع [1].

وأخيرًا قال شيخنا محمد سيد طنطاوي: يجب أن نخوض معركة تحرير فلسطين المقبلة على أساس من الجهاد الإسلامي، وليس على أساس النعرة الوطنية وحدها، وذلك لأن فلسطين بلد إسلامي مقدس كما قلنا سابقًا، وهي ملك لجميع المسلمين، والذوْد عنها وتحريرها فرض عيْن على كل مسلم على وجه الأرض.

واليهود قد استغلوا الناحية الدينية عندهم على أوْسع نطاق؛ ليُقيموا باطلهم في فلسطين، بحيث أفْهموا دول الغرب ــ وخصوصًا انجلترا ــ أن فلسطين هي أرض ميعادهم، وأن أرضها لهم وحدهم بنص التوراة... بينما العرب والمسلمون (العلمانيون) أسقطوا هذا الجانب الديني الهام من حسابهم، فخاضوا معركة فلسطين باسم النعرات الوطنية والقومية ــ وحدها ــ، وسخر بعض كتَّابهم بالنواحي الدينية عندنا؛ فكان مصيرهم الفشل.

ونحن لا نُنكر أثر القومية المادية في النجاح، ولكن الذي نُنكره أشد الإنكار هو الاعتماد عليها وحدها دون أن يُقام للجانب الإيماني أو الخلقي أي حساب.

إن الذين لا يهتمون بالناحية الدينية والخلقية لن تكون لهم العاقبة، ولو ملكوا أقوى قوة في الأرض [2].

---

(1) راجع: فضائل مصر ومزايا أهلها 278، د. محمد بن موسى الشريف، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(2) راجع: بنو إسرائيل في القرآن والسنة 690، د. محمد سيد طنطاوي، ط. الزهراء للإعلام العربي.. مصر.

وحروب دفاعية أخرى .

وقبل معركة رمضان كانت معركة (الكرامة)، بين الجيش اليهودي من جهة، والجيش الأردني والكتائب الفلسطينية من ناحية مقابلة، وهي معركة صغيرة تمت في 22/ 12/ 1387هـ= 21/ 3/ 1968م، وكان فيها النَّفَس الإسلامي ظاهرًا.

قال قائد الجيش الأردني في هذه المعركة (مشهور الجازي): صليت الصبح، وقلت: اللهم يا رب، أنت تعلم أنهم (اليهود) يعتدون على حق، ونحن ندافع عن حق؛ فانصر الحق على الباطل، يا الله.

قلت: وعندنا وُعَّاظ.. كلهم يأخذون مكبرات الصوت، ويقولون بصوت واحد في كل الكتائب على الساحة: (الله أكبر).. يعني في الحقيقة اتجهنا إلى الله.

وقد أجرت محطة التلفزيون الأردني مقابلة مع أحد قادة هذه المعركة، وسألوه عن أسباب نصرهم، فقال: انتصرنا لأننا جند الله، لأننا جند محمد (^)، وجند الإسلام.. وروى أحد الجنود الذين اشتركوا في هذه المعركة: أن الجُنْد كانوا يهتفون بصوت واحد: (الله أكبر، لا إله إلا الله)، وأنهم كانوا يسمعون الجبال تدوي معهم بالتكبير والتهليل.. وقال: إن الجندي المسلم حينما كان ينْقضّ على الجندي اليهودي بالسلاح الأبيض كان الجندي اليهودي يُلقي سلاحه، وهو يسمع هتاف: (الله أكبر)،

ويصيح: أنا بجيرة محمد (^) [1].

في هذه المعركة قال الرئيس المصري جمال عبد الناصر: معركة الكرامة نقطة تحول في الصراع الإسرائيلي العربي بين القوات العربية والقوات الإسرائيلية [2].

**الحذر من دسائس الأعداء .**

وفي ذات الوقت يجب على المؤمنين أن يحذروا مكائد أعدائهم، فإنهم يُدركون أن سبب قوة المسلمين ونصرهم هو الإسلام؛ ولهذا يخشونه ويعملون لتفريغ حياة المسلمين

---

( 1 ) راجع: الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي 338.

( 2 ) راجع: شهادة القائد المذكور على العصر في قناة الجزيرة القطرية، في الحلقة الخامسة في 10/ 7/ 1999م.

منه؛ وتكون تحت رايات ومصطلحات ومناهج جاهلية تُفرقهم وتُوهنهم (العلمانية)، وقد أعربوا عن هذا في تصريحاتهم المُعلنة، ونذكر منها الآتي:

* ــ ذكر الأستاذ عبد الرحمن عزام رحمه الله أول رئيس للجامعة العربية أنه كان في نقاش مع السفير البريطاني في دمشق حول جدية الادعاء اليهودي بأن الشيوعيين العرب المدعومين من الاتحاد السوفياتي يُشكلون خطرًا ضد إسرائيل، ففوجئ بالسفير البريطاني يُؤكد له: أنه لا الشيوعية العربية ولا الشيوعية الدولية ستكون في يوم من الأيام خطرًا على إسرائيل. وإن اليهود لا يحسبون حسابًا لأي خطر كما يحسبون للخطر الذي تُمثله الحركة الإسلامية ضد إسرائيل. أي لخطر الإسلام [1].

* ــ قال الرئيس الإسرائيلي (ديفيد بن جوريون): نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام ، هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ [2].

وقال مرة أخرى مُؤكدًا: نحن لا نخشى الأنظمة الديمقراطية أو العسكرية أو الاشتراكية أو القومية في الوطن العربي، ولكن أكثر ما نخشاه هو عودة الإسلام في المنطقة العربية من جديد [3].

---

( 1 ) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 23، 24.

الظاهر أن الأعداء مع اختلاف مصالحهم يتحدون في العداء للإسلام، فحينما عرض الشيخ محمد أمين الحسيني (مفتي فلسطين الكبير) على الرئيس الألماني المعروف (أدولف هتلر) التعاون بتجنيد جيش من المتطوعين العرب ضد بريطانيا ومن معها، قال له (هتلر) بصراحة غير معهودة: لا، إنني لا أخشى الشيوعية الدولية، ولا أخشى الإمبريالية الأمريكية البريطانية الصهيونية، ولكني أخشى أكثر من كل هذا الإسلام السياسي الدولي.

أظهر هذا الجواب أبعادًا لم تكن على بال المفتي محمد أمين الحسيني (صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني 138).

(2) راجع: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله 61 .

(3) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 53.

* ــ وقال رئيس الوزراء اليهودي(رابين): إن مشكلة الشعب اليهودي هي أن الدين الإسلامي ما زال في دور العدوان والتوسع، وليس مستعدًا لقبول أية حلول مع إسرائيل. إنه عدونا اللدود الذي يُهدد مستقبل إسرائيل وشعبها [1].

* ــ وقال الرئيس الإسرائيلي (شيمون بيريز) الذي يُمثِّل الحمائم: إنه لا يُمكن أن يتحقق سلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهرًا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد [2] .

* ــ وفي عام 1967م قال (أبا إيبان) وزير الخارجية الإسرائيلي في محاضرته في جامعة (برنستون) الأمريكية: يُحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أول واجباتنا أن نُبْقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي [3] .

* ــ نشرت صحيفة (يديعوت أحرنوت) في 18/ 3/ 1978م قول أحد قادتهم: إننا ننجح في معركتنا مع العرب بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب، ويجب أن يبقى الإسلام بعيد عن المعركة إلى الأبد [4].

وانتقدت ذات الصحيفة الإسرائيلية في 18/ 3/ 1978م التلفزيون الإسرائيلي من إجراء مقابلات تلفزيونية مع العميل الهالك سعد حداد وأهالي القرى المارونية، ومدى فرحتهم بقدوم اليهود عليهم، وبررت الصحيفة انتقادها: بأن ذلك التصرف قد يُؤدي إلى ردة فعل عنيفة بين المسلمين في لبنان والدول العربية حتى في فلسطين، ويُحرك فيهم

---

(1) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 47.

(2) راجع: واقدساه 1 / 477، د. سيد العفاني، ط. مكتبة معاذ بن جبل.. مصر .

(3) راجع: الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي 328، لماجد الكيلاني.

( 4 ) راجع: كيف ننصر فلسطين 44، لنبيل المعاذ، نقلًا عن جريدة آفاق عربية، عدد (18/ 4/ 2002م).

الروح الإسلامية من جديد، وهو الأمر الذي ظلت إسرائيل وأصدقاؤها (؟!) يُحاولون كبته والقضاء عليه طيلة الثلاثين عامًا الماضية.

وأردفت الصحيفة قائلة: إن علينا ألا ننسى حقيقة هامة، هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي: أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا (العلمانيين العرب) في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقي الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد؛ ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية، بأيّ شكل وبأيّ أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة لإيقاظ الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا.

واختتمت الصحيفة الإسرائيلية: ولكن تلفزيوننا الإسرائيلي وقع في خطأ أرعن كاد أن ينسف كل خططنا، فقد تسبب هذا التصرف في إيقاظ الروح الإسلامية ولو على نطاق ضيق، ونخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية المعروفة بعدائها لإسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا، وإذا نجحت في ذلك، وإذا فشلنا بالمقابل في إقناع أصدقائنا (العلمانيين العرب) بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب فإن على إسرائيل حينذاك أن تُواجه عدوًا حقيقًا لا وهميًّا، وهو عدو حرصنا على أن يبقى بعيدًا عن المعركة.. وستجد إسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المُتعصبون، أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهوديًّا أو إذا قتله يهودي [1].

---

1 ) راجع: عداء اليهود للحركة الإسلامية 31:33.

وفي أعمال اليهود في هذا الشأن قال الوزير الأردني سعد جمعة: روى لي صديق باكستاني في (لندن) ــ عاصمة انجلترا ــ أنه كان يتصدى للدعايات الصهيونية المُضللة في حديقة (هايد بارك)، وأنه استمع مرة إلى داعية صهيوني يعتلي منصة، ويزعم للألوف الذين تجمهروا حوله أن القدس هي عاصمة (إسرائيل) الأزلية، وأن مكان العرب الطبيعي هو الصحراء، وفي مكة عاصمة نبيهم محمد (ﷺ) وأن الحضارة الإسلامية التي يُفاخرون بها تلفظ أنفاسها الأخيرة، فهزته الحمية الدينية، واعتلى منصة مجاورة، ومضى يزأر بتفنيد كذب الداعية اليهودي، ويُؤكد للمستمعين الذين تحلقوا

* ــ وعقب الحرب الإسرائيلية على الجنوب اللبناني عام 1427هـ = 2006م فاجأ الحاخام (مردخاي فرومان) مستمعيه في المعبد بأنه يملك حلاً قوياً؛ لإنهاء الصراع اليهودي مع الإسلام إلى غير رجعة.. وذكر: أن تبذل الدوائر الصهيونية في إسرائيل والعالم كله جهدها؛ لعلْمَنة المجتمع الإسلامي، بحيث يتم القضاء على تعاليم وتاريخ الإسلام في شخصية وحياة المسلم، عن طريق نشر الإباحية وثقافة الجنس والدعارة والمخدرات ونحو ذلك بشتى الوسائل.

---

حوله أن القضية الفلسطينية هي قضية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن القدس هي أولى القبلتين، وثالث الحرميْن الشريفين لستمائة مليون مسلم (وقتئذ)، ولن يتخلوا عنها وفيهم حياة، لأن المدينة المقدسة (القدس) هي جزء من ديننا (الإسلامي)، ومن تاريخنا ومن حضارتنا، ويمضي يهدر كالسيل بحرارة وإيمان، فيجيئه شابان عربيان ــ أمسك عن ذكر اسميهما ــ يزجرانه ويُعطلان تدفق وجدانه، ويهمسان في أذنه: على رسلك يا هذا، أنت مشكور على حماسك الديني لكن قضيتنا ليست قضية دينية، بل هي قضية قومية، لا شأن للدين بها، وتخصيص القدس بالحديث انحراف عن جوهر القضية، لأن القدس إنما هي جزء من أرضنا المُحتلة، لا تختلف عن حيفا ويافا وتل أبيب (!).

قال لي الصديق الباكستاني: لم أشعر والله بمثل الهوان الذي شعرت به يومي هذا، وصرخت في وجه الشقييْن: يا ويحكما بل يا عاركما، إن كون أرضكما المحتلة عربية لا ينفي عنها صبغتها الإسلامية، وهي قضيتي كمسلم شئتم أم أبيتم، وأنا لو أردت أن أمتدح الحركات التحررية في العالم لما وجدت عندكم ما يجذبني إليكم، وكفاكم عارًا أن الدويْلة المسخ (إسرائيل) قد هزمتكم وأنتم أربع عشرة دولة، ومائة مليون من الخليج إلى المحيط (وقتئذ) ثم تتأبَّون علينا لنفزع لكم، ونهب للجهاد معكم في سبيل ديننا المشترك، وعقيدتنا الواحدة، ولولا هذا الرباط المقدس لخجلنا أن نتحدث عن خيبتكم، ولفضلنا أن نتحدث عن بطولات (ألفيات كونج).

ولم يمض قليل من الوقت حتى ثبت أن الشابيْن عميلان للجمعيات الصهيونية في لندن، تستأجرهما للتشويش على كل جهد صادق في نصرة القضية المقدسة (راجع: مجتمع الكراهية 102، 103، للوزير الأردني سعد جمعة).

ثم قال: إن على إسرائيل أن تنسى تماما أيّة محاولة للتخلص من المسلمين عسكريًا، فلن تبلغ ذلك أبدًا، ما دام بَقي في داخلهم أدنى علاقة بهُويتهم الإسلامية، ولكن إسرائيل تستطيع عقب علْمَنتهم التخلص منهم بسهولة منقطعة النظير [1].

**العلمانيون العرب على خطّي الغفلة والخداع .**

وبعد هذا كله أرى العلمانيين في بلادنا الإسلامية قد بلعوا الطُّعم الصليبي والصهيوني وهضموه؛ فظلوا إلى اليوم يعملون لإبعاد المسلمين عن أسلمة حياتهم، وعن أسلمة معاركهم؛ لتبقى علمانية جاهلية فكرًا وسلوكًا؛ ليظلوا ضعفاء مهزومين كما يشتهي أعداؤهم.

واستسلم لهم بعض القادة العرب، مثل الرئيس الفلسطيني (ياسر عرفات) الذي اختار العلمانية منهجًا له في إدارته، وكان الأولى به أسلمة رباطه وجهاده.

وسار على دربه تلاميذه الذين علمهم السحر، ولقنهم العلمانية، منهم: أبو إياد (صلاح خلف) الذي قال: الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة كاملة!.. ومنهم: الرئيس الفلسطيني الحالي محمود عباس [2] .

وبعد عقود من السنين رأينا أعداءنا لا زالوا يستخدمون الدين في معاركهم ضدنا؛ فكنت أظن أن العلمانيين في بلادنا وعوا الدرس، وعادوا إلى رشدهم، أو تواروا خجلاً من أنفسهم ، أو حياءً من المسلمين، لكن ــ للأسف ــ لا زلنا نسمعهم يدعون المؤمنين ــ بغير حياء ــ إلى ذات السبب الذي انهزموا به، وهو إبعاد الإسلام عن حياتهم ومعركتهم.

فأحدهم: هو الرئيس الفلسطيني الحالي (محمود عباس) في تصريح له للصحافة في مكتبه في (رام الله) يلوم أعداءه لاستخدمهم دينهم، وينصحهم بعدم استخدام دينهم في المعركة ضدنا!.

---

(1) راجع: جريدة عقيدتي 5/ 8/ 1427هـ- 29/ 8/ 2006م.

(2) راجع: واقدساه 3 / 366 د. سيد العفاني،ط. مكتبة معاذ بن جبل .. مصر. .

قال: التصرفات الإسرائيلية تُحاول أن تجعل الصراع صراعًا دينيًّا، وهي تعرف ونحن نعرف والعالم يعرف خطورة استعمال الدين في الصراعات السياسية [1].. وأضاف: على إسرائيل أن تنتبه إلى هذا، وأن تفهم أن مثل هذه الخطوات محفوفة بالمخاطر عليها وعلى غيرها (!) [2] .

يقيني أن اليهود كما يفرحون به لا يسمعون لمثله، فلديهم خطتهم في جعل معركتهم دينية، وكان الأولى به ــ وهو ابن فلسطين ورئيسها ــ أن يُعامل اليهود بالمثل، ويجعل معركته معهم إسلامية، بدلًا من نصيحته لهم التي لن يسمعوا لها.

وعلماني آخر ــ وهو سياسي مصري ــ، علا صوته في مؤتمر القدس عام (2009م) ينصح المسلمين بمنع أسلمة معركتهم لتحرير القدس، وقال: القضية الدينية في القدس خاسرة.. فلو قلنا (نحن المسلمين): المسجد الأقصى سيقول (اليهود): حائط المبكى، ويقول المسيحيون: كنيسة القيامة.

ثم قال: على أن الانطلاق من البُعد الديني وحده في قضية القدس يضر أكثر مما ينفع، وأن الأجدى منه التركيز على الجوانب القانونية، واستنكار يهودية الدولة .

ولهذا يُفضِّل د. مصطفى الفقي: ألا يتحدث العرب في المحافل الدولية عن القدس باعتبارها أرضًا مقدسة.. فهنا تتوه القضية، ومن الأفضل التركيز على أنها أرض تم احتلالها في حرب يونيو/ حزيران 1967م [3] .

إن هذا العلماني يعلم أن اليهود يُحاربوننا ويحتلون أرضنا بذرائعهم الدينية، ومع هذا لا يُريد لنا أن نعتبر بوقائع التاريخ ، ويُريد ــ بقصد وبغير قصد ــ أن نُلدغ مرة

---

(1) هكذا لقَّنوا العلمانيين العرب؛ لتظل حياتهم ومعاركهم ضد اليهود علمانية بعيدة عن العمل بالإسلام.

(2) راجع: جريدة المصريون .. العدد 698، السنة الثالثة، في الأحد 18/ 12/ 1435هـ = 12/ 10/ 2014م.

(3) د. مصطفى الفقي في مؤتمر: القدس عاصمة للثقافة، المنعقد في القاهرة في محرم 1431هـ =نوفمبر 2009م.

أخرى من الجُحْر الذي انهزمنا بسببه ، كشأن الذين يقول الله تعالى فيهم: (أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ) (التوبة:126).

وإني لأتساءل مع كل عاقل: هل حدثت الهزائم العربية المُتعاقبة (في أعوام: 1948م، 1956م، 1967م) والحاكمون العرب يُطبِّقون إسلامهم في حياتهم، ويُؤسْلمون معركتهم؟.. هل حدثت بعدما جعلوا حياتهم ومعاركهم إسلامية ؟!.

والجواب: كلا. فلم تُصَبْ البلاد الإسلامية بالفقر والتخلف والهزائم والاحتلال إلا بإبعاد الإسلام عن حياتهم ومعاركهم، وتبني العلمانية التي فُرضت عليهم .

أجل، لن يستطيع المسلمون شحذ الهمم الإسلامية، وتحقيق التحرير المطلوب إلا بأسلمة حياتهم ومعركتهم، وقد أثبت التاريخ الإسلامي أنه لم يُقاتل لأجل فلسطين بحق إلا المسلمون الذين أسْلموا حياتهم وقتالهم على ضعف عتادهم وعددهم.

وقد شهد بهذا عقلاء العلمانيين، قالوا: إن المُثقفين الليبراليين العرب قد تسامحوا مع الصهيونية، ولم يقف ضدها إلا أصحاب الاتجاهات الإسلامية والعربية [1] .

**احذروا هؤلاء العلمانيين العرب.**

ولهذا أحذر المسلمين من هؤلاء العلمانيين في بلادنا الإسلامية.. إنهم لا يكتفون بالمناداة بعلمانية المعركة ــ إن كانوا يُريدون معركةً للتحرير من الأساس ـــ بل يُنادون بعلمانية حياة الدولة المسلمة ذاتها، أي بإبعادها كلها عن الإسلام في مختلف ميادين حياتها.. إنهم عبيد الأعداء وجنودهم في بلاد الإسلام.

1() راجع: في فقه الصراع على القد وفلسطين 90، د. محمد عمارة، ط. دار الشروق.. مصر.

## 15 ـ النهوض بمعركة التحرير المُرتقبة.

وبتطبيق الخطوات القرآنية السابقة يكون الوقت قد حان للخطوة القرآنية الخاتمة: وهي النهوض بمعركة التحرير المُرتقبة؛ لتحرير الأرض المُحتلة؛ فلأجلها وضعنا الخطوات القرآنية السابقة.

هذا، والجهاد في سبيل الله الذي نعنيه نوعان: عسكري.. ومدني .

**النوع الأول: الجهاد العسكري، وهو:**

المرابطة بالنفس في الثغور، والقتال بالنفس في ميدان القتال لرد الاعتداء عن المؤمنين، وتحرير أرضهم المُحتلة، ويكون هذا الجهاد بعمل الدولة المسلمة وقوتها ومؤسساتها، فلا قتال بغير دولة وحكومة.

ويكون القتال فرض عيْن على المؤمنين بالأسباب الآتية:

**السبب الأول: الاعتداء على المؤمنين، واحتلال أرضهم.**

هذا السبب وحده يكفي لوجوب القتال وجوبًا عيْنيًّا على المؤمنين (الدولة والمؤسسات والشعب)، يقول الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ الله الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ الله لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)(البقرة:191،192).

ولهذا يتفق العلماء ــ على تعدد مذاهبهم ــ على: أن الاعتداء على المؤمنين واحتلال أرضهم يجعل الجهاد في سبيل الله فرض عين على الدولة المسلمة المنكوبة، ثم على كل من عرف حالهم من المؤمنين بجوارهم ــ الأقرب فالأقرب ــ حتى يشمل العالم الإسلامي كله؛ حتى يزول العدوان عن المؤمنين، وتتحرر أرضهم المحتلة.

وجاءت كلمة (فِتْنَةُ) في الآية الكريمة نكرة في سياق النفي؛ لتعم كل فتنة يتعرض لها المسلم في عرضه أو في نفسه أو في أهله أو في ماله أو في أرضه.

قال البيضاوي: الفتنة أي المحنة التي يُفتن بها الإنسان، كالإخراج من الوطن، (أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) لدوام تعبها، وتألم النفس بها [1] .

قال أبو هريرة جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟.. قَالَ: «فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ».

قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟.. قَالَ: «قَاتِلْهُ»

قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟.. قَالَ: «فَأَنْتَ شَهِيدٌ».

قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟.. قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ» [2].

والنبي ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » [3].

قال القرطبي: يتعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو بحلوله بالعقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافًا وثقالًا، شبابًا وشيوخًا، كل على قدر طاقته، من كان له أب بغير إذنه ومن لا أب له، ولا يتخلف أحد يقدر على الخروج، من مقاتل أو مكثر. فإن عجز أهل تلك البلدة عن القيام بعدوهم كان على من قاربهم وجاور هم أن يخرجوا على حسب ما لزم أهل تلك البلدة، حتى يعلموا أن فيهم طاقة على القيام بهم ومدافعتهم. وكذلك كل من علم بضعفهم عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم، فالمسلمون كلهم يد على من سواهم، حتى إذا قام بدفع العدو أهل الناحية التي نزل العدو عليها واحتل بها سقط الفرض عن الآخرين.

---

1) راجع: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي 1/ 128، ط. دار إحياء التراث العربي .. بيروت.

2) صحيح .. أخرجه مسلم وغيره عن أبي هريرة ﷺ .. كما في صحيح الترغيب 1414 .

3) صحيح .. أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما، كما في صحيح الترغيب 1411، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ .

ولو قارب العدو دار الإسلام ولم يدخلوها لزمهم أيضا الخروج إليه، حتى يظهر دين الله، وتحمى البيضة، وتحفظ الحوزة، ويخزى العدو. ولا خلاف في هذا [1].

والمؤمنون من قديم أدركوا بفطرتهم أن الاعتداء عليهم، واحتلال أرضهم، يُوجب عليهم القتال لدفع العدوان، وتحرير الأرض المحتلة، يقول الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلأِ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ الله وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) (البقرة:246).

واليهود في عصرنا قد اعتدوا على المسلمين في فلسطين، واحتلوا أرضهم، وفيها بقعة إسلامية مقدسة، وهي القدس، ولديهم العزم على المُضي في اعتدائهم، وتوسيع احتلالهم، ففي عام 1967م طلب أحد جنود مستعمرات الحدود من (عيزر فايتسمان) أن يكتب له كلمة للذكرى، فكتب يقول: اليوم لستم سوى مستعمرة حدود، فأمَّا غدًا فستُصبحون قلب الدولة [2].

وقال وزيرهم ( موشى ديان): إن آباءنا توصلوا إلى حدود أُقِرَّت في مشروع التقسيم ، وأما جيلنا فقد وصل إلى حدود سنة (1949م) وأما جيل الأيام الستة (عام 1967م) فقد وصل إلى السويس والأردن وهضبة الجولان ... وهذه ليست النهاية فبعد خطوط وقف إطلاق النار الحالية ستأتي خطوط جديدة، ولكن ستمتد إلى عبر الأردن ولربما إلى لبنان وإلى سوريا الوسطى [3].

---

1) راجع: تفسير القرطبي 10 / 223، تحت الآية الكريمة من سورة التوبة رقم 41.

2) راجع: الصلح الأسود. رؤية إسلامية لمبادرة السادات. 139. د. حلمي القاعود، ط. دار الاعتصام.. مصر.

(3) راجع: صراعنا مع اليهود بين الماضي والمستقبل 61، 62 .. محمد إبراهيم ماضي .
الذي لاحظته أن مواقف العلمانيين العرب ونخبهم السياسية والثقافية لا تزال تتخبط في فهم أبعاد هذا الصراع وإدراك أسراره، والتنازلات المستمرة التي يُقدِّمها العلمانيون ونخبهم الثقافية تكشف ـــ مرة بعد مرة ـــ عن هذا التخبط؛ فقد ظهر بعد كل ما مضى من عمر المواجهة العربية اليهودية،

أنها لم تكن يوماً واضحة المعالم أو معروفة الغايات عند غالبية من تصدوا لها وتحدثوا باسمها؛ فالثوابت عندهم تحولت إلى متغيرات، والمقدسات تَجَرَّدت من الحِمى والحرمات، وما كان ضاراً صار ضرورياً، وما كان محرماً مجرَّماً أضحى حلالاً أو واجباً في مسلسل جراءة وتهور لا يُعرف منتهاه.

لاءاتهم. . ولاءاتنا:

فبعد أن عشنا دهراً نسمع عن (الإجماع) العربي بلاءاته المشهورة «لا اعتراف. . لا تفاوض. لا صلح مع الكيان الصهيوني» و«لا تفريط في شبر. في بوصة. في حبة رمل من الأرض»، و «لا تنازل عن: عودة اللاجئين. لا تنازل عن إعادة القدس. لا تنازل عن الانسحاب إلي حدود 1967م. لا تنازل عن إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة»، بعد كل هذا أصبحنا نسمع باسم الواقعية والعقلانية والمصلحة الوطنية والإقليمية عن طروحات وشعارات في شكل لاءات من قبيل: «لا بديل عن السلام كخيار استراتيجي». «لا جدوى من المقاومة». «لا سبيل إلا مائدة التفاوض». «لا حل عن طريق الحرب». «لا أوراق إلا بيد أمريكا». «لا لعسكرة الانتفاضة». «لا فرار من حتمية التطبيع». «لا أمل في عمل عربي مشترك». «لا مجال أمام الفلسطينيين إلا الاعتماد على جهدهم الذاتي». . . «لا مشروعية إلا للشرعية الدولية»!

وفي المقابل: نجد أن اليهود لم يتنازلوا يومًا عن (لا) واحدة من لاءاتهم الثابتة منذ قامت تلك الدولة؛ فالإسرائيليون يرفعون لاءاتهم ـ في السر والعلن، وبلسان الحال أو المقال ـ فيقولون: «لا عودة لحدود 1967م»، «لا تفاوض حول القدس بقسميها عاصمة موحدة وأبدية للدولة الإسرائيلية»، «لا تفكيك للمستوطنات»، «لا رجوع عن يهودية يهودا والسامرة» أي الضفة الغربية. «لا مجال لإعادة اللاجئين»، «لا جلوس ولا تفاوض مع مَنْ يحمل السلاح»، «لا ترسيم للحدود»، «لا تنازل عن بقاء الدولة خالصة لليهود»، «لا وزن لما يسمى بالشرعية الدولية إذا تهددت مصالح الدولة اليهودية»، «لا سماح بدولة فلسطينية إلا منزوعة السلاح مقطعة الأجزاء»، «لا صلح. لا تفاوض. لا تطبيع. لا اعتراف متبادل، بل لا أمان لزعيم أو نظام إلا بعد التخلي (نهائياً) عن الدخول كطرف في الصراع ضد دولة (إسرائيل)»!

وحشد اليهود لأجل حماية (لاءاتهم) قواهم الذاتية.. والعلمانيون العرب ساهموا في حفظ (لاءات) اليهود من أن يمسها ضعف أو انتقاص؛ حيث عطلوا جُل عوامل القوة في الأمة، وأبطلوا كل سلاح كان يمكن لها أن تستعمله للدفاع عن حقوقها المشروعة ديناً وعرفاً وقانوناً؛ فلا الحروب

**السبب الثاني: نصرة المؤمنين المنكوبين، ودفع الاعتداء عنهم .**

وهذا سبب آخر يكفي وحده لوجوب النهوض بالمعركة المرتقبة؛ لدفْع الاعتداء عن المؤمنين المنكوبين، ومعاونتهم لتحرير أرضهم، وإذا لم يجب الجهاد في سبيل الله لنُصرة المؤمنين المنكوبين، ودفع الفتنة عنهم فمتى يجب؟!.. والله تعالى يقول: (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) (النساء: 75 ، 76) .

وهذا استفهام إنكاري وتوبيخي يستثير نخوة المؤمنين ويشحذ هِمَمَهم وهزائمهم إلى المقاومة، ويُحرضهم على الجهاد في سبيل الله لنصرة إخوانهم المؤمنين المنكوبين.

قال القرطبي: في الآية حض على الجهاد، وهو يتضمن وجوب تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته، وإظهار دينه، واستنقاذ المؤمنين الضعفاء، وإن كان في ذلك تلف النفوس.

وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالأموال، وذلك أوْجب؛ لكونها دون النفوس إذ هي أهْون منها.

---

في نظرهم مجدية. ولا المقاطعة أو المقاومة مغنية. ولا الدفاع المشترك أصبح صالحاً. ولا النفط عاد سلاحاً. ولا دعم المجاهدين صار مباحاً. لا سماح بفتح الحدود بما يهدد أمن اليهود!.

بل إن الأمر لم يعد تبرعاً بشل قوى الأمة وفلّ أسلحتها، بل تجاوز ذلك إلى دعم. (نعم دعم!) العدو، في كل مجال يمكن أن يُدعم فيه. كالتسابق في دعوتهم لحضور المؤتمرات. وفتح السفارات والقنصليات، ومكاتب تبادل «المصالح» والاستشارات وتعاون الاستخبارات...الخ (راجع: مقال: صفًا. هزيمة التطبيع، لا تطبيع الهزيمة، د. عبد العزيز كامل، في مجلة (التبيان) عدد 211، ص 24، صادرة عن المنتدى الإسلامي).

قال مالك: واجب على الناس أن يفدوا الأسارى بجميع أموالهم. وهذا لا خلاف فيه، لقوله عليه السلام: (فُكُّوا الْعَانِيَ)[1] . والعاني هو الأسير.

عن أنسٍ رضيَ الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ^: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟.

قَالَ ﷺ: « تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ » [2] .

ويقول ﷺ: «كُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ» [3].

فالنبي ﷺ بهذا الحديث ينهى المسلم أن يظلم أخاه المسلم، أو يتركه لمن يعتدي عليه ويظلمه، ولاسيما إذا طلب منه أخوه العون والنجدة، فالمؤمن للمؤمن قوة، كما يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ [4].

والمؤمنون في فلسطين اعتدى عليهم اليهود، واحتلوا أرضهم وديارهم، وسفكوا دماءهم، وشرَّدوهم في أرض الشتات إلى اليوم.

وصفحات التاريخ مليئة بأبشع ألوان الاعتداء اليهودي على فلسطين وأهلها، مثل: قرية (اللد) سنة 1948م، فقد قتلت العصابات اليهودية ـــ بقيادة رجال الدين اليهودي ـــ المؤمنين المدنيين الذي احتموا بمسجد القرية، وكان عددهم يزيد على (600) من النساء والأطفال والشيوخ.

وفي قرية (عيلبون)[1] أحرق اليهود فيها عائلة (آل زريق) في داخل بيوتهم.. وإذا رأوا ذهبًا في يد امرأة قطعوا يدها وأخذوا الذهب، وإذا وجدوا الذهب في إصبعها قطعوه وأخذوا الذهب ..الخ [2] .

---

1) راجع: تفسير القرطبي 6 / 459، 460.. وحديث (فُكُّوا الْعَانِيَ).. أخرجه أحمد 19641، والبخاري في كتاب النكاح 5174، وابن حبان 3324، وغيرهم عن أبي موسى الأشعري.

2) صحيح .. أخرجه البخاري 6952، والترمذي، وغيرهما عن أنس، كما في صحيح الجامع 1502 .

3) صحيح .. أخرجه مسلم 2564، وغيره عن أبي هريرة .

4 ) صحيح .. أخرجه البخاري 481، مسلم 2585، وغيره وعَنْ أَبِي مُوسَى .

وفي فجر الخامس عشر من رمضان عام 1414هـ = 1992م أطلق اليهودي (جولدشتاين) وعدد من اليهود أسلحتهم على المسلمين في المسجد الإبراهيمي، وهم يُصلون الفجر، فقتلوا ما يزيد على خمسين مسلمًا صائمًا، وهم سجود لله تعالى.

ونقلت قنوات الإعلام العربية في عام (1431هـ ـ 2010م ) عن قنوات الإعلام الإسرائيلي: أن يهوديًا قتل فلسطينيًا مسلمًا بعجلات سيارته عمدًا لا خطأً، ورجع عليه بسيارته مِرَارًا، ليتأكد من قتله بهذه الطريقة اليهودية الجديدة، كأنه فأرٌ أو صرصارٌ !! .. وغير هذا كثير.

أما نساء فلسطين فمصابهن جلل، والحديث عن العذاب الذي يصبه اليهود عليهن قاتل للكرامة الإنسانية، فكثيرًا ما يحجزهن اليهود على معابر الطرق، ومنهن الحوامل اللائي يُردن العبور إلى المستشفى للعلاج أو للولادة، وكثيرًا ما يلدن أو يمتن في الانتظار أمام المعابر، فضلًا عن هتك الأعراض الذي لا يتحدث عنه أحد.

**السبب الثالث: استنجاد المسلمين الفلسطينيين بإخوانهم المؤمنين .**

ومما يُؤكد وجوب الجهاد لنصرة المسلمين المنكوبين: استنجادهم بإخوانهم المؤمنين؛ طالبين عوْنهم ونصرتهم.. والمسلمون في فلسطين لا يزالون إلى اليوم يستنجدون بإخوانهم المسلمين من حولهم، والله تعالى يقول: (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) (الأنفال: ٧٢).. والنبي ﷺ يقول: « إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[3].

قال أبو بكر بن العربي: إذا كان المؤمنون أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بألا يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك.

---

1) في قضاء الناصرة .. راجع: نكبة فلسطين لحسني جرار 305 .

2) راجع: كتابنا القدس والوعد المفترى .

3) صحيح .. أخرجه البخاري 1834، ومسلم وأبو داود 2482، وغيرهم عن ابن عباس ﷺ .

فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والعدة والعدد، والقوة والجلد [1] .

والأحاديث السابقة دالة على وجوب النصرة والنجدة.

**السبب الرابع: ردع الناكثين للعهد مع المؤمنين.**

وهذا سبب آخر مُعتبر لوجوب الجهاد في سبيل الله؛ لردع الناكثين للعهود مع المؤمنين، يقول الله تعالى: (وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (التوبة: 12، 13).

واليهود المعاصرون في فلسطين كإخوانهم القدماء في المدينة أكثروا من الغدر ونكث العهد.. فمثلًا: يهود بني قريظة نقضوا عهدهم مع المؤمنين أكثر من مرة، يقول الله تعالى: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)(التوبة: 55: 57).

قَالَ ابْنُ عَبَّاس: هُمْ قُرَيْظَةُ، فَإِنَّهُمْ نَقَضُوا عَهْدِ رَسُولِ الله ^ وَأَعَانُوا عَلَيْهِ الْمُشْرِكِينَ بِالسِّلَاحِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالُوا: أَخْطَأْنَا، فَعَاهَدَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى فَنَقَضُوهُ أَيْضًا يَوْمَ الْخَنْدَقِ [2].

وكان آخر مرة نقض فيها يهود بني قريظة عهدهم مع المؤمنين في غزوة الأحزاب حينما حرضوا المشركين لقتال المؤمنين وأعانوهم، فأوْجب الله تعالى على المؤمنين قتالهم، كما جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ

1 ) راجع: أحكام القرآن لابن العربي 2/ 372 .

2 ) أخرجه البخاري 481، مسلم 2585، وغيرهما عَنْ أَبِي مُوسَى.

السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟، وَالله مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ .

قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ [1].

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ» [2].

**السبب الخامس: تفاوضات السلام مسارها سخيف، وتفريط بالتقسيط.**

هذا، وقد تفاوض العلمانيون العرب في فلسطين وغيرها مع الصليبيين واليهود منذ عام 1918م، وعقدوا معهم عشرات التعاهدات السلمية، فماذا جَنَوْا من هذه التعاهدات إلا التفريط بالتقسيط، واستمرار سفك الدماء، واغتصاب الأرض؟.

ومفتي فلسطين الكبير (أمين الحسيني) كان يرى في بداية أمره أن العمل السياسي والتفاوض السلمي مع الصليبيين واليهود مُفيدٌ، ويظهر هذا حينما أرسل الشيخ عز الدين القسام (الذي كان محل رعاية المفتي) الشيخ موسى العزراوي يطلب من المفتي أن يشرع في الإعداد للثورة في جنوب فلسطين، فأجاب المفتي: إن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل، وإن الجهود السياسية التي تُبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم.

وبعد مرور السنين وبالتجارب العملية المُتكررة تأكَّد المفتي أن هذا العمل السياسي مع الصليبيين واليهود خداع وتضليل لا يُفيد المسلمين، ولن تتحرر به فلسطين أبدًا؛ فعدل عنه تمامًا، وآمن بالحلول العسكرية، ويظهر هذا حينما قال المفتي (أمين الحسيني) للملك الحسين بن طلال ــ ملك الأردن ــ عام 1387هـ = 1967م: احذروا الحلول السلمية، فجلالتكم تعلمون أن العرب مُسالمون، والخصم يُخادع، فاحذروا هذه الحلول[3].

---

1 ) أخرجه البخاري 4117، ومسلم 1769، وغيرهما.

2) أخرجه البخاري 4118، وغيره.

3) راجع: صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني 71، 177، لعوني جدوع العبيدي، ط. مكتبة المنار.. الأردن.

وقال الشيخ أمين الحسيني وهو يتحدث عن الجيش العربي: إن المسألة الفلسطينية وكل المسائل العربية لا تُحل إلا بقوة السلاح، إن اتباع سياسة مبنية على الثقة بالخصم وحسن نيته وقناعته هي سياسة وهْم لا سياسة رجل مؤمن بالعمل، إن الحق الذي لا تدعمه القوة يُصبح لدى الرأي العام دعوى باطلة [1].

وحينئذ أعلنت بريطانيا أن المفتي أصبح عقبة أمام تعاهدات السلام (الخداع)، وقالت جريدة (التايمس) في 16 تموز 1937م (= 1356هـ): إن المفتي هو العقبة الوحيدة أمام حل القضية الفلسطينية والتفاهم مع اليهود، ولولا الخوف من أمين الحسيني لظهر كثير من المعتدلين على المسرح، وعلى الحكومة البريطانية ألا تترك الساحة خالية لنشاطه، بل عليها أن تُقيله من مناصبه، وخاصة من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وأن تلجأ ضده للقوة، وضد القسم المتعصب [2].

وقد لاحظتُ أن العرب كلما تعلقوا بالتفاوض مع اليهود رد عليهم اليهود بالاعتداء أكثر، واحتلال مزيد من أرضهم.. ونذكر لذلك أمثلة للبيان لا للحصر:

* ــ ذكر الوزير الأردني سعد جمعة في كتابه (مجتمع الكراهية): أن الرئيس اليهودي (ابن غوريون) أعلن في 15/ 3/ 1948م أنه ينشد السلام، وأعلنت عصابة الهاجانه اليهودية في 20 / 3 / 1948م أنهم يمدون يد الصداقة للعرب، وعقدوا مع العرب الغافلين في قرية (دير ياسين) معاهدة سلام، وبها لا يعتدي كل منهما على الآخر، وركن أهل القرية لهذا التعاهد، وسالموا اليهود، ولكن اليهود ــ على عادتهم في الغدر والخِسَّة ــ بعد ثمانية عشر يومًا باغتوا أهل

1) راجع: صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني 154، لعوني جدوع العبيدي، ط. مكتبة المنار.. الأردن.

2) راجع: صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني 83، لعوني جدوع العبيدي، ط. مكتبة المنار.. الأردن.

القرية باعتداء رهيب، ومذبحة رعيبة، في صباح الجمعة 9 / 4/ 1948م الساعة الرابعة والربع، واستمرت المذبحة أكثر من (12) ساعة [1].

* ــ وأذاع المجلس الصهيوني العالمي في 12/ 4/ 1948م نداءً يدعو إلى السلام، وفي اليوم التالي باغتوا أهل فلسطين بمجزرة قرية (ناصر الدين).

* ــ وفي ظهر يوم الأحد (14/ 2/ 1372هـ = 2 / 11/ 1952م زعم ابن جوريون في البرلمان الإسرائيلي أن حكومته تستهدف السلام.

وفي مساء هذا اليوم في الساعة العاشرة مساءً اعتدت قوة يهودية كبيرة قوامها ثلاثة آلاف يهودي، معهم الدبابات والطائرات والمدافع على مدينة (الصبحة) في (سيناء المصرية)، وقد صدتهم قوة مصرية صغيرة، كانت مُعدة لحراسة الحدود والإنذار، فارتدوا على أعقابهم خاسرين، وقتلوا منهم مائتي قتيل [2] .

* ــ وأعلن (ابن غوريون) في 13/ 3/ 1952م أن إسرائيل مستعدة دائمًا لتوقيع صلح مع العرب، وبعد أشهر قليلة شنَّ اليهود مجزرة في قرية (قبية، وصيروف).

* ــ وصرح الوزير اليهودي (أبا إيبان) في 13 / 12 / 1966م أن بلاده مستعدة للسلم.. وبعد ذلك بأيام ارتكبوا جريمتهم البشعة في قرية (السموع).

---

1) فقد قتلوا فيها الشباب والشيوخ والأطفال والنساء بطرق وحشية، ومثَّلوا بجثث الضحايا الذين بلغ عددهم أكثر من (250 مدني).. ومن جرائمهم: أنهم جمعوا النساء الحوامل في ساحة القرية، ووقف ضباط العصابة اليهودية وجنودها يتراهنون على نوع ما في بطون الحوامل من الأجنة، ثم يعمد الجندي فيبقر بحربته بطن المرأة الحامل، ويُخرج الجنين على سن الحربة؛ ليروا هل هو ذكر أم أنثى، فيأخذ رابح الرهان دراهم بخسة معدودة.

والجدير بالذكر أن العصابة اليهودية التي اقترفت هذه الجرائم الوحشية كانت تضم بين جنودها عددًا من رجال الدين اليهودي من حاخامين وأحبار من جماعة (اغوادات إسرائيل) الدينية الذين يتقربون إلى إله إسرائيل بمثل تلك الفظائع (راجع: نكبة فلسطين 305، لحسني جرار.. القدس قضية أمة 109، جاسم الياسين).

2) راجع: ثورة 23 يوليو عام 1952م لعبد الرحمن الرافعي 204، ط. الهيئة المصرية للكتاب.. مصر، بتصرف.

وبعد ذلك بأشهر يشنون اعتداءهم الشهير على العرب في الخامس من حزيران (يونيو) المشئوم 1967م [1] .

* ــ وبعد انتهاء العرب من التعاهد السلمي في (كامب ديفيد) بادر اليهود باحتلال الجنوب اللبناني، وصنعوا لمسلمي فلسطين في 17/ 9/ 1982م مذبحة رهيبة، في مخيَّمي :(صبرا وشاتيلا)، وذبحوا فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف مدني من الضعفاء والشيوخ والنساء والأطفال.. وشاركت فيها كتائب مسيحية لبنانية .. وجعلوا شعارهم: (بدون عواطف، الله يرحمه)، وكانوا يتعمَّدون إذلال المسلمين قبل قتلهم، فكانوا يغتصبون النساء أمام ذويهن، ويُحطمون رءوس الأطفال الرضع أمام آبائهم وأمهاتهم، ويُقطِّعون أطراف المؤمنين قبل قتلهم.. وكانوا يقتلونهم بالسكاكين والبلاطي حتى يقتلوا أكبر عدد في صمت بغير ضجيج طلق النار [2].

وفي مؤتمر القمة العربية (عام 2002م) أطلق الملك عبد الله بن عبد العزيز (ملك المملكة العربية السعودية) رحمه الله مبادرته للسلام مع الكيان اليهودي، وتبنَّاها المؤتمر، وفيها اعترفت الدول العربية باحتلال اليهود للقدس وفلسطين (!!)، ويتبادلون معها التمثيل الدبلوماسي في مقابل انسحاب اليهود من الضفة الغربية وقيام الدولة الفلسطينية، فرد عليهم اليهود بعد ساعات بالاعتداء الرعيب على أهل فلسطين في مخيم (جنين)، وقتلوا فيه مئات من المدنيين العُزل غير آلاف الجرحى، وقاموا بتدمير معسكر اللاجئين تدميرًا كاملًا [3]... ثم كرروا هذه المذابح الرعيبة ضد أهل غزة، عام 2008م، و2012م، و2014م.. الخ.

---

1) راجع: مجتمع الكراهية 159، 160، لسعد جمعة، ط. دار الكاتب العربي .. بيروت.. بتصرف يسير

(2) راجع: وسائل الإعلام العربي في التاريخ المذكور .

(3) راجع: استراتيجية المقاومة الشاملة 128، بتصرف يسير.

وأخيرًا في عام (1432هـ = 2010م ) قال أحد رموز التفاوضات السلمية في السلطة الفلسطينية: إن عملية السلام دخلت غيبوبة عميقة.. (يعني أنها تحتضر أو هي ميتة بالفعل).. وقال: المسار التفاوضي سخيف، ولم يعد له أي مصداقية [1].

وذكرت بعض الصحف العربية ــ من قبل ــ أن عرب فلسطين أدركوا فيما يبدو أن الجهاد في نهاية الأمر هو الحل الوحيد لمشكلاتهم مع الاحتلال اليهودي؛ فاختاروا هذا الطريق (طريق الجهاد)، وأطلقوا على حركتهم اسم: أسرة الجهاد [2].

قال الطبيب الدكتور عبد العزيز الرنتيسي ــ أحد قادة الجهاد في فلسطين ــ: أومن دائمًا بأن القوة في الوحدة، نحن سنعمل على تجميع الكلمة الفلسطينية على اختلاف مشاربها السياسية في خندق واحد، ونعتقد بأن الخندق الذي يُمكِّن أن يتسع للجميع هو خندق المقاومة (الجهاد)، لأن الجميع أيقن بأن خندق التسوية فشل وأفلس، فلا يُعقل أن نتحدث الآن عن تسوية في ظل هذه المجازر، واغتصاب الأرض، وبناء المستعمرات، أو التنكر لحق العودة [3].

ومن قديم قالت الهيئة العربية في بيانها الذي أصدرته في مؤتمر لندن في عام (1358هـ = 1939م): هل عرفتم يا عرب، لماذا يئس الفلسطينيون من مؤتمرات السلام التي تدعون إليها؟.. لماذا كفروا بالمنظمات الدولية؟.. لأنها ضيَّعت فلسطين، وشباب الانتفاضة قرأ التاريخ وعرف طريقه فلا تُضيعوه بالتلويح بالمؤتمرات.. عليكم أنتم بحضور المؤتمرات ومزيد من التنازلات، ومزيد من الضياع، أمَّا الذين عرفوا طريق الجهاد فدعوهم وشأنهم [4].

---

(1) راجع: جريدة المصري اليوم 20/ 12/ 2010م.

2) راجع: الصلح الأسود. رؤية إسلامية لمبادرة السادات. والطريق إلى فلسطين 171. د. حلمي محمد القاعود.

3) راجع: شهداء على بوابة الأقصى 215، لحسن محمد أحمد، ط. مركز الإعلام العربي.. مصر.

4) راجع: الطريق إلى بيت المقدس 269.

**الهدف اليهودي من مفاوضات السلام.**

والعاقل الذي يعرف اليهود يقرأ أن هدفهم من إجراء التفاوضات السلمية العبثية مع العلمانيين العرب، هو: إضاعة الوقت على العلمانيين العرب، وخداع الشعوب المسلمة الغافلة، وكسب الوقت لخدمة الهدف اليهودي، وهو: اغتصاب فلسطين كلها وما حولها بالتدريج.. وإذا كان لابد من ترك بعض الأرض في معاهدة (مسرحية) سلام فلكسب الوقت، وكسب التنازلات العربية؛ حتى تحين فرصة أحسن لاغتصاب مزيد من الأرض، ففي عام 1992 كتب الوزير اليهودي الأمريكي: هنري كيسنجر في مجلة (لوس انجيلوس تايمز) بعد تشكيل حكومة برئاسة الإرهابي (إسحاق رابين) الذي عقد معاهدة سلام مع الرئيس ياسر عارفات، قال: الأرض مقابل كسب الوقت.. واستثمار الفرص المتاحة على الوجه الأمثل دون التورط في مشاريع تستهدف سلامًا نهائيًّا.

وكيسنجر هذا هو صاحب استراتيجية الخطوة خطوة، وقد تساءل في مقاله هذا: أليس التسويف مما يُلبي مصالح إسرائيل على النحو الأفضل، ولو لمجرد أن العرب سوف يقبلون غدًا ما يرفضونه اليوم، ثم تكون مفاوضات جديدة.. وهكذا [1].

ويُعوِّل اليهود في دولتهم على أن العرب يقبلون التنازل تلو التنازل، وقد جرَّبوه عليهم، وعرفوه فيهم طول أكثر من ستين سنة، وهم يأملون في كل اتفاقية أن يحصلوا على تنازلات أكثر[2].

وجاء في كتاب (شيمون بيريز والشرق الأوسط الجديد) أن (شيمون بيريز) قال عقب مفاوضات (أوسلو) للسلام: في أوسلو توصلت إسرائيل إلى أكثر من مجرد كلمات، فقد حصلنا على عدة تنازلات لم تكن تستطيع بدونها توقيع أي اتفاقية تنازلات أمنية. وقضية إبقاء القدس خارج اتفاقية الحكم الذاتي. والإبقاء على المستوطنات حيث هي [3].

---

1) راجع: مصر والحرب القادمة 23، وهو الكتاب الثاني في سلسلة قراءة في فكر علماء الاستراتيجية2.

2) راجع: بيت المقدس بين المواثيق الدولة والأطماع الصهيونية 79، بتصرف.د . جمال عبد الهادي.

3) راجع: بيت المقدس والمواثيق الدولية ص60، د. جمال عبد الهادي وزميله، ط. دار الوفاء.. مصر.

ولهذا فرح (شيمون بيريز) بهذه الاتفاقية الخادعة، قال، فرحتي في أوسلو كانت مزدوجة، فقد تصادف الليلة أيضًا عيد ميلادي السبعين، ووقتها قال له أبو العلاء ممثل منظمة التحرير الفلسطينية (!) وهو يبتسم: الاتفاقية هي هديتنا لك في عيد ميلادك (!!).. فقال بيريز لنفسه: يا لها من هدية، هدية متميِّزة، وغير مُتوقعة، بل من المستحيل تقييمها [1].

والجدير بالذكر أن اليهود صرحاء في إعلان هدفهم هذا من إجراء تعاهدات السلام السخيفة مع العلمانيين العرب، فقد قال كبيرهم الشهير (مناحم بيجن): لن يكون سلام لشعب إسرائيل، ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب ما دمنا لم نُحرر وطننا بأجمعه بعد، حتى ولو وقَّعنا معاهدة الصلح! [2].

ولهذا قال أديب الفقهاء ناعيًا ومُندِّدًا بهؤلاء العرب:

وقالوا: أبشروا بالسلـــم يا عرب امرئ القيس
بدت في الأفق طلعة شمســـه صفراء كالورس
تولى عهـدُ (شـــامير) شبيه الأسود العنسي
وأقـــبل بعـــد (رابـــين) أخو عنترة العبسي
و (رابـــينٌ) كـــ (شـامـــير) فـــمن نحـــس إلى نحـس
فـــلا أســـوأ مـن هـذا سـوى هـذا وبالعكس

---

ثم قال: بعد المصافحة التاريخية بين ياسر عرفات (الرئيس الفلسطيني) وإسحاق رابين (رئيس وزراء إسرائيل) في حديقة البيت الأبيض (في واشنطن بأمريكا)، وتوقيع الاتفاق غلب على التفكير أكثر من الشعور بالسعادة، فقد اجتزت مرحلة الاحتفال إلى الخطوة التالية، وهي: كيف يُمكن بناء شرق أوسط جديد، فالاتفاق في أوسلو والاحتفال في واشنطن لم يكونا سوى العتبة التي يُمكن أن نقفز من عليها إلى الأعلى والأبعد .

1) راجع: مصر والحرب القادمة 80، 81، وهو الكتاب الثاني في سلسلة قراءة في فكر علماء الاستراتيجية.

(2) راجع: أهداف إسرائيل التوسعية 24، 25، لمحمود شيت خطاب، ط. دار الاعتصام .. مصر.

أفــاع كـلـها ســمٌ  وإن نعمت لدى اللمـس

* * *

فيا عجبًا لمن يجري  وراء سرابه النفسي
يظن له به ريًّـــا  ويرجع فارغ الكأس
يُفرِّط في دم الشهداء  يا للعار والبُؤس
يبيع الأرض والتاريخ  بالأرخص من فلس
بحكم في حمى صهيون؟  يا للثمن البخس
فلا دولته قامت  ولا أبقى على النفس
وضاع جهاد أجيال فقد  دفنوه في الرمس
جهود كلها ذهبت  كأن لم تغن بالأمس
فما معنى فلسطين  بلا أقصى ولا قدس؟!.
فلسطين بلا قدس  كجثمان بلا رأس [1] .

**السبب السادس: اليهود لا يردعهم إلا القوة.**

ولهذا لن يردع اليهود ولن يردهم عن اعتدائهم واحتلالهم إلا القوة الجهادية؛

فقد اغتصبوا فلسطين بقوة القتال، وقوة الخداع، وقد قال رئيسهم (ابن جوريون): لا يمكن أن تبقى إسرائيل إلا بقوة السلاح [2].

ولن يرحلوا عن فلسطين إلا بقوة القتال.. وتاريخ اليهود شاهد صدق، فإنهم من قديم لم يقبلوا تعاليم الله تعالى، ولم يُطيعوه إلا بعدما هددهم الله تعالى باستخدام القوة ضدهم؛ حيث رفع عليهم جبل (الطور في سيناء)، وأنذرهم بالقتل إنْ لم يُذعنوا لأمره، ويقبلوا تعاليمه، فلما رأوا الجبل فوقهم سيُهْلِكَهم جميعًا أذعنوا صاغرين، وأجابوا

(1) راجع: المسلمون قادمون 94، 95.. وقوله: (الرمس) أي التراب.

2 () راجع: مصر والحرب القادمة 20، وهو الكتاب الثاني من سلسلة قراءة في فكر علماء الاستراتيجية.

مُكْرهين، يقول الله تعالى: (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأعراف:171) .

وقد أمر الله تعالى رسوله محمدًا ^ أن يعامل اليهود بذات القوة كلما خانوا وغدروا، كما عرفناه في سيرته الشريفة، فحينما خانوا وغدروا مرة بعد مرة في بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة أزال وجودهم من المدينة المنورة.

وقد قيل: اليهودي لا يُعطي الجزية حتى يُلطم، وكذلك من تخلَّق بأخلاقهم [1].

وكلما رأوْا في المؤمنين ضعفًا وتخاذلاً وتمسُّكًا بالتعاهدات السلمية ازدادوا عُتوًا واعتداءً عليهم، وتوسعًا في اغتصاب أرضهم، والله تعالى يقول: (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) (الممتحنة:2).

لن تتحر فلسطين من الاحتلال اليهودي إلا بالقوة الجهادية.

ولهذا لن تتحرر القدس وفلسطين من الاحتلال اليهودي الغاصب إلا بقوة القتال، وليس غيره.. فلن يترك اليهود فلسطين منحة أو صدقة أو هدية للمسلمين، أو بأية تفاوضات سلمية، وإلا فلماذا احتلوها إذن ؟!، وقد قال الرئيس المصري جمال عبد الناصر: ما أُخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة.

ويشهد لهذا أن اليهود ما كانوا يخرجون من سيناء المصرية لولا الحرب التحريرية التي أصر المصريون على القيام بها في حرب الاستنزاف، وفي حرب رمضان، عام 1393هـ = أكتوبر، عام 1973م.

وحينما نشط الفلسطينيون في أعمالهم الاستشهادية أرعبت اليهود، وجعلتهم يُسارعون بالهجرة من فلسطين إلى بلاد أوربا وأمريكا، وكثُر السؤال المطروح على موائد اليهود: هل للصهيونية (لليهود) مستقبل في فلسطين؟!.. ومن اليهود من أجاب قائلًا:

---

1 () راجع: المخطط الأعظم لتحرير القدس 128، لعليا ديب، ط. المكتبة العصرية.. بيروت.

قبل حلول عام (2025م) فسوف ينتهي الحلم الصهيوني (اليهودي) تمامًا لو استمرت الأعمال الاستشهادية بنفس درجة القوة التي هي عليها الآن [1].

وجوب القعود للأعداء في كل مرصد من مراصد الجهاد .

إن سببًا واحدًا من الأسباب السابقة يُوجب الجهاد على المؤمنين، فكيف وقد اجتمعت كلها في فلسطين؟!.. ولهذا يجب على المؤمنين أن يُجاهدوا لنصرة إخوانهم المنكوبين في فلسطين ــ الأقرب فالأقرب ــ، ويقعدوا لأعدائهم في كل مقاعد الجهاد ومراصده التي تنال منهم وتُوهنهم، وتُقرِّب من النصر عليهم، وإزالة احتلالهم القدس وفلسطين، كما يقول الله تعالى: (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) (التوبة:5) .

قال أبو حيان : وهذا تنبيه على أن المقصود إيصال الأذى إليهم بكل طريق [2].

والله تعالى يقول: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (التوبة: 120، 121).

وكلمة: (نَيْلاً) جاءت بصيغة التنكير لتشمل عمل كل نيلٍ يستطيعه المؤمنون في عدوهم، بما يغيظه ويُوهن قوته، ويُقرِّب من النصر عليه.

والمراد: أنه يجب على المؤمنين أن يتعرضوا لمثل ما تعرض له رسول الله ﷺ من الجهاد في سبيل الله ونُصرة المؤمنين بالأموال والأرواح، ولهم بذلك أجرهم.

وفي 18/ 5/ 1375هـ = 1/ 1/ 1956م قالت لجنة الفتوى بالأزهر ومفتيها الشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية: إن فلسطين إسلامية واليهود مُغتصبون

---

1 () راجع: تحرير فلسطين.. الثوابت.. المتغيرات.. الواجبات 223، د. السيد عبد الستار المليجي.

(2) راجع: تفسير البحر المحيط 5 / 12 ط دار الكتب العلمية .

لها، وإن العالم الإسلامي مُطالب بإحياء فريضة الجهاد لتحريرها، وإقامة حكم الله تعالى عليها، ونُصرة أهلها، وأنه لا يجوز للمسلمين أن يُصالحوا هؤلاء اليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين، واستذلوا أهلها، وانه لا يجوز بأي حال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وأن الاعتراف باليهود كدولة هو خيانة لله وللرسول محمد ^ وللأمانة التي وُكِّل إلى المسلمين المحافظة عليها.

وأضافت الفتوى: أنه يجب على المسلمين أن (يتعاونوا جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم لرد هذه البلاد إلى أهلها .. وأن يُعينوا المجاهدين بالسلاح وسائر القوى على الجهاد في هذا السبيل، ومن قصَّر في ذلك أو فرَّط فيه أو خذل المسلمين عنه أو دعا إلى ما من شأنه تفريق الكلمة، وتشتيت الشمل والتمكين لدول الاستعمار والصهيونية من تنفيذ خططهم ضد العرب والإسلام، فهو في حكم الإسلام مُفارق جماعة المسلمين، ومُقترف أعظم الآثام [1].

وجوب استمرار الجهاد حتى النصر والتحرير .

وبجوار وجوب الجهاد في سبيل الله يجب على المؤمنين أن يظلوا قائمين بالجهاد المطلوب ما دام الأعداء قائمين في اعتدائهم على المؤمنين واحتلال أرضهم حتى يزول اعتداؤهم واحتلالهم، يقول الله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ) (آل عمران:75).. ومعناها: أن فلسطين لن تتحرر من الاحتلال اليهودي إلا باستمرار قيام المؤمنين بالجهاد لتحريرها بغير كلل ولا ملل، مهما طال أمد الجهاد، ومهما اشتد وطيسه، كما يُبيِّنه قوله سبحانه: (لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً) .

أجل، يجب على المؤمنين أن يستمروا في جهادهم لتحرير أرضهم المحتلة، إنْ بالجهاد المدني والإعداد للجهاد القتالي، وإنْ بالجهاد القتال، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا

(1) راجع: كيف ننصر فلسطين 16، لنبيل حامد المعاذ.. هذه قضيتك يا ولدي 18، د. جمال عبد الهادي.

الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(آل عمران:200).. والأمر معناه: غالبوا العدو في الصبر والثبات، فإذا صبر العدو على القتال شهرًا يجب على المؤمنين أن يصبروا على مجاهدته شهريْن؛ ليبقى الجهاد قائمًا ومستمرًا حتى يزول الاعتداء والاحتلال.

وإذا أخفق المؤمنون في الجهاد مرة فيجب عليهم أن يعودوا إليه مرة أخرى، وإذا قعدت عنه دولة منهم يجب أن تنهض به دولة أخرى، وإذا تقاعس عنه جيل من الأجيال يجب أن يقوم به جيل آخر، كما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ^ يقول: «لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ الله، لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا، تُقَاتِلُ أَعْدَاءَهَا، كُلَّمَا ذَهَبَتْ حَرْبٌ نَشَبَتْ حَرْبُ قَوْمٍ آخَرِينَ، يَرْفَعُ الله قَوْمًا وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ» [1].

وجاء عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ^ فَقَالَ : إِنِي سَئِمْتُ.. أو أَسَمْتَ (تركت) الْخَيْلَ (ترعى)، وَأَلْقَيْتُ السِّلاَحَ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وقُلْتُ: لاَ قِتَالَ.. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ^: «الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَرْفَعُ الله قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمُ الله مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله عَزَّ وَجَلَّ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلاَ إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [2].

## النصر والتحرير في الجهاد في سبيل الله .

ولن يملك اليهود ــ أمام إصرار المؤمنين على استمرار الجهاد، وإصرارهم على النصر والتحرير ــ إلا التسليم أو الفرار، وتتحرر فلسطين من احتلالهم، وهو معنى الاستثناء في قول الله سبحانه: (لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً)(آل عمران:75).

---

(1) صحيح.. أخرجه البخاري في تاريخه 4/ 248، وأبو نعيم 14003، والطبراني في الأوسط 7948، وغيرهم.

(2) صحيح.. أخرجه أحمد 16965، والنسائي في الكبرى 4401، والطبراني في الكبير 6358، وغيرهم.

ويُبشر الله تعالى المؤمنين بنصره كلما أحسنوا القيام بالجهاد في سبيله، وكلما أحسنوا استمراره، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِالله وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ الله وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (الصف ـــ 10 : 13) .

وفي تاريخنا رأى القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي أن يترك التفاوض مع الأعداء الصليبيين، ويستمر في جهادهم حتى يُحرر أرض الإسلام المحتلة، وقال: متى ما صالحناهم لا تؤمن غائلتهم.... فالمصلحة أن لا نزال على الجهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتينا الموت. هذا كان رأيه قدس الله روحه [1].

الانكسار والزوال في القعود عن الجهاد .

أمَّا إذا قعد المؤمنون عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم مع وجوبه، وقدرتهم عليه، ورضوا بالذل والهوان فسيُنْزِلُ الله عليهم عقابَه، ويُسلط عليهم عدوهم، يقول الله تعالى في عاقبة التخاذل عن الجهاد بالنفس: (إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التوبة:39) .

ويقول سبحانه في عاقبة التخاذل عن الجهاد بالمال: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ والله الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (محمد:38) .

والعذاب الأليم قبل الاستبدال في الآيتين هو عذاب الهزيمة والذُّل والقتل والاحتلال.. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة:195).

---

1() راجع: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية = سيرة صلاح الدين الأيوبي 160، ط. دار المنار.. مصر.

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَـذَا التَّأْوِيـلَ ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ، لَّمـا أَعَـزَّ الله الإِسْـلاَمَ ، وَكَثُـرَ نَاصِـرُوهُ فَقَـالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ الله ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ ، وَإِنَّ الله قَدْ أَعَزَّ الإِسْـلاَمَ ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ الله عَلَـى نَبِيِّـهِ ﷺ يَـرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلا تُلْقُـوا بِأَيْـدِيكُمْ إِلَـى التَّهْلُكَـةِ ) (البقـرة:195)، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاَحَهَا وَتَرْكِنَا الْغَزْوَ[1].

ويَقُولُ النبي ﷺ : مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْـرٍ أَصَـابَهُ الله سُبْحَانَهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » [2] .

والنبي ﷺ يقول: «ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب» [3].

ويَقُولُ النبي ﷺ: «إِذَا تَبَـايَعْتُمْ بِالْعِينَـةِ، وَأَخَـذْتُمْ أَذْنَـابَ الْبَقَـرِ، وَرَضِـيتُمْ بِـالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ » [4] .

والحديث يُبيِّن أن المؤمنين إذا تخاذلوا عن الجهاد وإعداد القـوة، واكتفـوا بـالزرع، وأقبل كلٌ منهم على خاصة شأنه، التي تتمثل في أخذ كل واحـد بـذنب بقرتـه ، وأكلـوا الربا وإن أخذ صورة البيع؛ فسيُسلط الله عليهم عدوهم، يُـذلهم حتـى يُراجعـوا أنفسـهم ويرجعوا إلى اتباع دينهم، كما يقول ﷺ:(حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ).

ويجب أن يعتبر المسلمون في كل عصر بما حدث لإخوانهم المسلمين في الأنـدلس: حينما قعدوا عن الجهاد والولاء للمؤمنين؛ للذود عن حُرماتهم، فعندئـذ زال وجـودهم، وبادت دولتهم، وأضحوا تاريخًا يُقرأ للعبرة بعدما كانوا واقعًا يُرى، حتـى قـال القـرطبي الأندلسي: اتفق المسلمون في بلاد الأندلس أن تركوا الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا

---

1 () صحيح .. أخرجه الترمذي 2972، وغيره كما في صحيح الترغيب 1388 .

(2) صحيح .. أخرجه أبو داود 2503، وابن ماجة عَنْ أَبِى أُمَامَةَ، كما في صحيح الترغيب 1391 .

3 () حسن .. أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن عـن أبـي بكـر ﷺ، كمـا في صـحيح الترغيـب 1392 .

4 () صحيح .. أخرجه أبوا داود وغيره عن ابن عمر، كما في صحيح الترغيب 1389.

من الفرار، فاستولى العدو على البلاد، وأي بلاد؟!، وأسر وقتل وسبى واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته! [1] .

وقال أبو بكر بن العربي الأندلسي يصف الكارثة : فإنا لله وإنا إليه راجعون، على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال، وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجَلَد [2] .

وما أشبه الليلة بالبارحة، فحينما تخاذل المؤمنون في عصرنا عن الجهاد وإعداد القوة، وأقبل كل منهم على شئونه الخاصة، ورضوا بالاستسلام لعدوهم تحت وَهْم (السلام)، وقالوا: لا خيار لنا إلا السلام، سلَّط الله عليهم أعداءهم من (الصليبيين واليهود) فقتلوهم، واغتصبوا أرضهم، وشردوهم في أرض الشتات.

## القعود عن الجهاد من أكبر الكبائر.

ولهذا عد الأئمة كابن حجر الهيتمي القعود عن الجهاد من الكبائر التي يجب أن ينزجر عنها المؤمنون، مُستدلًا بما ذكرناه، قال: الكبيرة التسعون والحادية والثانية والتسعون بعد الثلاثمائة: ترك الجهاد عند تعينه بأن دخل الحربيون دار الإسلام أو أخذوا مسلمًا وأمكن تخليصه منهم، وترك الناس الجهاد من أصله، وترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيث يخاف عليها من استيلاء الكفار بسبب ترك ذلك التحصين، قال تعالى: (وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) [البقرة: 195] [3] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ» [4] .

---

1) راجع: تفسير القرطبي 3/ 417، 418.

2) راجع: أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي المالكي الأندلسي 2/ 888، تحقيق: على محمد البجاوي .. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي المُفسر 10 / 87، تحقيق: د. عبد الله التركي .. مؤسسة الرسالة .. بيروت.

3 ) الزواجر عن اقتراف الكبائر 2 / 359، ط. دار الحديث .. مصر.

4) صحيح .. أخرجه مسلم 1910، وأبو داود 2502، والنسائي 3097، وغيرهم.

**النوع الثاني من الجهاد الواجب: الجهاد المدني .**

والجهاد المدني.. جهاد واجب ودائم، يُصاحب المسلم في إقامته وسفره.. ويكون في أربعة مواضع: جهاد في التبليغ والإيصال.. وجهاد في التربية والتزكية بالإيمان.. وجهاد في توفير حاجات المجتمع.. وجهاد في الصبر والاحتمال.

وأهمية هذا الجهاد للمجتمع في الداخل، وللمجاهدين في ميدان القتال، ولهذا يصفه الله تعالى بالجهاد الكبير، كما في قوله سبحانه: (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ) (الفرقان: 52).

ويتحقق هذا الجهاد المدني بالأمور الآتية :

**1 ـــ اصطحاب نية الجهاد في سبيل الله .**

ومعناه : أن يعزم القاعدون عن الجهاد في سبيل الله كل يوم عزمًا صادقًا على النفير للجهاد في سبيل الله، ونصرة إخوانهم المؤمنين إذا تيسر لهم النفير والوصول إليهم بالمال أو بالنفس .. ويجب أن يبقى هذا العزم في أنفسهم قويًّا صادقًا، لا يفتر ولا يضعف بمرور الأيام، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[1] .

بهذه النية الصالحة يكون المؤمنون في عملهم المدني مُجاهدين في سبيل الله تعالى كالمقاتلين في ميدان القتال، يقول الله تعالى: (إِنْ يَعْلَمِ الله فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ والله غَفُورٌ رَحِيمٌ) (الأنفال:70) .

والنبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ» [2].

---

1) صحيح .. أخرجه مسلم وأبو داود 2504، وغيرهما عن أبي هريرة .

2) صحيح .. أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب ﷺ، كما في صحيح الجامع 4048 .

ويُبيَّن النبي ﷺ هذا في واقعة عملية، حينما تخلف عدد من المؤمنين عن المشاركة في الجهاد في سبيل الله في غزوة تبوك لعذر لحقهم مع شوقهم إليه، وحرصهم عليه؛ فقال النبي ﷺ في شأنهم وشأن أمثالهم من المؤمنين: «لَقَدْ تَرَكْتُمْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ وَلاَ قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إِلاَّ وَهُمْ مَعَكُمْ فِيهِ».. قَالُوا : يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ؟.. فَقَالَ: «حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ »[1].

وإذا مات المسلم في الجهاد المدني بهذا القصد الصالح يبلغ منزلة الشهيد في سبيل الله، كما جاء عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أن النبي ﷺ يقول:

«مَنْ سَأَلَ الله الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ الله مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» [2].

**2 ـــ القيام بأعمال الجهاد المدني .**

وفي ذات الوقت يجب على المؤمنين القاعدين عن القتال لعذر لحقهم أن يقوموا بأعمال الجهاد المدني المطلوب، وهي: القيام بحاجات المجتمع، كأعمال الزراعة والصناعة والغزل والنسج والتجارة.. وأعمال التربية والتعليم والتوجيه والإعلام والمحاجة عن المجاهدين، والذود عنهم، ومجاهدة الإشاعات الخبيثة التي تنال منهم .. ونشر ثقافة الرباط والجهاد في المجتمع حتى النصر السيادة ، أو الموت والشهادة.

والجهاد المدني: بهذا الفهم والتفسير واجب شرعي كالجهاد بالنفس، وإذا تركه المؤمنون فقد ارتكبوا حرامًا وإثمًا مبينًا، وعاقبهم الله تعالى بالضعف والسقوط في هاوية الهلاك

وفيه يقول الله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ والله غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة:91) .

---

1) صحيح .. أخرجه البخاري 4423 ومسلم وغيرهما عن أنس ﷺ، كما في صحيح الجامع 2036 .

2) صحيح .. أخرجه مسلم وأبو داود، وغيرهما، كما في صحيح الترغيب 1276 .

ومعناه: أن المؤمنين القاعدين عن القتال يقبل الله تعالى عذرهم، ويرفع عنهم الحرج إذا قاموا بواجبهم في الجهاد المدني، المُشار إليه في قول الله تعالى: (إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ).

قال الإمام الرازي: شرط الله تعالى في جواز هذا التأخير عن الجهاد بالنفس شرطاً معيناً وهو قوله: ( إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ) ومعناه: أنهم إذا أقاموا في البلد احترزوا عن إلقاء الأراجيف، وعن إثارة الفتن، وسعوا في إيصال الخير إلى المجاهدين الذين سافروا، إما بأن يقوموا بإصلاح مهمات بيوتهم، وإما بأن يسعوا في إيصال الأخبار

السارة من بيوتهم إليهم، فإن جملة هذه الأمور جارية مجرى الإعانة على الجهاد[1].

وكان النبي ﷺ يُخرج للقتال قوْمًا ، ويستبقي آخرين ، ليقوموا بما يحتاجه المجتمع من أعمال، ويجعل ذلك من الجهاد المطلوب، وكل منهما في الأجر سواء، كما جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي لِحْيَانَ ـــ مِنْ هُذَيْلٍ ـــ فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا »، ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدين: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ» [2].

ولهذا يقرن الله تعالي الضاربين في الأرض يبتغون من فضل الله بالمقاتلين في سبيل الله، ويُقدَّم عليهم الضاربين في الأرض، يقول الله سبحانه: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ الله وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله) (المزمل:20).

قال القرطبي: سوَّى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد، لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله.

---

1) راجع: التفسير الكبير للرازي 8 / 119.

(2) صحيح . . أخرجه مسلم 4884 وأبو داود 2510 وأحمد وغيرهم، كما في صحيح الترغيب 1238 .

عن علقمة قال: قال رسول الله ^: مَا مِنْ جَالِبٍ يَجْلِبُ طَعَامًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ فَيَبِيعُهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ إِلَّا كانت مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ الله مَنْزِلَةَ الشُّهَدَاءِ. ثم قرأ رسول الله ^: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ الله وَآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله) [1].

وقال ابن مسعود: أَيُّمَا رَجُلٍ جَلَبَ شَيْئًا إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ الْمُسْلِمِينَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، فَبَاعَهُ بِسِعْرِ يَوْمِهِ كَانَ لَهُ عِنْدَ الله مَنْزِلَةُ الشُّهَدَاءِ. وَقَرَأَ قول الله تعالى: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) الْآيَةَ.

وقال ابن عمر: مَا خَلَقَ الله مَوْتَةً أُمُوتُهَا بَعْدَ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ الله أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ بَيْنَ شُعْبَتَيْ رَحْلِي، أَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ الله ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ.

وقَالَ كَعْبُ بْنِ عُجْرَةَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ ونَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ الله؟. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ» [2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ» [3].

الجهاد المدني في أوقات الحروب والأزمات أوجب وأوكد .

وإذا كان الجهاد المدني واجبًا على المؤمنين في سلمهم فإنه في أوقات الحروب الشدائد أشد لزومًا، وأقوى وجوبًا، وأكثر في الأجر والمثوبة .

يقول النبي ﷺ : إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ

---

(1) ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء 2/ 115، وقال: رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة أن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد... فهو مرسل.

(2) صحيح . . أخرجه الطبراني في الكبير عن كعب بن عجرة، كما في صحيح الترغيب 1692.

(3) صحيح . . أخرجه البخاري 5353، ومسلم 2982، وغيرهما.

فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً، يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ».. قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلاً مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟.. قَالَ: «لاَ، بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» [1].

ويقول النبي ﷺ: «الْعَمَلُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ» [2].

ومعنى (الْهَرْجِ): الفتن والاضطراب والتقاتل.

الموت في الجهاد المدني شهادة في سبيل الله .

وإذا مات المسلم في جهاده المدني بنية المشاركة في الجهاد القتالي كان شهيدًا، يقول الله تعالى: (وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ الله أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ) (آل عمران: 157، 158).

ففي الآية الكريمة يجعل الله تعالى الموت في سبيل الله في جهاده المدني بمنزلة القتل في سبيل الله في القتال.. وقدم القتل على الموت مرة، وقدم الموت على القتل مرة أخرى؛ ليُبيِّن أنهما في الأجر سواء.

قال عمر بن الخطاب ﷺ : يا أيها الناس ، كُتب عليكم أن يأخذ أحدكم من ماله فيبتغي من فضل الله ، فإن فيه العبادة ، وايْم الله لأن أموت في شعبتي رحلي وأنا ابتغي بمالي في الأرض من فضل الله أحب إلي من أن أموت على فراشي ، ولو قلت : إنها شهادة لرأيت أنها شهادة [3] .

شرطٌ القيام بالجهاد في سبيل الله للتحرير.

ما ذكرناه من ضرورة الجهاد في سبيل الله لتحرير فلسطين وغيرها من أرض الإسلام المحتلة مشروط بأن يكون بإعداد وتنظيم وتدبير الدولة المسلمة ومؤسساتها.. فالدولة المسلمة بقيادة ولي الأمر هي التي تُعد العدة المُناسبة للمعركة المرتقبة، وهي التي

---

(1) صحيح .. أخرجه أبو دود والترمذي وغيرهما عن أبي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، كما في صحيح الترغيب 3172 .

2) صحيح .. اخرجه أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَنِيِّ، كما في صحيح الجامع 3974

(3) راجع: تفسير ابن كثير 2 / 127، تحت الآية الكريمة.

تعرف بمؤسساتها المعنية قوة العدو، وتختار الوقت المناسب لبدء المعركة، وسير القتال فيها لتحقيق النصر والتحرير... الخ.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الآمرة بالقتال في سبيل الله تُخاطب الدولة المسلمة ولي الأمر المسلم، كقول الله تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ) (البقرة: 190).. وقول النبي ^: «إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»[1].. كل منهما يُخاطب ولي الأمر المسلم والدولة المسلمة، وولي الأمر هو وحده الذي يقوم باستنفار المؤمنين وتحريضهم على القتال، كما في قول الله تعالى: (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) (النساء: 84).. فلا جهاد قتالي بغير الدولة المسلمة وولي الأمر المسلم.

**الحذر من مكائد الأعداء ودسائسهم.**

والحذار.. الحذار يا قومي من الجماعات الخارجة عن طاعة ولي الأمر والدولة المسلمة، مثل: تنظيم القاعدة، وتنظيم الدولة، أو داعش، وما يقوم مقامها وإن اختلفت الأسماء، فإن هذه التنظيمات بخروجها عن طاعة ولي الأمر والدولة المسلمة غير شرعية، وهي ــ في رأيي ـــ تنظيمات مخابراتية إرهابية مرتزقة، أنشأتها المخابرات الصليبية واليهودية، لتكون يدها في قتال وقتل أهل الإسلام في الأقطار الإسلامية.. والمخابرات الصليبية واليهودية هي التي تُوفر لها التمويل المالي والسلاح والتخطيط.. هذه التنظيمات هي الجيل الرابع من الحروب.. وقد أكَّد هذا لديَّ ثمارها المرة في الأقطار الإسلامية، وهي في الآتي:

---

1 ) أخرجه البخاري 1834، ومسلم وأبو داود 2482، وغيرهم عن ابن عباس ﷺ .

ونقول: في حالة واحدة يقوم آحاد المؤمنين بخوض القتال ضد الأعداء، وذلك إذا اعتدى الأعداء على الوطن، وانفرط عقد الدولة، وتفرَّق الجيش النظامي، فحينئذ يجب على القيادات الشعبية أن تتصدر الشعب، وتُنظِّم آحاد المؤمنين في وحدات قتالية شعبية، ويكون لها تدبيرها المناسب لقتال العدو ورده، وتحرير الأرض وحماية الرعية من اعتدائه.

1 ــ وضع الأقطار الإسلامية في حالة قلق واضراب دموي دائم يُشغلهم عن التنمية والاستثمار والتعليم والنهوض بالدولة، فبدلًا من اشتغال الدولة بالنهوض بالتنمية البشرية والاقتصادية تشتغل بمقاومة هؤلاء الإرهابيين الخارجين عليها؛ لتبقى متخلفة يشيع فيها الجهل والفقر والمرض؛ ومن ثم تهوي في مهاوي الضعف، وتنهزم أمام عدوها في أول وأقصر مواجهة عسكرية.

2 ــ استهلاك الثروة الشبابية الإسلامية في أفكار متطرفة غير عاقلة، وأعمال إرهابية فاسدة ومُفسدة، وتسليط الحكومة في كل قطر على هذه الثروة الشبابية المسلمة، فتقتله أو تُفنيه في السجون، ويكون بمثابة خلع أو قتل الشتلات الإسلامية نيابة عن عدوهم، قبل أن تعقل هذه الثروة أمرها وغايتها، وتكون قوة لوطنها وإسلامها، وقبل أن تكون قوة في المعركة المرتقبة لتحرر أرض الإسلام المحتلة.

3 ــ تنفير الناس من الإسلام وأهله، وتنفير المسلمين من التدين والالتزام بالإسلام، فقد نُسبت هذه التنظيمات الإرهابية إلى الإسلام، ونسبت أعمالها الخبيثة إلى الإسلام، ورفعت شعارات إسلامية عريضة، مثل: إحياء دولة الخلافة الإسلامية، وإقامة الدولة الإسلامية، أو إحياء دولة الخلافة الإسلامية.. الخ.. وكله خداع وتغرير وتضليل، للشباب المسلم الصغير، فاحترقوا بنارها، وأضروا الإسلام وما نفعوه، بل حققوا لليهود والصليبيين منافع كثيرة، أعلاها صد الناس عن الإسلام، وتنفيرهم من التدين بالإسلام، وأضحى من يلتزم بالإسلام من المسلمين إرهابي.

فمثلًا عندما قام تنظيم القاعدة بقيادة ابن لادن بتنفيذ التخطيط اليهودي والصليبي في تدمير عمارات في واشنطن ونيويورك بأمريكا ماذا كانت النتيجة:

أشاع اليهود والصليبيون أن الإسلام هو الإرهاب وقتل المدنيين، وتخريب المنشآت بمن فيها من المدنيين، فغرسوا الخوف من الإسلام، فبعدما كان الإسلام ينتشر في أوربا وأمريكا بهدوء، ويزحف بقوة زحفًا أبيضًا، يعتمد على العقل وحسن الأخلاق نفر الناس منه، وآذوا المسلمين لديهم في مجتمعهم الصليبي،

حتى قال لي مسلم يعمل في إيطاليا: والله لقد أوذينا في أنفسنا وأموالنا بسبب هذه الفَعلة الإرهابية الشنعاء، واطمأن رجال الكنيسة لتوقف الزحف الإسلامي.
أذكر أني حضرت مؤتمرًا في القاهرة لإحياء ذكرى الإمام بديع الزمان النورسي (عالم تركي معروف)، وكان بجواري قسيس بلجيكي اعتنق الإسلام، فأخبرني أن البلجيكيين بعد هذه الفَعلة الشنعاء حينما كانوا يرونه بلباسه الباكستاني يفرون مذعورين، قائلين: ابن لادن.. ابن لادن.. ابن لادن !!.

4 ــ الثابت المعروف في مسيرة هذه التنظيمات الإرهابية أنها ركزت إرهابها وقتلها للمسلمين، وتخريبها المرافق العامة والخاصة في أقطار العالم الإسلامي فقط، بينما سلمت منها الدولة اليهودي المعتدية (إسرائيل)، فلم يثبت في تاريخ الجماعة الإسلامية في مصر، أو تنظيم القاعدة، أو تنظيم الدولة أو داعش أن عملت عملية قتالية في الدولة الإسرائيلية مع أن اليهود مُعتدون، احتلوا ـــ ولا زالوا يحتلون ــ أرضنا، وقتلوا ـــ ولا زالوا يقتلون ـــ أهل الإسلام في القدس وفلسطين.
وقد نقلت الأخبار المنشورة والمشهورة أن (بنيامين نتنياهو) رئيس حكومة إسرائيل تباهى أن تنظيم داعش أو تنظيم الدولة أرسل إلى حكومته اعتذار لأجل صاروخ أطلقوه تجاه إسرائيل بطريق الخطأ، ولم يكن اليهود مقصودين به.
نعم، إن هذه التنظيمات الإرهابية تقوم بالتخريب الداخلي في الأقطار الإسلامية وحدها، وقتل الاستقرار والسلام الاجتماعي فيها، مثلما قامت التنظيمات العلمانية (كالاشتراكية والليبرالية) بالتخريب الثقافي والأخلاقي فيها منذ عشرات السنين.

5 ــ ونقلت قناة الجزيرة الفضائية: أن إحدى الدول العربية أمسكت بجندي مسيحي صربي، وجندية مسيحية صربية يُقاتلون مع تنظيم الدولة أو داعش، فهل المسيحيون يعنيهم أو يهمهم إقامة الدولة الإسلامية أو مقاومة الصليبيين واليهود

المحتلين؟!.. أم أنهما من المرتزقة الذين استأجرتهم الصليبية واليهودية لمقاتلة وقتل أهل الإسلام في أقطارهم؟!.

6 ــ ونقل أحد الكاتبين في الصحافة بالقلم والصورة الطائرات الأمريكية الكبيرة تحمل جنود (تنظيم الدولة أو داعش) من مواقع الخطر إلى موقع آمن، يُراد غرس القلق والاضراب الدموي فيه!! [1].

وإذا لم تنتبه مصر سيكون تركيز اليهود والصليبيين عليها بهذا التخريب الداخلي، كما حدث لها في عقد التسعينات من القرن العشرين الميلادي، وقد تولت كبره الجماعة الإسلامية وقتئذ، ثم أعلن كبارها المراجعة والتوبة بعدما قتلوا وخرَّبوا !!.

ومن عام 2011م إلى اليوم (2019م) تدور رحى مقاومة هذه التنظيمات الإرهابية الآثمة في سيناء المصرية. أعان الله مصر، وحفظها من كل سوء.

7 ــ أقول: هذا التخريب الداخلي في المجتمع الإسلامي الذي تقوم به هذه التنظيمات الإرهابية هو في الواقع من تعاليم الإرهاب الذي تُنظمه التوراة الإرهابية المعاصرة، فقد جاء في سفر أشعيا النبي، قال: (1وَحْيٌ مِنْ جِهَةِ مِصْرَ: هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْتَجِفُ أَوْثَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا. 2وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَى مِصْرِيِّينَ، فَيُحَارِبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ: مَدِينَةٌ مَدِينَةً، وَمَمْلَكَةٌ مَمْلَكَةً. 3وَتُهْرَاقُ رُوحُ مِصْرَ دَاخِلَهَا، وَأُفْنِي مَشُورَتَهَا، فَيَسْأَلُونَ الأَوْثَانَ وَالْعَازِفِينَ وَأَصْحَابَ التَّوَابِعِ وَالْعَرَّافِينَ. 4وَأُغْلِقُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ فِي يَدِ مَوْلًى قَاسٍ، فَيَتَسَلَّطُ عَلَيْهِمْ مَلِكٌ عَزِيزٌ، يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ.. 5وَتُنَشَّفُ الْمِيَاهُ مِنَ الْبَحْرِ، وَيَجِفُّ النَّهْرُ وَيَيْبَسُ. 6وَتُنْتِنُ الأَنْهَارُ، وَتَضْعُفُ وَتَجِفُّ سَوَاقِي مِصْرَ، وَيَتْلَفُ الْقَصَبُ وَالأَسَلُ. 7وَالرِّيَاضُ عَلَى النِّيلِ عَلَى حَافَةِ النِّيلِ، وَكُلُّ مَزْرَعَةٍ عَلَى النِّيلِ تَيْبَسُ

1 ) هذه الأخبار منقولة عن عدد من المواقع في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت).

وَتَتَبَدَّدُ وَلاَ تَكُونُ. 8وَالصَّيَّادُونَ يَئِنُّونَ، وَكُلُّ الَّذِينَ يُلْقُونَ شِصًّا فِي النِّيلِ يَنُوحُونَ. وَالَّذِينَ يَبْسُطُونَ شَبَكَةً عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ يَحْزَنُونَ، 9وَيَخْزَى الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْكَتَّانَ الْمُمَشَّطَ، وَالَّذِينَ يَحِيكُونَ الأَنْسِجَةَ الْبَيْضَاءَ. 10وَتَكُونُ عُمُدُهَا مَسْحُوقَةً، وَكُلُّ الْعَامِلِينَ بِالأُجْرَةِ مُكْتَئِبِي النَّفْسِ) (أشعيا النبي 19 ـــ 1 : 10).

أرجوك أن تُعاود النظر، وتتأمل قول اليهود على لسان أشعيا (النبي !!): (2وَأُهَيِّجُ مِصْرِيِّينَ عَلَى مِصْرِيِّينَ، فَيُحَارِبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ: مَدِينَةٌ مَدِينَةً، وَمَمْلَكَةٌ مَمْلَكَةً. 3وَتُهْرَاقُ رُوحُ مِصْرَ دَاخِلَهَا، وَأُفْنِي مَشُورَتَهَا.... 10 وَتَكُونُ عُمُدُهَا مَسْحُوقَةً، وَكُلُّ الْعَامِلِينَ بِالأُجْرَةِ مُكْتَئِبِي النَّفْسِ).

هذا، وقد قال علماء النفس: إذا أردت أن تعرف الجاني فابحث عن المنتفع بالجريمة، فإنه صاحبها، والسؤال الآن: من المنتفع بهذه الجرائم الإرهابية التي تقوم بها هذه التنظيمات الإرهابية في الأقطار الإسلامية؟!.

والجواب الذي لا جواب غيره: اليهود والصليبيون، فهم الذين يهمهم ضعف الأقطار الإسلامية وهزيمتها أمامهم، ليتمكنوا من اغتصاب أرضهم وثرواتهم، وقيام ما يسمونه (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات، ومن لبنان إلى المدينة المنورة في الجزيرة العربية.. والله المستعان.

## شرطٌ لنجاح هذه الخطوات القرآنية في التحرير.

وبعد، فهذه الخُطوات القرآنية كتبتها لتكون خطة عمل أمام الأجيال القادمة؛ ليكون منهم الجيل المنشود، ويتحقق بهم نصر الله الموعود.. وأنبههم هنا أن هذه الخُطوات القرآنية لا تُؤتِي أُكُلَهَا، ولا تحقق هدفها في النهوض بالجهاد والتحرير إلا بشرط ضروري، وهو: أن تُوضع موضع التطبيق والتنفيذ بقدر الاستطاعة.. وبإيجاز شديد ينهض المسلمون باتباع الإسلام، وتطبيق تعاليمه.

فالمؤمنون في عهودهم الزاهرة لم ينشروا الإسلام في الأرض، ولم ينتصروا به على عدوهم، ولم يُحرروا أرضهم المغصوبة إلا بتطبيق الإسلام والعمل بتعاليمه في حياتهم وجهادهم في سبيل الله.

قال عبد الله ابن مسعود: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات من القرآن لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن[1].

قال: فتعلمنا العلم والعمل جميعا[2].

وقال القاسم بن محمد ﷺ: أدركت الناس وما يعجبهم القول، إنما يعجبهم العمل [3].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: والله لو جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل لهم أولى بمحمد ﷺ منا يوم القيامة [4].

وذكر الإمام مالك رحمه الله: أن هذه الأمّة لن يصلح آخرها إلاَّ بما صلح به أوّلها .. والله تعالى يقول: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ

---

(1) راجع: تفسير الطبري في تفسيره 1/ 80 برقم 81، وصححه أحمد شاكر: ط دار المعارف . مصر.

(2) نفس الأثر السابق من رواية أبى عبد الرحمن السلمي و ذكره الطبري برقم 82 و يتقوى بسابقه، ولهذا صححه الشيخ أحمد شاكر، و هو و سابقه له حكم الحديث المرفوع؛ لأن الذي كان يعلمهم هذا هو رسول الله ﷺ .

(3) راجع: بهجة المجالس 1/ 373 لابن عبد البر النمري.

(4 ) راجع: الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي 165 ط . مركز صالح كامل جامعة الأزهر .

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ الله وَكَفَى بِالله عَلِيمًا)[النساء ــ 66 : 70]

فإذا اشتغل المؤمنون بتطبيق هذه الخُطوات القرآنية ــ وهي ذاتها السنن الإلهية في البناء والتغيير.. والنصر والتحرير ــ أكمل الله تعالى لهم نقصهم وقوَّى عجزهم، وأمدهم بعونه، ورزقهم النصر والتحرير؛ فقد قضى الله تعالى في سننه التي لا تتبدل ولا تتحول: أن من استخدم سننه في إعداد القوة والتغيير خدمته، ومن تجاوزها تجاوزته، ومن ضيَّعها ضيَّعته، يقول الله تعالى: (سُنَّةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً) (الأحزاب:62) .

وإذا لم يُطبِّق المؤمنون هذه الخطوات القرآنية فستبقى كلمات هامدة على الورق، لا تُحقق نصرًا، ولا تُحرر أرضًا، والله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) (الصف 2 : 3 ).

وتسألني أيها المؤمن العامل، الذي يذوب كمدًا لما يُصيب المؤمنين، ويكتوي ألَمًا وحسرة لاحتلال أرض الإسلام: كيف يُمكن تطبيق هذه الخطوات القرآنية مجتمعة في وقت واحد، وتطبيقها واحدة بعد الأخرى أمرٌ يطول.

وأقول: هذه الخطوات لا ينهض بتطبيقها مجتمعة في وقت واحد إلا الدولة المسلمة ومؤسساتها، حيث ستنهض كل مؤسسة فيها بتطبيق الخطوة التي تكون في ميدان عملها؛ فحينئذ يكون تطبيقها مُجتمعة في وقت واحد يسير غير عسير، ويرى المؤمنون ثمرتها في وقت قريب، وخاصة إذا صحت النيات، وصدقت العزائم.

وقد قال الحكيم: الحاجة تُفتِّق الوسيلة.. وإذا صدق العزم وضح السبيل.

فمثلًا: مؤسسة التربية والتعليم تقوم بخطوة التربية الإيمانية.. وتقوم مؤسسة الإعلام بواجب التوجيه والترشيد، ومقاومة الإشاعات الخبيثة... الخ.. وتعمل مؤسسة الزراعة ومؤسسة الصناعة ومؤسسة التجارة لإعداد القوة الاقتصادية.

وفي ذات الوقت تعمل مؤسسة القضاء، ومؤسسة تطبيق الأحكام العقابية (الشرطة) لإقامة العدل، وحماية الحرية الإنسانية.

والمؤسسة العسكرية تعمل في إعداد السلاح المطلوب، واستمرار تدريب جنود على فنون القتال ثم النهوض به حتى النصر والتحرير ... الخ.

وهكذا كل مؤسسات الدولة تعمل في وقت واحد إعداد القوة المطلوبة للتحرير بطريقة تعاونية وتكاملية فيما بينها؛ حينئذ تستطيع الدولة المسلمة أن تنهض بتطبيق هذه الخُطوات القرآنية مجتمعة في وقت واحد، وتنهض بواجب الجهاد والتحرير.

نعم، آحاد المسلمين يستطيعون المشاركة في النهوض بها إذا تكاملوا ولم يتقاطعوا.

وبعد.. فهاأنذا قد ذكرت وبينت ، ونبهت وحذَّرت، وإذا تغافل المسلمون وسكتوا عن جهادهم ، فسيُنزل الله عليهم عقابه بأيدي هؤلاء اليهود وأتباعهم .. فاللهم إني قد بلَّغت .. اللهم فاشهد .. اللهم فاشهد.. اللهم فاشهد.

وأقول ما قاله النبي الناصح: (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود:88) .. وأقول ما قاله الرجل الصالح لقومه: (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى الله إِنَّ الله بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) (غافر:44) .

والله المستعان .

فذلكة الكتاب [1] .

وبعد بيان هذه الخطوات المطلوبة للجهاد والنصر والتحرير أقول:

1 ــ اليهود لهم أطماع كبيرة في بلاد الإسلام، ولن يكتفوا باغتصاب فلسطين، وسيتجاوزونها إلى اغتصاب ما يُجاورها من البلاد المحيطة بها، ليجعلوا منها إمبراطوريتهم التوراتية، من الفرات إلى النيل.. ومن لبنان حتى المدينة المنورة.

2 ــ إن اليهود احتلوا فلسطين بأسباب مُتعددة، وليس بسبب واحد؛ ولهذا فتحريرها بأيدي المؤمنين المُجاهدين لا يكون إلا بخطوات مُتعددة ومتكاملة.

3 ــ واليهود جبناء غادرون كاذبون، ولا يُخيفهم ولا يردعهم ولن يُخرجهم من فلسطين إلا القوة .. أما التفاوضات والتعاهدات السلمية فيستخدمونها للخداع.

فإذا كان اليهود في قوة ومَنْعة علتهم الغطرسة والتعالي على الخلق، وصبوا مزيدًا من الإيذاء على المؤمنين، شعارهم قول الله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)(آل عمران: 75).. ورائدهم المثل الفرنسي القائل: الطعام الشهي يفتح الشهية إلى مزيد من الطعام.. وقال رائدهم: (ليفي أشكول): إن إسرائيل لديها أي نزعات توسعية![2].

4 ــ ولهذا لن يستطيع المسلمون تحرير فلسطين وغيرها من أرض الإسلام إلا بالجهاد الدءوب المستمر حتى يُحقِّق الله تعالى لهم وعده بالنصر والتحرير.. وإن لم يستطعه المسلمون في مرحلة من مراحلهم ، أو في جيل من أجيالهم فيجب أن

---

1) فذلكة .. كلمة معجمية معناها: نهاية الشيء وخلاصته، قال الفيروزبادي: فذلك حسابه: أنهاه وفرغ منه .. وهي كلمة مُخترعة ( أي منحوتة) من قوله إذا أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا ( راجع: القاموس المحيط 2 / 1258 ) .. وقال العلماء في المعجم الوسيط 2 / 678: فذلك (الحساب) أنهاه، وفرغ منه، وهي منحوتة من قوله: فذلك كذا وكذا، إذا أجمل حسابه ..( الفذلكة ): مُجمل ما فُصل وخلاصته، وهي (مُحدثة).

2) راجع: من أوراق السادات لأنيس منصور 1/ 311.

يعودوا إليه مرة أخرى في مرحلة أخرى أو في جيل آخر ، حتى يُحقق الله تعالى لهم ما يُريدون من النصر والتحرير.. وقد قيل: ما ضاع حق وراءه مطالب.

5 ــ الخُطوات القرآنية للنصر والتحرير هي ذاتها سنن الله تعالى في إعداد القوة، وتحقيق التغيير والتحرير، وهي سُنن مُحايدة، فمن استخدمها خدمته، ومن ضيَّعها ضيَّعته .. والإسلام يجعلها فرائض شرعية، ويُوجب على المؤمنين استخدامها في التغيير الإيماني وفي تحرير الأرض المحتلة، ويُحرِّم عليهم إهمالها أو تركها أو تضْييعها .. والله المُستعان.

ﻣﺘﺖ ﻣﺘﺖ ﻣﺘﺖ.

# الفهرس


تعريف بكتاب ..... - 10 -
خطبة الكتاب ..... - 17 -
الفصل الأول ..... - 21 -
تحرير فلسطين ..... - 21 -
فريضة وضرورة ..... - 21 -
تمهيد ..... - 22 -
فلسطين عربية إسلامية ..... - 23 -
**هذا هو التدمير الثاني والأخير لأورشليم** ..... - 28 -
الأسباب الحقيقية لاحتلال فلسطين ..... - 38 -
السبب الأول: تفكيك دولة الخلافة الإسلامية وإزالتها ..... - 38 -
السبب الثاني: الاحتلال الصليبي للأقطار الإسلامية ..... - 44 -
السبب الثالث: القيادات الهزيلة في الأقطار الإسلامية ..... - 49 -
السبب الرابع: المترفون من أصحاب المال في الأقطار الإسلامية ..... - 57 -
الهدف اليهودي ..... - 65 -
طمع اليهود في سيناء المصرية ..... - 68 -
استراتيجية (تخطيط) اليهود لتحقيق هدفهم ..... - 71 -
أولًا: خدعة تعاهدات السلام ..... - 76 -
ثانيًا: تفريغ العالم الإسلامي من قوته الذاتية ..... - 79 -
هدف المعركة المرتقبة: تحرير فلسطين كل فلسطين ..... - 82 -
١ـ تحرير فلسطين فرض عيْن على كل مسلم ..... - 82 -
تحرير فلسطين تُوجبه الضرورة والمصلحة ..... - 84 -
معركة التحرير قادمة.. قادمة ..... - 86 -
وهذا للأسباب الآتية: ..... - 87 -
أولًا: الوحي الإلهي المعصوم (في القرآن الكريم والسنة النبوية) ..... - 87 -
ثانيًا: اليهود هم الذين سيبدؤون المسلمين بالحرب ..... - 91 -
ثالثًا: شهادة خبراء العسكرية بحتمية الحرب القادمة ..... - 92 -
الفصل الثاني ..... - 97 -
الخطوات القرآنية ..... - 97 -
لتحرير فلسطين ..... - 97 -
لخطوات القرآنية الواجبة لتحرير فلسطين ..... - 98 -
تمهيد: ..... - 99 -
1 . إعداد الجيل المنشود للتحرير ..... - 105 -
إعداد الجيل المنشود فريضة وضرورة ..... - 106 -

المنهج المطلوب لإعداد الجيل المنشود..... - 110 -
أدوات ووسائل إعداد الجيل المنشود للنصر والتحرير..... - 111 -
صفات الجيل المسلم المنشود لنصر الله الموعود..... - 113 -
التجرد لله تعالى هو سبيل النصر والتحرير..... - 114 -
الصفة الخامسة: جيل التضحية والفداء والشهادة في سبيل الله..... - 116 -
**دور العلماء والمربين في معركة رمضان 1393هـ**..... - 126 -
4 . رعاية الحرية الإنسانية..... - 181 -
الحرية فطرة ركَّبها الله تعالى في الإنسان..... - 181 -
5 . الولاء للمؤمنين دون غيرهم..... - 207 -
النوع الأول: التناصر بالنفس..... - 217 -
ثانيًا: التناصر بالمال..... - 219 -
ثالثًا: التناصر باللسان..... - 221 -
6 . معرفة العدو معرفة صحيحة..... - 233 -
الجانب الأول: في معرفة هدف العدو وقوته القتالية..... - 235 -
8 . مُجاهدة الإشاعات الخبيثة..... - 259 -
الإشاعة الأولى: المسلمون العاملون إرهابيون مُفسدون..... - 260 -
الإشاعة الثانية: الفلسطينيون باعوا أرضهم لليهود..... - 260 -
الإشاعة الثالثة: الفلسطينيون يخونون وطنهم وأهليهم لصالح اليهود..... - 262 -
9 . استنهاض شعوب الأمة الإسلامية..... - 270 -
10 . دوام التذكير بالأرض المحتلة، وبوجوب تحريرها..... - 275 -
**5ـ تحية الوداع المطلوبة للتذكير: إلى اللقاء، العام القادم في القدس**..... - 286 -
11 . تنصيب القيادة الإسلامية الواعية..... - 288 -
الخطوة القرآنية الحادية عشر للتحرير: تنصيب القيادة الإسلامية الواعية..... - 288 -
تنصيب القيادة الإسلامية الواعية فريضة شرعية..... - 288 -
تلاحم القيادة بالرعية سبيل الاستقرار والقوة والنصر..... - 293 -
أسباب تلاحم القيادة برعيتها..... - 296 -
12 . إعداد القوة المطلوبة للتحرير..... - 304 -
الخطوة القرآنية الثانية عشر للتحرير: إعداد القوة المطلوبة للتحرير ()..... - 304 -
13 . توحيد الأقطار الإسلامية..... - 324 -
الوحدة الإسلامية ضرورة وطنية..... - 324 -
**النصر والتحرير في الوحدة.. والهزيمة والاحتلال في التفرق**..... - 325 -
التاريخ يُعيد نفسه..... - 327 -
العامل الأول: الاعتصام بالقرآن والسنة..... - 332 -
العامل الثاني: وحدة والهدف وإن تعددت الوسائل..... - 332 -
13 . أسلمة المعركة فريضة وضرورة..... - 346 -

الخطوات القرآنية الثالثة عشر: أن يجعل المسلمون معركتهم المرتقبة إسلامية. ..... - 346 -
السبب الأول: وجوب إسلامية معركة التحرير..... - 346 -
السبب الثاني: القدس وفلسطين أرض إسلامية..... - 346 -
السبب الثالث: المماثلة في التعبئة والمواجهة الدينية ..... - 348 -
السبب الرابع: المسلمون لا ينتصرون إلا بأسلمة معركتهم ..... - 355 -
معركة (عين جالوت ) ..... - 357 -
15 . النهوض بمعركة التحرير المرتقبة..... - 369 -
النوع الأول: الجهاد العسكري، وهو: ..... - 369 -
السبب الأول: الاعتداء على المؤمنين، واحتلال أرضهم. ..... - 369 -
السبب الثاني: نصرة المؤمنين المنكوبين، ودفع الاعتداء عنهم . ..... - 373 -
السبب الثالث: استنجاد المسلمين الفلسطينيين بإخوانهم المؤمنين ..... - 375 -
السبب الرابع: ردع الناكثين للعهد مع المؤمنين..... - 376 -
السبب الخامس: تفاوضات السلام مسارها سخيف، وتفريط بالتقسيط..... - 377 -
السبب السادس: اليهود لا يردعهم إلا القوة. ..... - 384 -
النصر والتحرير في الجهاد في سبيل الله ..... - 388 -
القعود عن الجهاد من أكبر الكبائر..... - 391 -
النوع الثاني من الجهاد الواجب: الجهاد المدني ..... - 392 -
شرطٌ لنجاح هذه الخطوات القرآنية في التحرير..... - 402 -
**فذلكة الكتاب** ..... - 405 -